

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

UNIVERSITE 8 MAI 1945 - GUELMA
Faculté des sciences humaines et sociales
Département d'histoire



جامعة 8 ماي 1945 قالمة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

رقم التسجيل :

الرقم التسلسلي :

القديسين أغسطيين
بين السلطة الرومانية والمجتمع المحلي

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه نظام ل.م.د.

إشراف:
أ.د/ عبد المالك سلاطينية

إعداد الطالبة:
زموري خديجة

تاريخ المناقشة:

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة الأصلية
بلقاسم رحماني	أستاذ التعليم العالي	رئيساً	جامعة الجزائر 2
عبد المالك سلاطينية	أستاذ التعليم العالي	مشرفاً ومقرراً	جامعة 8 ماي 1945 - قالمة
رابح مرجي	أستاذ التعليم العالي	عضواً	جامعة 8 ماي 1945 - قالمة
مسعود شباحي	أستاذ التعليم العالي	عضواً	جامعة الحاج لخضر 1 - باتنة
مراد زرارقة	أستاذ محاضراً	عضواً	جامعة 8 ماي 1945 - قالمة
مها عيساوي	أستاذ محاضراً	عضواً	جامعة العربي التبسي - تبسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قائمة المختصرات

الحوليات

- **Ant.Afr** : Antiquités africaines
- **B.S. N. A. F** : Bulletin de la Société Nationale des Antiquaires de France
- **C. R.S. A.I** : Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres
- **M. A.H** : Mélanges d'archéologie et d'histoire
- **R. H. R** : Revue de l'histoire des religions

الكتب:

- **A.C.C**: Acte de la Conférence de carthage
- **Cod.Theod** : Le code theodosien
- **D.Ency.CH.E** : Dictionnaire encyclopédique du chrétianism encien
- **H.Afr.R** ; Histoire de L' Afrique Romaine
- **Oeuv.C.ST**: Oeuvres complètes de saint Augustin
- **R.C**: Résumé d'une conférence R.C
- **T.Anti.D**: Traité anti-donatiste
- **T.C.D** :Traité Contre Les Donatistes

قائمة المصطلحات

- د.ت: دون تاريخ
- تر: ترجمة
- تع: تعريب
- ج: الجزء
- د.ط: دون طبعة
- ط: طبعة
- ع: العدد
- م.إ.أ: المجلس الاسلامي الأعلى
- مج: مجلد
- هـ: هامش

قائمة المصطلحات باللغة الاجنبية

- **AF** :Adaptation Fancaise
- **CH** :Chapitre
- **ED** :Edition
- **I**: livre
- **ST.Aug** : Saint-augustin
- **SD** :Sous la direction
- **Trad** :Traduction
- **V** :Volume

المقدمة

المقدمة

*التعريف بموضوع البحث

تعالج الأطروحة واحدة من أهم فترات تاريخ الجزائر في الفترة المتأخرة من الاحتلال الروماني لشمال إفريقيا، هذه الإمبراطورية التي كانت أخذة في الزوال، كنتيجة لما عانته من أزمة القرن الثالث للميلاد، والتي أدت إلى الضعف الاقتصادي وظلم الاجتماعي والانحلال الأخلاقي والتسلط البيروقراطي، لكن هذا التراجع قابله إشعاع ديني في كنف المسيحية، التي عرفت انتشارا في كامل أرجاء الإمبراطورية خاصة بعد أن نعمت بفترات سلام ووضعها على قدم المساواة مع الديانات الأخرى وقد عرفت ولاية إفريقيا على غرار ولايات الإمبراطورية الرومانية انتشارا للمسيحية، التي نجهل تاريخ دخولها إلى المنطقة على أن أول إشارة لها كانت في سنة 180م إذ يعتبر هذا التاريخ أول مؤشر لبداية الاضطهاد المسيحي بإفريقيا، حيث تمّ إعدام اثني عشرة مسيحي من بينهم سبعة رجال وخمسة نساء بقرية سيلبي Scilli وذلك بعد رفضهم التخلي عن دينهم، لتشهد إفريقيا سلسلة من الاضطهادات شأنها شأن باقي شعوب الإمبراطورية - خاصة وأن هذه الديانة قد استقطبت الطبقات الدنيا من المجتمع نظرا لما جاءت به من تعاليم على رأسها إلغاء الفوارق الاجتماعية والحث على المساواة بين كل طبقات المجتمع، لتنتهي تلك السلسلة من الاضطهادات مع ديقليديانوس بين سنتي 303م و305م.

طفى على السطح تعارض كبير بين الموروث الثقافي الذي مثل جزء من الحضارة الرومانية وتجسد في الإمبراطورية الوثنية وبين تعاليم دين جديد عرف انتشارا واسعا وهو المسيحية ومع مرور الوقت ظهرت استحالة التعايش بين الوثنية كدين رسمي والمسيحية كديانة أخذة في الانتشار كالنار في الهشيم، ومن ثمة ادرك الأباطرة ضرورة إيجاد حل لهذه المعضلة وكان على رأسهم قسطنطين، الذي قام فور اعتلائه كرسي العرش الاعتراف

بالمسيحية كديانة من ديانات الإمبراطورية من خلال إصداره مرسوم ميلانو في 313م الذي منح كل فرد حق العبادة الحرّة، بالطريقة التي يراها مناسبة كما تعهد بحماية أرواح وممتلكات المسيحيين وبذلك بزغ فجر المسيحية خاصة بحصولها على عدة امتيازات كمنح رجال الدين المسيحيين نفس الحقوق والامتيازات التي منحت للكهنة والوثنيين، فأعفوا من الضرائب والواجبات الأخرى مثل العمل في المناصب الحكومية بهدف التفرغ لمزاولة نشاطهم الديني.

فبعد أن كانت المسيحية بالأمس نحلة تنتشط في الخفاء وتعدّد اجتماعاتها وراء الأبواب في جنح الليل، أصبحت اليوم تنتشر في وضوح النهار، وذلك لما حظيت به من برعاية من طرف الأباطرة، وهو ما حقق لها انتشارا واسعا وجعلها جنبا إلى جنب مع السلطة، فاعتبرتها هذه الأخيرة مؤسسة من مؤسساتها وأداة لتحقيق الوحدة الدينية للإمبراطورية.

ساعد السلام الذي نعمت به المسيحية من استئناف نشاطها التبشيري وتطوير نظامها مما سمح لكنيسة شمال إفريقيا بتقديم مفكرين مسيحيين لامعين وأساقفة عظام أمثال ترتليانوس هذا اللاهوتي المعترك الذي تميز بالدفاع عن المسيحية في وجه الانتقادات والافتراءات بطريقة ثورية معتمدة على الحجة القانونية وكبريانوس، وأغسطين، مما جعل إفريقيا بؤرة الفكر المسيحي الغربي، غير أن شهرة أغسطين لا تضاهيها أي شخصية باعتباره من أشهر مفكري ومنظري الكنيسة المسيحية، كما يعتبر جامع لكل ما سبقه من تفكير مسيحي في القرون الأربعة الأولى، فأعماله مازالت إلى اليوم محل دراسة ونقاش وجدال بين المختصين، كما أن غزارة إنتاجه جعلت الكثيرين يجزمون على عدم قدرة شخص واحد على دراستها، كما انفرد عن غيره من المفكرين بإدراكه الواسع لتغيرات التي حدثت في عصره، ووجوب التأقلم معها، إذ كان على يقين بأن عصره يعيش فترة انتقالية من العصور القديمة والتي تمثلت في الحضارة الرومانية الوثنية إلى عصور جديدة تمثلت في حضارة

رومانية بسمات مسيحية ومن هنا جاء اختيارنا لموضوع الأطروحة التي جاءت موسومة بـ " القديس أغسطين بين السلطة الرومانية والمجتمع المحلي " .

*أهمية الموضوع :

تكمن أهمية هذه الدراسة، بتناولها اهم شخصية إفريقية ظلت محل جدل كبير لا سيما في قضية تحوله المسيحي، فاغسطين عاش في شبابه حياة اللهو واللامبالاة التي وصلت إلى حد اتخاذه خلية وانجاب طفل غير شرعي، ليتحول إلى حياة القداسة والعفة، بل اصبح احد اهم المفكرين الموسوعيين، والأكثر تأثيرا في اللاهوت المسيحي، كما أن غزارة إنتاجه الفكري جعل البعض يقول انه من غير الممكن لشخص واحد أن يدرس كل أعمال أغسطين ووفقا لهذا المنطلق اردنا الوقوف على خلفيات وأسرار هذا التحول، ومن جهة أخرى اردنا تأكيد أو نفي مدى التهم التي وجهت له حيال موقفه من السلطة الرومانية، بمعنى آخر ما هو موقف أغسطين من السلطة الزمنية التي مثلتها السلطة الرومانية والسكان المحليين الذين تمثلوا في الأفارقة ؟ فاغسطين عايش فترة الاضطرابات التي عانت منها الإمبراطورية سواء على المستوى الخارجي والذي تسببت فيه هجمات القبائل الجرمانية، أو على المستوى الداخلي ونقصد به الصراعات الدينية التي نشبت بين المسيحيين انفسهم، ويتعلق الأمر بقضية المتخاذلين أيام الاضطهاد، إذ اتهموا بالخيانة وعدم الصمود أمام تنكيل السلطة الرومانية في الوقت الذي استطاع الكثير من المسيحيين الأتقياء الوقوف في وجه المضطهدين ولم يزدحم العنف والدم إلا صمودا .

على هذا الأساس انقسمت الكنيسة إلى كنيسة كاثوليكية حظيت برعاية ودعم السلطة وكنيسة دوناتية عانت من اضطهاد السلطة، لكن هذه الأخيرة عرفت إقبالا وانتشارا اكثر من خصومها من طرف الأهالي الذين وجدوا فيها أداة لتعبير عن سخطهم الاجتماعي ضد السلطة .

دام الصراع بين الكنيستين قرابة قرن من الزمن من 312م إلى 411م حال دون إيجاد حل يرضي الطرفين ويلم شمل الكنيستين تحت شعار الوحدة الكاثوليكية، وبذلك ظلت الدوناتية شوكة في حلق السلطة الرومانية والتي اعتبرتها المسؤولة عن كل الاضطرابات وعدم الاستقرار على مستوى إفريقيا .

عند وصول أغسطين إلى كنيسة هيبون في 391 عين قسا مساعد للأسقف فاليريان ثم **396م** اسقفا لها، لمدة أربعين سنة، سخر خلالها كل جهده الفكري والجدلي في خدمة شعب وكنيسة المسيحية منصبا نفسه حاميا لها في الفترة التي كان الصراع بين الكنيستين على أشده، فلم يتردد في خوض هذا النزاع واختار أن يكون ممثل الطرف الكاثوليكي، متخذا استراتيجية المجادلات الكلامية سلاحا له، التي ترجمت في رسائل متبادلة مع أساقفة خصومه سواء على مستوى مدينة هيبون أو مدن أخرى، مستخدما أسلوب اللين تارة وأسلوب الهجوم و التهكم والصخرية تارة أخرى خاصة اذا ما تعلق الأمر بعنف وفوضى الدواوين الذي اعتبرهم دائما رؤوس رماح الدوناتية، ولمدة 19 سنة رفضت الدوناتية الخوض في مواجهة علنية ضد الكنيسة الدوناتية، رغم محاولات أغسطين المتكررة .

في النهاية استطاع أغسطين أن يقنع الإمبراطور هونوريوس بعقد مناظرة عالية المستوى تجمع الطرفين في مواجهة علنية ومن ثمة يتم الفصل في قضية الانشقاق بشكل نهائي ، وبالفعل عقدت المناظرة في 411م ، و التي استطاع خلالها اسقف هيبون المتمرس والبلغ أن يدحض الدوناتيين ويرد على كل تساؤلاتهم، بهذا توجت نتائج المناظرة بنجاح الكنيسة الكاثوليكية والقضاء على الدوناتية .

لم تقتصر مهام أسقف هيبون الدفاع عن الكنيسة وحفظ سلامها، بل عني بحل مختلف القضايا الاجتماعية كمساعدة الفقراء والدفاع عن المسجونين والمضطهدين، كما اتسم أغسطين باندفاعه لخوض كل الأمور اللاهوتية و محاربة البدع والهرطقات التي عاصرتة كالمانوية والبيلاجية والآريوسية .

1- محاولة الكشف عن شخصية القديس أغسطين التي أخذت جدلاً كبيراً في الأوساط العامة أو المتخصصة في الدراسات التاريخية حول مدى صحة انتسابه إلى شمال إفريقيا ، فقد اعتبره البعض إفريقياً و جعله وجه من الأوجه الإيجابية والمشرفة للرومنة، في حين رآه آخرون رومانياً ولا يتعدى أن يكون إفريقياً إلا بالمتشأ فقط .

2- تغير النظرة السلبية التي يحتفظ بها الكثيرون عن القديس أغسطين والنابعة من التعصب الديني إذ لا يعد أغسطين في نظر الكثير سوى مبشراً متحمساً للعقيدة المسحية من جهة والمترومن المناوئ للكنيسة الدوناتية التي مثلت السواد الأعظم من السكان المحليين .

3- يمثل أغسطين جزءاً من التراث الثقافي للجزائر خاصة وشمال إفريقيا عامة، بغض النظر عن انتمائه إفريقي كان أو روماني أو مسيحي .

4- حُرِّ في نفسي الكم الهائل من الدراسات الغربية التي خصصت له والزخم الذي أحيطت بشخصيته في حين تميزت دراساتنا المحلية بالشح باستثناء بعض الدراسات المحلية التي أشارت له في سياق العام .

5- اردنا الوقوف على بعض الحقائق والتأكد من الآراء التي بقيت لصيقة بهذه الشخصية والمتمثل في الخيانة والتنكر لأبناء وطنه وأنه اختار أن يكون لسان حال السلطة الزمنية، وربما هذه الآراء وغيرها جعلت شخصية أغسطين لا تحظى بالدراسة التي يستحقها من طرف أبناء وطنه إذا ما قارنا الدراسات التي أفردت له من طرف الغرب وبقيت حكرة عليهم إلى اليوم، واصبحوا يمثلون رصيد فكري لا غنا عنه إذا ما أردنا دراسة هذه الشخصية.

6- اردنا كذلك إظهار بعض جوانب الفكر الأغسطيني الإنساني، مثل التسامح بين الشعوب، مساعدة الفقراء على اختلاف انتمائهم العرقي أو الديني، حمايته للمضطهدين أو المسجونين، دفاعه ضد السلطة عن أي متهم واعتباره بريء حتى تثبت إدانته... الخ .

7- ويمكن للمؤرخين عامة والمحليين خاصة أن يقتربوا خطأ إذا ما عزلوا هذه الشخصيات ولم يعطوها حقها من الدراسة

أظن أن الأفكار سالفة الذكر كافية لإعطائه شخصية القديس أغسطين مساحة من بين دراساتنا التاريخية .

*أهداف الدراسة :

- 1- أن المتصفح للتاريخ شمال إفريقيا القديم يلاحظ الاهتمام الكبير الذي أولاه المؤرخون الغرب لهذه المنطقة، إذ اصبحوا يملكون الرصيد الأكبر والأهم في حين نجد أن المؤرخين المحليين قد اهتموا بتاريخ المنطقة في الفترات اللاحقة (الفترة الوسيطة و الحديثة)؛ لذا حاولت الخوض في دراسة جانب من جوانب المنطقة في التاريخ القديم.
- 2- محاولة مد جسور الحوار الثقافي والحضاري، بوضع شخصية أغسطين في اطار الدراسة العلمية الأكاديمية دون اعتبارات دينية أو عرقية أو ثقافية.

*إشكالية البحث :

تغطي الأطروحة الفترة الممتدة من 311م إلى غاية 430م، وهو تاريخ بداية الانشقاق الذي مسّ كنيسة شمال إفريقيا، إذ كان لابد من الرجوع إلى هذه الفترة لفهم حيثيات وتفاصيل ذلك الانشقاق وتسليط الضوء على موقف كل طرف منه، ورد فعل الأباطرة المتعاقبين من هذا الانشقاق، وصولاً إلى أسقف هييون الذي اهتم أيما اهتمام بهذا الانشقاق ، ولما كان أغسطين لسان حال السلطة التي تبنت الكنيسة الكاثوليكية بشكل رسمي وأحاطتها برعاية خاصة بالمقارنة مع الكنيسة الدونانية التي عانت من اضطهادها جاء إشكالية الأطروحة الرئيسية كتالي:

ما هو موقف القدّيس أغسطين من السلطة الرومانية والمجتمع المحلي؟ و ما هي حدود تبني أغسطين لآراء ومواقف السلطة الزمنية على حساب المجتمع المحلي؟

و قد تفرعت عن الإشكالية الرئيسية تساؤلات فرعية جاءت الإجابة عنها في كل باب أما الباب الأول فكانت تساؤلاته كالتالي كالآتي:

كيف كانت الأوضاع العامة في عهد القدّيس أغسطين؟ ما هي طبقات التي تشكل منها المجتمع؟ وما هي اللغة التي كانت متداولة؟ و ما هي الطرق والأساليب المتبعة في العملية التعليمية؟ ما هو الدين الرسمي للدولة وكيف كانت نظرة السلطة للديانات الأخرى؟ ما هي أنواع الملكيات التي وجدت؟ وكيف كان يتم استغلالها؟ هل كانت بيد السلطة فقط أم كانت هناك ممتلكات شاسعة تعود ملكيتها للأهالي؟ إلى أي مدى كان النظام الضريبي هو أساس قيام ثورات شعبية كثورة الدوارين؟ إلى أي مدى ساهم المحيط العائلي في تكوين شخصية القدّيس أغسطين؟ ما هي طبيعة التكوين الذي تلقاه؟ ما مدى تأثيره بكتاب شيشرون؟ ما هي أهم المحطات المذهبية التي استهوت أغسطين في رحلة بحثه عن الحقيقة؟ من كان وراء تحوله إلى المسيحية؟ ما هي اختياراته بعد اعتناق المسيحية؟ كيف استطاع التوفيق بين مهامه الأسقفية والإنتاج الفكري الفلسفي اللاهوتي؟

أما تساؤلات الباب الثاني فكانت كالتالي :

ما هي جذور الانشقاق الكنسي؟ و موقف السلطة الزمنية من هذا الانشقاق؟ وكيف كانت العلاقة بين الكنيستين؟ وما هو موقف أغسطين من الكنيستين؟ هل كانت الكنيسة الدوناتية سبب في الفوضى وعدم الاستقرار الذي عمّ إفريقيا عن طريق الدوارين وأعمالهم التخريبية؟ ما مدى صحة القول أن الدوارين رؤوس رماح الدوناتية؟ وهل كانت للدوناتية علاقة بثورتي جيلدون وفيرموس؟ كيف تعامل أغسطين مع عنف الدوارين؟

أما تساؤلات الباب الثالث فكانت كالآتي:

ما هي اهم القوانين التي اتخذت من طرف السلطة لقمع الكنيسة الدوناتية؟ إلى أي مدى أصبحت السلطة والكنيسة الكاثوليكية يشكلون تحالف ضد الدوناتية؟ وما هو السبب وراء هذا

التحالف؟ ما هي نظرة اسقف هيبون إلى هذا الانشقاق؟ كيف كانت استراتيجيته اتجاه الكنيسة المنشقة؟ وكيف استطاع أن يعقد مناظرة قرطاج؟ كيف استطاع أن يجعل هذه المناظرة المنعرج الحاسم في القضاء على الدوناتية؟ ما هي الأسباب التي أبطنت سقوط الدوناتية؟ ما مدى اعتزاز أو تنكر أغسطين لأصوله الإفريقية؟ ما مدى تأثير الثقافة الرومانية على انتمائهم؟ كيف كانت نظرتهم للسلطة ولالإمبراطور؟ ما مدى قبوله سيطرة السلطة على الكنيسة؟ ما هو دوره الاجتماعي اتجاه رعيته؟ ما هي اهم البدع والهرطقات التي تصدى لها؟

*المنهج المتبع :

للإجابة عن الإشكالية الرئيسية والتساؤلات الفرعية اتبعت أكثر من منهج وهذا تبعا لطبيعة البحث؛ فقد اتبعت أحيانا المنهج التاريخي السري الوصفي وذلك لسرد بعض الأحداث على سبيل المثال لا الحصر سرد الأحداث التي تسببت في انشقاق الكنيسة الإفريقية وإعطائها وصفا دقيقا ، كما اتبعت المنهج التحليلي مثال ذلك تحليل طبيعة التكوين الذي تلقاه أغسطين من جهة وطبيعة تفكيره الذي يتسم بالاعتناق ثم الإيمان وهو ما جعله يعتقد أكثر من مذهب بحثا عن الحقيقة قبل أن يصل في آخر المطاف إلى المسيحية، كما اتبعنا المنهج المقارن وذلك في مقارنة بعض الأحداث التي جاءت على لسان أغسطين أو ابطاتوس الميلي و الروايات التي جاءت على لسان خصومهم الدوناتيين .

*خطة البحث :

تضمنت هذه الدراسة ثلاثة أبواب ينطوي كل باب على فصلين مرتبة كالاتي :
الباب الأول جاء تحت عنوان : الحياة العامة في عهد القديس أغسطين
تناولت في الفصل الأول الذي جاء بعنوان الأوضاع الاقتصادية الاجتماعية في عهد أغسطين، أما الفصل الثاني جاء عنوانه: مولد ونشأة القديس أغسطين .

أما الباب الثاني فعنوانه ب : الانشقاق الكنسي وانعكاساته والذي انطوى هو الآخر على فصلين، الأول بعنوان الانشقاق الكنسي، أما الفصل الثاني، جاء تحت عنوان الدوناتية و علاقتها بالدوارين .

أما الباب الثالث فعنوانه ب : أغسطين و المجتمع المحلي ، و الذي تناول فصلين الأول كان بعنوان : السلطة تقمع الدوناتية ، أما الثاني : القدّيس أغسطين بين الأصالة الإفريقية والثقافة الرومانية .

*أهم المصادر و المراجع :

بالنسبة للمصادر والمراجع فقد اعتمدت على جملة من المصادر والمراجع الأدبية المهمة التي تصب في صلب الموضوع وكان على رأسها مؤلفات القدّيس أغسطين التي تميزت بالغرارة إذ حاولنا الوصول إلى ما يهم الموضوع ويخدمه؛ ورتبها كآلاتي :

1- كتاب إعرافات :

الذي جاء في ثلاثة عشرة كتاب لخص في التسعة كتب الأولى منه الحديث عن أدق تفاصيل حياته منذ الطفولة حتى اهتدائه إلى الإيمان المسيحي وتلقيه التعميد في سن الثانية والثلاثين من عمره، أما الكتب الأربع الأخرى فقد ركز فيها على رحلته في البحث عن الحقيقة الإلهية والإيمان أين وجه أغسطين كل حديثه إلى الله، فاعترف له بكل خطاياها، ودعي إلى كل من هم بعيدين عن الله بإتباعه قبل فوات الأوان وقد أتاح لنا هذا الكتاب التعرف على شخصية أغسطين بكل تفاصيلها، كما كان مفتاح لفهم أسرار البناء الفكري ، من خلال الوقوف على كل المحطات التي مرّ بها والتيارات والمذاهب التي تأثر بها قبل الوصول إلى الإيمان المسيحي وتحوله إلى أعظم أباء الكنيسة الكاثوليكية.

2- كتاب مدينة الله :

وهو إحدى روائع القدّيس أغسطين، وضعه في الفترة العصيبة التي مرت بها الإمبراطورية الرومانية والمتمثلة في اجتياح روما من طرف البرابرة بقيادة أمارك (Alarik) سنة 410م، فحمّلت النخبة الدينية والثقافية والسياسية الوثنية مسؤولية ما آلت إليه

الإمبراطورية الرومانية، إلى تتكر الأباطرة إلى الآلهة الوثنية القديمة و تبنيهم الديانة المسيحية، لكن نظرة أغسطين كانت مختلفة تمام ولم يكن تفسيره لها بهذه البساطة، مما دفع أغسطين بتأليف هذا الكتاب الذي تضمن في شكله النهائي ثلاثة عشرة كتابا، داحضا في الجزء الأول منه فكرة أن تكون المسيحية هي سبب سقوط روما ليخص في الأجزاء الأخرى تاريخ البشرية من الخلق إلى يوم القيامة ، مترجما كل توجهاته الفكرية الاجتماعية والسياسية بطريقة مبدعة، وذلك وفق تصورين متضادان هما مدينة الله و مدينة الأرض، أما المدينة الأولى التي تميزت بطغيان حب الله على حب الذات فسمت بذلك إلى القداسة والعفة والكمال، أما المدينة الثانية، طغى فيها حب الذات على الله، فوقع الإنسان في كل أنواع الخطيئة، تكمن أهمية هذا الكتاب في كونه يعطينا فكرة كاملة عن توجهات أغسطين الدينية والاجتماعية والسياسية .

3- مجموعة الرسائل القديس أغسطين:

تتمثل في جملة من الرسائل التي تبادلها أغسطين مع مختلف الهيئات من أساقفة الكاثوليك أو من خصومه الدوناتيين أو بعض أثرياء المنطقة وأشخاص ذوي مكانة في السلطة وقد جاءت هذه الرسائل مقسمة إلى أربعة مجموعات:

المجموعة الأولى: وتضم جميع رسائل أغسطين قبل تعيينه أسقفا لكنيسة هيبون والتي وصل عددها إلى 30 رسالة تغطي الفترة الممتدة من سنة 386م إلى غاية سنة 395م.

المجموعة الثانية: تضم 93 رسالة محررة من كطرف أغسطين بعد تعيينه كأسقف لكنيسة هيبون إلى في 396م إلى غاية 410م.

المجموعة الثالثة: فتحتوي على 110 رسالة مؤرخة من مناظرة قرطاج سنة 411م إلى غاية وفاة أسقف هيبون في 430م.

المجموعة الرابعة: تحتوي على 40، وقد جاءت هذه المجموعة

وقد مكنتنا هذه الرسائل من معرفة الدور الذي قام به أغسطين بالتفصيل باعتباره اسقف كنيسة هييون كما اطلعنا عن كل المجادلات الكلامية التي كانت بينه وبين خصومه من أساقفة الدوناتية .

5- كتب أغسطين الجدلية *Œuvre Polimique* :

تشمل جملة من الكتابات التي وضعها القديس أغسطين في اطار الردّ على خصومه من الدوناتيين ، أو الرد على اتباع البدع والهرطقات التي انتشرت في عصره وعلى رأسها المانوية وهي البدعة التي ظل أغسطين تسع سنوات من اتباعها وبعد أن تبين له زيف أفكارها كانت من أول البدع التي حاربها معتبرا إياها أخطر الهرطقات إلى جانب رده على البيلاجيين والاريوسيين، وقد جاءت هذه الكتابات في شكل رسائل مثل: "الرد على رسالة بيريميانوس" و "الرد على رسالة بيتليانوس" أو على شكل كتب مثل كتاب "الهرطقات" الذي جمع فيه كل البدع و الهرطقات التي انتشرت في عهده سواء في إفريقيا أو خارجها والتي بلغت ثمانية وثمانين بدعة .

5- محاضر مناظرة قرطاج:

وهي مناظرة قرر الإمبراطور هونوريوس عقدها؛ قصد الفصل بشكل نهائي في قضية الانشقاق الكنسي الذي مسّ كنيسة شمال إفريقيا والذي ظل حوالي قرن من الزمن من 312م إلى 411م وهو تاريخ انعقاد المناظرة التي انتهت لصالح الكنيسة الكاثوليكية وكان فضل هذا الانتصار إلى القديس أغسطين الذي كان ممثّل الطرف الكاثوليكي ولسان حال الكنيسة الكاثوليكية ، وشكلت نتائج هذه المناظرة منعرجا حاسما في مسار الكنيسة الدوناتية بعد أن انهالت عليها السلطة بقوانين تأييد كلها قرارات مناظرة قرطاج وتصب في القضاء عليها ومن ثمة بدأت هذه الحركة في الضعف و التلاشي شيئا فشيئا، ويرجع الفضل في وصول سجلات هذه المناظرة إلينا إلى مارسيليانوس رئيس الجلسة الذي كلف مجموعة من كتاب، مهمتهم هو تدوين حثيات وتفاصيل المناظرة، فتمكنا من التعرف على سير المناظرة بدوراتها الثلاثة، عدد الأساقفة المشاركين من الطرفين مع نبين انتمائهم الأقليمي، وكذا طبيعة

المواضيع التي تمت مناقشتها؛ لذا تعتبر محاضر مناظرة قرطاج وثيقة تاريخية لا يستغني عنها أي باحث يخوض غمار البحث حول الصراع الكنسي بشمال إفريقيا.

6- كتاب ابطاتوس الميلي: (Optat de Mileve) وهو أسقف مدينة ميلاف (ميلة حاليا)، وضع كتاب بعنوان " معاهدة ضد الدوناتية"، الذي تحدث فيه بإسهاب عن بداية الانشقاق الكنسي، وما تبعه من ردود أفعال الطرفين المتخاصمين، كما تعرض إلى عدة مسائل دينية كانت محل خلاف بين الكاثوليك والدوناتية ك مسألة التعميد و قدسية الكنيسة و وحدتها

6- مجموعة قوانين ثيودوسوس:

تعتبر مجموعة قوانين ثيودوسوس من أقدم ما تبقى من مراسيم الأباطرة الرومان، وتشمل هذه المجموعة المراسيم التي أصدرها الأباطرة المسيحيين من قسطنطين الكبير الى ثيودوسوس التي استغرق جمعها ثماني سنوات، إذ صدرت في البداية في الشطر الشرقي من الامبراطورية قي 438م ثم ما لم تلبث أن صدرت في شطرها الغربي، جاءت المجموعة في 16 كتاب عالج النواحي الحكومية والحربية وكذا الدينية للامبراطورية، وقد جاء ترتيب القوانين حسب تسلسلها الزمني، وتكمن أهمية هذه المجموعة القانونية كونها تطلعنا على كل ما حققته المسيحية من نجاح بعد أن تم الاعتراف بها على قدم المساواة مع الديانات لتصبح في عهد ثيودوسوس الديانة الرسمية بدون منازع.

أما المراجع فقد أعتمدنل بالدرجة الأولى على:

7- كتاب شمال إفريقيا القديم (حركة الدوارين وعلاقتها بالدوناتية):

لصاحبه محمد المبكر والذي حاول أن يثبت مدى العلاقة التي كانت تربط الدوناتيين بحركة الدواريين وذلك من خلال النصوص الكاثوليكية وعلى رأسها نصوص أغسطين الموجهة إلى خصومه من الكنيسة المنشقة تنديدا بما كان يقوم به على حد قوله دواروهم من أعمال فوضى وشغب، وقد ساعدنا هذا المرجع في فهم خلفيات وظروف نشأة الحركتين - الدوناتية و الدوارين - وحدود العلاقة التي تربط بينهما إذ يرى محمد المبكر أن الحركتين

منفصلتين من حيث الأهداف والتوجهات وإن ربطتهم الظروف لاسيما موقف السلطة التي كانت مضطهدة لهما وبالتالي شكلت العدو المشترك لكلتا الحركتين.

*صعوبات البحث :

كأي باحث يخوض غمار البحث علمي، واجهتني عدة صعوبات، سواء على المستوى المعرفي وهنا أقصد على وجه التحديد جهلي الكلي للغة اللاتينية وهو ما حز في نفسي باعتبار أن هذه اللغة هي مفتاح الدراسات التاريخية القديمة سواء فيما يخص شمال إفريقيا أو كل المناطق التي خضعت للسيطرة الرومانية، أو على المستوى المنهجي والمتمثل في صعوبة التعامل مع الإنتاج الفكري لأغسطين سواء من ناحية الترجمة أو من ناحية قبولتها في إطار تاريخي باعتبار أن أفكار أغسطين يغلب عليها الطابع الفلسفي اللاهوتي، كما أن مصادر الدراسة كانت أحادية المرجع سواء في المصادر القديمة والتي تمثلت في غزارة الكتابات الكاثوليكية إذ ما قورنت بالكتابات الدوناتية التي تكاد تكون منعدمة ، أو المراجع الحديثة والتي كانت أكثرها أجنبية وهذا ما يجعلنا نتعامل مع الوقائع والأحداث بحذر وحيطة كون الغرب ينحازون إلى الطرف الروماني الأغسطيني على حساب السكان المحليين.

*الشكر و العرفان :

في الختام لا يسعني إلا أن اتقدم بخالص شكري وعظيم إمتثاني للأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور عبد المالك سلاطينية، فكان بحق معيناً لا ينضب من التوجيه والإرشاد والعطاء طوال فترة انجاز هذه الأطروحة المتواضعة، كما اشكر المدير السابق لكنيسة هيبورجوس الأب تشي بنقو *tshibango* الذي لم يتوانى لحظة في تقديم الإرشادات والنصائح وكذا فتح لي أبواب مكتبة الكنيسة للتطلع على ما تزخر به من مصادر ومراجع كما لا انسى بتقديم جزيل الشكر والعرفان للأستاذ الدكتور آلان فيتزجيرال مدير مركز الدراسات الأغسطينية بفيلا نوبا بالولايات المتحدة الأمريكية والذي استفدت كثيرا من توجهاته وخبرته حول الموضوع، دون أن أنسى الاستاذة الدكتورة يوسفى من جامعة باجي مختار عناية التي

كانت بمثابة أخت غمررتي بحبها وتوجيهاتها القيمة وفي الأخير أتوجه بالشكر للجنة المناقشة التي قبلت مناقشة هذا البحث المتواضع دون أن انسى اشكر كل يد بيضاء ساعدتني من قريب أو بعيد في إنجاز هذا البحث.

كما ارجوا أن أكون قد وفقت في تغيير الفكرة التي كانت في أذهان الكثير حول أغسطين فمهما كانت توجهاته الثقافية ومعتقداته الدينية وأفكاره الفلسفية وانتماءاته السياسية يظل من اهم الشخصيات التي أنجبتهم شمال إفريقيا، ويمكن القول انه يمثل وجه من الأوجه المشرفة لها على الصعيد الثقافي.

في الختام ما يسعني إلا أن أعترف بأن هذا البحث ناقص ويحتاج إلى المزيد من التصويبات من طرف أعضاء لجنة المناقشة المحترمة.

و ما توفيقى إلا بالله العلي العظيم عليه توكلت و إليه أنيب

الباب الأول

الأوضاع العامة في عهد القديس أغسطين

الفصل الأول

الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية

الفصل الثاني

مولد و نشأة القديس أغسطين

الفصل الأول

أولاً: الأوضاع الاجتماعية

ثانياً: الأوضاع الاقتصادية

تمهيد:

كانت الإصلاحات التي قام بها ديقلديانوس والتي شملت إعادة النظر في سلطة الإمبراطور وتنظيم الجيش والإدارة وكذا جباية الضرائب، تهدف إلى تدارك ما كانت تمر به الإمبراطورية من صعوبات على جميع الأصعدة غير أن الإجراء الأخير كانت له عواقب وخيمة على التركيبة الاجتماعية التي انقسمت على نفسها أكثر فأكثر، فأصبح البعض يتمتع بامتيازات كبيرة رفعته إلى مصافي طبقات المجتمع في الوقت الذي عانى البعض الآخر من كثرة الأعباء والمسؤوليات التي أقيت على عاتقهم، لتنتهار طبقات أخرى فاقدة لممتلكاتها ونفوذها في السلطة، هذا يدعونا إلى التساؤل عن شكل المجتمع في القرن الرابع والخامس للميلاد؟ وماهي أنواع الملكيات التي كانت موجودة وكيف كان يتم استغلال؟

أولاً: الأوضاع الاجتماعية

1- طبقات المجتمع:

انتشر نظام البلديات الرومانية على نطاق واسع وذلك منذ العهد الإمبراطوري الثاني¹ الأمر الذي أتاح الفرصة أمام النوميديين² والموريين³ الحصول على الحقوق المدنية اذا ما توفرت فيهم الشروط.

لكن الانتشار الواسع للبلديات بمختلف درجاتها (رومانية، لاتينية، إيطالية) لم يكن يعني أن جميع الأفراد يتمتعون بالمساواة القانونية بل كانت هناك طبقات، كان في قمتها العنصر الروماني الذي كان يمثل السلطة الإدارية والعسكرية ثم يليه العنصر اللاتيني الذي كان يتمتع بمزايا المواطنة الإيطالية⁴. لكن مع العهد الإمبراطوري الثالث حدثت تغيرات في الطبقات الاجتماعية وذلك منذ القرن الرابع للميلاد ويعتبر قانون هونوريوس⁵ الصادر في

¹ - مرت الإمبراطورية الرومانية بـ ثلاث مراحل رئيسية: الملكية الجمهورية ثم الإمبراطورية التي بدأت مع اكتافيوس الذي اخذ لنفسه اسم أغسطس في 27 ق.م، ثم استمرت الإمبراطورية الرومانية فترة طويلة، وقد انقسمت في مراحل متأخرة إلى قسمين ، الأول غربي سقط سنة 476 م وشرقي في أوروبا يعرف باسم الدولة البيزنطية سقط في 1453م. انظر: عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، د.ط، مصر، 1999، ص 35. 37 .

² - النوميديين Numidii: هم مجموعة قبلية جاورت القرطاجيين من الغرب لتمتد مساحتها إلى غاية نهر ملوية غربا، وعرفت هذه المساحة توسعا في عهد الملك ماسينييسا لتصل إلى الواد الكبير شرقا، يعرف اقليمهم بموريطانيا القيصرية ، في حين يطلق عليهم الرومان مصطلح الموريين أنظر: العود محمد الصالح، التحولات الحضارية في شمال إفريقيا في الفترة الوندالية 429-534م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير تاريخ قديم، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010، ص06

³ - الموريين Maures: مستمدة من المصطلح الإغريقي "موريزيا" الذي استخدم للدلالة عن البلاد الأقصى بعدا بالنسبة للإغريق من جهة الغرب، ليتغير اللفظ عند الرومان إلى موري "Mouri" محافظا على نفس المعنى الجغرافي والبال على مجموع السكان الخاضعون للسيطرة الرومانية في كل من موريطانيا السطافية والطنجية. أنظر: المرجع نفسه، ص04

⁴ - محمد البشير شنياتي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية أثناء الاحتلال الروماني ودورها في أحداث القرن 04م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 174.

⁵ - هونوريوس (Honorius): إمبراطور روما في شطرها الغربي (393-423م)، ابن ثيودوسوس الأكبر، ولد في 09 سبتمبر 384م بالقسطنطينية ت ، كان قنصلا لمرتين الأولى في 386م ثم 393م، ليلقب بأغسطس سنة 394م، لم يستطع ان يتجاوز التوتر مع أخيه أركادبيوس مما تسبب في انقسام الإمبراطورية في 395م، مارس الوصاية عليه كل من ستيليكو Sitalicon ثم من بعده فلافيوس قسطنطين Flavius Constantin، أظهر اهتماما كبيرا بالكنيسة فأصدر عدة امتيازات لصالح رجال الدين، كما اعلن حرب شرسة ضد الدوناتية و الوثنية توفي هونوريوس في 15 أوت 423م برفانا. أنظر:

Dictionnaire encyclopédique du christianisme ancien, sous la direction de Angelo Di Birardino adaptation française: Francois, V I, SRF, Belgique, 1990, p 1193.1194.

30 جانفي 412م¹ عقب مناظرة قرطاج من أهم الوثائق التي يمكن أن تعطينا فكرة واضحة عن الطبقات الاجتماعية في تلك الفترة إذ ان هذا القانون حدد قيمة الغرامات المالية المفروضة على كل فئة رفضت الالتحاق بالوحدة الكاثوليكية وفق تسلسل هرمي وعليه يمكن ان نقسم طبقات المجتمع كمايلي:

أ- الطبقة الأرستقراطية:

ضمت هذه الطبقة نخبة المجتمع ذوي الثراء الفاحش وقد خصصت لهذه الطبقة عدة ألقاب حسب التدرج في ثرائها، فنجد في قمة الهرم فئة تعرف بالمشاهير *Inlustres*² تليها فئة الأشراف *Spectable* كما بين السجل البلدي الذي تم العثور عليه في خرائب المدينة الرومانية تيمقاد ويبلغ عددهم عشرة نصفهم يلقب بالسادة *Patrons* وقد تم اختيارهم نظرا لمكانتهم الاجتماعية والثروات التي يملكونها فضلا عن مساهمتهم في النفقات العمومية كتمويل المشاريع البلدية³.

كما نميز داخل هذه الطبقة كذلك فئة السناتوريون *Senatores* واللامعين⁴ *Calarissimi*⁵.

كانت هذه الطبقة تعتمد في غناها على الثروة العقارية وعلى تصدير المنتجات الفلاحية كالزيت والحبوب⁶، كما استفادت هذه النخبة الاجتماعية من عدة امتيازات

¹ - نص القانون كامل في الملحق رقم 01

² - Code Théodien **Livre XVI**, V I, , 5.52 tra :Jean Rojeé, « Sources Chrétiennes », edition du Cerf, 2005.

كذلك:Gage.(J).**Les Classes sociale dans l'empire romaine**, 2^{eme} ed , payot , paris ,1971, p33.51.

³ - محمد البشير الشنيتي، التغيرات الاقتصادية و الاجتماعية، المرجع السابق، ص 223.224.

⁴ - **اللامعون**: في ترجمتها الحرفية (*Clarissimi*) اي الفئة التي تنتمي إلى مصاف مجلس الشيوخ، كانوا في معظمهم لم ينالوا البتة مقعدا في ذلك المجلس وإنما تفرغوا لإدارة أراضيهم وغالبا ما كانوا يعيشون في قصور محصنة في ضياعهم الشاسعة وقد اطلق هذا الاسم على أولئك الذين كانوا منذ القرن الأول يتكفون بتمثيل أقاليمهم في الشعائر المقامة سنويا على شرف روما وأغسطس (حفلات وثنية)، وقد ظلت الكلمة مستعملة حتى بعد أن تبنت الدولة الديانة المسيحية، ووقع نقاش في الكنيسة حول ما اذا كان يصح للمسيحيين أن يمارسوا هذا المنصب وفي فترة متأخرة (أواخر القرن 04 م) كان للمنصب مدلول عام هو الولاء لروما وأباطرتها. انظر: محمد المبكر، **شمال افريقيا القديم (حركة الدوارين و علاقتها بالدونانية 305م-429م)**، ط1، منشورات كلية الآداب، الرباط، المغرب، ه.ص 24.

⁵ - Cod théod, XVI, 5.52.

⁶ - Picard . g ,**La Carthage de Saint-Augustin**, Fayard , paris ,1965, P141.

ضريبية، اقتصادية، اجتماعية وقضائية، إذ اعفيت من دفع الضرائب الأمر الذي زاد من غناها، فعائدات ممتلكاتهم كانت بدون شك ضخمة ودليل ذلك هو سخاء البعض اتجاه الكنيسة بعد اعتناقهم الايمان المسيحي، فوجد مثلا عائلة (Vlerii) بداية القرن الخامس للميلاد على رأس العائلات الغنية و (Pinianus) وزوجته (Milanie)¹ كانوا من كبار الملاك إذ كانت لهم ممتلكات في ايطاليا، اسبانيا، غاليا، نوميديا وموريطانيا فبعد اعتناقهم الدين المسيحي وهبوا كل ممتلكاتهم للفقراء في سبيل الخلاص.²

كما تمتعت هذه الطبقة بامتيازات قضائية فكانت العقوبات المسلطة عليهم في ارتكاب الأخطاء متباينة حسب وضعية الشخص أمام العدالة³ ولا تتجاوز أقصى عقوبة مرتكبة من أفراد هذه الطبقة إلا مصادرة املاكه أو تجريده من المواطنة⁴

تعكس الفسيفساء التي ظهرت في القرن الرابع للميلاد حياة السادة على مستوى ضياعهم كما تبين لنا حياة البذخ بالقصور التي كانوا يسكنونها كما هو حال فسيفساء السيد يوليوس قيصر بقرطاج⁵ (أنظر الشكل 01)

¹ - ميلاني الصغرى Milanie La L'ancienne - لتمييزها عن ميلاني القديمة- ابنة فاليريوس بيبليكولا Valerius Publicola و ألبينا Albina تزوجت من ابن عمها بينيانوس Pinianus كانت تملك عقارات شاسعة المساحة في أكثر من ثمانية أقاليم من الإمبراطورية، بعد هجومات القوط على روما في 410م انتقلت مع زوجها إلى إفريقيا لتستقر بها لمدة سبع سنوات وتؤسس دير للرهبنة في 417م، كما أسست ديورا أخر بعد انتقالها إلى فلسطين في حوالي 432م عاشت حياة الزهد وكرست نفسها لخدمة المسيحية توفيت في 31 ديسمبر سنة 439م أنظر:

Alland Fitzgerald, Encyclopédie St-augu la méditerranée et l'Europe IVe siècle, le serf, France, 2005, p 953.

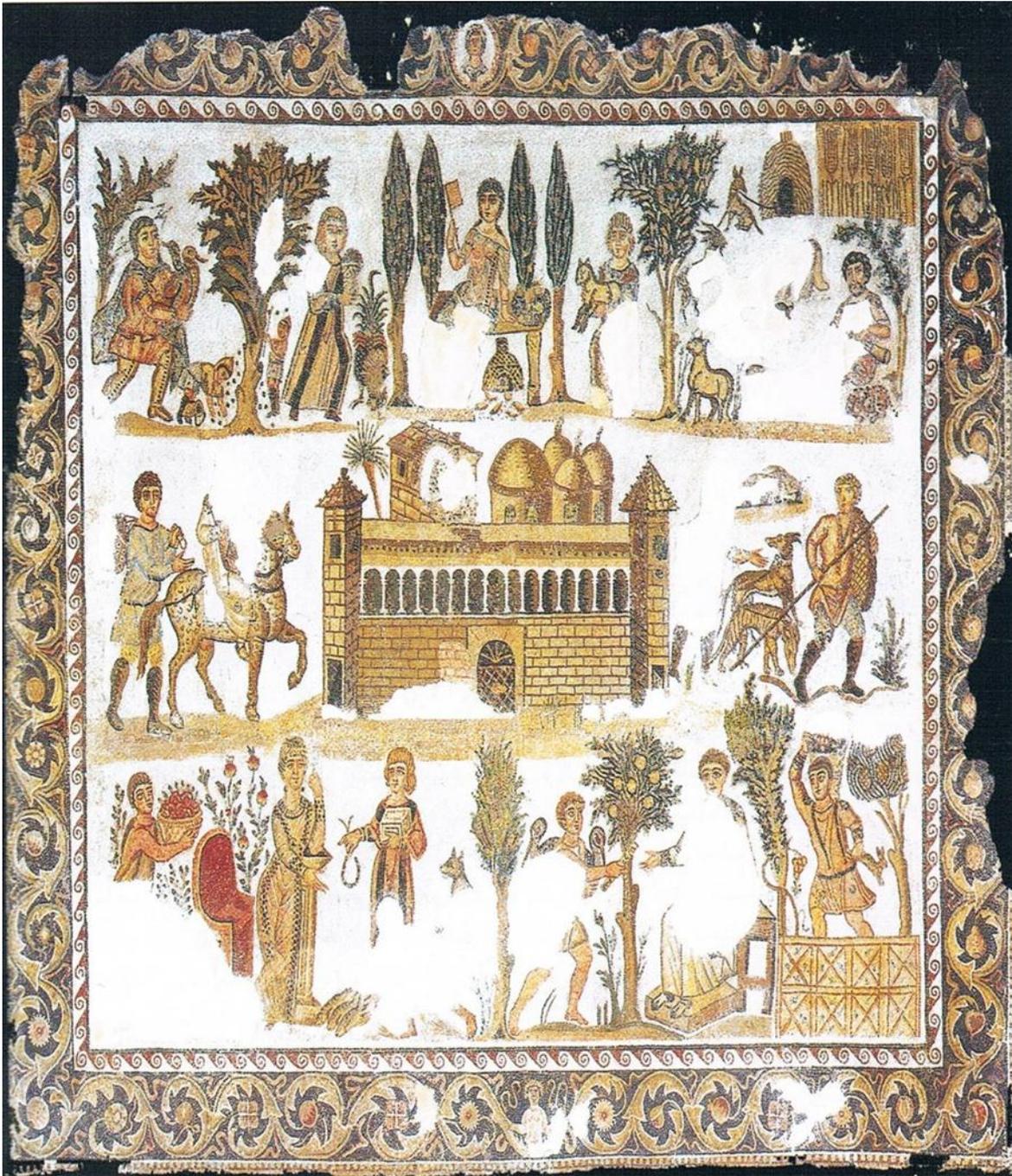
² - Yann le Bohec, op cit, p 232.

³ - محمد البشير الشنيتي، التغيرات الاقتصادية و الاجتماعية، المرجع السابق، ص 255.

⁴ - المرجع نفسه، ص 256.

⁵ - الهادي سليم، الحضارة الإفريقية الرومانية تألق الأداب وتعايش الديانات في تونس عبر التاريخ العصور القديمة، ج1، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية و الاجتماعية، تونس، 2007، ص 192.

الشكل رقم (01)¹



فسيفساء السيد يوليوس بقرطاج نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس للميلاد(متحف بارد)

¹ - نقلا عن الهادي سليم، المرجع السابق، ص 192.

ب- الطبقة الوسطى:

كان تمثل عصب الحياة في المجتمع الروماني، والتي لعبت دورا رائدا في مجالات الزراعة والصناعة والتجارة خلال القرن الأول والثاني للميلاد، فقد قدر لها أن تتهاجر تحت وطأة الكوارث الاقتصادية التي ألمت بالإمبراطورية من ناحية وتحت عبئ الضرائب الباهظة التي فرضت عليها من ناحية أخرى¹، فقد كان ينظر لهذه الطبقة كدافعي ضرائب فكان سكان المدن من حرفيين وتجار يدفعون ضرائب باهضة بالإضافة إلى تقديمهم التاج الذهبي للامبراطور الجديد فضلا عن الهدايا والذهب الذي يقدم في مناسبات مختلفة.²

وبعد أن كانت هذه الطبقة مكونة من صغار الملاك انتهى مصيرها الاضمحلال وأخذت أعدادها في التناقص تدريجيا³ حتى أن العديد من صغار الفلاحين الأحرار اختاروا التخلي عن أراضيهم لكبار الملاك الزراعيين بغية التخلص من أعباء الضرائب أو الدفاع عن مساكنهم ضد الغزاة أو اللصوص واصبح الفلاح الذي يملك قطعة ارض يتولى زراعتها أو يتعهد بدفع إيجارها نقدا أو عينا أو خدمة وليس من حقه مغادرة الأرض التي يقوم بزراعتها بعد أن منعه قوانين الإمبراطورية من ذلك.⁴

ج- الطبقة العامة:

* الطبقة البرجوازية المتوسطة:

تمثلت هذه الطبقة في الحواضر الإفريقية التي مثلت بيئة انصهار حقيقي بين الإفريقيين والرومان الذي تجمعهم المواطنة وبالتالي ظهرت فئة جديدة في تلك الحواضر تدين باللواء لرومان وثقافتها⁵

¹ - محمود محمد الحويري ، رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية، ط3، دار المعارف، 1995، مصر ، ص 19.

² -Yann le Bohec, op cit, p 234.

³ - رسترفرتزف (م) ، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي و الاقتصادي (المتن) ، د.ط، ج1، تر وم: زكي علي ومحمد سليم، مكتبة النهضة المصرية، مصر، د.ت ، ص 435

⁴ - المرجع نفسه، ص 425.

⁵ - لعقون (محمد العربي)، الاقتصاد و المجتمع في الشمال الإفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 2008، ص 277.

حظيت هذه الطبقة بملكيات صغيرة من الأراضي وهم من كانوا يقومون على خدمة أراضي الطبقة الأرستقراطية وذلك عن طريق عدة أساليب سنتطرق إليها فيما بعد.

* طبقة الفقراء:

وهم الأحرار يمثلون جمهور الشعب الإفريقي ليس لهم إلا سواعدهم وحرّيتهم، لا يشملهم مزايا القانون الروماني لذلك يسمون بالأجانب (Peregrins) فهذه الطبقة جردت من أراضيها مع بداية الاحتلال وحصرها في مناطق محددة، الأمر الذي اجبر البعض منهم إلى التنقل من مكان إلى آخر فمنهم من امتن العمل بالمنازل على مستوى المدن والبعض الآخر التحق بالجنديّة والأغلبية الساحقة منهم امتنّت الزراعة في الملكيات الكبرى، فعملوا كمستأجرين في تلك الضياع يتنقلون من ملكية إلى أخرى ومن منطقة إلى أخرى تبعا لحاجة تلك الحقول إلى اليد العاملة في مختلف المواسم الفلاحية.

* طبقة العبيد:

عرفت إفريقيا على غرار كل الأقاليم التابعة للإمبراطورية الرومانية انتشار ظاهرة الاسترقاق التي استهدفت الأفارقة الذين وقفوا في وجه السيطرة الرومانية، ويمكن تعريف هذه الفئة بأنهم جميع الأفراد الذين فقدوا حرّيتهم بكل ما تحمل الكلمة من معنى؛ فالعبد لا يملك أي حق من الحقوق سواء كانت مدنية أو قانونية فهو لا يملك صفة المواطنة الرومانية، وبالتالي لا يحق له عقد زواج قانوني أو شرعي، كما يمنع من دخول المحاكم ، وليس له حق الوراثة ولا حق السلطة الأبوية، فكل ما يملكه العبد ملك لسّيده، وقد كانت ظاهرة الاسترقاق وراثية تنتقل من الأمّ إلى الابن حتى ولو كان والده من طبقة الأحرار¹، ولا يسقط الاسترقاق إلا بالعنف².

أسهمت أزمة القرن 03م في رفع عدد العبيد وذلك بسبب الأوضاع المزرية التي آل إليها الأفراد مما اجبرهم على التخلي عن حرّيتهم كما أسهمت الحروب التي كانت قائمة في

¹ -Le code theodosien , The theodosian code and novelles and the sirmandianis constitutio, by clyde pharr in collabortion with sherrer Davidson and M.Brawn , pinceton university press , 1952 XII , 1,6

² - Maria (Bats). et Autre , L'empire Romaine au III^e siècle (de la mort de commode au concile de nicée, ed philipe lemarchand et anne samaine, bilgique, 1997, p 191

المناطق النائرة من إفريقيا على توفر عدد من الأسرى العبيد¹ الذي يمكن تقسيمهم إلى قسمين:

عبيد ينتفع بهم في المصالح العامة، الذين يتم توظيفهم على مستوى الإدارة الرومانية كأن يوظفوا على مستوى مصالح المياه أو صيانة الطرقات أو حراسة المباني والسجون أو كجلادين في المحاكم أو كمنفذين لحكم القضاة، وعموما كان عدد هذا النوع من العبيد محدود ويتمتعون بأوضاع احسن بكثير من عبيد المصالح الخاصة الذين كانت تستحوذ عليهم العائلات الأرستقراطية² يعملون في المدن والأرياف³ على مستوى الحقول تحت إشراف مسؤول عام؛ أما عبيد المدن فكان عملهم اكثر ارتباطا بالمنازل، كأن توكل لكل عبد مهمة خاصة⁴ على أن الطهي كان من اهمّ المهام التي انتشرت في الأوساط الأرستقراطية وكذا المتوسطة و دليل ذلك حديث أغسطين في اعترافاته على عبدة كانت تساعد والدته مونيك في الطبخ وأشغال البيت ويظهر أن لهذه العبدة نوع من السلطة في بيت مونيك⁵ كما أظهرت بعض النقائش التي تعود إلى القرن 04م امتهان الكثير من العبيد لمهنة الخياطة التي اكد أغسطين أنها كانت منتشرة بكثرة في منطقة Bulla-Regia⁶

¹– Maria(Bats), op.cit, p 191 .

² –Jean (Claud Fredauille), de la civilisation romaine, 1^{ere} ed, Larousse,1999, France, p61.

³– Hammane (A.G), La vie quotidienne en Afrique au temps de Saint-Augustin , Hachette, Paris, 1979, p134 .

⁴–Jean (Claud) , op.cit , p 61 .

⁵–القديس أغسطينوس، إعترافات، تر: الخوري يوحنا الحلوط،5، دار المشرق، لبنان، 1996 المصدر السابق،ص 180.

⁶ –Augustin(S.T), Oeuvres complètes de Saint Augustin ;Sermon, XVIII, , trad M. Raulx L, Guérin et Cie Editeurs, 1868.

بيلا-رجيا: تقع مدينة بيلاجيا على بعد كيلومترات من مجردة، على بعد 145 كلومتر جنوب غرب قرطاج ،على مفترق الطريق الرابط بين قرطاج وهيبون، تميزت المدينة بالازدهار منذ وقت مبكر فالقديس أغسطين يتحدث عن حيوتها في القرن الخامس للميلاد، و قد كانت بيلاجيا حاضرة بأسقفها في مناظرة قرطاج في 411م للمزيد عن المنطقة أنظر: Francois Prévot et Jean-louis Voisin et autres, L’Afrique romaine 69-439, éd: Philip Lemarchand et Mechél Mirroir, Atland, 2006. P 290.291.

كما استعانت الطبقة الأرستقراطية بعبيد مثقفين اهتموا بتربية الأطفال وتعليمهم مبادئ القراءة والكتابة¹

ظلت ظاهرة الاسترقاق موجودة إلى غاية القرن الرابع والخامس للميلاد لكنها تركزت في عبيد الأرض الذين يتواجدون على مستوى ضياع كبار الملاك² لكن عموما عرف عدد العبيد في الفترات الأخيرة تناقصا وذلك راجع إلى ارتفاع ثمن العبد وأمام تراجع مردود الإنتاج، لم يكن أمام الملاك خيار إذ فضلوا العمل الحرّ للعمال، خاصة في أوقات الحصاد، الجني، القطف والحرق باعتبار أنها أعمال موسمية، كما كان للعامل الديني الأثر في تناقص عدد العبيد ونخص بالذكر هنا انتشار المسيحية، التي كانت تنبذ الاسترقاق³ الأمر الذي دفع الكثير من كبار الملاك لاعتناق المسيحة التي غيرت وجهة نظرهم على الاسترقاق فالقديسة ميلانيا الصغرى اعتقت آلاف العبيد في أراضيها بإفريقيا قبل أن تغادرها سنة 417م⁴ كما اتخذ الأباطرة إجراءات لحماية العبيد الذين كانوا يعاملون معاملة سيئة من طرف أسيادهم ومن بينهم قسطنطين⁵ الذي اصدر قانون يعاقب فيه كل الأسياد الذين يعذبون العبيد إلى درجة الموت⁶ ومن هنا تحسنت نوعا ما وضعية العبيد لا سيما في كنف المسيحية ففي القرن الرابع والخامس للميلاد لم يعد العبد يحمل علامة الكي بالحديد الساخن على أجسادهم بل اصبحوا يحملون في رقابهم قلادة من معدن نقشت عليها اسم العبد وعنوانه وكل التي معلومات تسمح بالتعرف عليه وإرجاعه إلى سيده في حالة فراره أو

¹ -Jaen Claud, op.cit, p 61

² -Maria (Bats) ; op.cit , p 192

³ -Ibid. , p 193

⁴ - محمد المبكر، المرجع السابق، ص 77.

⁵ - **قسطنطين**: ولد في مدينة ينش في اليريا (إسبانيا) ، كان أبوه احد القادة الرومان ، تمكن من اعتلاء العرش الإمبراطوري بفضل نظام الحكم الرباعي الذي أقره ديقلديانوس ، والدته كانت مسيحية واتبعت نسكا دينيا حتى سميت بالقديسة هيلينا ، وصل قسطنطين إلى السلطة سنة 324م ، يعتبر مرسوم ميلانو الذي يقضي بالاعتراف بالديانة المسيحية إلى جانب الديانات من اهم أعماله إلى جانب بنائه مدينة القسطنطينية كعاصمة جديدة للإمبراطورية الرومانية .انظر : يوسابيوس القيصري، حياة قسطنطين العظيم، تع: مرقس داود، د.ط، مكتبة المحبة، د.ت، مصر . كذلك : عمر كمال توفيق ، المرجع السابق ، ص 43.

⁶ -Maria (Bits) , op.cit , p 192

ضياعه¹ فقد تم العثور على طوق في عنق هيكل عظمي لامرأة من بيلارجيا -Bulla Regia (حمام الدراجي بتونس) يحمل النقش ما يلي : " ادولترا عاهرة، اقبض علي لقد فررت من بيلارجيا. "²

ختاما نلاحظ أن العبيد شكلت طبقة لا يستهان بها في المجتمع فقد مثلوا تجارة حقيقية تعود بالفائدة على أصحابها كما تمت الاستعانة بهم في الحقول والمدن، وقد اخضع الأسياد لضريبة على عبيدهم ترجع إلى خزينة الدولة الأمر الذي جعل اقتلاع الاسترقاق من جذوره امر صعب.

2- الحياة الفكرية:

حافظ الرومان على لغتهم اللاتينية، بين الشعوب التي سيطروا عليها وذلك بجعلها لغة رسمية في المعاملات الإدارية، وقد حاول الرومان بسط نفوذهم بتسيخ هذه اللغة بين الشعوب التي سيطروا عليها وكانت الوسيلة الأسهل والانجع بجعلها اللغة الرسمية

أ- اللغة:

تؤكد عدد من النقوش المكتوبة باللغة البونيقية: وهي لغة سامية ممتزجة باللغة التي يتحدث بها البربر، والتي سادت قرطاج وانتشرت في شمال إفريقيا كلها وترجع اغلب هذه النقوش إلى القرن الأول للميلاد لكنها تنحصر بعد ذلك تدريجيا أمام النقوش اللاتينية لكنها ظلت متواجدة حتى القرن الخامس للميلاد وإلى جانب النقوش المكتوبة باللغة الليبية القديمة فهناك ما يقارب من ألف نقش بهذه اللغة جمع معظمها في تونس والجزائر وتغطي عصور مختلفة وهي تشبه إلى حد كبير لغة البربر الحاليين³.

كانت اللغة اللوبية والبونية اللغة المتداولة بين المغاربة قبل الاحتلال الروماني وظلت كذلك حتى بعد الاحتلال الروماني إلا أن هذا الأخير عمل منذ أن وطأ أرجله ارض

¹ -Yann le Bohec, op cit, p 235.

² - نقلا عن ، محمد المبكر، المرجع السابق ،ص 77.

³ - سيد أحمد الناصري، تاريخ الامبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، ط2، دار النهضة العربية، مصر، 1991، ص 70 .

إفريقيا على تثبيت دعائم حضارته عن طريق اللغة¹ إذ يقول أغسطين في هذا الصدد: " الإمبراطورية الرومانية لم تفرض سيطرتها وحسب بل أيضا سيطرت لغتها رسميا واجتماعيا على الشعوب المغلوبة"²

و قد ساعد تسابق الأفراد إلى اكتساب صفة المواطنة التي لا يتحقق إلا بالاندماج في الثقافة اللاتينية التي مفتاحها إتقان اللغة اللاتينية وانتشرت هذه الأخيرة على نطاق واسع، فأصبحت ظاهرة الرومنة اللغوية واضحة في المجتمع الإفريقي لا سيما في المجتمع الحضري³ منذ القرن الثاني للميلاد.

ولما كانت اللغة والكتابة اللاتينية هي اللغة الرسمية المستعملة في المحاكم والمجالس البلدية⁴ والمراسيم والمراسلات الإدارية والتجارية.... الخ، كان لزاما على السكان المزوجة بين اللغتين، أي أن الفرد كان يمارس اللغة اللوبية في المحيط الخاص - العائلة - واللغة اللاتينية في معاملاته الرسمية ودليلنا على ذلك هو وجود نقائش مزدوجة بلغة اللوبية واللاتينية؛ كما كان للتجنيد الإجباري الذي فرض على الشباب الإفريقي الدور الكبير في انتشار اللغة اللاتينية بين السكان على مستوى المدن والأوساط المثقفة كان الأفراد يتكلمون ويكتبون اللغة اللاتينية⁵ فروما أحلت اللغة اللاتينية كلغة ثقافة مكان اللغة البونية التي أتى بها الفينيقيون؛ فقد كانت نواحي هيبورجوس وخاصة المناطق الداخلية النوميديّة تتكلم بدون شك اللغة المحلية البونية مع إدراج بعض الألفاظ التقنية التي تم اقتباسها من اللغة اللاتينية وتم استعمالها ضمن اللغة المستعملة يوميا كما هو الحال اليوم في شمال إفريقيا التي تستعمل كلمات فرنسية مثل: (...télé-moto-garage)⁶.

تحدث القديس أوغسطين عن شيوع هذه اللغة بصورة غير مباشرة في رسائله ومواعظه، إذ نجد في احد رسائله التي كتبها إلى البابا "سلستيان" طالبا تعيين اسقف لرعية فوسالا

¹ - العقون (محمد العربي) ، المرجع السابق ، ص 272 .

² - أغسطينوس، مدينة الله ، ج3 ، كتاب 22.18 ، تر: يوحنا الحلو ، ط2 ، دار المشرق ، لبنان ، 2007 ، ص 125

³ - العقون (محمد العربي) ، المرجع السابق ، ص 272

⁴ - حارش (محمد الهادي) ، التاريخ المغاربي القديم، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، 1995 ، ص 220 .

⁵ -Hammane , op cit, 59.

⁶ -Ibid., p 59.

وهي مكان يبعد بنحو ستين كلم عن هيبورجوس، ويقول في وصف مرشحه لهذا المنصب ويدعى انطونيوس انه يحسن اللغة البونية، وفي رسالة أخرى وجهها إلى كريسبينوس¹ اسقف كالما الذي كان يدعوا ابناء المنطقة إلى الهرطقة يقول: " تدعي بأن الماباليين قد أيدوك بمليء أرادتهم ، إذن تعالى معي نتحدث اليهم و نسجل كلامنا خطيا ، و يتولى المترجم نقل حديثنا إلى البونية . " و في رسالة إلى منافسه الأسقف الدوناتى **مكروب** يقول أغسطين أن احد المترجمين قد نقل كلام الأول لكي يفهمه أهالي المدينة².

كما ذكر أغسطين يقول في احد عظاته : " في بلادنا عدد من الفلاحين الهرطقة وقد تضاعل ، وهم من أهل هابيلون وهو اسم بوني مأخوذ من اسم هابيل ابن آدم ."³

كان أغسطين شديد الاهتمام باللغة البونية، وهذا يتضح من خلال استعمالها في مواظفه ففي خطبته رقم 157 يقول : "هناك مثل بوني أورده لكم باللاتينية لأنكم لا تعرفون اللغة البونية:" إذ طلب الطاعون منك درهما فأعطه درهمين ودعه يذهب.⁴

فالبونية كانت ضرورة حتمية، خاصة اذا تعلق الأمر بالمجادلات ضد الدوناتية واتباعهم الدوارين .

في هيبورجوس كانت التجارة هي النشاط الأكثر ممارسة وتفضيلا من التعلم لدرجة انه لا تعرف مدارس ثانوية رغم أنها كانت ثاني مدينة في شمال إفريقيا.

فالمثقفون ورجال الدين كانوا يقتبسون اللغة اللاتينية الصافية والمصقولة كالتى جاءت في كتب شيشرون خاصة في هيبورجوس، على عكس قرطاج التى كانت اللغة بها تتقن اكثر من غيرها .

¹ - **كريسبينوس**: Crispinus أسقف دوناتي بكالما، تسبب في أعمال عنف وشغب ضد الأسقف الكاثوليكي بوسيديوس صديق وكاتب سيرة أغسطين، مما عرض كريسبينوس إلى عقوبة دفع عشرة أرطال من الذهب غير أن أسقف هيبون توسط

له لدى الحاكم من أجل إعفائه من هذه العقوبة أنظر: Possidius, Life of St. Augustine, XII:

² - غوتىي(اميل فيليكس) ، **ماضي شمال إفريقيا**، تر: هاشم الحسيني، ط1 ، الفرجاني للنشر، ليبيا، 1970 ، ص94

³ - نقلا عن المرجع نفسه، ص 95 .

⁴ - نقلا عن المرجع نفسه، ص 95.

واللاتينية كلغة للديانة المسيحية ثبتت في قرطاج ثم في إفريقيا في الوقت الذي كانت الشعائر والطقوس الدينية في روما تسطع باللغة الإغريقية إلى غاية منتصف القرن الخامس للميلاد، بالموازاة كانت قد نجحت الكنيسة في كسب ثقة الطبقة البرجوازية الرومانية في إفريقيا، فتطورت اللاتينية إذ نجد إن ترتليانوس¹ اختار أن تكون كتاباته باللغة اللاتينية، في محاولة منه لابتكار لغة الكنيسة الأكثر حيوية وبساطة من اللغة التي جاء بها الإنجيل فاللاتينية نجحت في جمع الأفراد كأسر ونشر اللاتينية بين المقاطعات البروقنصلية ونوميديا.

فاللاتينية أصبحت مظهر من مظاهر الرقي الاجتماعي فأصبح كل الأفراد من الأحرار عبيد ، تجار، مزارعين يكتبون على أضرحتهم باللغة اللاتينية والتي اتسمت في كثير من الأحيان بالأخطاء النحوية والرداءة .

ب- التعليم

إن المدرسة الرومانية عرفت على أنها لم تطبق أبدا منهجية خاصة بها في مجال التعليم على مستوى مدارسها، فلم تقم إلا بتقليد المدارس الهلينستية² في روما كما في اليونان وقد سمحت لنا الكتابات التي تركها الكتاب الافارقة من التعرف على النظام التعليمي في الأقاليم الإفريقية الرومانية، ومن احسن الكتاب الذين نقلوا لنا أوضاع المدرسة الإفريقية عبر مختلف المراحل، الكاتب الإفريقي ابولي Apulleé * الذي عاش في القرن الثاني للميلاد بالإضافة

¹ - ترتوليانوس: هو كوينتوس سبتيموس فلورنس ترتوليانوس ولد بقرطاج في حوالي 160م، ينحدر من أسرة وثنية، عاش أغلب شبابه وثنيا ووثنيا متحمسا، تلقى تكوينا أدبيا وقانونيا بمسقط رأسه، اعتنق المسيحية فيما بين 190-195م كان ممن انضموا إلى نحلة مونتانونس المتطرفة كما كان لسان حال المسيحيين في فترة الاضطهادات، له عدة مؤلفات منها: "الدفاع" في 197م و"رسالة التعليمات ضد الأمم" "الرد على المرقيون" في 200م و" في اصل النفس" و" الرد على اليهود " أنظر: Marie -Pierre , Arnaud-lindet, romanisation et chrestianisation(, source literature de l'histoire de l'afrique romaine 69-439, dans Qustion D'histoire l'afrique romaine de 69-439 a.j ed de temp, France, 2005 ,p 25.26

² - Marrou (cf.h.i), Histoire de l'éducation dans l'antiquité, Suel, Paris, 1978, p 389

* أبولي: ولد في حوالي 125 م، كان والده حاكما ميسورا، تلقى تعليمه في مسقط رأسه مادور، تعلم الأدب الكلاسيكي وتأثر بفرجيل وشيشرون، تلقى تعليمه العالي بقرطاج، ليتمكن من دراسة البلاغة ثم شدّ الرحال إلى أثينا، مقر الفلسفة ومحور الحركات الفكرية فتتلمذ على يدّ غايوس من اتباع الفلسفة الأفلاطونية اشهر أعماله: الإمساخات -الحمار الذهبي - أفلاطون و عقيدته -جني سقراط - في العلم انظر:

إلى القديس أغسطين الكاتب الكاثوليكي الذي عاش في القرن الرابع للميلاد وتعتبر كتابات كل من ابولي وأغسطين مهمة لأنها تطلعتنا على مختلف مراحل التعليم؛ فحسب ابولي في كتابه فلوريد وكذا أغسطين في اعترافاته يمكن تقسيم مراحل التعليم كالآتي:

* المرحلة الأولى :

يمكن تسمية هذه المرحلة بالتعليم الأساسي، والذي تجسد في المدرسة الابتدائية التي عرفت انتشارا واسعا بالأقاليم الإفريقية ، فلم تخلو اصغر المدن والقرى¹ من انتشار مثل هذه المدارس ،التي نالت شهرة كبيرة مثل مدارس كيرتا، مادور، قرطاج² ودليل ذلك هو ان اشهر الكتاب والعلماء الافارقة تلقوا مبادئ تعليمهم الابتدائي بمسقط رأسهم³ فالقديس اغسطين يسرد لنا في اعترافاته تفاصيل تعليمه الابتدائي بمدرسة تاغست، التي كانت مدينة صغيرة تابعة للبروقنصلية⁴ على ان التعليم كان منتشرا في جميع المدن سواء كانت هذه المدن مهمة أو متواضعة⁵

و إن غفلت السلطات الرومانية عن تشييد المدارس في بعض المناطق فقد عمل السكان على استغلال ابسط الأماكن للتعليم كالشرفات (pergulae) أو الطوابق العلوية للمنازل أو السفلية منها، وكذلك بعض المساحات التي تطل على الشوارع إذ كان الأساتذة يستعينون بقطع القماش من اجل الاختفاء عن أنظار العامة، غير أنها لم تكن تحبس أصوات التلاميذ المتعالية التي تردد وراء الستار $2=1+1$ ، $4=2+2$ ⁶

Bernadette (Cabouret) , l'Afrique romaine de 69-439(source litteraires de l'histoire de l'afriqueromaine ,France, 2005, p 27.

¹ - حارش (محمد الهادي)، المرجع السابق، ص 220.

² - الكعك (عثمان)، موجز التاريخ العام للجزائر (من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي)، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 2003، ص 71.

³ -Marrou (H.I) , op.cit , p 36

⁴ - القديس أغسطين، اعترافات، المصدر السابق، ص 31

⁵ - الهادي سليم، المرجع السابق، ص 171.

⁶ - أغسطين، اعترافات، المصدر السابق، ص 21

استقطبت المدارس الابتدائية كل الأطفال الذين بلغ سنهم سبع سنوات، إذ يطلق على الطفل في هذه المرحلة اسم Impube أي الطفل الذي لم يصل سن البلوغ بعد¹ وقد جمعت بين الجنسين إناث وذكور على حد سواء² الذين يتلقون تعليمهم الأولي على يد معلم يسمى بمعلم أولي أو³ (primus magister)

غير أن بعض العائلات الأرستقراطية استطاعت أن تتخذ لأبنائها مربيين خصوصيين⁴ فالتعليم الابتدائي عموما كان يقع على عاتق العائلات التي تحملت أعباء تدريس أبنائها على عكس التعليم الثانوي الذي كان يسهم فيه عليّة قوم المدن أما التعليم العالي الذي تكفلت به السلطات.⁵

تركز التعليم الابتدائي في تلقين الأطفال المبادئ الأولية والأساسية للمعرفة غير انه تميز بنوع من الحرّية والتنافس⁶، وقد انحصرت هذه المعارف الأولية في تلقين مبادئ القراءة والكتابة والحساب كما ذكر أغسطين في اعترافاته، حيث يتعلم الطفل نطق الحروف واستظهارها أمام المعلم قبل التعرف على شكلها، لينتقل في المرحلة الموالية إلى تعلم المؤلفة من مقطعين، فالكلمات ذات ثلاث مقاطع ثم كلمات ذات اربع، ثم كلمات ذات خمس مقاطع⁷، حتى يتمكن في المراحل القادمة من قراءة الجمل القصيرة التي تمهد له الطريق من اجل قراءة النصوص؛ وقد كانت عملية تعلم كتابة الحروف أو المقاطع أو الجمل التي يطلب منه قرأتها على الواح خاصة، نقشت عليها حروف مجوفة تساعد الطفل على إعادة كتابتها باستعمال مادة الشمع⁸.

¹ - مصطفى محمد قبيل زايد، التعبير عن التعليم في الفن اليوناني و الروماني، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الاسكندرية، مصر، 2001، ص 12.

² - Hammane (G.A), op.cit, p 105.106

³ القديس اغسطينوس ، الاعترافات ،المصدر السابق ، ص 20

⁴ - تشارلز ورث ، المرجع السابق ، ص 120

⁵ - Marrou (H.I) , Histoire de l'education, op.cit. , p 395

⁶ -Ibid. , p 395.

⁷ - Marrou (H.I) , Histoire de l'education, op cit, p 395 .

⁸ - علي عكاشة و آخرون، الرومان و اليونان ، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع، اليرموك، 1991، ص 241.

بعد تمكن المتعلم من إتقان القراءة والكتابة، ينتقل إلى مرحلة حفظ الأشعار التي تهدف إلى تنمية الذاكرة إذ يطلب من المتعلم حفظ بعض الأشعار والنصوص الكلاسيكية المشهورة كأشعار هوميروس¹ وفرجيل²، و التي يطلب منه شرحها عن طريق الإجابة عن جملة من الأسئلة التي يطرحها المعلم³

بالموازاة كان المتعلم يتلقن مبادئ الحساب ، مستعينا بقطع صغيرة تساعده على العد⁴
العد⁴ كما هو الحال اليوم باستخدام القرصيات - كما يذكر Marrou انه يرجع الفضل للرومان في ابتداع طريقة العد على الأصابع⁵.

على الرغم من الأهمية الكبيرة للمعارف التي كان يتلقاها الطفل في هذه المرحلة، إلا أنها اتسمت بنوع من البساطة حتى أن أستاذ هذه المرحلة لم يكن يحظى بالاحترام الكافي ولا يتمتع بامتيازات بالمقارنة مع مهن أخرى، فالقديس أغسطين أشاد بأهمية ما كان يتلقاه من معارف في هذه المرحلة والتي سمحت له بقراءة وفهم كل ما وقع بين يديه من نصوص وأشعار⁶، ولم ينظر إلى مثل هذه النشاطات بنظرة الأعمال المرهقة والمضجرة على أن اكثر اكثر شيء كان يقرزه و يأرقه، تعلم اللغة الإغريقية إذ يقول:

"...نفرت من اللغة اليونانية وقد باشرت درسها صغيرا....تذوقت اللغة اللاتينية، لا على أيدي المدرسين الابتدائيين، مبادئها كالقراءة والخط والحساب اخف وطأة علي من اليونانية...."⁷

¹- هوميروس: شاعر من أصل إفريقي، عاش في القرن التاسع قبل الميلاد عرف بملحمتي الاللياذة والأوديسة أنظر: Francois.Decret et M.H.Fantar, L'Afrique du nord dans L'Antiquité,Ed payot,Paris,1998, p 15.

² فرجيل: (19-70ق.م) ولد ب مونتو(Mantoue) ، ينحدر من عائلة برجوازيو متوسطة ، تلقى تعليمه ب كريمون (Cremone) ثم ميلان ثم روما، تميز بخجله الشديد الأمر الذي حال دون ان يصبح خطيبا كبيرا ، و فضل التبحر في الفلسفة و الشعر ، اكتسب شهرة اثر كتابته لمجموعة شعرية تحت اسم قصص ريفية ، في حدود عام 39 ق.م كما كتب "العمل على الأرض ". انظر: Jean-Cloude , op cit , p 157

³- أغسطينوس، اعترافات، ص 21-42.

⁴ -Marrou (H.I) Histoire de l'education, p 396

⁵ -Ibid., p 396.

⁶- القديس اغسطينوس ، اعترافات ، ص 20

⁷- المصدر نفسه ، ص 20.19

يظهر لنا من خلال قول أغسطين أن التعليم في إفريقيا كان مختلطاً، جمع بين اللغة اللاتينية والإغريقية، هذه الأخيرة التي لم تكن بالشيء السهل على الافارقة الذين وجدوا صعوبات كبيرة في تعلمها مكنّ مقارنته باللغة الفرنسية في بلادنا في الوقت الحاضر ، وهذه الصعوبة والمعاناة في تعلم اللغة الإغريقية قد مسّت اسقف هيبورجوس¹.

كان العقاب من الوسائل المشروعة في تربية التلاميذ وتقويم سلوكاتهم²، فهو من الوسائل الفعالة في إخضاع المتعلمين إلى الطاعة العمياء أمام المعلم والتي تعزز في صفوف المتعلمين الاعتدال والرزانة، فذكريات الطفولة لكثير من الأدباء الافارقة كانت مرتبطة بالعقاب البدني الذي كانوا يتلقونه على يدّ معلمهم في هذه المرحلة ف **Juvenal** يقول: "وأنا كذلك مددت يدي أمام السوت"³

كمأن القديس أغسطين الذي ارتاد المدرسة الابتدائية في النصف الثاني من القرن الرابع للميلاد ذكر معاناته المريرة من جراء العقوبات الجسدية العنيفة التي كان يتعرض إذ يقول: "...إليك توسلت وابتهلت أنا الصغير، الحقيير، بحرارة كلية كي ترفع عني الضرب مذ الآن في المدرسة ."⁴ ويقول كذلك: "إن تكاسلت ضربوني. وكان كبار القوم يعدون أسلوب الضرب في التربية أسلوباً ممتازاً."⁵

وقد انتقد أغسطين بشدّة هذه الطريقة التعليمية التي تعتمد العنف أساساً لها، ورأى أن التربية المسيحية منافية لذلك إذ دعى إلى التخلي عن التقاليد الرومانية والإغريقية في التربية التي من شأنها أن تُنفر المتعلم وتولد عنده كره اتجاه معلمه.

¹ - للمزيد عن أغسطين وعرفته باللغة الاغريقية أنظر: Alaville Sévérien, La connaissance du grec chez saint :

Augustin , Échos d'Orient, tome 21, n°127-128, 1922.

² - مصطفى محمد قنيل زايد، المرجع السابق، ص 27.

³ - Juvenal, tra: pierre de labriolle et francois villeneu, les belles lettres , paris, 1921 , p 15.17

⁴ القديس اغسطينوس ، اعترافات ، ص 16.

⁵ المصدر نفسه ، ص 16

* المرحلة الثانية:

لم تعرف مدارس المرحلة الثانية من التعليم انتشار واسع اذا ما قارناها بالمرحلة الابتدائية، لكن يمكن ذكر بعض المدارس التي انتشرت في المدن المتوسطة والكبيرة ، سواء كانت عمومية أو خاصة ، فأبولي تلقى تعليمه الثانوي بمسقط رأسه مادور¹ كذلك أغسطين انتقل بعد تلقيه دراسته الأولية بمسقط رأسه إلى مادور من اجل استكمال تعليمه الثانوي²؛ فانتقال الطلبة الافارقة الطموحين والأساتذة كان من الظواهر البارزة، سواء كان هذا التنقل داخل إفريقيا أو خارجها وكان هذا الانتقال مرتبط بأهمية الأساتذة وشهرتهم وكفاءتهم³ وغنى بعض العائلات جعلها اكثر حظاً في إرسال أبنائها لا تمام تعليمهم و احسن مثال ابولي الذي كان ينحدر من أسرة غنية سمحت له بأن يحقق مكاسب كبيرة في مجال تعليمه فقد أتاحت له تركة والده من الانتقال عبر أرجاء الإمبراطورية لانتهاال العلم على يد أكفئ الأساتذة .

لكن الغنى لم يكن الطريق الوحيد من اجل تحصيل العلم، فالقديس أغسطين الذي ينحدر من أسرة متوسطة لكنها كانت تولى العلم أهمية كبيرة إذ يقول في هذا الصدد : "رغم مكانة أبي الوضيعة بين سكان تاغسطا ؛ فقد كان يعتمد على طموحه اكثر منه على موارده ."⁴

وهذا دليل على أن الإرادة عامل مهم لانتهاال العلم، فالمتصفح لكتاب الاعترافات يرى التضحيات الكبيرة لعائلة أغسطين من اجل طفل طموح اظهر ما يكفي من الذكاء والفتنة ما يستحق التشجيع.

شجعت السلطات الرومانية التعليم وتركت المبادرة في فتح مثل هذه المدارس للمجالس البلدية التي لم تتوانى في تشييد العديد منها، فشهادة الكثير من الكتاب تأكد على

¹-Apullée, Apologie-Florides , les belles lettre, paris, 1971, p 24

²- القديس اغسطينوس ،اعترافات ،المصدر السابق، ص 31 .

³ -Chafia (Haddad) , L'enseignement dans les cités Romaine D'Afrique, mémoire pour le certificat d'aptitude à la recherche en histoire ancienne, faculté des lettre des science humaine de Tunis, 19991, tunis,p54.

⁴- القديس اغسطينوس، الاعترافات، المصدر السابق، ص 31

الانتشار الواسع للمدارس والأساتذة ففي سيكا Sicca نجد الكاتب ارنوب¹ Arnobe يقول بكل افتخار: " تجد عندنا الكثير من أصحاب المواهب، فهناك الخطباء، أساتذة النحو، أساتذة البلاغة، مشرعي القضاء، أطباء و فلاسفة".²

تبقى المعلومات ضئيلة وغير مفصلة عن طريقة وبرامج التعليم في هذه المرحلة، حتى أغسطين يسرد لنا في اعترافاته باختصار شديد البرامج التعليمية التي تلقاها، غير انه يمكن القول أن التعليم في هذه المرحلة كان يزوج بين اللغتين اللاتينية والإغريقية، إذ كان المتعلم هنا يتلقى دروس من أستاذ لغة لاتينية وآخر مختص في لغة إغريقية على أن المتعلم في هذه المرحلة من المفروض أن يكون متمكنا من نطق وقراءة المقاطع والجمل وفهم معاني الكلمات وكيفية الربط بينها³

فالمهم في هذه المرحلة هو دراسة قواعد النحو وتعلم أقسام الحوار الثامنة والمتمثلة في: الاسم، الفعل، الفاعل، المفعول به، النعت، ظرف الزمان، ظرف المكان، الضمائر.

يتم التركيز في السنة الأولى من هذه المرحلة على دراسة المختارات الشعرية اللاتينية والإغريقية لكبار الشعراء والتي يطلب من المتعلمين حفظها واستظهارها عن ظهر قلب⁴، غير أن هذه العملية كانت تجد صعوبة كبيرة من طرف المتعلمين لأنها كانت بلغات أجنبية⁵ وحسب Quintilien فان دراسة القواعد النحوية تسمح بفهم شقين: الأول تعلم

¹ - **ارنوب Arnobe** : ولد على الأرجح بسيكا فنيريا (الكاف) sicca veneria. بنوميديا البرقنصلية أين درّس البلاغة بنجاح كان وثنيا ثم اعتنق المسيحية في سن متقدم ، كان ممن عايشوا المحنة المسيحية في فترة اضطهادات ديقليديانوس ألف كتاب اعتذار للمسيحية بعنوان contre les gentils ، احتوى الكتاب على سبعة أجزاء الكتابان الأولان كانا عبارة عن دفاع عن المسيحية أما الأجزاء الخمسة المتبقية فقد ندد فيها بكل شراسة الطقوس والعبادات الوثنية توفي في سنة 327م أنظر:

- Paul Corbier et Marc Griesheimer l'afrique romaine 146 av.j-c 439ap.jc, edM ellipes, France , 2005, p22

- Dictionnaire encyclopédique du christianisme ancien, sous la direction de Angelo Di Birardino adaptation francaise: Francois, V I, SRF, Belgique, 1990, p 254.255.256.

² -D'après Boissier (M.G), La fin du paganisme, t1, 5^{ème} ed , paris , 1907 , p20.

³ - Marrou (H.I) , Histoire de l'education, op.cit , p 401

⁴ - إبراهيم نصحي، تاريخ التربية و التعليم في مصر، ج2، الهيئة المصرية للكتاب، 1975، ص96

⁵ - القديس اغسطينوس، الاعترافات، المصدر السابق، ص 22.

الخطابة و الثاني شرح الأشعار¹ ؛ ومن اجل الوصول إلى إتقان فن الخطابة كان لابدّ على المتعلمين من حفظ واستظهار احسن نصوص الشعرية بطريقة معبرة ، وكثيرا ما كان هذا الأداء يكون أمام العامة وذلك لإعطاء نوع من الحماس والجدية لدى المتعلمين، ويقاس مدى نجاحهم في الإلقاء بمدى قدرتهم على التأثير في المستمعين إذ يقول أغسطين : "... و نسرده نثرا ما نظمه الشاعر شعرا ، وكل من أجاد في التمثيل والإفصاح عن عواطف الشخص وغضبه وألمه في جمل بيانية ،لائقة، حظى بالكثير من التهاني ونال استحسان² .

يبدو أن الهدف من هذا النوع من الإلقاء هو تنمية ملكة الإلقاء التي تهدف في الأخير إلى الحصول على خطيب بليغ إلى جانب تقوية ملكة الذاكرة وذلك عن طريق حفظ قائمة طويلة من القصائد لأهم الشعراء .

ومن خلال اعترافات القديس أغسطين حول طرق التعليم نستنتج أن هذه الطريقة جعلت المتعلمين يشعرون بالملل، لأن التمرّن على مثل هذه القواعد لدراسة النصوص الأدبية يحتاج إلى وقت وجهد، غير أن السوط والضرب هو ما كان يشدّ انتباههم ويجبرهم على القيام بمثل هذه الدراسات.

*** المرحلة الثالثة :**

إذ كان التعليم في المرحلة الأولى والثانية قد تميّز بنوع من الانتشار الواسع على مستوى المدن والقرى ، فان تعليم هذه المرحلة كان مقتصرًا إلا على كبرى المدن؛ وقد مثلت قرطاج بإفريقيا الرومانية أول واهم مركز جامعي إن صحّ التعبير، فانتقال كلّ من أبولي وأغسطين إليها دليل على أهميتها كحاضرة فكرية وثقافية، فقد كانت إذن قرطاج العاصمة الثقافية لكل الأقاليم إذ لم تقل أهميتها عن المراكز الثقافية الرومانية وهذا راجع إلى توفرها على أفضل الأساتذة المختصين في الآداب اليونانية وكذا الرومانية فأبوليوس يقول: " فأني فخر لقرطاج يفوق ما أشاهده بكل أرجاء المدينة من أناس يعشقون الثقافة كلهم متزلعون من أطفال يصعدون معاريج المعرفة وشبان بها يتباهون وشيوخ عليها يعكفون

¹ - Quintilien, Institution , t1, ch1, les belles lettres , paris, 1971, p19

² - القديس اغسطينيوس ، اعترافات ، ص 24 .

ليعلموا خفاياها لمن حولهم تلك هي قرطاج مدرسة ولاتينا الموقرة وربة الفن الإفريقي
وملهمة شعب يرتدي التوجة ثوبا.¹

أن انتقال الطلبة من إقليم إلى آخر في سبيل إكمال تعليمهم العالي كان ظاهرة بارزة
كما اسلفنا الذكر، سواء الانتقال داخل إفريقيا أو خارجها كالانتقال إلى قرطاج وأثينا² إلا أن
تعليم هذه المرحلة كان محدودا ومقتصر أولاً وقبل كل شيء على القادرين على القيام بنفقاته
ونظرا لأهمية التعليم عنيّ بعض المواطنين الأثرياء بوقف أموالهم على المدارس أو تحمل
نفقات احد المرابين.

حسب أغسطين كان الانتقال حال الكثير من الشباب الافارقة، فالقديس نفسه أحيط
بثلة من أصدقائه من إفريقيا أمثال: رومانوس Romanianus³ وابنه ليسنتوس Licentus
الذي تميز بذكائه الكبير مما جعله الأكثر محبة من طرف أغسطين بالإضافة إلى اليبوس⁴
الذين انتقلوا جميعا من اجل دراسة القضاء.⁵

إن مثل هذه الأمثلة كافية لتعكس لنا صورة الشباب الافارقة الطموحين الذين لم تتردد
عائلاتهم في انفاق أتعاب باهظة في سبيل إنتهال أبنائهم للعلم من اجل الحصول على
مناصب مهمة تجعل منهم أفراد ذوي مكانة في المجتمع.

¹ - نقلا عن الهادي سليم، المرجع السابق، ص 172.

² - Chafia (Haddad), op.cit, p 80

³ - **رومانوس**: من مواطني تاغست الأثرياء، و والد ليسنتوس الذي كان من تلاميذ أغسطين؛ و قد تكفل رومانوس
أغسطين ماليا إذ تمكن بفضله من إكمال دراسته في قرطاج ، كما كان لأغسطين الدور في أن يصبح رومانوس مانويا ؛
اهدى له أغسطين فيما بعد كتاب Contra Academicas كان يعمل إلى أن يقوده لدراسة الفلسفة ثم كتاب De vera
religione يدعو إلى أن يصبح مسيحيا، و قد تم اعتناقه للمسيحية في سنة 396 م انظر: آلان فيتزجيرالد، **أغسطينوس
عبر العصور**، تر: حكيم ميخائيل و آخرون، ج1، ط1، مركز بيت الحكمة، 2010، دم، ص137.

⁴ - القديس اغسطينوس، الاعترافات، المصدر السابق، ص 107.

⁵ - المصدر نفسه ، ص 108.

تركز تعليم هذه المرحلة بشكل أساسي على فن الخطابة إذ كان يعهد بهذا التعليم معلم متخصص يعرف باللاتينية بـ: Orateur أو rehtor وقد أولى الأباطرة أساتذة الخطابة أهمية كبيرة فخصصوا لهم قاعات خاصة بها مجالس مجهزة على شكل مدرجات صغيرة¹.

كانت مهمة أستاذ البلاغة صعبة لأنها تحتاج إلى وقت وجهد فالطالب لا بدّ أن يتلقى مبادئ فن الخطابة نظرياً، ثم ينتقل إلى الجانب التطبيقي إذ يطلب من الطلاب إعداد خطاب الذي يتم حفظه عن ظهر قلب، ثم يتم إلقائه في مجالس عامة.

إن إكمال الدراسات العليا يتعدى إتقان قواعد النحو والبلاغة فحسب شيشرون² أن التبحر في فن الخطابة يفرض تكوين عام فالخطيب لا بدّ من أن يتكون في عدة مجالات كالقضاء، التاريخ، الفلسفة، فكلمة جمع الخطيب في جعبته كماً من المعارف جعله هذا يتميز بالكمال³ أما Quintilien فيرى أن الخطيب لا بدّ أن يلم بالموسيقى التي لها ارتباط بالفلسفة والتي تساعدهم في فهم الإيقاعات الشعرية إلى جانب الرياضيات وعلى وجه الخصوص الهندسة التي تساعد في الحوارات القانونية المتعلقة بالمكاييل والمساحات⁴، كما ينبه Quintilien إلى أهمية التاريخ الذي يساعد الخطيب في إثراء خطابه بالأمثلة والشواهد التاريخية⁵

¹-Chafia (Haddad) , op.cit , p 94

²- شيشرون: (43-106 ق.م) ولد ب Arpinum على بعد مئات الكلومترات من جنوب شرق روما ينحدر من عائلة تنتمي إلى طبقة الفرسان ، كان خطيباً ورجل سياسي و ابل بفلسفة السياسية في روما كما يعتبر نموذجاً مرجعياً للتعبير اللاتيني الكلاسيكي من أشهر كتبه " هورتونيوس " الذي يبحث فيه عن الحقيقة كما كتب خطب شرح فيها الفلسفة الرواقية ؛ تم نفيه من قبل كلاوديوس انظر: Jean-Claude (Fredouille) , op.cit , p 32.33

³-Chafia (Haddad) , op.cit , p 95

⁴- تمييز البرامج التعليمية الرومانية بالطابع الأدبي أكثر من العلمي ، فالجمود الحقل العلمي يلفت الانتباه بشكل كبير و دليل ذلك أنك لا تجد في روما علماء في الرياضيات أو الطبيعة ، وقد لجأ الرومان إلى اقتباسات عمياء في لتطبيقات العلمية للمزيد انظر : اندريه ايمار و جانين اوبوايه، تاريخ الحضارات العام الشرق و اليونان القديمة، تر: فريد وداغر و فؤاد ج. ابوريحان، ج2 ، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ص 246 .

⁵ -Quintilien , op.cit , ch xll , p 125

مهما كان اختلاف الكتاب حوّل المواد المدرجة في برامج تعلم الخطابة يبقى العنصر المشترك بينها هو فهم والتمكن من قواعد النحو والبلاغة والمجادلة وكذا التعمق في ثنايا الفلسفة¹.

إن كان جلب انتباه التلاميذ في المراحل الأولى من التعليم يتم عن طريق السوط ، فان طلبة التعليم العالي تمتعوا بنوع كبير من الحرّية، الأمر الذي سمح لبعض الطلبة الافارقة أن يكونوا فوضويين واحسن شاهد على ذلك هو القديس أغسطين الذي عانى كثيرا من عدم انضباط الطلبة بقرطاج الأمر الذي دفعه إلى السفر إلى ميلانو² لكن هذا لا ينفي وجود بعض الطلبة الذين امتازوا بالانضباط والمواظبة واطهروا تعطشا كبيرا لانتهال العلم

فتح التعليم العالي أمام الافارقة فرصة التوظيف في مناصب راقية، كإداريين وأساتذة تعليم عالي على مستوى إفريقيا، فحسب مونسو ظلت قرطاج مركز إشعاع ثقافي تصنع ليس فقط رجال علم و لكن رجال دولة و سلطة³.

3- الديانة:

إن المنتبع لخريطة انتشار الديانات في بلاد المغرب القديم خلال الفترة الرومانية يجد عدة صعوبات في الوصول إلى حقيقتها⁴ وهذا راجع إلى اختلاف أصول تلك الديانات فبعض العبادات والمقدسات تعود إلى أصول فينيقية، كما نجد أخرى تقدر الظواهر الطبيعية، بالإضافة إلى ما تعرضت إليه المقدسات من تأثيرات خارجية ،في حين نجد عدد كبير من السكان قد اعتنق المسيحية فور دخولها إلى إفريقيا؛ عموما نعاني من شح كبير في المصادر التي نتحدث عن هذه المعتقدات وأصولها بشيء من التفصيل .

¹-Chafia (Haddad) , op.cit , p 97

² القديس اغسطينوس ،اعترافات، المصدر السابق، ص 87.

³ -Monceux (p) , Etude sur la litterature latine d'afrique : les paines , lecene , paris , 1894 , p

⁴ محمد البشير الشنيتي، التحولات الاقتصادية و الاجتماعية، المرجع السابق، ص 257.

الظاهر أن المعتقدات الوثنية في بلاد المغرب القديم كانت على العموم تنقسم إلى قسمين من الآلهة: آلهة ليبية - فينيقية (بونيقية)¹ وآلهة رومانية؛ وهذا بالتأكيد يرجع إلى أصول السكان إذ كانت المنطقة تضم أقلية لاتينية وهم الذين قدموا من إيطاليا، كما تضم بعض الافارقة من أصول مختلفة فينيقيين ولييوفينيقيين، ومن الواضح أن الفئة الأخيرة كانت ذات تع

داد كبير اكثر من غيرها وفي ظل التسامح الديني الذي اتسم به الاحتلال الروماني ، قد مارس الأهالي معتقداتهم بكل حرية شريطة أن لا يتعرضوا للسلطة العليا² وسنحاول هنا أن نبين المعتقدات والديانات التي كانت منتشرة في إفريقيا الرومانية .

أ- الوثنية:

كانت المعتقدات الدينية التقليدية الوثنية جزء لا يتجزأ من الحضارة الرومانية لكن ما يميز السلطات الرومانية هو تسامحها الديني مع كل المعتقدات - ماعدا المسيحية في بدايتها³ .

كانت الديانة الرسمية في القرن الرابع والخامس للميلاد هي المسيحية، وقد تأرجحت سياسة الأباطرة بين العنف والتسامح اتجاه القضاء على الديانة الوثنية، غير أن المصادر تثبت لنا مواصلة الاحتفالات الوثنية في كثير من أقاليم إفريقيا، فنجد مثلا **مكسيموس** في رسالة بعث بها إلى اسقف هيبورجيوس ، يذكر ما كان يحدث في مادور على مستوى ساحاتها العامة، إذ كانت تقام حفلات بمجموعة كبيرة جدا من الآلهة وإن دلّ هذا على شيء فانه يدل على صمود الوثنية كعادات متأصلة في سكان نواحي هيبورجيوس، وكان ردّ القديس أغسطين على هذه الرسالة بطريقة جدلية هجومية كعادته ضد الوثنية حيث وصف

¹-Semon (M) , La civilisation de l'antiquité et de le christianisme, Artnard ,Paris ,1972, p485

²- محمد البشير الشنيتي . التغيرات ، المرجع السابق ، 272.

³ - شارل (اندري جوليان) ، **تاريخ شمال إفريقيا** ، ج1، تر: محمد المزالي، ط3، الدار التونسية للنشر، تونس ، 1978 ، ص 253 .

هذه الاحتفالات بأنها تمثل الفساد والمجون بعينه وان تلك الاحتفالات إنما أقيمت في وسط الشكل

الشياطين على هيئة آلهتهم وهي مكان لا قداسة فيه مشيرا إلى أن الاله ساتورن كان الاله المفضل والمحبوب لدى سكان مادور، إلى جانب وجود تماثيل في الساحة العامة للمدينة للاله مارس واحد عاري والآخر مسلح¹

كما يذكر أغسطين في كتابه مدينة الله وصف الاحتفالات التي كانت تقام في قرطاج على شرف عدة آلهة منها: كليستيس، ساتورن، ماركور²

يجب الإشارة إلى أن السلطات الوثنية لعبت دورا كبيرا على مستوى المدن الكبرى وذلك بدعم صمود الوثنية ضد السياسة الرومانية المعادية لها؛ حتى تطلب الأمر حسب أغسطين عقد مجمع في القرن الرابع للميلاد يطالب الامبراطور بتحريم عبادة الأوثان³، غير أن القوانين الآمرة بوقف الممارسات الوثنية لم تستطع أن تقف في وجه الأفارقة الأوفياء لها، ففي مادور رغم تهديم بعض المعابد ومصادرة البعض الآخر، بقي أعضاء المناصب العليا محافظين على معتقداتهم الوثنية⁴ الأمر الذي جعل تهديم معابدهم وتحويلها إلى كنائس أمرا صعبا فشهادات أغسطين على استمرار الوثنية في هيبورجوس وضواحيها دليل على عدم قدرة قوانين ثيودوسيوس وهونوريوس القضاء النهائي على الوثنية، فعبادة الاله "بعل أمون" وزوجته "تانيت" اللذان حظيا بعبادة متفانية⁵ ظلت حتى دخول الإسلام إلى المنطقة، ولا بأس أن نقدم لمحة عن أهم الآلهة التي ظلت تعبد:

¹ - Augustin(st), Lettre XVII

² - اغسطينوس ،مدينة الله، المصدر السابق ، ص58

³ - محمد بيومي مهران، المغرب القديم مصر والشرق الأدنى القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990، ص 204.

⁴ اغسطينوس، مدينة الله، المصدر السابق ، ص62

⁵ أغسطينوس، مدينة الله، المصدر السابق، ص70

*** تانيت:**

حظيت الآلهة تانيت بشهرة واسعة النطاق¹، فقد سادت عبادتها قرطاج، لكنها أضحت في الثلاث القرون الأخيرة من الاحتلال الروماني المعبودة الأولى في كامل إفريقيا؛ تعتبر تانيت آلهة محلية بربرية الأصل²، فمن بين المعبودات المعروفة في العالم الفينيقي الشرقي لا توجد الهة تحمل هذا الاسم، ويرى فرنسوا دوكريه أن عدم تقفي اثر هذه الآلهة ليس سببا في نسب بعض الفرضيات تانيت إلى اصل ليبي و ربة قرطاج³.

كانت تانيت ترمز للخصوبة⁴ والأومومة⁵ والسلام و الرخاء حيث تظهر في بعض النصب محاطة ب نخلة، رمانة، حمامة وإما تظهر وهي ترضع طفلا⁶ كما وجدت في موقع موقع تينيسون (Thinissut) بجسد لبؤة و هذا الشكل استمر طيلة الفترة الرومانية⁷ ويرى محمد العربي العقون إن اسم تانيت مشتق من اللغة البربرية ومعناه الوحم أنتي (Aniti) ومنها عبارة تامطوث تيثيت (Tamunut t'tinit) أي المرأة تتوحم ومن هنا جعلت المعتقدات القديمة تانيت كآلهة التي تحمي المرأة الحامل، كما كان يرمز لتانيت بمثلث يعلوه معقوفتان إلى الأعلى وفوقه قرص ونجد هذا الرمز مزال ملازما للمرأة البربرية إلى يومنا هذا(أنظر الشكل رقم 02 و 03) وربما من خلال الحلّي الفضي التي تستخدمه المرأة في لباسها أو الوشم على جبهة المرأة وربما هذا خير دليل على مغاربيتها⁸.

¹ - الشاذلي بورويينة ومحمد الطاهر ، قرطاج البونبية، تاريخ حضارة، مركز النشر الجامعي، تونس، 1999، ص 277.

² - محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 212.

³ - فرنسوا دوكريه، قرطاج الحضارة و التاريخ، تر: يوسف شلب الشام، ط1، دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر، مصر، 1994، ص 115 .

⁴ - محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 212.

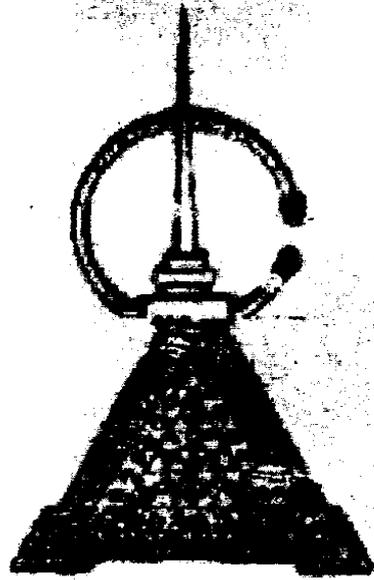
⁵ - رشيد الناضوري، المغرب الكبير، ج 1، ص 209.

⁶ - محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 212

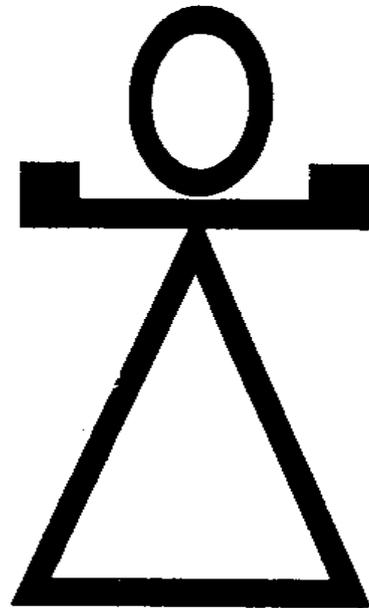
⁷ - العقون (محمد العربي)، المرجع السابق، ص 216.

⁸ - المرجع نفسه، ص 216.217

الشكل رقم (...) (...) ¹: يوضح التشابه الواضح بين الحلي المستعمل الى غاية اليوم والنصب المخصصة لتانيت



الشكل رقم(02): حلي يجسد الآلهة البربرية



الشكل رقم(03): يرمز للآلهة تانيت في النصب المخصصة لها

¹- محمد العربي العقون، المرجع السابق، ص 39.

*أمون:

مثل أمون سيد الآلهة الصغرى، وتجاوزت عبادته كل بلاد البربر وامتزج الاله أمون مع عدة معتقدات اجنبية، إذ ادمج مع الهه الفينيقيين واصبح بعل أمون، وامتزج مع الآلهة اليونانية فاصبح زوس-أمون أما في العهد الروماني فاصبح ساتورن¹ وقد حضى بشعبية كبيرة من طرف الافارقة² حتى هيمن على كل إفريقيا بعبادته اكثر من هيمنة الإمبراطور على العالم الروماني

اختلف المؤرخون حول أصل أمون فلبعض جعله ذا أصول بربرية وآخر ذا أصول مصرية (أمون-رع)، فقد ظل الاعتقاد السائد أن مصر هي أم الدنيا التي نشرت معبوداتها على كامل شمال إفريقيا³، فالكباش المكورة والمحاطة رؤوسها بهالة بالإضافة إلى النقوش الصخرية الموجودة في الجبال الأطلس يربطنا بالإله المصري أمون بطيبة، حيث عثر "هنري باص" على اسمه بشكل "أمان" والتي تعني السيد والذي تحول فيما بعد أمون الهه الكباش إلى الهه الشمس، وذلك بعد امتزاجه بـ"رع" ومع مرور الوقت عمّت عبادته كل شمال إفريقيا، لكن هذه الفرضية تغيرت في القرن العشرين للميلاد إذ أثبتت دراسات حديثة أن الكباش المتوج ليس بالكباش أمون إذ أن النوع الأول اقدم بكثير من أمون-رع، كما أثبتت الحفريات التي وجدت في معبد حفرة قسنطينة 281 نصب لأمون بالإضافة إلى وجودها في كل من هيبورجوس، دلس، شرشال، تيبازة ونعرف أن كل هذه المناطق تنتمي إلى نوميديا⁴ وهذا يعتبر دليلا على مغربية الاله أمون.

أمون هو الهه الخير، الخلود و الروح والشمس⁵ الذي تم تجسده على أشكال مختلفة منها شيخ يجلس على العرش و يمسك كباش أو إنسان على رأسه قرص شمس بمدخل معبد⁶

¹ - حارش (محمد الهادي) ، المرجع السابق ، ص 146.

² -Christophe Hugoniot ,rome en Afrique (de la chute de carthage au debuts de la conquete arabe , flammariion,France,2000,p155

³ - العقون (محمد العربي) ، المرجع السابق ، ص 217.

⁴ - محمد الصغير غانم، الملاحم الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، دار الهدى، الجزائر، 2005، ص 87.88.

⁵ - العقون محمد العربي، المرجع السابق ، ص 212.

⁶ -غانم (محمد الصغير) ، الملاحم الباكرة ، ص 87.88.

وتظهر مكانة هذا الاله من خلال صك عملة بوعد من الرومان في سنة 4ق.م حيث نقش على وجهها الأول يوبا والوجه الثاني صورة الاله آمون الكبش و بين قرنيه قرص شمس¹.

كان التأثير البوني في الأقاليم النوميدية عميقا وراسخا ذلك أن عبادة الثنائي بعل حمون و زوجته تانيت لم تنزع مكانتهما خلال السيطرة الرومانية إلا بتغيرات خفيفة وذلك باتخاذ هذا الثنائي تسمية لاتينية فاصبح تجونون كايلاستين² بدلا من تانيت وساتورن اله الفلاحة والغلال بدلا من بعل آمون وقد استطاع هذا الثنائي أن يتبوأ مكانة خاصة لدى الأهالي الافارقة وعلى وجه الخصوص مقاطعة البروقنصلية ونوميديا إذ ظلت هذه المقدسات عزيزة على السكان حتى أن المسيحية فيما بعد لم تستطع أن تقتلع جذورها من نفوس السكان إلا بصعوبة كبيرة فباتريكيوس والد أغسطين يمثل نموذج الأفراد الذين بقوا متمسكين بالوثنية إذ انه لم يعتنق المسيحية إلا سنة قبل وفاته وذلك بصبر طويل من زوجته مونيكا التي تميزت بقوة إيمانها المسيحي³ وقد كان الافارقة يحتفون بآلهتهم وذلك عن طريق تقديم القرابين وتشيد الهياكل والمعابد⁴.

لكل حضارة ثلاثي مقدس يعتبر حاميا لها، فالمصريون مثلا عرفوا ب (ازيس،واوزير، حورس) أما الإغريق عرفوا ب (بهيرا ، ثينا، زيوس)

أما عند الرومان نجد (جونون، منيرف، جوبيتير) هذا الثلاثي الذي يعبر عنالمعتقدات والآلهة التي نقلها المعمرون الرومان الرئيسية من دوقة، سبيطلة، تمقاد وتازولت(لمباز) وحتى قيرطا، وامتدت في بعض الحيان إلى المدن الصغيرة ولابأس أن نعطي لمحة خاطفة حول هذه الآلهة:

¹ - غانم (محمد الصغير) ، علاقة نوميديا بالرومان، مجلة التراث، ع3، مطبعة الشهاب، الجزائر، 1988، ص 24.

² - مدلين (هورس ميدان)، تاريخ قرطاج، تر : ابراهيم بالس، ط1، منشورات عويدات، لبنان، 1981، ص 125.

³ - القديس اغسطينيوس ، الاعترافات ، المصدر السابق ، ص 30

⁴ - عكاشة (علي و آخرون) ، المرجع السابق ، ص 232

*الآلهة جوبيتير:

يعتبر الاله الأساس في ثلاثية الكابتول (جونو ومينرفا) ، كان الاحتفال به يقام في 19 أوت و 23 أبريل¹ عند الإغريق أما الرومان فقد احتفلوا به في اليوم الخامس عشر من كل شهر في تمام القمر عندما تكون السماء صافية²، ويعتبر جوبيتير سيد الآلهة ولتعدد وظائفه فهو يمثل اله البشر، السماء، الطقس، الزمن، البرق، المطر³ اعتبر هذا الاله حاميا لروما في حروبها⁴ إذ كان يرافق الجيوش في الحرب باعتبار انه جالب النصر لها.

كان شعار هذه الآلهة اللون الأبيض فالقرايين التي كانت تقدم له يشترط أن تكون ذات صوف بيضاء، عبد جوبيتير بأسماء عديدة تنوعت باختلاف الطرق التي كانت تعبد بها و التي تظهر كلها قوته فسمي جوبيتير الضارب تارة حيث تقدم له القرابين من طرف القائد الروماني المنتصر في الحرب والذي استطاع قتل قائد العدو في المعركة كما سمي تارة أخرى ب جوبيتير ستيتوم أي جوبيتير الصامد في المعركة وربما قصد به لآلهة الذي يمنح صمود الدولة⁵ وقد شيد له معبد في ساحة الفوروم الذي تفتح أبوابه في الحرب و تغلق في حالة السلم

* الآلهة مينيرفا:

كانت آلهة الحكمة والصناعة اليدوية⁶ كل من استند في عمله إلى العقل أو على يديه ، فمينيرفا هي من تركي مهارة الصانع الحاذق⁷ كما كانت ربة الصناعات و الممثلين والموسيقيين و الكتاب⁸ .

¹ - خليل احمد خليل، معجم المصطلحات الأسطورية، دار الفكر اللبناني، ط1، 1996، لبنان، ص 75.

² - صلاح قنصوة، قاموس الأديان المرجع السابق ، ص214

³ - المرجع نفسه ، ص214.

⁴ - خليل احمد خليل ، المرجع السابق ، ص 75.

⁵ - دباغ (تقي)، الفكر الديني القديم، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، 1992، ص 235.

⁶ - المرجع نفسه، ص 236.

⁷ - تشالرز وارث ، المرجع السابق ، ص 261.

⁸ - دباغ (تقي) ، المرجع السابق ، ص 236.

* الإله جونون:

تمثل زوجة الاله جوبيتير وهي آلهة السماء¹ كان يحتفى بكل هذه الآلهة وغيرها وذلك في الأعياد الخاصة بكل منها وفي المناسبات الكبرى فكانت تعظم بالطقوس التقليدية التي يقيمها الكثير من العباد الشاكرين

إذن نلاحظ من خلال ما سبق أن الافارقة رفضوا المعتقدات الرومانية وربما هذا يدل على ردة فعل ضد الاحتلال الروماني ككل باستثناء الطبقة الأرستقراطية المقيمة بالحواضر والتي حرصت على تتبع آلهة الرومان طمعا في الحصول على حظوة من طرف السلطة الرومانية أو ربما رغبة في المشاركة في الاحتفالات الدينية الرسمية لإشباع البطون و اطلاق الأعنة للغرائز والشهوات² فالرومنة لم تستطع أن تغير المنظومة الدينية للمغاربة و لكن المغاربة هم من اقبلوا على المعتقدات الرومانية و أخضعوها إلى تأثيراتهم المحلية.

ب- المسيحية:

بالرغم من الانتشار الواسع للوثنية وترسخها في كل أرجاء الإمبراطورية إلا أن المسيحية أوجدت لها مكان لا يستهان به فانتشرت على نطاق واسع وأصبحت الكنيسة المسيحية في نهاية القرن 04م وبداية القرن 05م قوة تحسب لها الإمبراطورية الرومانية الف حساب³

والدين المسيحي أو المسيحية نسبة إلى اسم اليسوع (عيسى) عليه السلام، الذي اسماه اتباعه المسيح أو خريستو، وهي الترجمة اليونانية للكلمة العبرية (الميسايا) و ترجمتها العربية المسيح، التي ترمز إلى البركة التي كان يتلقاها ملوك إسرائيل من الكاهن الأكبر

المسيح (الميسايا) أيضا وصف اطلق على رسول الله المنتظر أو المخلص وقد اطلق اليونان والرومان نعت مسيحي على كل من اتبع المسيح⁴.

¹ - علي عكاشة ، المرجع السابق ، ص 195

² - الشنيتي(محمد البشير) ، التحولات المرجع السابق ، ص .

³ -Chrestophe Hugniot , op.cit , p 179.

⁴ - سهيل بشروئي و مراد مسعودي، تراثنا الروحي (من بدايات التاريخ الى الاديان المعاصرة)، تر: محمد غنيم، ط1، دار الساقى، لبنان، ص 453.

ظلت المسيحية منذ انبعاثها إلى غاية صدور مرسوم ميلانو¹ سنة 313م ديانة محضورة، فقد تمسك الرومان بعبادتهم للأوثان كما عبد الأباطرة الرومان ولقبوا بـ "الكاهن الأعظم"²؛ فالإمبراطورية التي اتسمت بسياستها بالتسامح الديني مع مختلف المعتقدات وإن غفلت في بعض الأحيان عن رفض البعض لعبادة الإمبراطور فهي لم تتسامح ابدا مع الديانة الجديدة التي اعتبرتها تنظيم غير شرعي يتعارض مع سياسة الدولة³ ومن ثمة فهو منافس لها، وبذلك شنت السلطة الرومانية سلسلة من الاضطهادات تفاوتت حدتها وصرامتها بين الأباطرة.

كانت إفريقيا من بين الأقاليم التي مسها الاضطهاد قبل أن تصبح مركز إشعاع ديني بكنائسها وأساقفتها ، لكن قبل الحديث عن المسيحية في شمال إفريقيا لا بد من أن نعطي صورة عن بدايات المسيحية الإفريقية التي يعتقد أنها دخلت عن طريق الموانئ ومنها انتشرت إلى المناطق الداخلية⁴ وكان دخولها بالتحديد عن طريق قرطاج، حيث يذكر دوم هنري لكلاك في كتابه " إفريقيا المسيحية": "إن المسيحية قد تغلغت إلى إفريقيا عن طريق قرطاج، ولا نعلم ا ي شيء آخر."⁵ أين وجدت ترحيب من جموع اليهود التي كانت معابدها المراكز الأولى التي تبلورت فيها حركة التنصير وانطلقت منها⁶، وما يؤكد صحة قول دوم هنري هو صدارة قرطاج كعاصمة دينية وبروز أساقفتها منذ وقت مبك، إذ كانت أول المجامع منعقدة بها كما ظلت قرطاج مرتبطة بتاريخ الكنيسة في إفريقيا، كما ا ناول

¹ - مرسوم ميلان (Edit of Milan 313م): عقد مؤتمر بين الحليفين قسطنطين وماكسيمينوس في ميلان في 313م و الذي اسفر عن إصدار قرار ميلان الشهير و الذي يقضي بحرية الأفراد في ممارسة الشعائر الدينية التي يرونها مناسبة ، كما اعترف بالكنيسة و سلطاتها في كل أرجاء الإمبراطورية ، وأعاد لها وفقا لذلك ممتلكاتها التي سلبت منها ، كما اعفى الكهنة من الالتزامات الإجبارية ، و حرس أن يطبق هذا القرار بحذافيره في الغرب و الشرق خاصة بعدما عانى المسيحيين من الاضطهاد الطويل على يد ماكسيمينوس . انظر تشارلز وارث ، المرجع السابق ، ص 334-335.

² - المنصوري (محمد الطاهر)، الحياة الدينية في بيزنطة من الانبعاث إلى القطيعة مع روما، ط1، دار امل للنشر والتوزيع، 2003، ص 25.

³ - محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص 65

⁴ - شارل اندري جوليان، المرجع السابق، ص 255

⁵ - Dom Henre Leclercq, L'afrique chretienne, t1, lidrairie victor lecoffre, paris, 1904, p 34.

⁶ - محمد البشير شنياتي ، التغيرات المرجع السابق ، ص 266.

اضطهاد مسّ إفريقيا كان في قرطاج وذلك بإعدام اثني عشرة مسيحياً، الذين رفضوا تقديم الأضاحي تكريماً للإمبراطور¹

عموماً هناك إجماع على وصول التعاليم المسيحية عن طريق المناطق الساحلية² التي كانت تشهد حركة تجارية كبيرة، التي كانت على الأغلب لا يقتصر على نقل البضائع و السلع بل كذلك الحواريين³ والمسافرين الذين سينقلون ما سمعوه أو عايشوه عن المسيحية، وحسب روبين دانيل أن هذه الرحلات التجارية كانت تمر على جميع موانئ شمال إفريقيا، وهي قادمة من قبرص أو耶رشلیم ، دمشق الإسكندرية⁴

انطلاقاً من الساحل عرفت المسيحية انتشار واسع وسريع نحو المناطق الداخلية عن طريق الجنود⁵ الأمر الذي أدى مع مرور الوقت إلى إقامة كنائس وتعيين قادة لها عنوا بتقديم المساعدة لكل من احتاج لهم من أفراد المجتمع المسيحي، فالمسيحية أصبحت تملك أماكن عبادة خاصة بها بل وكذلك مقابر تستقبل إلا الجماعة المسيحية⁶.

اقتصرت المسيحية في بدايتها على الطبقات الدنيا من المجتمع وما أن شارف القرن الثاني على الانتهاء حتى ضمت بين صفوفها عليّة القوم من أثرياء ومتقنين⁷ وبناتوا أول من يدافع عنها أمثال ترتليانوس الذي يقول؛ في شأن تزايد عدد المسيحيين : " بدأنا بالأمس فقط، ومع ذلك فقد ملأنا كل الأماكن الخاصة بكم: المدن والجزر والقلاع والقرى والأسواق وحتى مخيماتكم العسكرية وكذلك قصر الإمبراطور ومجلس الأعلى والساحات العامة"⁸

¹ - جون آليف، الأفرقة تاريخ قارة، تر: امل أبو موسى، ط1، دار الجماهيرية، ليبيا، 2001، ص 68 .

² - روبين دانيل، المرجع السابق ، 42 .

³ - **الحواريين**: تعني الرسول البشير وهو اللقب الذي أعطاه المسيح لتلاميذه وعددهم اثني عشرة وهم: اندراوس، بطرس . يعقوب، يوحنا، فيليبوس، برثلماص، توما (اللاوي)، يعقوب (الأصغر)، يهوذا، سمعان (القانوني) ، يهوذا الأسخروطي . انظر: ميغوليفسكي (أ.س)، أسرار الآلهة والديانات، تر: حسان ميخائل اسحق، ط1، دار علاء الدين للنشر، دمشق، سوريا، 2005، ص 451 .

⁴ - المرجع نفسه، ص 46 .

⁵ - عبد الله العروي، **مجمل تاريخ المغرب**، ط5، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1996، ص 66 .

⁶ - المرجع نفسه، ص 51 .

⁷ - محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص 59 .

⁸ - نقلاً عن المرجع نفسه ، ص 51 .

عرفت المسيحية في شمال إفريقيا انتشارا واسعا وسريعا وذلك لعدة اعتبارات يمكن تلخيصها في ما يلي :

1-تشبع الطبقة الأرستقراطية بفلسفة الوحدانية والتي مالت إلى النزعة الوحدانية .¹
2-كانت المعتقدات الدينية في شمال إفريقيا تؤمن بفكرة الاله الواحد والذي تجسد في بعلى حمون القرطاجي ثم ساتورن الروماني الإفريقي فهو معتقد يرتكز في أساسه على التوحيد²، وهذا ما نلمسه في التصريح الذي جاء على لسان ماكسيم المادوري الوثني لأسقف هيبون الذي يؤكد فيه على ايمانه بإله الواحد الأعلى قائلا: "من سيكون أحق بما فيه الكفاية، حتى ينكر وجود إله واحد"³

3- جاءت المسيحية بتعاليم جديدة، التمس فيها الأفراد بغيتهم الروحية فالمسيحية دعت إلى إزالة الفوارق الاجتماعية وعززت مبادئ الأخوة والإنسانية والعدل والمساواة، كما أعطت المسيحية منبؤذي المجتمع والمهمشين مكانة عند الله، إذ قال: " ما اعسر دخول ذوي الأموال إلى ملكوت الله ، لان دخول جمل من ثقب إبرة ايسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله ."⁴

4- السلام الديني الذي نعمت به شمال إفريقيا، فهي لم تذوق طعم الاضطهاد إلا في سنة 180م⁵، وذلك بإعدام 11 شخص من بينهم 07 رجال و05 نساء، في مدينة مجهولة في البروقنصلية.

ساعدت العوامل السابقة على الانتشار الواسع للمسيحية لتصبح في القرن الرابع والخامس ظاهرة لا يمكن إنكارها⁶، فنوميديا لوحدها أصبحت تملك حوالي 200 إلى 250

¹- شارل اندري جوليان، المرجع السابق، ص 255.

² محمد البشير شنيتي ، المرجع السابق ، ص 265.

³ -Augu (st), Lettre XVII

⁴ - انجيل لوقا : الأصحاح 25:18 نقلا عن سهيل بشروئي ، المرجع السابق ، ص 457.

⁵-Mesnage (p.j), Le christianisme en Afrique (origines, développements,extension) ,franciscus faberi, Italie, 1914 , p80

⁶ -Christophe Hugniot , op.cit , p 79

اسقف¹، وهذا راجع إلى السلطات الرومانية التي ضاعفت جهودها وانتمائها لصالح الكنيسة المسيحية التي أضفت عليها طابع الرسمية، فهي أصبحت في الموقف الذي وقفت فيه من قبل المسيحية عند بدايتها، فالسلطات الوثنية التي نكلت بالأمس بالمسيحية واتباعها بتحريض من الوثنيين هي اليوم تقف إلى جانب المسيحية وتسعى إلى القضاء عليها معلنة عن عقد يوحد السلطة والكنيسة .

ثانيا: الحياة الاقتصادية:

حرسَت السلطة الرومانية منذ أن وطئت أقدامها إفريقيا على توفير كل الإمكانيات المادية والبشرية، من أجل الاستغلال الأمثل للمؤهلات الزراعية للمنطقة، فقسمت الأراضي الإفريقية وأعطتها الصبغة القانونية التي تنظم العلاقة بين مختلف الفئات المستغلة لها، غير أن السياسة الزراعية الرومانية أدت إلى حصر أجود وأوسع المساحات الزراعية في يد الأباطرة وكبار المسؤولين، على حساب أملاك الأهالي التي تقلصت في الوقت الذي تحول فيه الكثير من ملاك إلى عمال موسميين، وهذا راجع بالدرجة الأولى إلى النظام الضريبي المجحف من جهة والمكافين بجباية هذه الضرائب الذين لم يترددوا لحظة في استغلال وظائفهم لخدمة مصالحهم الشخصية، و فيما يلي سنحاول أن نتطرق لأنواع الملكيات الموجودة وطرق استغلالها والنظام الضريبي الذي فرض على السكان.

1- أنواع الملكيات:

أخذت الملكيات الزراعية في القرن الرابع نوعا من الحدة ، أدت إلى ظهور أنواع الملكيات تسيطر عليها الطبقة الأرستقراطية والتي خولت لها التحكم بالتدريج في الفلاحين وفي سكان بلدته حتى أن نفوذه ذهب إلى ابعد من ذلك ،ببسط نفوذه على أصحاب بعض الحرف كالصناع والتجار على أن اكثر المتضررين عم الفلاحين الذين سنحاول أن نعرض أنواع الملكية التي كانت موجودة في القرن الرابع والخامس للميلاد.

¹ -Arnaud (Ennie) , op.cit. , p 23

أ- أراضي الإمبراطورية

كان الإمبراطور من دون شك اكبر مالكي الأرض في الإمبراطورية الرومانية عموماً، وفي إفريقيا على وجه الخصوص، إذ أن الأباطرة السابقين كانوا قد سيطروا على الأرض من قبل ونخص بالذكر هنا الإمبراطور نيرون¹ 68م والإمبراطور **فلافين** 69-96م الذين قاموا بمصادرة أراضي كبار الملاك من طبقة الشيوخ مع العلم أن نصف مساحة إفريقيا حسب **بلين الأصغر** كانت بيد ستة ملاك² من أعضاء مجلس الشيوخ عندما قام نيرون بمصادرة أملاكهم و قتلهم³.

ظلت أملاك الأباطرة في إفريقيا شاسعة المساحة حتى القرن الخامس، حيث كانت ضياع الإمبراطور تمثل قرابة سدس أراضي البروقنصلية و المزاق⁴، فقانون هونوريوس الصادر في 422م يحدد بدقة متناهية الأرض المعفية من الضريبة التي تخضع لها؛ فحسب محمد المبكر إن هذه الأراضي اذا أضيفت إلى بعضها البعض فقد تصل إلى 15052 كم²، أي سدس مساحة الإقليمين 91000 كلم² والواضح أن المساحة لم تكن تقصد مجموع الأراضي القابلة لزراعة وإنما المساحة الخاصة بالإمبراطورية، فاذا سلمنا أن تلك المساحة هي المساحة الكلية فهذا يعني أن الأوضاع الزراعية كانت في غاية الرداءة ولكن نحن نعلم أن إفريقيا أصبحت على يد قسطنطين بعد أنشائه القسطنطينية⁵ كعاصمة جديدة

¹ - **نيرون (54-68)**: تولى الحكم بعد الإمبراطور الحازم، المعتدل كلوديوس، وقد تميز بالتطرف وعدم الاتزان في إصدار القرارات، كما تميز بكثرة جرائمه في روما لا سيما اتجاه المسيحيين، تم قتله في فترة عرفت بالفوضى حيث لا يمكث الإمبراطور على عرشه أكثر من عدة أسابيع أو أشهر، انظر: مصطفى العبادي، الإمبراطورية الرومانية النظام الإمبراطوري ومصر الرومانية، دار المعرفة الجامعية، 1999، ص 133-134، كذلك سيد أحمد الناصري، المرجع السابق، ص 159-170

² - محمد المبكر، المرجع السابق، ص 65

³ - اندري ايمار وجانيا بواتيه، المرجع السابق، ج 2، ص 390 .

⁴ - عبد اللطيف مرابط، **إفريقيا في العهد المسيحي**، في تونس عبر التاريخ العصور القديمة، ج1، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2007، ص 205.

⁵ - القسطنطينية: وضع حجر أساس بنائها الإمبراطور قسطنطين الأول سنة 324م ، على انقاض المستعمرة اليونانية بيزنطة ، و في 330م اعتبرت القسطنطينية العاصمة الجديدة لروما ، واطلق عليها اسم " روما الجديدة " كما اعتبر

قسطنطين هذه العاصمة، عاصمة دينية و بالتالي اتسمت القسطنطينية بعدة مميزات من بينها أنها عاصمة الديانة المسيحية كما ورثت الحضارة الرومانية القديمة وبقيت هي الوريث الوحيد و رمز الإمبراطورية الرومانية انظر : المنصوري محمد الطاهر، المرجع السابق ، ص 09 .

للإمبراطورية، الممون الوحيد والأول لروما بالقمح خاصة بعد أن أصبحت مصر هي المسؤولة عن تموين العاصمة الجديدة القسطنطينية والواضح أن هذا التموين قد ارهق كاهل إفريقيا فقد أصبحت تسد ثلثي احتياجات روما من القمح¹ كما نعرف أن مقاطعة نوميديا كانت تعج بالضياح الكبيرة التي كان البعض منها في يد الإمبراطور أو الخواص، لكن هذا الاتساع في المساحات المسيطر عليها من طرف السلطة لم يكن في تزايد اعتبارا من القرن الخامس بل على العكس من ذلك كان في تراجع وذلك إما عن طريق البيع أو الكراء، مع العلم أن المستفيدين من البيع أو الكراء أو تسيير هذه الأرض كانوا ينحدرون من طبقة كبار الملاك.

ب-أراضي كبار الملاك:

لم يكن كبار الملاك في إفريقيا، قاطنين بعين المكان، بل كانوا يعيشون خارج إفريقيا، وكانت تضم فئات خصصت لها ألقاب حسب تسلسلها الاجتماعي وكان النبلاء ينحدرون من أسر رومانية عريقة أو انهم قد ارتقوا في مناصبهم الإدارية في الإمبراطورية².

كانت هذه الطبقات تملك ضياح شاسعة المساحة ومنتشرة في كل الأقاليم لكن هذه الطبقة كانت تعهد إلى من يقوم بتسيير شؤون ضياحهم إلى وكلاء أو أمناء أو عن طريق الكراء، وإلى هذه الطبقة ينتمي "سيماخوس"³ ذا الأصول الإفريقية، والذي تحدث عنه القديس أغسطين في اعترافاته، إذ ساعده في الحصول على كرسي بلاغة في ميلانو.

¹ -Jaidi (Houcine), L'Afrique et le blé de Rome aux IV^{eme} et V^{eme} siècle, publication de la faculté des sciences humaine et sociales, Tunis, 1990, p 25

² - محمد المبكر، المرجع السابق، ص 64.

³ -سيماخوس: Cymmachus حوالي 340-420م هو وكونتويوس أورليوس سيماخوس رجل سياسي ينحدر من أسرة عريقة تنتمي كان والده يشغل منصب إداري رفيع المستوى، حافظ سيماخوس على الديانة الرومانية التقليدية أمام الاجتياح المسيحي خصوصا في الوقت الذي تخلت فيه الطبقة الأرستقراطية عن الوثنية وتبنيها الديانة المسيحية، وقد شغل منصب والي قرطاج سنة 373 م وزعيم الحزب المحافظ الروماني عامي 384-385 م ومستشارا عام 395 م نو أصول إفريقية هذا يفسر معرفته السابقة بأغسطين ومساعدته له انظر:

Cristiana Songno, Q. Aurelius Symmachus: A political biography, University of Michigan press, 2006.

إذن كانت الطبقة الأرستقراطية تتكون من أسر رومانية عريقة وكبار الموظفين في الإمبراطورية، يحتلون الدرجة الثانية من حيث ملكية أجاد واشسع الأراضي الزراعية في إفريقيا الخ.

ج-الملكيات الصغيرة:

لم تختفي الملكييات الصغيرة ولكنها وجدت لها مكان مع ملكيات الإمبراطورية والأرستقراطية، وهذا يظهر من خلال والد القديس أغسطين باتركيوس الذي كان يملك بعض الأراضي في منطقة تاغست ورغم ذلك يصور لنا أغسطين مدى المتاعب التي بتكبتها من اجل تحصيل مصاريف تعليمه وعيش أسرته فيقول أغسطين: ".... و في السادسة عشرة من عمري عجز والدي عن سدّ النفقات المترتبة عليّ فاضطرت إلى مغادرة المدرسة..."¹ إذ أن الضرائب التي فرضتها السلطات الرومانية في القرن الرابع للميلاد أثقلت كاهل الملاك وأجبرتهم على اللجوء إلى من هو أقوى منهم ووضع راضيهم وانفسهم تحت حمايته، على أن السلطة كان يروق لها هذا التصرف، لأنه يساعدها في جمع الضرائب، خاصة وأن المكلف بجمعها هم كبار الملاك الذين انطوا تحت حمايتهم.

د-ملكيات الأهالي:

هذا النوع من الملكييات كان مستغلا من طرف السكان الأصليين، غير انه كان ينكمش وينحصر كلما توسع الاستعمار الروماني خاصة أمام السياسة التي انتهجها والمتمثل في حصر الأهالي في مناطق محدودة، وفي المقابل قامت بالاستحواذ على أجاد الأراضي بينما تركت المناطق الوعرة والجرداء للشعوب المحلية، الأمر الذي دفع بالبعض منهم إلى الانتقال إلى مناطق أخرى وامتهان نشاطات مختلفة كالاتحاق بالجنديّة أو العمل كمزارعين موسميّين.

إذن فالملكييات ذات المساحة الشاسعة لم تقضي كليا على وجود الملكييات الصغيرة بيد مجموعة من الفلاحين المحليين وربما هذه الملكييات الصغيرة عزز وجودها لما قامت به السلطات الرومانية من تسهيلات وامتيازات كتشجيع منها على استغلال تلك المساحات التي

¹ - القديس اغسطين ، اعترافات ، ص 32 .

لم يمسه المسح، كذلك لعدم ملائمتها للنشاط الزراعي كونها مستنقعات أو غابات أو مناطق هجرها أصحابها لعدم خصوبة .

و- ملكيات الكنيسة :

خلال القرن الرابع للميلاد عرفت المسيحية انتشارا واسعا، فعمت الأقاليم بالكنائس ووفقا للمبادئ التي جاءت بها من تسامح وتضامن مع المساكين الفقراء تزايدت العقارات الخاصة بالكنيسة وذلك عن طريق الهبات التي كانت تتلقاها من الأغنياء والمؤمنين كما انضم الكثير من الأغنياء بسلك رجال الذين فتنازلوا عن ملكياتهم لصالح الكنيسة ، وأحسن مثال عن الهبات التي قدمت للكنيسة هبات القديسة ميلاني التي تنازلت عن ممتلكاتها لصالح الكنيسة لتتفرغ لحياة الرهبنة¹.

اعترفت السلطة الرومانية شيئا فشيئا بحقوق الكنيسة في امتلاك عقارات²، بل وساهمت هي الأخرى في الهبات خاصة بعد صدور مرسوم ميلانو سنة 313م فالإمبراطور قسطنطين نفسه قام ببناء كنيسة للكاتوليك سنة 347م، كما طالبت الكنيسة بإعفائها من الضرائب، وحصلت على ذلك إذ تم إعفائها من الضريبة الفرية - ضريبة الرأس³ - في حين رفضت الدولة من إعفائها من الضريبة العقارية، ربما هذا راجع إلى خوف الأباطرة من الغناء والثراء الفاحش الذي وصلت إليه الكنيسة، والتي تعادل عشرين مرة مساحة المزرعة التي ورثها عن والده⁴ الأمر الذي **تتطلب إدارة أملاك الكنيسة إنشاء هيئة من المحاسبين ينتمون إلى سلك رجال الدين⁵.**

¹ - للمزيد عن حياة ميلاني أنظر: Denys Gorce, vie de sainte Mélanie, Le CERF, France, 1962.

² - تشارلز وارث ، المرجع السابق ، ص 57 .

³ - **ضريبة الرأس**: كما تسمى الكابوت (Caput) و نعني ضريبة التي يدفعها الأفراد على الرأس أو العنق أو النير ، اي المقدار النقدي أو العيني الذي يتوجب على كل فرد دفعه كل سنة لخزينة السلطة الرومانية انظر: محمد البشير شنيتي، التغييرات، ص 135.

⁴ - رومنغن (ب.ه) ، تاريخ ولايات شمال إفريقيا الرومانية (من ديقليديانوس إلى الاحتلال الوندالي)، تر: عبد الحفيظ فضيل الميار ، ط1 ، 1994 ، ص 102 .

نستخلص إذن أن الكنيسة كانت لها ممتلكات لا يستهان بها وهذا راجع إلى مبادئ المسيحية التي أعادت تركيبه البنية الاجتماعية، وغيرت تفكير الأفراد نحو المساوات والعدالة، والإخاء.

إن الملاحظ للملكية خلال الفترة الرومانية بصفة عامة يرى أن السيطرة الكاملة على الأراضي الخصبة كان من قبل الإمبراطور والطبقة الأرستقراطية من أعضاء مجلس الشيوخ الروماني، حيث كانت تضم ملكياتهم مساحات شاسعة جدا لكن هذا لا ينفي وجود بعض الملكيات الخاصة بالريفيين، إذ أثبتت بعض النصوص تكتل هؤلاء في جمعيات للدفاع عن حقوقهم في استغلال أراضيهم.

2- طرق الاستغلال:

قامت ملكية الأرض في إفريقيا على أساس هرمي يعتلي قمته الإمبراطور في حين يمثل المزارعون القاعدة¹، فقد كان الوضع شبيه بملكية الأرض في أوروبا في العصور الوسطى²، وحرصا من الإمبراطور على الإدارة المحكمة لممتلكاته والضياع التابعة له وضع جهازا إداريا يضم مجموعة من الموظفين يتدرجون في سلم المسؤوليات³ والمهام ويكونون تابعين بصفة مباشرة للديوان الإمبراطورية.

يأتي على رأس الموظفين وكيل العام، يشرف على إدارة أملاك الإمبراطور، مقره قرطاجة معين من طرف الإمبراطور⁴، وهو موظف عالي الرتبة ينحدر من طبقة الفرسان مسؤول عن إدارة شؤون الموظفين ومراقبتهم⁵ في ح33ين تسند إدارة كل ضيعة إلى وكيل آخر يكون أقل شأنًا من الوكيل العام، مهمته الإشراف على سير العمل في الضيعة وتطبيق القوانين بها، أما الاستغلال الفعلي للأرض فيكون بيدّ الملتزمين Conductores، الذين يقومون بكراء الأرض من الإمبراطور لمدة معينة ، على أن استغلالها يكون جزئي، والجزء

¹ - محمد المبكر، المرجع السابق، ص 71 .

² - رومنقن (ب. ه)، المرجع السابق، ص 103 .

³ - عقون محمد العربي، الاقتصاد و المجتمع، ص 91 .

⁴ - محمد المبكر، المرجع السابق، ص 71 .

⁵ - شارل اندري جوليان، المرجع السابق، ص 223 .

المتبقي يسندونه إلى المزارعين بالحصة¹ Coloni² وبالمقابل يقدمون جزءا من المحصول إلى مالك الأرض، حيث تمّ تحديد قيمة الإنتاج المقدمة في قانون مانكيانا³ بثلاث الإنتاج⁴ إلى جانب العمل لصالحه أيام معدودات⁵ وهو ما يعرف بأعمال السخرة⁶ والتي تقدر حسب حسب محمد المبكر باستناده إلى نقش هنشير مطيش ونقش سوق الخميس ب ستة أيام موزعة بين يومين للحرث ويومين للحصاد ويومين للعزق⁷ إلى جانب إعارتهم مواشيهم لمدة لمدة معينة .

كان المستأجرون بالحصة Coloni في اغلبهم ينحدرون من اصل محلي يسكنون داخل حدود الضيقة أو بجوارها⁸، وقد استغلت هذه الطبقة من طرف الملتزمين باعتبارهم يملكون مسؤولية استلام أجرة الأرض، فلم يفوتوا فرصة الاستعانة بالمستأجرين في خدمة أراضيهم وذلك عن طريق استغلال أعمال أيام السخرة المفروضة عليهم، وقد استطاع ملتزموا الأرض من تكوين طبقة ذات نفوذ تسكن بالمحاذاة من ضياع الأباطرة وربما تملك

1 - محمد المبكر، المرجع السابق، ص 71 .

2- **الكولون Colon**: يطلق هذا المصطلح على سكان الأرياف الأحرار الذين يمارسون الزراعة على مستوى أراضيهم كما يطلق نفس المصطلح على المزارعين الذين يستغلون أراضي غيرهم، كما يوجد نوع آخر من المزارعين الذين ولدوا على أراضي الدومان الأمر الذي يخول لهم حق استغلالها، أما النوع الأخير فهم المزارعين الذي اكتسبوا ملكية الأرض وحق توريثها لمن بعدهم بعد استصلاحها. أنظر خنيش عبد الفتاح، التوسع الزراعي في إفريقيا القديمة خلال الفترة الرومانية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة قسنطينة2، 2013، ه.ص76.

3- **قانون مانكيانا lex Manciana**: نسبة لشخص يدعى مانكيانا لم تحدد طبيعته وظيفته بالضبط ، يعتقد أنه مبعوث خاص لأحد الفلاطين، جاء هذا القانون تشجيعا لاستغلال واستصلاح الأراضي الشاغرة والبور التابعة للأباطرة أو الدولة مقابل تسهيلات وإعفاءات كالانتفاع منها ، وحق ملكيتها في حالة المواظبة على زراعتها واستقرار على ضياعها مما يجعلهم في ارتباط دائم بها. أنظر: روسترفرتزف، المرجع السابق، ص 435.434.

4- محمد البشير الشنيتي، المرجع السابق، ص 66 .

5- روسترفرتزف، المرجع السابق، ص 397 .

6- **اعمل السخرة**: فرض التشريع الروماني على الفلاحين من المزارعين أو إجراء و باقي العمال القيام بأعمال مجانية في ضيعة المالك و الوكيل ومن اهم بنود هذا القانون: وجوب العمال أداء أعمال مجانية داخل الفندس المقدره بيومين في الحرث ويومين في الحصاد و يومين في تنقية الزرع إلى جانب الزام الغرياء بتسجيل انفسهم من اجل القيام بالحراسة الدورية وجانا .انظر: محمد العربي العقون، المرجع، المرجع السابق، ص 85 .

7- محمد المبكر ، الهامش 60 ص 72 .

8- رسترفرتزف، المرجع السابق، ص 397 .

قطع من الأرض بعين المكان¹ كما كانت تملك سلطة كبيرة على المستأجرين وكل عمال الضياع ليس في أمور العمل فقط بل حتى في الأمور الدينية ذلك يظهر من خلال قانون هونوريوس الصادر في 30 فيفري 412م والذي يأمر فيه المسؤولين عن الضياع منع عمالها من اعتناق الدوناتية وإلا وقع العقاب عليهم ويكونوا بذلك ملزمين بدفع غرامة مالية بدلا منهم .

نستنتج أن كبار الملاك فضلوا استغلال الأرض بطريقة غير مباشرة، إذ اسندوا إدارتها إلى وكلاء، لأن هذه الطريقة تغنيهم عناء خدمة الأرض، وكما تجنبهم متاعب محاولة العبيد الفرار أو التمرد أو تقاعس العمال الأجراء في أداء عملهم².

أن السيطرة على الملكيات الكبيرة واستغلالها لصالح الأباطرة والخواص لا يجعلنا نسلم بعدم وجود وانتشار الملكيات الصغيرة التي استغلها صغار الفلاحين ويعود سبب وجود هذا النوع من الملكيات إلى السياسة التي انتهجتها السلطة الرومانية، إذ عملت على تشجيع الأهالي على استغلال الأراضي التي لم يمسّها المسح والتي شملت أراضي الغابات والمستنقعات والأراضي الصخرية والسلاسل الجبلية.... الخ، الأراضي التي تركها أصحابها لعدم خصوبتها إذ بين لنا قانون "هادريانوس"³ مدى تشجيع المزارعين على استغلال الأراضي مقابل إعفائهم من الضرائب، مع بقاء المزارعين تحت سيطرة كبار الملاك المجاورين لهم أو المستأجرين لأراضيهم، أي انهم يخضعون كذلك للقانون الذي تعرضنا له قبل قليل وهو قانون "مايكينا"⁴

¹ - المرجع نفسه، ص 397.

² - محمد البشير الشنيتي، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ص 69 .

³ - **هدريانوس**: عبارة عن إصلاحات قام بها الإمبراطور هادريان (117م-138م) بعد لزيارة التي قام بها إلى إقليم إفريقيا، إفريقيا، و قد حافظ هذا القانون على كل بنود قانون مانكيانا، لكنه ذهب إلى ما هو أبعد في بند أو بندين، حيث لم يسمح للمزارعين حق غرس الأراضي التي لم تغرس من قبل فحسب بل كذلك الأراضي التي لم يغرستها متعهدها لمدة عشرة سنوات، مع كمحهم حق وضع اليد وهو شبيه بحق الملكية، مع حق توريثها بشرط أن ورثتهم يواصلون زراعتها، وبذلك أراد هادريان خلق فئة من المزارعين الأحرار تربطهم بالأرض عوامل قوية، و من ثمة تحقق استقرارهم الدائم عليها. أنظر: روسترفترف، المرجع السابق، ص 435.

⁴ - محمد المبكر، المرجع السابق، ص 73.

لم تبقى وضعية المزارعين الأهالي على حالها ولكن ازدادت تدهورا خلال القرن الرابع للميلاد، إذ عملت السلطات الرومانية في هذه الفترة على تثبيت الفالحين في أراضيهم بقوة القانون خاصة منها ما صدر عن فالنس سنة 365م وسنة 371م والذي يقضي بربط المزارع بمكان ولادته¹ في وقت أصبحت فيه اليد العاملة لا تقل أهمية عن الأرض.

إذن كانت عملية استغلال الأرض تتم عن طريق الاستغلال بالحصة لا سيما الملكيات التي كانت بيد الإمبراطور والخواص، بالإضافة إلى انتشار ظاهرة التأجير مقابل الإتاوات والهدايا؛ الأمر الذي كرس لوجود ممتلكات وضياع شاسعة المساحة والتي بدورها قضت تدريجيا على الملكيات الصغيرة التي تصرفوا فيها - لكثرة الأعباء الضريبية - أما بالرهن أو البيع لأصحاب الضياع الكبيرة.²

3-النظام الضرائبي:

اخضع الرومان السكان من بلاد المغرب القديم لسياسة جبائية ثقيلة ومتعددة الأوجه ذلك ابتداء من سقوط قرطاجة، فحسب نص أبيانوس 95-165 حول الموضوع يتبين أن الرومان كانوا قد اخضعوا الأرض والأشخاص لضريبة المهزومين فالرومان اعتبروا الأرض والبشر في عداد الغنائم التي تؤول ثمارها إلى شعب روما المنتصر.³ كما نقل لنا لاكتنس⁴ Lactance ثقل هذه الضرائب في بداية القرن الرابع للميلاد إذ يقول: "لم تشمل الضرائب، السكان الملزمين بذلك فقط بل تجاوزتها إلى درجة أن أصبح المعمرين،

¹ - عبد اللطيف مرابط، المرجع السابق، ص 206.

² - حسنين محمد ربيع، تاريخ الدولة البيزنطية، د.ط، دار النهضة العربية، مصر، 1983، ص 14 .

³ - محمد البشير الشنيتي، التغيرات، ص 127.

⁴ - لاكتنس Lactance: (250-325م) ولد بشمال إفريقيا، كان تلميذ أرنوب الكبير من سيكا كان وثنيا ، تحصل

على كرسي بلاغة بنوقيمديا، بعد اعتناقه المسيحية في حوالي 300م اضطر للاستقالة في حوالي 303م وهي فترة

الاضطهادات الكبرى لديقليديانوس، لنجده في 317م بمدينة تريف بغاليا كمدرس لكريسيبوس Cruspus الابن الأكبر للإمبراطور قسطنطين من مؤلفاته "كتاب الله" الذي دافع فيه عن العناية الالهية، بالإضافة لكتاب " لمؤسسة الالهية" الذي وضعه في حوالي (305-310م) و جاء كردّ على الهجمات الموجهة للمسيحية من طرف الطبقة الوثنية المثقفة لا نعلم

بالتحديد تاريخ وفاة لاكتنس. للمزيد أنظر مقدمة كتاب: Lactance, L'ouvrage Du Dieu Créateur, T I, Trad Michel Perrin, éd le Cerf, 1974, Paris .

يرون مصادرهم مثقلة بحجم هذه الضرائب، لا يجدون إلا الفرار من حقولهم التي تحولت إلى بور.¹

ومن خلال نص لاكتنس نلاحظ أن السلطة الرومانية فرضت على السكان عدد كبير من الضرائب لأمر الذي أدى إلى عواقب وخيمة لاسيما في مجال الزراعة حيث أدى عجز الأفراد عن تسديد الضرائب إلى هجرهم لأراضيهم وممتلكاتهم، وكنتيجة حتمية لهذه السياسة الضريبية المجحفة تولدت فئة من المزارعين الذين تركوا أراضيهم وفضلوا ممارسة الأعمال الموسمية بالتنقل من منطقة إلى أخرى. (تهميش فكرة شخصية)

كانت ضريبة التموين الأساسية² Annonae م من أهم الضرائب التي يتوقف عليها غذاء مدينة روما، إلى جانب ضريبة المركوبات Animalum، إذ كان يتم تقديم جوادا على كل كنتوريائي³، ليصدر الإمبراطور هنوريوس في 13 فيفيري 401م قانونا يحدد من خلاله المبلغ الذي يتم دفعه عن كل جواد، فضلا عن الهبات التي كانت تقدم لجباة الضرائب والتي كانت إلزامية، كما اجبر السكان على إعاره مركوباتهم خدمة للبريد، وفي حالة عدم إمكانيةهم إعاره دوابهم يجبرون على تعويضها نقديا، وفي حالة عجزه عن القيام بالأمرين، توكل لهم

¹ - لاكتنس، نقلا عن يوسف عيبش، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للاحتلال لبلاد المغرب أثناء الاحتلال البيزنطي، أطروحة دكتوراه دولة في تاريخ وآثار المغرب القديم، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007، ص17.

² - الأئونة Annonae: الأئونة: Annonea أو Annona Civica إن المعنى العام للمصطلح يقصد به مجموعة من الوسائل المخصصة لتموين كل من روما و القسطنطينية بالمواد الغذائية إما مجانا أو بأسعار منخفضة و تكون هذه المواد في شكل ضرائب عينية على رأسها القمح و الزيت ، تدفعها بعض المقاطعات على رأسها إفريقيا و قد تولى الأباطرة الرومان أهمية كبيرة لهذا النوع من الضرائب لأنه يوفر غذاء كل من روما و القسطنطينية انظر: خنيش عبد الفتاح، ص 109.110.

³ - كنتوريا Centuria: من الكنترة centurion، وهي شكل من أشكال مسح الأراضي الذي اشتهر به الرومان دون غيرهم من الشعوب، إذ تهدف هذه العملية إلى تهيئة الأرض وجعلها صالحة للزراعة، وذلك بتقسيم الأرض بشكل منظم ومنتسوي، يستند إلى شبكة من الخطوط المستقيمة، لتتصل على مساحات مربعة الشكل، يفصل بينها عن طريق تقطعات ترسم على الأرض ، علما أن الكنتوريا الواحدة تبلغ 50 هكتار، ومن أهداف الكنترة هو توسيع الاستعمار الروماني لاسيما نحو الجنوب و كذا تثبيت القبائل وتحديد ملكياتها كما كانت للكنترة علاقة مباشرة مع الضرائب إذ سهلت عملية جباة الضرائب وذلك بتحديد القيمة الضريبية لكل وحدة كنتورية و التي تحدد من طرف المصالح الضريبية البرقنصلية أنظر: خنيش عبد الفتاح، ص64.63.72.

مهمة القيام بأعمال قسرية لدى صاحب البريد¹، كما ألزم الأفراد على دفع ضرائب على نشاطاتهم وأخرى على ممتلكاتهم، علما أن قيمة هذه الضرائب لم تكن موحدة بل تخضع لاعتبارات كس الفرد ومكانة الاجتماعية وكذا القيمة الإنتاجية للممتلكاته².

وقد اتخذت الضرائب أشكال متعددة كدفع أموال، تقديم خدمات أو إجبارهم على أعمال السخرة، كما لم يترك القائمين على الضرائب شيء إلا وفرضوا عليه ضريبة ويلخصها الأستاذ محمد العربي العقون فيما يلي:

- ضريبة العشور، تدفع على القمح وتكون عينا.
- ضريبة على الأرض وتختلف قيمتها حسب شساعة المساحة وخصوبة تربتها
- ضريبة الخمس، تدفع على الفواكه ولأشجار الصمغية.
- ضريبة على الخمر والزيت.
- تقديم الحيوانات للانتفاع بها في النقل للبيت الإمبراطوري.
- إتاة عل المراعي.
- تقديم الأعلاف للإصطبل الإمبراطوري
- ضريبة على المعادن النفيسة والمعادن المفيدة.
- ضريبة العشر على فوائد المناجم
- ضريبة على استخراج الملح من الشطوط.
- ضريبة على التزود بالماء من القنوات.
- السخرة لإصلاح الطرقات ومحطات البريد.
- الرسم على الإرث.
- الرسم على المبيعات والعبور.³

إن جمع هذه الضرائب كان يشمل سكان الحضر والأرياف على حد سواء، كما أن اغلبية الضرائب كانت جماعية فإن تهرب شخص من دفعها دفع قسطه زملائه أو من جاوره

¹ - محمد البشير شنياتي، التغيرات، ص 137.138.

² - محمد العربي العقون، المرجع السابق، ص 145.

³ - محمد العربي العقون، المرجع السابق، ص 147.

حتى أدى هذا السلوك إلى مراقبة السكان لبعضهم البعض والوشاية بمن امتنع أو تهرب من دفع الضريبة¹.

عينت السلطات الرومانية جهاز إداري محكم يتوزع فيه الموظفون على عدة وظائف للقيام بمهمة جمع الضرائب، على رأسها المحاسبون والأعوان القضائيون، الذين كانوا على أتم استعداد لانزال اشدّ العقوبات على كل من يمتنع عن دفع الضريبة² وكان هؤلاء الموظفين مسؤولون أمام المجلس البلدي والحاكم العام، على أن تحديد مقدار الضريبة المفروضة على كل مدينة من اختصاص والي الإقليم.

إلى جانب ذلك الكم اللامتناهي من الضرائب، الذي أثقل كاهل الأفراد، لم يتورع المكلفون بجمع الضرائب من إجبار الأفراد القيام بأعمال قسرية وغير قانونية أدت في كثير من الأحيان إلى سخط الناس ورفع شكواهم للإمبراطور الذي وجه خطاب في 26 ماي من سنة 403م إلى والي إفريقيا ليحذره من السلوكات الغير قانونية الصادرة من عمال البريد³، غير أن هذه الصرخة لم تكن الأخير، فقد تواصل القائمين على حياية الضرائب على استغلال الأفراد كل ما سمحت لهم الفرصة كإرغام الملمزمين على تسديد الضريبة مرتين في السنة مما أدى هذا إلى صدور قانون سنة 412م يعاقب هذا الغش عقابا صارما إلى جانب دفعهم غرامات مالية باهظة⁴

تسبب النظام الضريبي المجحف بمتاعب كبيرة لصغار الفلاحين والمستأجرين وذلك بعدم قدرتهم تسديد الضرائب مما أدى بهم إلى هجر الأرض، أو تسليمها إلى من هم أكثر شأنا مقابل حمايتهم من جور الحكام وجباة الضرائب⁵ وتحولوا من ملاك إلى عمال موسميين، منتقلين من منطقة إلى أخرى حسب الموسم، هذا الأمر الذي أفرز اضطرابات أرهقت كاهل الإمبراطورية ردحا من الزمن ونقصد هنا ثورة الدوارين التي كانت موجهة ضد

¹ -محمد البشير شنييتي، التغيرات، المرجع السابق، ص 131.

² المرجع نفسه، ص 146.

³ - محمد البشير شنييتي، التغيرات، المرجع السابق، ص 138.

⁴ - محمد المبكر، المرجع السابق، ص 87.88 .

⁵ - سيد أحمد علي الناصري، 1991، ص 449.

الملاك والمرابين وذلك انتقاما لسياستهم المجحفة ضد صغار الفلاحين¹ لتتطور هذه الفئة وتعد تحالفات مع كل من يظهر عدائه لسياسة الرومانية، كما سنرى في الفصول اللاحقة.

¹ - لأكثر من التفصيل حول قضية الدواوين انظر: محمد المبكر، المرجع السابق .

خاتمة

نستنتج مما سبق أن الحياة الاجتماعية في عهد القديس أغسطين كانت تقوم على التمايز الطبقي، ففي القمة نجد الطبقة الأرستقراطية التي تعتمد في ثرائها على الملكية الواسعة للأراضي الزراعية والضياع والتي كانت غالبا تقطن خارج إفريقيا أو على مستوى المدن معتمدة في تسيير ممتلكاتها وضياعها على وكلاء وإن أخضعت هذه الطبقة على غرار الطبقات الأخرى لدفع الضريبة إلا أنها استطاعت في كثير من الأحيان التهرب من دفعها، تليها طبقة المتوسطة والتي تمتلك مساحات متوسطة غير أنها انهارت بسبب السياسة الضريبية المجحفة التي دفعت غالبيتهم إلى خيارين إما العهد بأراضيهم لكبار الملاك تهريا من دفع الضريبة أو ترك أراضيهم وتحولهم إلى عمال موسمين ينتقلون بين الحقول، أما الطبقة العامة، التي مثلت اليد العاملة الحقيقية كانت في خدمة الطبقات الأرستقراطية إلى جانب العبيد الذين تواجدوا على مستوى المنازل أو الإدارات العامة وكذا الحقول.

أما على المستوى الفكري الثقافي، فقد عرفت اللغة اللاتينية انتشارا خاصة على مستوى البيئات التي انصهرت فيها العناصر المحلية مع الثقافة الرومانية، لتتجذب أعظم الشخصيات التي مثلت الوجه المشرف لإفريقيا على غرار أغسطين، فاللغة اللاتينية كانت لغة المعاملات الإدارية وكذا اللغة الرسمية في المدارس، في الوقت الذي بقيت فيه اللغة البونية لغة التخاطب بين الأفراد في حياتهم اليومية، أخيرا نجد على المستوى الديني انتشار واسع للمسيحية التي كانت في هذه الفترة الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية الأمر الذي جعلها تعرف خلال القرن الرابع والخامس ازدهار منقطع النظير وتكتسب كنيسة إفريقيا شهرة عالمية ومكانة لا تقل عن نظيرتها في شرق أو غرب الإمبراطورية ، لكن هذا لا يعني اختفاء الكلي للوثنية التي بقيت جذورها عالقة بين أفراد

الفصل الثاني

مولد ونشأة القدّيس اغسطين

اولا: المحيط العائلي

ثانيا: مساره الدراسي

ثالثا: بحثه عن الحقيقة

رابعا: اغسطين في هيبون

خامسا: مؤلفاته

سادسا: حصار هيبون و وفاة اغسطين

مولد ونشأة القديس أغسطين

تمهيد:

إن الاطلاع على السيرة الذاتية للقديس أغسطين في العقود الثلاثة الأولى من عمره مهمة جدا، لأنها تمكننا من فهم أبعاد أفكاره اللاهوتية وتوجهاته الدينية، الاجتماعية والسياسية التي تحمل في طياتها تراكم معرفي سواء فيما يخص التجارب الفكرية التي مرّ بها أو طبيعة التكوين الذي تلقاه مما جعله شخصية فذة مازالت محل جدل إلى اليوم وفي هذا الفصل سنحاول أن ننثر الغبار عن أدق تفاصيل حياته واهم المحطات والشخصيات التي أثرت فيه منذ الولادة حتى وفاته.

أولا: المولد و المحيط العائلي:

بمدينة صغيرة جبلية تدعى تاغست المعروفة اليوم بسوق أهراس¹ بالجزائر على نحو 100 كلم جنوب مدينة هيبورجوس (عنابة)² 180 كلم شرق مدينة سيرتا(قسنطينة)³ ولد صبيا بدويا يدعى أريليوس أغسطين في 13 نوفمبر 354م⁴ من أم مسيحية تدعى مونيك(Monique) ذات أصول بربرية⁵ وأب وثني يدعى بتريكيوس (Patricuis) مواطن بسيط ذو أصول رومانية⁶ ومن ملاك الأرض الصغار، يشغل وظيفة رسمية في الحكومة المحلية، رغم وثنيته كان متساهلا مع الدين المسيحي الذي كانت تمارسه زوجته ويبدو انه لم يكن يمانع في أن يتعلم ابنه منذ الصغر التعاليم والمعتقدات المسيحية.

¹ - القديس أغسطينوس، اعترافات ، ص 2.1

² -Decourcel (Dominique), Augustin le génie de l'Europe (354-430), edition Janlate, France,1995,P28

³ -Ibid, p 28

⁴ - القديس أغسطينوس، الاعترافات، ص 1

⁵ -Djedaite.(Mahmoud), Saint-Augustin fils de thaguest et numidie, edition apic, Algerie, 2009, p06.

⁶ -Decourcel (Dominique),op cit, p37.

مولد ونشأة القديس أغسطين

شبَّ أغسطين غير متقيد بالدين ولا بقيود العفة¹، لكنه حظي برعاية عائلية سمحت له بإنهتال العلم منذ نعومة أظافره، والده بتريكوس الذي كان ينحدر من طبقة بسيطة أو بالأحرى من الطبقة البرجوازية الصغيرة كانت له بعض الممتلكات، - أراضي في ناحية تاغست-²، التي كانت تعرف كذلك بطبقة الديكورين (Decurione)³ الأمر الذي سمح له بامتلاك بعض الأراضي في تاغست هذا الأب الذي كان يواجه صعوبات مالية⁴، ورغم تلك الصعوبات فقد كان متسلحا معتمدا على طموحه أكثر من موارده في سبيل إنجاح تربية ابنه تربية تسمح له بتبوأ مكانة ضمن المجتمع الروماني وأن يصبح مدرسا أو على الأقل محاميا في مجتمع كانت فيه المحاماة والقضاء هي ذروة المجد والرفعة⁵. فهذا الأب سعى بكل جهده إلى توفير كل السبل التي تسمح لأغسطين بتلقي التربية الأمثل كما راح يجمع المال من أجل أن يوفر له أقساط متابعة دراسته العليا بقرطاج .

رغم كل هذه التضحيات من والده نجد أن أغسطين في كتابه الاعترافات لم يظهر أبدا أعجابه وتعلقه بوالده الذي كان يتحدث عنه إلا اذا تعرض للجانب المادي⁶ حيث يذكر في اعترافاته قائلا:

¹- الجيلاني (عبد الرحمان)، المرجع* - السابق، ص 91.8

²- Amand(Biechy), Saint- Augustin de L'Afrique au V^e Siècle, 1^{er}edition,Barbou fereres impremeur, libraire, 1867, p 55

³- الديكورين (Decurione) :كانوا يسمون ديكوريون (Decurione) وهي مفرد (decurio) أي عضو المجلس البلدي الذي يتكون من 100 عضو ولكن هذا الاسم اصبح يعوض شيئا فشيئا خلال القرن الرابع للميلاد باسم curiales مفرد curialis الذين كانوا يرون في مهامهم تكليفا و ليس تشريفا، إذ القيت على عاتقهم مسؤولية جباية الضرائب واقتسام مختلف الأعباء التي كانت تقع على سكان المدن والمناطق الفلاحية التابعة لها، وفي حالة فشلهم في القيام بذلك فإنهم يتعرضون لمتاعب من قبل الدولة، والواضح أن مثل هذه المسؤولية غير المكافئ عليها لم تكن تجلب احد للقيام بها بل أصبحت تعتبر نوعا ما عقوبة كان الناس يتملصون منها، ولكن الدولة عمدت شيئا فشيئا مبدأ المناصب الوراثية فاصبح الكورالي مشدودا إلى منصبه إجباريا للمزيد انظر: المبكر (محمد)، المرجع السابق، ص 59

⁴- المرجع نفسه، ص 41

⁵- القديس اغسطينوس ، اعترافات ، ص 34.31

⁶-Brown (Peter), La vie de Saint-Augustin, Trad: Jeanne marou, edition du suele, France, 2001, p 05.

مولد ونشأة القديس أغسطين

" لم يبقى احد إلا واثنى على والدي لأنه تحمل في سبيل ولده فوق طاقته، نفقة الدراسة والمعيشةكثيرون من ممن يفوقونه غنى ما ضحوا قط مثله في سبيل أولادهم"¹

من خلال هذه الشهادة التي جاءت على لسان أغسطين يظهر أن باتريكيوس كان يبذل قصارى جهده في سبيل شيء واحد وهو أن يوفر لابنه النفقات التي تسمح له بأن يعيش حياة كريمة وكذا أن يتعلم على يد أكفأ الأساتذة ما يضمن له مكانة مرموقة في المستقبل إذ كان عكس زوجته، فلم يولي باتريكيوس الأخلاق ادنى اهتمام، هذا يظهر بجلاء اكثر من خلال تعلق أغسطين بوالدته التي كانت ملازمة له في أدق تفاصيل حياته حرصا منها أن يتحلى ولدها بأسمى الأخلاق المستمدة من تعاليم المسيحية، حتى أن ذكر وفاة باتريكيوس جاءت في اعترافات أغسطين عرضا موسومة بعدم التأثير والاكتراث لموته، وقد توفى والده عندما كان أغسطين في سن السابعة عشرة من عمره²

ظل أغسطين لسنوات طويلة يواظب على حضوره الدروس المقدمة للصبيان في تاغست³ لكن في الوقت نفسه لم تكن هناك أي دلائل أو مؤشرات على ما سيكون عليه فيما بعد⁴.

بعيدا عن الدراسة كان أغسطين شابا ذكيا، كثير المطالعة، فقد كان شغوفًا بمطالعة أي كتاب يقع بين يديه، كما كان يتحدث اللغة اللاتينية منذ صغره باعتبار أنها اللغة المتداولة في البيت⁵.

قضى أغسطين وقته -خاصة العطل- في الكسل والخمول وفعل ما يحلو له خاصة وأن والده بتركيوس لم تكن له السيطرة الكافية عليه⁶، فجاب الطرق والأماكن بمعية رفاقه

¹ - القديس اغسطينوس، الاعترافات، ص 31.

² - Peter Brown, op.cit, p 16

³ - Chad wick, op cit p 7

⁴ - روبين(دانيال)، التراث المسيحي في شمال افريقيا دراسة تاريخية من القرن الأول إلى القرون الوسطى، تر: سمير مالك، د.ط، دار منهل الحياة، لبنان، 1999، ص 260.

⁵ -المرجع نفسه، ص 261.

⁶ -المرجع نفسه، ص 261.

مولد ونشأة القديس أغسطين

مع أبناء جيله حتى انهم قادوه إلى فعل الخطيئة كما يذكر في كتابه الاعترافات أين يروي لنا حادثة سرقة ثمار الإجاوص من احد البساتين فيقول:

"...لم ارتكب تلك السرقة وحدي بل أحببت مرافقة من شاركهم فيها.....لكن

لذتي الوحيدة في الخطيئة التي اشتركنا بها، لا في تذوق الإجاوصات المسروقة.¹

كان أغسطين يحظى بشعبية وسط رفقائه وفي المقابل كان يسيئ إلى نفسه حتى يترك انطباع جيدا عنه لدى زملائه حتى انه خلال فترة المراهقة كان يتباهى بارتكاب خطايا لم يقترفها قط وذلك حتى يحظى بإعجاب وامتنان أصحابه له والواضح أن أغسطين تأثر تأثيرا سلبيا بهؤلاء الأصدقاء لكن عقله كان بين مد وجزر وذلك بين تأثيرات صحبته وتأثيرات امه مونيكا.

في تاريخ العالم، كما في تاريخ الكنيسة يظهر أن الكثيرين من الرجال البارزين يدينون بصفاتهم الفذة الممتازة لأم عظيمة وعدد قليل منهم يدينون إلى أب موهوب، فتأثير الأم في الغالب يكون هو الأقوى وعلى كل حال فإن اعظم واجمل المقاطع التي وردت في كتاب الاعترافات هي تلك العبارات التي يكتب ويتحدث فيها أغسطين عن امه.

فمن خلال تصفح كتاب الاعترافات يظهر لنا مدى الاحترام العظيم الذي كان يكنه لامه مونيكا، كما يظهر لنا انه لم يقدر امه حق قدرها إلا بعد اهتدائه إلى المسيحية وهي على فراش الموت فلم تسمعه يوما يتحدث إليها بفظاظة أو بقسوة وهذا الأمر يمكن أن نصدقه وذلك أن أغسطين لم يظهر في اعترافاته معاملته الغير لائقة مع الآخرين، في حين انه اعترف بخطايا أخرى².

إن اهم الصفات التي تتميز بها القديسة الأم هو إيمانها بقوة الصلاة التي كانت من ثمراتها الأولى إيمان زوجها الوثني بالمسيحية قبل وفاته سنة 371م³.

أما الثمرة الثانية فهي اهتداء أغسطين للمسيحية بعد معاناة دامت 30 سنة (354-387)⁴، لم تجد فيها من ملجأ إلا التضرع لله بالدموع حتى سميّ بابن الدموع فرغم استسلام

¹ - القديس اغسطين، اعترافات، ص 39 .

² - القديس اغسطين، اعترافات ، ص 180.186.

³ - Ferrah (Abdlaziz), Moi Saint-Augustin auegh fies de thageste, edition apic, Algérie, 2009, p24

⁴ - Brown (Peter), op cit, p 16.94.

مولد ونشأة القديس أغسطين

أغسطين كما ذكرنا منذ الصغر إلى الطيش واللهو كما انه اطلق العنان لحياة اللهو والمجون والعبث¹، كما انخدع ببدعة ماني² غير مبالي بتوبيخ ولا نصائح امه له التي لحقت به إلى ميلانو سنة 385 م³ وذلك بعد وفاة زوجها، وراحت تطلب من كل رجال الله الأتقياء أن يصلوا من اجل ابنها بالحاح حتى شاءت الأقدار أن يلتقي أغسطين ب امبرواز⁴ الذي اثر فيه بمواعظه وإرشاداته التي غيرت قلبه إلى الإيمان المسيحي الكاثوليكي وطمئن مونيكا التي أصبحت تردد متأكدة لابنها: "لقد وعدني يسوع المسيح بأن اراك كاثوليكيًا مؤمنًا قبل موتي"⁵

¹ - القديس أغسطينيوس، اعترافات، ص 32 35.

² - ماني: ولد في بابل عام (216-277م) كان اعرجا ينتمي إلى الطبقة الأرستقراطية التي سمحت له بفضل قوت عائلته وثروتها بكسب حياض الملك شالبور الذي تثر بعمق رسالة ماني وسمح له أن ينشر كل أفكاره بحرية تامة ، ومبدأه قائم على الخير والشر، النور والظلام كما قسم الأنبياء إلى قسمين قسم صالح وقسم شرير، ادعى أن رسالته هي رسالة زر داشت و اليسوع، زعم أن آدم هو من خلق الشيطان وقد حذر اتباعه من القتل، الكذب والزنا وذبح الحيوان ودعى إلى العزلى والتبتل، لكن الأمر تغير بالنسبة إليه مع الملك الموالي بهرام الذي كان يخضع لكهنوت الديانة الرسمية، الديانة الزرادشتية فسجنه ليتوفى بعد 26 يوم. للمزيد انظر: جيو وايد نغرين، ماني والمانوية دراسة لديانة الزندقة وحياة مؤسسها، تر: سهيل زكار، ط1، دار حسان، د.م، 1985 كذلك: حسن نعمة، موسوعة الأديان السماوية والوضعية، ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، دار الفكر اللبناني، 1994، لبنان، ص 65.

³ - القديس أغسطينيوس، اعترافات ، ص 97.

⁴ - امبرواز يوس: من آباء الكنيسة القائل الذي تعتر بهم الكنيسة المسيحية ولد بمدينة تريبه (تريف أو تيراف) في بلاد الغال حوالي عام 240م، من أسرة رومانية عريقة نال حظا وافرا من التعليم فدرس القانون والآداب اللاتينية واليونانية في روما عندما خلا منصب رئيس أساقفة ميلان سنة 274م عين في ذلك المنصب بعد أن حصل على تأييد إجماعي شامل كرس حياته لخدمة الكنيسة، ولم يوقف إخلاصه للكنيسة ولأته للإمبراطورية الرومانية لاعتقاده أن المسيحية ستكون مصدر قوة الإمبراطورية وأن انتصار الكنيسة على الوثنية يوازيه انتصار الإمبراطورية الرومانية على المتبريرين، وفي نفس الوقت كان يؤمن أن قانون الكنيسة لا بد أن يخضع له كل الناس على حد سواء بما فيهم الإمبراطور نفسه وقد اثبت تطبيق هذا القانون عندما اجبر الإمبراطور ثيودوسيوس الأول على طلب المغفرة اثر المذبحة التي قام بها في نيسالونيكيا في بلاد اليونان عام 390م التي راح ضحيتها 7000 آلاف شخص اثر قيامهم بثورة انتهت بمقتل حاكمهم وبهذا اثبت امبرواز إجبارية خضوع الكل للكنيسة ومن هنا كسب امبرواز مكانة مرموقة في سلك الأسقفية والإمبراطورية توفي في سنة 397م للمزيد انظر : القديس امبروسيوس، تر: ريمون يوسف، ط1، مطبعة الدلتا، 2011، مصر .

، كذلك ، George (casali), dictionnaire de la théologie chrétienne, encyclopedia universalis et albin michel, paris, 1998, p30.33.

⁵ - القديس أغسطينيوس، اعترافات ، ص 98.

مولد ونشأة القديس أغسطين

في الثلاثين من عمره¹ تحققت رغبة الأم النقية في أن ترى ابنها مسيحيا كاثوليكيا قبل أن يأفل نجمها بـ أوستي² (ostie) في 04 ماي 387م ويذكر أغسطين في اعترافاته كلماتها الأخيرة المعبرة عن فرحتها بإيمانه واهتدائه إلى الإيمان المسيحي فيقول :

" لا شيء يطيب لي في هذه الحياة. ماذا لي فيها بعد الآن؟..... ما كان يجعلني أتعلق بها قليلا هو أن أراك قبل موتي، مسيحيا كاثوليكيا ها أني أراك بفيض مراحم الله توقف نفسك لخدمته مضحيا بكل أطايب الدنيا. فماذا لي بعد على هذه الأرض."³

لم تكن حياة القديس أغسطين جدية تماما، كان يهوى دائما البقاء في صحبة الآخرين، وكانت تحيط به مجموعة كبيرة من الأصدقاء لأبأس بذكر البعض منهم خاصة ممن ذكرهم في مؤلفه الاعترافات بإسهاب على رأسهم أليبيوس (Alipius)⁴ صديق الطفولة وفي نفس الوقت تلميذه، بالإضافة إلى نبريديوس⁵، أولئك الذين كانت أذواقهم تتناسب مع ذوقه، فقد كان يبتهج كثيرا بالتحدث اليهم، تلك الاحاديث التي كانت مفعمة بالحيوية

¹ - Brown (Peter), op.cit, p 16.

² - اوستي (ostie): ميناء كبير، شبيد من طرف كلاوديوس Claudius بالقرب من مدينة أوستي، عرف حركة توسيع في عهد تراجان Trajan و سبتيم سيفير Septim Sèvère الذي وسع مرافقه وإعاد تشييد منشآته ، حيث كان يخزن بهالقمح الذي يأتي من إفريقيا عبر قرطاج وقد شهد هذا الميناء وفاة والدة أغسطين مونيكا . لأكثر تفصيل أنظر: Texier Charles. Mémoire sur les ports situés à l'embouchure du Tibre : le port d'Ostie, le port de Claude, le port de Trajan, C. R.S. A.I., 1^e année, 1857.

³ - القديس اغسطين، اعترافات، ص 186 .

⁴ - البيبيوس: ينحدر من عائلة كريمة في تاغست، وهم اصغر سنا من أغسطين، تتلمذ على يده في مسقط رأسه ثم في قرطاج، وقد شهد له أغسطين بالذكاء والنبوغ منذ الصغر، كان شديد الإعجاب والتعلق بأغسطين الأمر الذي أتاح لهذا الأخير أن يكون سببا في انتشاله من الرذيلة والأخلاق السافلة التي تأثر بها في قرطاج والتي رمت به في ملاهي الملاعب الرومانية ؛ اعتنق البيبيوس المذهب المانوي مع أغسطين وصدق أكاذيبهم كما لحق بأغسطين إلى ميلانو أين شغل منصب مساعد قضائي حيث مثل قمة النزاهة والاستقامة في عمله القضائي وقد اهتدى إلى الإيمان المسيحي مع أغسطين ورجعا معا إلى إفريقيا ليتولى تسيير شؤون كنيسة تاغست باعتباره اسقفا لها انظر: أغسطين، اعترافات، ص 113.107.

⁵ - نبريديوس: نولد بتاغست، ينحدر من عائلة غنية تملك ثروات بالقرب من قرطاج، كان صديق الطفولة الحميم لـ ق.أ. انتقل معه إلى ميلانو بحثا عن الحقيقة والحكمة لكنه لم يكن حاضرا في محاورات كاسيسياكوم (386-387م)، اعتنق المسيحية بعد أغسطين بفترة وتظهر المراسلات المتبادلة بينهما طبيعة نبريديوس المتعبة في الوصول إلى المعرفة بطرحه الدائم للأسئلة الفلسفية التي ردّ عليها أغسطين في سبع رسائل توفي في سن مبكر سنة 391م للمزيد أنظر: Alland Fitzgerald, Encyclopédie St.Augu la méditerranée et l'europe Ive-XXXIe siecle, éd le Serf, France, 2005, p 1000 كذلك: Augu.St, lettre VI V VII

مولد ونشأة القديس أغسطين

والنشاط، وكان يستمتع بالأفكار والآراء الحية التي كانت يبيدها أولئك الشباب، لقد تحدث أغسطين بحرارة عن الحوار والضحك والاحترام اللطيف والمتبادل ودراستهم المشتركة للفصاحة والبلاغة وعن الصداقة التي تظهر أحيانا جدية وأحيانا أخرى مرحلة¹ الملاحظ أن أغسطين كان بطبعه اجتماعي، فلم يعرف في حياته طابع الانعزال عن الآخرين، فقد كان دائم الانفتاح على الأصدقاء كما كان أميل إلى اللقاءات مع الآخرين، وقد كان لهذه العلاقات المختلفة تأثير كبير على تكوين شخصيته²

ثانيا :مساره التعليمي:

في سن السادسة التحق أغسطين كجميع اقربائه بالمدرسة بمسقط رأسه (أنظر الشكل رقم 04) ب تاغست³ أين تلقى المبادئ الأولى في الكتابة والقراءة والحساب؛ لم يظهر على أغسطين في هذه المرحلة أي ذكاء أو فطنة أو حب للتعلم⁴، بل عانى من عقاب الأساتذة له، بسبب تكاسله وتقاعسه في إنجاز واجباته⁵، إذ كان الضرب من الوسائل المتبعة في المدرسة آنذاك ، وهي طريقة استحسنها كل من الأساتذة وأولياء التلاميذ، كطريقة لإخضاع المتعلمين للطاعة، غير أن هذا العقاب والأسلوب الممل كان عامل تنفير لأغسطين اتجاه المدرسة ، إذ يقول :

"... كرهت الدرس والأسلوب المتبع، إرغاماً لي عليه، ومع اني نفرت منه فقد اكرهني عليه"⁶

عانى أغسطين من صعوبات في تعلم اللغة اليونانية التي اظهر كرها شديدا لها⁷ و لم و لم يتمكن من تلقي قواعد متينة في هذه اللغة الأمر الذي حال دون أن يستطيع تعويض

¹ - نفسه، ص 107. 11 .

² -علي زيعور، اغسطينوس (مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسطية)، ط1، دار اقرأ، لبنان، 1983، ص 115.

³ - Amand (Biechy) , op cit , p 56

⁴ - Ibid.

⁵ - القديس اغسطين، اعترافات، ص 19.

⁶ - المصدر نفسه، ص 19. 20 .

⁷ -Alaville Sévérien,op cit, p388.

مولد ونشأة القديس أغسطين

نقصه فيها فيما بعد فالمختصون يؤكدون على أن اغسطين إلى غاية سنة 400م مازالت معرفته باللغة اليونانية ضعيف ومتواضعة جدا لا تتعدى استعمال مصطلحات تقنية في الفلسفة¹ فاللغة اليونانية ظلت لغة غامضة بالنسبة لأغسطين حتى أواخر² عمره على عكس اللغة اللاتينية التي اظهر فيها مهارات منذ صغره فرغم جهله لكثير من الكلمات اللاتينية إلا أن تعلمها كان ايسر واسهل باعتبار أنها اللغة التي كانت متداولة في محيطه³، عموما كان التعليم الابتدائي ذا أهمية كبيرة لأغسطين إذ استطاع من خلال أن يقرأ ويفهم كل ما يقع تحت يديه من كتب.

في حوالي 365م⁴ انتقل أغسطين إلى مادور⁵ من أجل إكمال تعلمه⁶، لتظهر في هذه المرحلة مهارات أغسطين البلاغية، إذ تفوق على أقرانه واستطاع تعلم فن التعبير عن نفسه، فتمكن من جذب مستمعيه بجعلهم يضحكون تارة ويبكون تارة أخرى⁷، كما استطاع أن يعبر عن غضب والم الآلهة، جونو من خلال سرد قصتها على المسرح. كان معظم أساتذة مادور وثنيين الأمر الذي جعل التعليم ذا طابع كلاسيكي وثنى فقد ارغم أغسطين وأصدقائه على حفظ واستظهار عن ظهر قلب أشعار هوميروس، فرجيل، شيشرون، ويتوجب عليهم شرحها بدقة⁸، فقد كانت العلوم ذات طابع أدبي محض.

¹ -Denis(Bost), Saint-Augustin et la vie monastique, edition publisud, Paris, 2000,p 12

²-Brown (Peter), op.cit, p 32 .33

³-القديس اغسطين، اعترافات، ص 20 .

⁴-Brown (Peter), op.cit, p 16.

⁵ -مادور: أسست مادور في القرن 03 ق.م لتصبح في عهد ماسينيسا من اهم مراكز حراسة التخوم الجنوبية على مشارف بلاد الجيتول، بعد الاحتلال الروماني وفي عهد العائلة الفلافية Flavii وقع اختيارها كموقع لاستيطان جمع من قدماء الجنود الرومان، استندت اليهم مهمة مراقبة تحركات قبيلة الموزولامين، ثم اندمجت هذه المنطقة بمستوطناتها مع الوسط الاجتماعي الإفريقي وهي التي أنجبت ابوليوس الذي كان مثقف ثقافة لاتينية يونانية متكاملة و منسجمة تماما مع الحضارة الرومانية رغم افتخاره و اعتزازه بأصلته النوميديية الجيتولية معا انظر: المحجوبي عمار، ابوليوس، ط 1، بيت الحكمة، تونس، 1998، ص 08 .

⁶ - القديس اغسطين ، اعترافات ، ص 31

⁷-Brown (Peter), op cit , p 42.

⁸-Ibid , p 43

مولد ونشأة القديس أغسطين

ما أن اكمل أغسطين دروسه بـ مادور عاد إلى مسقط رأسه تاغست حوالي 369 م¹ وفي السنة الموالية لم يستطع أغسطين الرجوع إلى صفوف المدرسة، فقد كان عليه أن ينتظر سنة كاملة، فقد التمس باتريكيوس في ابنه الفطنة والذكاء ولم يشأ تركه إلا بين أيدي آمنة² لكن مصاريف الدراسة وأتعاب التنقل كانت باهظة ولم يتمكن باتريكيوس من جمع المال الكافي لذلك³ الذي يسمح له بإكمال دروسه في قرطاج، فشكلت هذه السنة منعرجا في حياة أغسطين، فأمام عدم امتلاك أبيه السيطرة الكافية عليه جعله يسترسل في فعل كل ما يحلو له⁴ فكانت سنة اللامبالاة، واللهو، والهمجية مع زمرة من الأصدقاء الخلاء⁵، الذين عمدوا إلى المساس بأقدس المحرمات ووقعوا في المفاصد بحثا عن الملذات حتى وصل به الأمر إلى عصيان والدته التي ضرب بنصائحها عرض الحائط.

في سنة 370 وصل أغسطين إلى قرطاج لإكمال دراسته العليا⁶، وحتما كانت الحياة الحياة بهذه المدينة أكثر تشويقا لشباب أتوا من مدن صغرى، باتجاه مدينة كبيرة كانت تمثل رمز الحرية، حتى وصفها أغسطين بمرجل الشهوة المدنسة⁷، ففي هذه المدينة اتخذ عشيقته⁸ عشيقته⁸ إشبعا لشهواته في حوالي 371م، والتي أنجبت له ابنا في حوالي 372م سمّاه اديوداتوس⁹ أيّ عطية الله¹.

¹- Ibid , p 44.

²-Louis Bertrand , **Saint Augustin** , Arthème fayard et cie, France, 1913, p 77.

³-القديس اغسطينيوس، اعترافات، ص 32 .

⁴- روبين دانيال، المرجع السابق، ص 261 .

⁵- القديس أغسطينيوس، اعترافات، ص 33.

⁶- Brown (Peter) , op.cit , p 16.

⁷-جاريث ب.ماتثور، **اغسطين**، تر: ايمن فؤاد زهري، ط1، آفاق للنشر التوزيع مصر، 2013، ص 24.

⁸ - قدم أغسطين من خلال كتابه اعترافات كل ما اقترفه من محرمات وجاء الكتاب بأدق تفاصيل حياته غير أن اسم عشيقته ظل غائبا ولم يذكره رغم انه ظل وفيها لها حوالي 15 سنة؛ وبعد انتهاء العلاقة بينهما ورجوعها إلى إفريقيا لم يتخلى أغسطين عن ابنه الذي ظل بجانبه، انظر: القديس اغسطين، اعترافات.

⁹ - تمييز اديوداتوس بالذكاء الحاد وقد ظل إلى جانب والده في إيطاليا وشارك في المناقشات التي كانت دائرة في كاسزياكوم، ولقد كانت قدراته العالية على تحليل الأمور محل اهتمام من طرف والده، تمّ تعميده على يد امبرواز في ميلان في نفس وقت معمودية والده أغسطين و صديقه البيبيوس في 24-25 أبريل سنة 387م ويفترض أن كتاب أغسطين المعلم عبارة عن محاوره بينه وبين ابنه اديوداتوس، شهد وفاة جدته مونيكا على ميناء اوستي، عاد مع والده إلى تاغست

مولد ونشأة القديس أغسطين

كانت الاستتارة العقلية الأولى لأغسطين مع شيشرون، فخلال دراسته العليا بقرطاج اطلع على كتاب هورتنوس إذ يقول:

" في سن التاسعة عشرة من عمري اكتشفت في صف الخطابة كتابا لشيشرون اسمه هوثيوس فاضطرت حبا للفلسفة وفكرت على الفور، في أن اقف نفسي على دراستها"²

فتح كتاب هورثيوس أمام أغسطين أفق جديدة فخلال تكوينه الكلاسيكي ارتكز أغسطين كل الصور التي انبثقت عن الإبداعات الأدبية وبكل أشكالها³ الخطابة نظريات المعرفة بكل أساليبها التاريخية، السياسية، علوم المنطق والبلاغة. إن التعليم في فترة أغسطين كان مرتبط على العلوم الأدبية المستقاة من كتب كبار الشعراء والفلاسفة اللاتين والإغريق، وسجل غياب واضح للمواد العلمية بخلاف تدريس الحساب.

تابع أغسطين دروسه في البلاغة والفصاحة أملا أن يسمو إلى تقلد منصب في القضاء أو المحاماة، باعتبار أن هذه الأخيرة كانت اسمى المهن في تلك الفترة⁴، وقد اظهر أغسطين في هذه المرحلة تفوقا كبيرا على أقرانه الأمر الذي أهله إلى فتح مدرسة لتدريس الخطابة وذلك بمساعدة وتمويل احد مواطني تاغست الأثرياء، كان يدعى رومنيانوس⁵ الذي تكفل بكل مصاريف تعليمه بعد وفاة والده في 371م⁶، إذ يقول: "... تغلبت على شهوات فرحت ادرس الخطابة و أبيع هذا الفن..."⁷

حيث واصل تعليمه، إلا انه توفي حوالي 389م للمزيد انظر: أغسطين، اعترافات، وآلان د. فيتزجيرالد، المرجع السابق، ص 105 .

¹-جاريث ب.ماثيور ، المرجع السابق ، ص 24 .

² -القديس أغسطينوس، تعليم المبتدئين أصول الدين المسيحي، في الحياة السعيدة، في الكذب، تر: يوحنا الحلو، ط1، دار دمشق، لبنان، 2007، ص 92 .

³ -Denis (Bost), op.cit, p 17

⁴- القديس اغسطينيوس، اعترافات، ص 44 .

⁵- Amand (Biéchy), op.cit, p 61.

⁶-Brown (Peter), op.cit, p 46.

⁷ - القديس اغسطينيوس، اعترافات، ص 58 .

مولد ونشأة القديس أغسطين

ومن ثمة تبحر اغسطين في دراسة أمهات الكتب ككتاب هورتونيوس¹ لشيشرون وكتاب أرسطو " المقولات العشر" التي رغم صعوبتها استطاع فهمها وحده في حين عجز الكثير بمساعدة أساتذته على فهمها غير أن عدم انضباط الطلاب في قرطاج دفع باغسطين إلى التفكير في السفر إلى روما آملا في معاش افضل ومركزا اعلى وطلابا اكثر انضباطا².

ثالثا: رحلة بحث عن الحقيقة:

تميز أغسطين بعمق تأملاته، وشغفه الشديد بالفلسفة فكان لا يفوت أي فرصة تسمح له بقراءة كتاب فلسفي، فضلا عن ميله إلى تغليب العقل في تفسير كل الأمور، فكان رافضا لفكرة الإيمان قبل الاقتناع، الأمر الذي جعله يعتقد ويؤمن بعدة مذاهب وأفكار قبل أن يصل إلى الإيمان المسيحي، على أن كل محطة استوقفت واستهوت أغسطين بقي لها أثر واضح في توجهاته وأفكاره، وفي ما يلي سنحاول أن نتوقف عند كل المحطات التي مرّ بها أغسطين قبل أن يعتنق الإيمان المسيحي.

1-اغسطينيوس بعد هورتونيوس:

في سن الثامنة عشر وخلال تكوينه الأدبي (بلاغة و خطابة) في قرطاج، اطلع أغسطين بكل حماسة على كتاب "هورتونيوس" لشيشرون³ سنة 372⁴ هذا الكتاب الذي ضاع ولم يبقى منه إلا أجزاء قليلة، شيشرون هذا الفيلسوف الأصيل استوحى بدقة أفكاره الفلسفة من أرسطو الذي قلده في كتابه "بروتروبوتيك"⁵ فهرتونيوس وبروتروبوتيك كانا

¹-هورثنيوس: كتاب وضعه شيشرون في أربعين شهرا اثر وفاة زوجته، ضاع و لم يبقى منه إلا أجزاء، يحث شيشرون في مؤلفه ضرورة التفلسف التي تكسب الإنسان ثقافة واسعة، كما عرض عدة مذاهب فلسفية وتحدث عن الفضائل الأساسية واحتقار الثروة والملذات وضرورة الاستعداد إلى حياة ما بعد الموت وفي الفصل الاير يتحدث عن السعادة من حيث هي مبتغى كل إنسان، انظر: علي زيعور، المرجع السابق، هـ. ص 127.

²- المصدر نفسه، ، ص 87

³-القديس اغسطين، اعترافات، ص 45

⁴-روبين دانيال، المرجع السابق ، ص 150 .

⁵- Saint-Augustin, confission, op cit, p 85.86.

مولد ونشأة القديس أغسطين

عبارة عن نصائح وإرشادات إلى الحكمة والحياة الروحية والبحث عن الفلسفة¹ فشيثرون أعاد اخذ الحجج الأكثر شهرة لبروتوروتيك التي تقول:

"إذ كان يجب التفلسف يجب حقا التفلسف وإذ كان لا يجب التفلسف يجب أيضا التفلسف لان أهمية عدم التفلسف لا تكشف بلا حجج التي هي من الفلسفة"²

فشيثرون بعد أرسطو وضع الحكمة فوق الثروة والشهوات وكل منفعة دنيوية كما عبر عن الفلسفة ببلاغته المعهودة أنها مدرسة علم وفضيلة ووسيلة للحياة السعيدة³ ومن هنا سيطرت على فكر أغسطين مدى حكمة هذا الفيلسوف العظيم وبدأ شغفه بالبحث عن الحقيقة⁴، فقد جاءت هذه القراءة في وقت سعيد "مبهج" أين صرامة الحياة امتزجت بحماسة الشباب لتمارس على فكر أغسطين تأثير مزدوج ، فأشار إلى الأول بكل وضوح في اعترافاته، حيث أراد لأمنيته وطموحاته المغرورة أن تتغير فقد وضع آنذاك الحكمة فوق كل شيء ومن حيث لا يعلم رجع إلى الله، منبع الحكمة؛ أما الثاني فيكمن أن "هوتونيوس" أثار فيه روح التفلسف وتاريخها وأعطته اللذة التي دفعته إلى البحث عن الحكمة الأزلية⁵ وعن الحقيقة إذ يقول في اعترافاته :

"....فأثر على نفسي وحول إليك أيها الرب، صلواتي وقلب رأسا على عقب جميع تمنياتي، وأماني حتى اصبح لدي كل امل وباطلوبقوة غريبة اشتهدت الأزلية وأخذت انهض وأعود إليك."⁶

على الصعيد اللغوي اعجب أغسطين يتلك التعابير الفصيحة والأدب الرفيع الذي جاء في كتاب شيثرون ومن ثمة ظهر لأغسطين مدى ركاكة وفقر الكتب المقدسة الذي انكب على دراسته تحت تأثير امه ذلك التأثير الذي كان يجذبه للعقيدة بينما ميله العقلي يجذبه إلى

¹-Djediate (Mahmoud), op.cit, p 9.

²-Saint-Augustin , confission , op.cit , p 87

³- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، د.ط، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، 2013، ص 25

⁴ القديس اغسطين، اعترافات، ص 45.

⁵- المصدر نفسه ، ص 45.

⁶- المصدر نفسه ، ص 45

مولد ونشأة القديس أغسطين

الفلسفة¹ لكن رداءة الترجمات اللاتينية أظهرت الكتاب المقدس ذا ما قورن بكتابات شيشرون المصقولة و المنمقة انى مستوى ، فقد كان اعتقاد أغسطين أن الكتاب المقدس هو كتاب يناسب إلا ذوي العقول البسيطة الساذجة فقد اعتبر الكتاب المقدس مملوء بالمتناقضات ولم يكن غروره ليسمح له بأن يطلع على هذا الكتاب بنفسه وبذهن متفتح²

وفقا لما سبق ذكره نقول أن "هورتونوس" في سن الثامنة عشر ايقظ وشكل فكر أغسطين إلى الإيمان على الصعيد المعنوي والفكري فمن خلال هذه القراءة شخصيته الفكرية أخذت سمتين التي تزداد فيما بعد إلى الميل لتذوق الخير والحقيقة والبحث في المستقبل عن العيش وفقا للفكر، بالإضافة للتأمل الفلسفي؛ هذه الانشغالات المضاعفة وهذا الضغط المستمر بين الحياة والتفكير سيحققان شيئا فشيئا تحوله فهورتونوس هو الذي نبه بشكل من الأشكال فكر أغسطين ضد كل الأفكار الإيمانية³ العقلانية⁴، إذن هذا الكتاب هو الدافع الأول لأوغسطين للبحث عن الحكمة، التي تسمى في اللغة اليونانية الفلسفية⁵ أما تحريض شيشرون الشديد لطرح الأسئلة لا لمذهب معين بل من اجل الحكمة عينها وهي التي شكلت انطلاقة أغسطين نحو رحلة بحث طويلة عن الحكمة الأزلية.

لكن حماس أغسطين خف اتجاه هذا الكتاب لأمر هو اسم المسيح غائب عنه، إذ أن كل كتاب يخلو، منه اسم اليسوع كان لا يخلو له كثيرا أيًا كان أدبه، طرفه، نسقه، فلسفته⁶

¹ زينب محمد الخضيرى، لاهوت التاريخ عند القديس أغسطين، ط1، دار الثقافة للنشر و التوزيع، مصر 1992، ص 12.

² روبين دانيال، المرجع السابق، ص 263 .

³ النظرية الإيمانية: هي النظرية المعرفية التي ترى تناقض بين العقل والإيمان، حيث يكون هذا الأخير متفوق على العقل في الوصول إلى الحقائق واللاهوتيين والفلاسفة استجابوا بطرق مختلفة إلى مكانة العقل والإيمان في تحديد حقيقة ميتافيزيقيا الأفكار انظر: موسوعة الوكيبيديا على الرابط: <https://ar.wikipedia.org/wiki/>

⁴ النظرية العقلانية: نظرية فلسفية قائمة على العقل في ميادين المعرفة والأخلاق أي أنها تعتمد على المنطق والاستنتاج في الوصول إلى حقيقة الأشياء بدلا من المعايير الحسية انظر: سهيل ادريس، المرجع السابق، ص 1020، كذلك موسوعة ويكيبيديا على الرابط <https://ar.wikipedia.org/wiki/>

⁵ -Djdeiate (Mahmoud) , op.cit , p 94.

⁶ القديس اغسطين اعترافات ، ص 46 .

2-المانوية:

انكب أغسطين بكل كيانه على دراسة أمهات الكتب في عصره بحثا عن الحكمة والحقيقة الإلهية، وقد احتك خلال بحثه الدائم عن الحقيقة بجماعة دينية كانوا يعرفون بالمانويين، هذا المذهب الديني كان يقوم على أساس تقديم تفسيرات وتعليقات لوجود البشر، الأمر الذي بدا معقولا بالنسبة لأغسطين كما انه وفي وقت عينه كان يسمح هذا المذهب للخطأ أن يلقي ملامه على قوى خارجية فيما يتعلق بالشرور¹.

تعود بداية المانوية إلى حوالي 240م، بإقليم بابل، وسميت بالمانوية نسبة لمؤسسها ماني² (21-276 ق.م)، الذي اطلق على نفسه اسم خاتم الأنبياء ورسول الجيل الأخير. مزجت المانوية بين المزدية، المسيحية والبوذية³ وقد ظهرت المانوية بمظهر عرفان أو وحي موسع بمثابة ديانة حقيقية؛ اعتبر ماني نبيا لها وسمي نفسه بالملمه وانه النبي الأخير لسلسلة طويلة من الرسل السماوية المبعوثة إلى الإنسانية واعتبرت المانوية احدث عهدا من الزرداشتية⁴ والبوذية والمسيحية، وانها النور الاسمي الذي يكشف الحقيقة التامة للبشرية وجاءت لتسير على خطى أسلافها لإتمام تعاليمهم.

أما وحي ماني فيتمثل في كونه مطلع على حقيقة الإنسان الطبيعية زاعما أن الخلق هو نتيجة مزج بين جوهرين هما الروح والمادة وأن هذين الجوهرين كانا منفصلين قبل السقوط

¹ - روبين دانيال، المرجع السابق، ص 263

² - اندريه ايمار، المرجع السابق، ص 632 .

³ - **البوذية:** Bouddhism نسبة لـ بوذا والتي تعني المستنير، المنتور، المستيقظ وهي من القاب مؤسسها "سدرهاتا حوتاما" (563-383 ق.م) ظهرت في شمال الهند (القرن 06 ق.م) تعتمد في جوهرها الى التحرر بنور البصيرة وانتشر انتشار واسع و مازالت قائمة بمعابدها إلى اليوم انظر: صلاح قنصوة، المرجع السابق، 2006، ص214، ص 138.

⁴ - **الزرداشتية:** نسبة لزرداشت ولد عام 598 أو 599 ق.م وتوفي في 522 أو 521 ق.م، تدعوا الزرداشتية بشكل عام إلى التنازل والتعمير والعمل المخلص، لا تؤمن بالملائكة والشياطين كما يقوم جوهر تعاليمها على ثنائية مبدئين متضادين هما مبدأ الخير والنور أو الظلام اللذان يمثلان في الاهان اهورامزاد وهو أساس كل ما هو خير اهريمان ويمثل الشيطان أي الشر، والعالم وفق هذا يعيش صراع دائم ومتواصل، لها أساء منها المزدية الحديثة، أو المزدوية، مزدسيني انظر: حسن نعمة، المرجع السابق، ص 64 م، كذلك حسين علي حمد، **قاموس المذاهب والأديان**، د.ط، دار الجيل، 1998، لبنان، ص107. كذلك السيد محمد غانم، **الزرداشتية(تاريخا وعقيدة وشريعة دراسة مقارنة)**، ط1، خطوات للنشر والتوزيع، سوريا، 2006.

مولد ونشأة القديس أغسطين

ومآلهما هو الانفصال من جديد¹ ومن هنا رأى المانويين بان الحياة هي صراع ابدى بين النور والظلمة، بين الله والشيطان، بين الخير والشر²، بين الروح والجسد كما أن الجسد ليس إلا سجنا للروح، فقد اعتبروا انه من الإجرام انجاب الأولاد والإتيان بهم الى هذا العالم كما حكموا على العلاقات الجنسية ككل واعتبروها شرا عظيما³ كما حرموا القتل وشرب الخمر واكل اللحم، وبهذا فقط يتم انتشار الروح من المادة والنور من الظلمة⁴

اقتبست المانوية من البوذية الفكرة القائلة انه اذا استمرينا في النجاسة فإننا نؤدي بأنفسنا الى ارتكاب اللامتناهي من الخطايا والذنوب؛ كما استمدت المانوية من الديانة المسيحية فكرة اللأم .

فالمانوية كديانة تمثل خليط من العقائد كالمسيحية، البوذية وعقائد أخرى، فالمانوية مذهب يوفق بين المذاهب المتعارضة والمختلفة ويمكن تلخيص مميزات المانوية في ثلاث صفات:

1- فهي ديانة علمية: فالإحياءات السابقة كإحياءات أبرهام، بوذا، زراتوسترا وعيسى كانت موجهة إلى مناطق محددة كفلسطين، الهند، بلاد فارس والمغرب، بخلاف مذهب ماني الذي كان تبشيرا إلى كل الجهات والى كل الشعوب في كل الأماكن كإحاء قطعي⁵

2- المانوية ديانة مكتوبة بينما مؤسسي الديانات السابقة لم يكتبوا شيئا وقدموا رسائلهم وفقا لزيغ وضلال وهرطقة⁶

3- المانوية ديانة تبشيرية فقد عرفت المانوية توسعا مدهشا خلال القرن الثالث⁷ والرابع للميلاد إذ وصلت إلى مصر، فلسطين، آسيا الصغرى، اليونان، شمال إفريقيا ،

¹ - جان يويو، اوريجانيس باحث مولع بالحقيقة، تاريخ الكنيسة المفصل، مج1، تر: انطوان الغزال وصبحي حمودي اليسوعي، دار المشرق، ط1، 2002، لبنان، ص 119.120 .

² - اندريه ايمار، المرجع السابق: ص 632 .

³ - المرجع نفسه، ص 120.

⁴ - جان يويو ، المرجع السابق، 120.119

⁵ -Tshibangu (T.A.O), op.cit, p 13

⁶ - Saint-Augustin, Confission, op.cit, p 12

⁷ - Ibid, p 212 .

مولد ونشأة القديس أغسطين

روما، بلاد الغال ويدون شك إلى إسبانيا أيضا¹ ففي قرطاج وهيبيورجوس كانت هناك نحل ومجموعات من المانويين تضم رهبانا قد عزموا على اتباع سياسة التقشف الشديد ، كما عمدوا إلى العزوبة، وذلك ن أجل الوصول إلى الكمال كما نجد نحل ومجموعات أخرى قد درست الكتابات الضرورية والمشددة والتي تفيد في، الوصول إلى الكمال² ، فقد كان محظورا عليهم مثلا قتل أي كائن حي حيوانا كان أم نبات فالمانوية حسبهم معرفة لاهوتية أي معرفة عليا لنخبة تتقن أصول الفلسفة وتكشف عن الحقيقة والظلمات بخطها العقائد وتعد بالخلاص والنجاة³

حققت المانوية انتشارا واسعا فلم تبقى حبيسة شيعة أو حركة سرية كما هو الحال الغنوصية⁴ مثلا فماني حاول أن يحاكي النظام الكنسي المسيحي وذلك بتأسيس كنيسة على غرار الكنيسة المسيحية التي قسمها إلى جزئين الأول يمكن من خلاله الفرد أن يهب نفسه للكنيسة ويعيش في زهد متنازلا عن كل شهوات الحياة تحت ما يسمى "الجهاد الروحي" أما الجزء الثاني فهو نظام "المستمع" والذي يضمن استمرار الكنيسة وذلك بعمله وزواجه عانت المانوية بمرارة كبيرة في كثير من الأماكن كره واضطهاد النحل والديانات الأخرى لا سيما من طرف المسيحية⁵ وعلى العكس من ذلك نجد أغسطين يقرّ في اعترافاته اعترافاته وهو في سن التاسعة عشرة من عمره، كان قد استهواه اله المانوية فقد كتب في اعترافاته يقول :

¹ - روبين دانيال ، المرجع السابق ، ص 264 .

² - Tshibangu (T.A.O), op.cit , p 13

³ - Ibid, p 13.

⁴ - الغنطوسية Gnosticism: وهي صوفية تزعم أنها المثل العليا للمعرفة، نشأت قبل المسيحية، ترجع بأصلها الى وحي انزله الله منذ البدء وتناقله المريدون سرا، وتعد متبعتها بكشف الأسرار الإلهية وتحقق النجاة لهم، كانت الغنطوسية تعد الأديان والمذاهب بالتأويل والتحويل مدعية تحويلها الى معنى اعمق، غايتها الوصول الى معرفة الله بكل ما في النفس من قوة وحسد وعاطفة انظر : : يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، د.ط، دار المعارف، 1970، ص244.

⁵ - روبين دانيال، المرجع السابق، ص 264.

مولد ونشأة القديس أغسطين

"طول تلك السنوات التسع الممتدة بيت التاسعة عشرة و الثامنة و العشرين من عمري كنا فريسة لشهوات مختلفة كنا نغزي الناس ويغزوننا، ونخدعهم و يخدعوننا تارة علنا بواسطة العلوم (الحرّة) و تارة أخرى سرا تحت شعائر الدين الكاذبة"¹.

لم يرق لمونيكا أن ترى ابنها ينزلق اكثر فأكثر وراء خرافات المانوية حتى وصل بها الأمر إلى طرد ابنها من البيت² كما رفضت لهته ووراء الشهوات والمغريات الجسدية- ونقصد هنا علاقته الغير شرعية مع أم ابنه (اديو تاسيوس) - لذا عازمت على أن تستعين بأحد نظار الكنيسة، كان هو نفسه قد اعتنق المذهب المانوي عسى أن يبين أخطاء و أكاذيب هذه الطائفة ويشرح طريق الخلاص لأغسطين الذي علق ببرائثتها وفعلا تحدث هذا الناظر الى القديس أغسطين وادرك انه لا جدوى من التحدث إليه في الوضع الراهن، إذ لن تزيده هذه النصائح إلا إصرارا كما يقول المثل: " من قنع قصرا بقي على رأيه دهرا " وبالتالي لم تكن نصيحة هذا الناظر لهذه الأم إلا أن تدعوا وتصلي لأجله فالرب كفيل بإرجاعه الى رشده³ .

بقي أغسطين تسع سنوات⁴ أو عشر سنوات⁵ سمّا عا⁶ ومؤمن بالمانوية ، ممارسا ممارسا الوظائف التي تعطى عادة للأعضاء الجدد.

طوال تسع سنوات و حيث تاه فكر أغسطين في اثر المانويين كان دائم التردد والتلكك على اتباع ماني ليكشفوا له صعوباته التي تعذر عليهم حلها وكان ردّهم أن مثل هذه المشاكل والأسئلة المعقدة وسواها سيجد لها حلا كافيا وافيا لدى اتباعها⁷ فوستوس⁸ .

¹ - القديس اغسطين، اعترافات، ص 57.

² - Mandouze André. Monique à Cassiciacum (résumé, B. S. N. A. F., 1970, 1972, p 307

³ - روبين دانيل، المرجع السابق، ص 264.

⁴ - Amand (Biechy), op.cit, p 720.

⁵ - القديس اغسطين اعترافات، ص 89.

⁶ - **السامعون**: في المذهب المانوي يقصد بهم بالمعتقين للمذهب دون العمل به بعد ،مثلما كان أغسطين لطوال 09 سنوات محاولا إيجاد إجابة لعدة أسئلة كانت تؤرقه، أما اتباع المذهب الأوفياء علما وعملا كانوا يسمون بـ "الصديقين" أو " المختارين" انظر يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، هامش ص 26 .

⁷ - القديس اغسطين، اعترافات، ص 97 .

⁸ - **فوستيوس**: ابن حرفي فقير، من نوميديا اعتنق وامن بمعتقدات المانوية وصار احد أعلامها، ذاع صيته بين أفراد النحلة المانوية وذلك لما يتميز به من فصاحة استطاعت أن تستميل الكثيرين من بينهم أغسطين كما تميز بإلمامه الواسع

مولد ونشأة القديس أغسطين

تمكن أغسطين في سنة 383م بقرطاج من لقاء فوستيوس² الذي اشتهر بفصاحته التي استمالت الكثيرين، لكن أغسطين ورغم إعجابه ببيانه وفصاحته إلا انه لم يجده أكثر حكمة من غيره واستطاع أن يميز بينه وبين الحقائق التي كان يتوق إليها (الحكمة)¹ فاطلاع أغسطين على عدد من الكتب الفلسفية وأدراكه الواسع لمبادئها مكّنه من المقارنة بين بعضها وبين خرافات المانوية الطويلة فلاحظ عجز فوستوس عن شرح المواضيع التي كان يأمل في إيجاد حل لها²، فتزعزعت ثقته بالمذهب المانوي واتباعه ولم يعد يرجوا منهم تنويرا واغفل عن فهم وحل المشاكل التي كانت تعذبه إذ يقول في هذا المضمار :

"تضمنت كتب المانوية خرافات لاحد لها عن الماء و النجوم والشمس والقمر وكما تمنيت عليه لو يشرحها لي بدقة ويقارن بينها وبين سواها من الشروح المركزة على الحساب التي إذ طلعت عليها في محل آخر لكي أرى إن كانت معطيات الكتب المانوية افضل منها أو على الأقل إن كانت تشرح الحوادث الأنفة الذكر شرحا مفصلا ومقبولا بيذا اني لم اعد اؤمن بمقدرته على ذلك الأمر"³

شل حماس أغسطين لتعاليم ماني ومبادئه وخفت ثقته بإتباعه وأساتذته ، بعد أن ثبت له عجز اشهرهم على الإجابة لما كان يختلج عقله من تساؤلات وعن مصدر الشر في هذا العالم⁴.

رغم ذلك لم يقطع أغسطين اتصاله بالمانويين بل بقي على تواصل معهم وذلك لشدة حماس فوستوس بالأدب الذي كان يدرسه أغسطين لشباب قرطاج، ومع احتكاك أغسطين الشديد لفستوس وتعرفه عليه عن كثب زال ما كان يكنه من حماس اتجاه شيعة ماني⁵ واقتنع حينها بما هو عليه في انتظار فجر جديد يرشده إلى الأحسن

والمتمقق في مختلف العلوم، كان يرى أن ترك الأسرة من أب وأم و أولاد وثروة، أساس تنوق الإيمان الحقيقي، لكن كل هذا كان إلا ظاهريا فقد عاش فوستوس حياته كغيره ، فقد كان من كبار التجار ذوي النفوذ والعلم، كما كان يملك مهارة لغوية عالية الإقناع كان المثل الأعلى لنحلة المانوية انظر أغسطينيوس، المصدر نفسه، ص 79. 86. كذلك Amand Biechy,op cit, p 73

¹ -Amand (biechy) op.cit , p 73.

²-Ibid, p 73.

³ - القديس أغسطين، اعترافات، ص 85. 86.

⁴ - المصدر نفسه، ص 86.

⁵ - المصدر نفسه ، ص 85.

مولد ونشأة القديس أغسطين

بقي أغسطين على اتصال مع المانويين حتى بعد سفره إلى روما محافظا على تعاليمهم منتظرا إيجاد ما هو افضل منها غير أن حماسه قد خفّ ونفوره اتجاههم قد زاد إذ يقول: 'فبقيت على اتصال بمختاريهم دون أن أرجوا نفعاً من تعليمهم الفاسد الذي عزمت أن حافظ عليه حتى اجد ما هو افضل منه، بيد أن حماسي له قد حفّ ونفوري منه قد زاد'¹

كانت لمحاضرات اليببوس ضد المانويين تأثير على أغسطين منذ أن كان في قرطاج فقد استطاع اليببوس أن يستشهد بنصوص تصعب مقارعتها وصعب على المانويين الردّ عليها، إذ كانوا يتهربون في الردّ عليها مدعين أن كتب العهد الجديد مزورة وعلى يدّ أشخاص مجهولين أرادوا أن يدخلوا الشريعة اليهودية في الإيمان المسيحي؛ كما استطاعت عظات امبروازيوس التي كان أغسطين دائم التردد لسماعها أن تعطيه فكرة جديدة عن الإيمان المسيحي فاصبح من ضعيف على ردّ انتقادات المانويين الى قويّ خاصة بعد أن سمع بعض شروحات امبروازيوس لمقاطع العهد القديم التي كانت غامضة لأغسطين وعجز من قبل عن شرحها².

رغم هذا لم يعتنق أغسطين المذهب الكاثوليكي ولكن على الأقل توازنت أمامه كفة الميزان بين المانوية والكاثوليكية، وبات يبحث عن حجة ثابتة وقوية يقنع بها المانويين بضلال معتقداتهم، ومن ثم قطع نهائيا صلته بهم ولم يعد يؤمن بأفكارهم ومعتقداتهم إذ يقول: "...حطمت جميع خزعبلاتهم وكنستها من فكري..."³

بعد فترة دامت تسع سنوات من انخراط أغسطين في صفوف المانوية، ولّى نفورا من هرتقتهم وخزعبلاتهم التي لم يعد يرجوا نفعاً من تعاليمها الفاسدة⁴، بات فكر وأغسطين منفتحا على أية مؤثرات أخر.

¹ - القديس أغسطين، اعترافات ، ص 91 .

² - المصدر نفسه، ص 91.

³ - المصدر نفسه، ، ص 96.

⁴ - المصدر نفسه، ص 86.

3- الأفلاطونية الحديثة:

انتقل أغسطين الى روما سنة 383م¹ وذلك للتدريس بها، لكنه لم يمكث بها طويلا إذ انتقل الى ميلانو سنة 384م² كي يشغل كرسي أستاذ بلاغة³ وقد اتسمت إقامته بميلانو بتزامن عدة أحداث مهمة:

أما الحدث الأول فهو اكتشافه لمعاني الكتاب المقدس عن طريق القديس امبروازيوس، الذي قاده شيئا فشيئا إلى الإيمان المسيحي.

أما الحدث الثاني فهو بحثه الفلسفي الذي قاده الى الاعتقاد بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة⁴ دون أن ننسى الطموح الذي كان ملازما لأغسطين وذلك في أن يتقلد يوما ما منصبا عاليا ومرموقا .

في خضم مفترق هذا الطريق نجد أن امبرواز كان له تأثير خفي، ولا يستهان به في حياة أغسطين، فمن المؤكد أن امبرواز أعطى انطبعا جيدا عن الأفلاطونية الحديثة لأغسطين⁵ الذي كان مواظبا على سماع مواعظه وإرشاداته⁶، التي كانت مشبعة تكرارا ومرارا بمقولات "بلوتان" دون أن يغفل عن إعطاء تلك الإرشادات والمواعظ صبغة مسيحية فهناك من يشهد أن امبرواز كان يقتبس حرفيا من بلوتن⁷

¹ - القديس اغسطين، اعترافات ، ص 86.

² - المصدر نفسه، ص 91.

³ -Brown (Peter) op.cit, p16

⁴ - الأفلاطونية المحدثة: يمكن تعريف الأفلاطونية المحدثة بأنها محاولة لوضع فلسفة دينية، وهي مذهب قام على أصول أفلاطونية اتمه اتباعه في القرنين الثاني والثالث للميلاد، وقد تأثر المذهب باليهودية والمسيحية وبرز الأفلاطونيين المحدثين أفلوطين (205-270) ولد في ليقيوبوليس من أعمال مصر الوسطى، ولم يشرع في الكتابة إلا في حوالي الخمسين من عمره، يرى افلوطين أن الروح الإنسانية لها جانب علوي رباني يمكن ترويضها على التفكير في مراتب اسمى لتتفصل عن العالم المادي عن طريق التطهير والنقاء الروحاني التألمي؛ كما للروح جانب ادنى أيضا يمكن أن يجعلها تندس نفسها في العالم المحسوس إذ لم تستعن بفلسفة الزهد و الورع ، ترجمت بعض رسائله الى اللاتينية في القرن الرابع للميلاد و وجد فيها القديس أغسطين عونا كبير و تأثر بها بما تأثير للمزيد انظر: يوسف كرم، المرجع السابق، ص 285-298 كذلك سهيل البشروي، المرجع السابق، ص 171.

⁵ -Tshibangu (AT.A.O), op.cit, p 16

⁶ - القديس اغسطين ، اعترافات ، ص 101 .

⁷ - المصدر نفسه ، ص 146 .

مولد ونشأة القديس أغسطين

وقعت بعض كتب الفلسفة الإغريقية بين يدي القديس أغسطين من جماعة الأفلاطونيين المحدثين، والتي كانت قد ترجمت الى اللاتينية بواسطة احد اهم واشهر معلمهم يدعى فكتوريانوس (victorinus)¹ الشمالي، ومن المؤكد أن أغسطين قد أعطى كتاب "التساعات" اهتماما كبيرا ويظهر انه قراه بعمق إذ نستشف ذلك من خلال إشارات كثيرة عن هذا الكتاب في اعترافاته؛ انتقل أغسطين بعد اطلاعه على الأفلاطونية المحدثه من النزعة المادية الحسية الى النزعة العقلية الأفلاطونية المحدثه كما يقول عبد الرحمان بدوي: " الفلسفة الخالصة التي لا تعرف الإيمان إلى الفلسفة المؤمنة، أي تقوم على الإيمان"²، فالأفلاطونية المحدثه كانت قائمة على فكرة مفادها أن اله الواحد مصدر كل وجود وسلطة كما اعتبرت العقل مصدر العدالة والقانون³

سمحت هذه الكتابات لأغسطين أن يدرك طبيعة الله الروحية ،وان الحقيقة ممكنة التعلم وقابلة لان تعرف وأن الله هو الكائن الاسمي ،اللامتناهي الأبدي وهو النور، كما ادرك أن الشر ليس جوهرًا بل هو حرمان ونقص في الإنسان⁴ وأن حدوث الشر إنما يكون بسبب بسبب سوء استخدام الإنسان لإرادته الحرة⁵. كان هذا نقطة تحول بالنسبة لأغسطين فقد ادرك أن هذين المبدئين اللذين اقتنع بهما كانا في حقيقة الأمر ليس من مبادئ الأفلاطونية فحسب ولكن كذلك من مبادئ المسيحية.

استطاع أغسطين أن يستفيد من الفلسفة الأفلاطونية بطريقة إيجابية وذلك حين إنتهل منها الكثير من المعارف وفي نفس الوقت رفض بعض الآراء التي لم يقتنع بها مقدا آرائه المعاكسة لها ورغم موقفه السلبي لبعض القضايا لم يمنعه هذا من المزيد من التعمق فيها

¹ - **فكتوريانوس**: ينحدر من أصول إفريقية، درس البلاغة بروما فكان معلم لكثير من أعضاء المتميزين لمجلس الشيوخ الروماني، كتب وترجم العديد من الكتب الفلسفية، ولإشادة بمقدرته كمعلم شيد له نصب تذكاري في الساحة الفوروم الرومانية، لكن جزؤ كبير من انتاجه الفكري ضاع كان فكتوريانوس وثنيا، ولكنه اعتنق المسيحية في سن متأخر من حياته ، للمزيد انظر مقدمة كتاب:

Marius Victorinus, Traité Théologique Sur La Trinité, TI, trad :Pierre Hadot, éd Le Serf, Paris, 1960,07.18.

² - عبد الرحمان بدوي، فلسفة العصور الوسطى، 3، دار القلم، بيروت، لبنان، 1979، ص 20 21.

³ - علي زيغود، المرجع السابق، ص 240.

⁴ - المرجع نفسه، ص 107.

⁵ - روبين دانيال، المرجع السابق، ص 266.

مولد ونشأة القديس أغسطين

مستتباً أنها قابلة للانسجام والانسياق مع المسيحية¹، فقد اعتبر بعض المؤرخين أن التطور العقلي لأغسطين اكتمل باعتناق الأفلاطونية المحدثة² وقد بدا له من اليسير أن يقنع الأفلاطونيين فيما بعد بأن يعتقدوا ديانته المسيحية³

لقد ساعدت الفلسفة الأفلاطونية بطريقة إيجابية وذلك بتصحيح أفكاره عن الله ولكن رغم الثراء الذي وجده في الفلسفة فإنه لم يفوت فرصة اكتشاف الفخ المنسوب له وذلك بخلو هذه الأفكار الفلسفية من اسم المسيح⁴، هذا الغياب كان دائماً يشكل عائق أمام أغسطين في الاقتناع والإيمان بمذهب أو تيار معين، لكن هذه المرحلة شكلت الخطوة الأخيرة لأغسطين في الوصول الى الإيمان المسيحي عن طريق امبرواز، بالفعل اختار أغسطين الإيمان الكاثوليكي بعد أن وجد فيه حكمة وصراحة كلية.

4- المسيحية:

انتقل أغسطين تحت جناح الظلام ، خلافا للإرادة أمه مونيكاً الى روما وذلك سنة 383 م⁵ ليصبح مدرساً ولكن بعد مدة وجد أغسطين صعوبة في تقاضي أتباعه⁶ روما وبالمقابل عرضت عليه فرصة الانتقال إلى ميلانو هذه المدينة الإيطالية التي تقع في الشمال .

قدم سيماخوس توصية بشأن أغسطين ليشغل منصب أستاذ بلاغة⁷ في المحكمة الإمبراطورية التي كان مقرها بميلانو، وربما كان الهدف من هذه التوصية هي رغبة سيماخوس في أن يدعمه أغسطين في مناظراته ضد امبرواز ناظر كنيسة ميلانو إذ عرف عن سيماخوس دعمه وتعصبه الكبير إلى الوثنية وكان اختياره لأغسطين بذات لما

¹ - المرجع نفسه ، ص 107.

² - إيتين هنري جيلسون، روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، تر: إمام عبد الفتاح إمام، ط3، مكتبة دويلي، 1996، الكويت، ص 63.

³ - يرى فورفوريوس احد الفلاسفة الأفلاطونيين أن الشياطين تلعب دور الوسيط بين الله والمخلوقات وانه تظهر لهم أفكار الله ومخططاته ومراميه انظر: علي زيعور، المرجع السابق، ص107

⁴ - روبين دانيال، المرجع السابق، ص 267.

⁵ -Brown (Peter), op.cit, p.16

⁶ - روبين دانيال، المرجع السابق، ص 266 .

⁷ - القديس اغسطين، اعترافات، ص 54.

مولد ونشأة القديس أغسطين

عرف عنه من مقاومة ضد المسيحية من جهة وما يملكه من قدرة بلاغية من جهة أخرى.¹
فتحت لأبواب على مصرعيها أمام أغسطين ليجد نفسه يحتل مكانة بين اعظم رجالات
الإمبراطورية وذلك بمعية احد قادة الفكر الوثني في أيامه

اعجب أغسطين بفصاحة وبلاغة امبروازوس التي فاقت "فوستوس" الذي لا يضاهه
قالبا وإخراجا، ومع مرور الوقت بدأ أغسطين يدرك أن أفكار امبرواز مقبولة وغيرت رأيه
شيئا فشيئا الى الإيمان المسيحي، خاصة وأن امبرواز يوس لم يكن رجل دين فقط بل كان
مفسرا زد على ذلك كان يتقن اللغة الإغريقية² التي كانت الأساس في فهم الكتاب المقدس
وهذا ما عجز أغسطين عن فهمه من قبل اثر اطلاعه على الكتاب المقدس سابقا بالإضافة
الى جهله اللغة الإغريقية³ ادرك أغسطين انه أساء فهم المسيحية، التي كان يهاجمها وفقا
لمفهومه الخاطئ لها فيقول في هذا الشأن :

" لقد تعودت أن انتقدم (المسيحيين) على تمسكهم بمعتقدات لم يكونوا يتمسكون بها قط
.....كنت أشن حملة لا على الإيمان (المسيحي) بل على أمور خيالية كنت استنبطها
من بنات أفكارى، وبدأت اشعر بالخجل من نفسي إلا أنني كنت بكل تأكيد متسرعا و عاقا
في إدانتي لقضية كان حري بي أن اكلف نفسي على استقصاء الحقائق بشأنها أولا ."⁴
أخيرا قرر أغسطين أن يقابل شخصا امبرواز يوس حيث احتفى به أيما احتفاء وعامله معاملة
الأب لابنه، كما شجعه على اكتشاف العمق الروحي للكتاب المقدس⁵، وذلك عن طريق
رسائل المفكر العظيم بولس.

استطاع امبرواز يوس أن يجيب دون أن يدري على تساؤلات كانت تشغل فكر
أغسطين ولا طالما بحث عن إجابات لها، ومن بين هذه التساؤلات هي طبيعة الله، فان كان
الإنسان على صورة الله (المسيح) فان الله على صورة الإنسان له جسد بشري ؛ كانت

¹ - روبين دانيال، المرجع السابق، ص 248.

² - Tshibangu (T.A.O), op.cit, p 13

³ - Ibid, p 01

⁴ - القديس أغسطين، اعترافات، ص

⁵ - آلان فيتجيرالد، المرجع السابق، ص 75.

مولد ونشأة القديس أغسطين

إجابة امبروازوس في هذا الموضوع أن طبيعة الله تظهر في الإنسان في جانبها وطابعها الروحي لا الجسدي، وقد تأثر أغسطين أيما تأثر لهذه الإجابة¹

لم يكن تأثير سيمبليسانوس (Simplisianus)² على أغسطينوس في اعتناق المسيحية بأقل أهمية إذ له الفضل في اطلاع أغسطينوس على مقدمة إنجيل يوحنا، والتي أورد فيها ملخصا عن العقيدة، المسيحية التي سمح فيها بالمواجهة بين الأفلاطونية والمسيحية³، كما اطّلع سيمبليسانوس على اعتناق ماريوس فكتورينوس (Marius Victorinus) النموذجي للمسيحية و التي وجب الاقتداء بها حيث ان فكتورينوس كان يخفي إيمانه المسيحي عن العامة ولا يجاهر به إلا لصديقة سيمبليانوس الذي كان لا يصدقه قائلا له:

"لن اصدق انك مسيحي حتى أراك في الكنيسة يرد عليه فكتوريانوس: وهل جدران الكنيسة من تجعلني مسيحي ومع مرور الأيام وتعمق فكتوريانوس في قراءة الكتاب المقدس خجل من الله و ذلك بإخفائه لإيمانه المسيحي وعليه قرر الذهاب إلى الكنيسة و الإعلان أمام العامة انه مسيحي، وكانت لهذ القصة وقع وتأثير عميق في شخصية أغسطينوس".⁴

في تلك الفترة التي قضاها أغسطين بميلانو ، كان يسكن مع صديقه اليببوس (Alypius)، وفي احدى الأيام زارهما صديق من الأفارقة الشماليين ويدعى بونتيكيانوس⁵

¹-Bertrand (De Margerie), Introduction a l'histoire de l'exgèse III Saint-Augustin, edition CERF , Paris , 1983 , p 21

²- سيمبليسانوس: كاهن بميلانو ثم خلف أمبروزيوس كأسقف لكنيسة ميلانو في 397م، كان متقفا وعلى اطلاع واسع بفلسفة الأفلاطونية المحدثة، كان له التأثير الكبير في تحول أغسطين للمسيحية بعدما جمعهم عدة مقابلات خلال تواجد أغسطين ب ميلانو (385-386م) توفي قبل نوفمبر 400م أنظر: Allan.D.Fitzgerald, op cit, p 1358

³- لان فيتزجيرالد، المرجع السابق ، ص 76.

⁴ القديس أغسطينوس، اعترافات، ص 45.

⁵- بونتيكيانوس : لا نملك سيرة ذاتية وافية عنه سوى ما جاء في اعترافات القديس أغسطين كونه يشغل منصبا رفيعا، كما كان له الفضل في اطلاع أغسطين على سيرة حياة الراهب المصري أنطونيوس التي استلهمت أغسطين وكانت بمثابة المثل الذي اقتدى به في تحوله للمسيحية أنظر: القديس اغسطين، اعترافات، ص 147

مولد ونشأة القديس أغسطين

وبعد نقاش دار بينهما حول المسيحية اخبرهم بونتيكيانوس عن الناسك المصري انطونيوس¹ الذي قرر اعتزال كل مغريات الحياة وذلك بالتخلي عن الوظيفة والزواج والمجتمع، ذلك من اجل التفرغ لخدمة الله²، الله فقط، تأثر أغسطين بهذه القصة واندش بأولئك الأشخاص الذين استطاعوا أن يسيطروا على عواطفهم و شهواتهم ، وفكر في ضعفه الشخصي إذ يقول في اعترافاته:

" التفت الى اليببوس كان مذهري يعبر عن الثورة المختلجة لذهني ثم قلت بتعجب ما بالننا نحن ؟ و ماذا تعني هذه القصة ؟ فهؤلاء الرجال لم يحصلوا على تعليمنا و لا على ثقافتنا ومع ذلك فهم ينهضون ليفتحوا أبواب السماء ويدخلوا إليها بينما نحن مع كل ثقافتنا وعلومنا نقبع هنا مذلينفي دنيا اللحم والدم." ³

احتاج أغسطين في هذه الأثناء إلى أن ينفرد بنفسه فانقاد إلى حديقة بجانب الدار حيث ارتمى تحت شجرة التين واطلق العنان لدموعه التي أبت أن تتوقف واخذ يؤنب نفسه إذ يقول: " إلى متى سأبقى أوجل إلى الغد ثم إلى الغد الآخر.....لماذا لا أضع حدا لخطاياي في هذه اللحظة بالذات." ⁴

وعندما سمع أغسطين صوت طفل صغير لم يميزه صوت طفل أو طفلة يكرر المرة تلو الأخرى: " خذه و قرأه." فاحس أن هذا أمرا صادرا من الله يناديه فاتجه مسرعا الى الكتاب الذي يحوى رسائل بولس، امسكه و فتحه بعشوائية يقرأ أول فقرة به و التي تقول: "...لا بالبتر والسكر لا بالمضاجع والعهر لا بالخصام والحسد بل إلبسوا الرب يسوع ولا تصنعوا تدبيرا للجد لأجل الشهوات." ⁵

¹ - انطونيوس: راهب ولد بكوما في صعيد مصر في حوالي 251م، رغم انه ليس السباق إلى حياة الرهينة إلا انه يعتبر أول جمع النساك في أديرة و وضع لهم قواعد ونظم لحياة الرهينة، عاش منعزلا في قلعة مهجورة بصحراء مصر الشرقية، عرف بالحكمة والورع ذاع صيته، في كامل الإمبراطورية ترك عدة رسائل منها رسائل إلى الأباطرة يدعوهم فيها إلى عدم الغرور بالمجد ولسلطة كما نصحهم بالحكم بالعدل والمساواة كما وجه رسائل أخرى إلى الرهبنة يدعوهم فيها إلى المثابرة في حياة الرهينة محذرا إياهم من البعة الاريوسي 356م توفي في انظر: الأنبا متاؤس، نسكيات الأنبا أنطونيوس (حياته ، رسائله ، تعاليمه)، ط1، دار الكرمة للطباعة، 2009، مصر. *

² - القديس أغسطينوس، اعترافات، ص 100.

³ - القديس أغسطينوس، اعترافات ، ص 45.

⁴ - المصدر نفسه ، ص 45.

⁵ - المصدر نفسه، ص 47.انظر النص كامل في الملحق رقم 02

مولد ونشأة القديس أغسطين

بعد هذه الحادثة شعر أغسطين بالسلام مع نفسه، وقد انتهى صراعه المرير، لكن لم يكن يعرف ما يخبأه له المستقبل لكنه كان على قناعة أن لا شيء اصعب في الحياة إلا أن تكون بعيدا عن المسيح إذ يقول: " لقد صنعتنا لك ولا يمكن لقلوبنا أن تجد السلام إلا عندما ترتاح فيك."¹

شعر أن الله يدعوهُ إلى شرح الإنجيل ونقل فحواه إلى صفوة القوم في الإمبراطورية فانكب مع ابنه اديوتاتوس والبييوس على دراسة العقائد الأساسية للإيمان المسيحي وذلك في أقسام الدراسة التي كانت الكنيسة قد أعدتها في ميلان للذين كانوا يطلبون المعمودية، وبعد أن انهوا دراستهم جرت معموديتهم على يد امبروازيوس في جو من الفرح العام 387 م².
اصبح أغسطين مسيحيا بآتم معنى الكلمة، ليس له حرفة إلا الإيمان المسيحي ، منذ سنة 386م قرر أن يكرس حياته لخدمة الله³ وهذا يعني تخليه عن وظيفته كمعلم والتراجع عن زواجه المرتقب كما يجب أن يحرر نفسه من طغيان رغباته الجنسية وشدد عزمه على البقاء عازبا، لذلك كان أغسطين على دراية بكل هذه الأمور فكان على استعداد ليخصص كل حياته للرب، تماما الرسول بولس منذ ثلاث قرون.

رابعا: أغسطين في هيبورجيوس:

بعد عودة القديس أغسطين إلى تاغست مسقط رأسه واختياره الحياة التأملية⁴ ، قرر أن يبيع كل ممتلكات التي ورثها عن والده، ماعدا البيت الذي كان يقع على مشارف أبواب تاغست فقد اختاره كبيت لرهبة، تجمع به بثلة من أصدقائه وإخوانه المسيحيين⁵ الذين قرروا العيش في كنف الله، واختاروا أن يهبوا انفسهم لخدمته وخدمه المسيحية ككل ، فكرس أغسطين كل وقته في التدبر والتأمل وكذا الدراسة المعمقة للكتاب المقدس وكذا شرحه الشيء الذي يمكنه من استخدامه الاستخدام الأمثل من اجل خدمة المسيحية من جهة والردّ

¹ - المصدر نفسه، ص 54.

² - آلان فيتجزيرال، المرجع السابق، ص 76.

³ - المرجع نفسه، ص 76.

⁴ - ميرسي إلياد، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، تر: عبد الهادي عباس، ج2، ط1، دار سوريا، 1986، ص 49

⁵ - Augustin(st), serment sur l'écriture 1-15 A, tra: André buissou , institut d'études augustiniennes, paris, 1994, p 07

مولد ونشأة القديس أغسطين

على خصومها من جهة أخرى¹، عاكفا مع على أصدقائه على الصلاة ليلا ونهار² ، مؤسسا بذلك أول دير إفريقي³.

في 391م انتقل أغسطين إلى هيبيورجيوس من اجل لقاء صديق له، ومن ثمة التقى ب فاليرنيوس اسقف كنيسة المدينة الذي اعجب به كثيرا وعرض عليه العمل إلى جانبه في الكنيسة نظرا لكبر سنه من جهة ونظرا لعدم إتقانه اللغة اللاتينية⁴، وكذا البونية لان لغته الأم كانت الإغريقية عكس اغسطين الذي كان يتمتع بقدرة بلاغية كبيرة يمكن أن تكون له عوناً كبيراً في التأثير على مستمعيه من خلال المواعظ؛ غير أن أغسطين لم يكن يرغب في هذه السيامة، وكما يقول: " لقد اجبرونيوقدمت إلى هذه المدينة (هييون) لأرى صديقافقبضوا عليّ ورسمت كاهنا، وقادني ذلك في آخر الأمر إلى الأسقفية."⁵

عين اغسطين في البداية كقسّ للكنيسة رغما عن إرادته⁶ وقد وضع فاليريانوس

، تحت تصرفه باحة الكنيسة ليتمكن من العيش فيها مع إخوانه،(أنظر الشكل رقم 02) أين اكمل محادثاته الروحية معهم إلى جانب مباشرته في إلقاء المواعظ والخطابات التي ركزت بالأساس على تعليقات الرسول بولس⁷ منذ ذلك الحين اصبح أغسطين يحيا ويفكر ويعمل من اجل شعبه المسيحي اكثر مما يحيا ويعمل من اجل الفكر الفلسفي التي

¹ - زينب محمود الخضيرى، المرجع السابق، ص 16.

² - Ibidm, p 07.

³ - حسن حنفي حسنين، نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط (أغسطين، أنسلم، توما الإكويني)، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، 1998، مصر، ص 18

⁴ - Possidius , Life Of Saint Augustine, Translated by Herbert Theberath Weiskotten ,V

: تحميل الكتاب على الرابط:

http://www.tertullian.org/fathers/possidius_life_of_augustine_02_text.htm

⁵ - نقلا عن اندري مندوز، القديس أغسطين، تر: أنطوان الغزال و صبحي محمودي اليسوعي، تاريخ الكنيسة المفصل، مج 1، ط1، دار المشرق، لبنان، 2002، ص 215.

⁶ -Colven Madec et Francois Dlbeau, Saint-Augustin le pasteur des deux rives, edition d'orbestier, France, p 35.

⁷ -Goulven,p Madec,A.A. ; Itinéraires augustinien, n° 28 (juillet 2002)

<http://croire.la-croix.com/Definitions/Figures-spirituelles/Saint-Augustin-d-Hippone/Augustin-et-l-unite-de-l-Eglise-africaine>

مولد ونشأة القديس أغسطين

شغف به¹ من قبل والتي كانت سببا في وصوله إلى الإيمان المسيحي، بل اصبح الواعظ والمرشد والمدافع عن المسيحية ضد كل البدع والهرطقات.

إن الحماسة التي طبع بها أغسطين جعلت فاليريوس يتنازل عن منصبه كأسقف للكنيسة قبل وفاته إذ تم ذلك بحضور أساقفة من نوميديا وكذا ميغاليوس أسقف كالما الذين جاءوا بناء على طلبه في زيارة إلى الكنيسة وعند إعلان فاليريانوس عن رغبته في سيامة أغسطين مكانه فرح الجميع ودعموا فكرته عكس أغسطين الذي رأى في هذا التعيين تجاوزا لأعراف وتقاليد الكنيسة، وذلك باعتبار أن فاليريانوس مازال على قيد الحياة ، ولم تتم هذه السيامة إلا بالضغط و إقناع من طرف الأساقفة الحاضرين² وبذلك أوكلت لأغسطين مهمة عقد المجامع الإفريقية كان أولها في 393م، فكانت هذه الانطلاقة الأولى لأغسطين لدخول في المجادلات الكلامية ضد الهرطقة وحمل على عاتقه مهمة الدفاع عنها الأمر الذي رشحه أن يكون اسقف هيبورجوس بعد موافقة أوريليوس³ اسقف قرطاجة .

ظل أغسطين 38 سنة على رأس أسقفية هيبورجوس، كرس فيها كل جهده إلى العمل من اجل الكنيسة والمسيحية، وكان هدفه الأول والأخير هو تحقيق خلاص شعب المسيحيين ، فبعد أن كانت الشهرة وتقلد المناصب العليا همه الأول فقد تخلى في هذه المرحلة عن برجه العالي وكرس كل ما يملكه لحل مشاكل الواقع الإنساني⁴ دون أن يغفل عن الإنتاج الفكري إذ كانت هذه الفترة حافلة وثرية بمخلفاته الفلسفية اللاهوتية التي تركت بصمتها على الكنيسة الكاثوليكية وكانت أساس التنظيم اللاهوتي في العصور الوسطى.

إن اهم ما ميز اغسطين من أعمال في تلك الفترة هو غزارة مواعظه التي كان يلقيها على مستوى الكنيسة والتي كانت تستهوى الكاثوليك وغير الكاثوليك على حد سواء وذلك

¹ - زينب محمود الخصيري ، المرجع السابق، ص 16 .

² - Possidius, op cit , ch

³ - أريليوس: أسقف قرطاج منذ 393م كخلف للأسقف جينيثاليوس، وقد توافقت فترة سيامته مع سيامة أغسطين كقس للكنيسة هيبون إلى جانب الأسقف فاليريانوس والظاهر ان الأسقفان كانا على توافق تام فقد تميزت فترتهما باعادة بعث عادة عقد المجامع الكنسية حيث انعقد أول مجمع بهيبون في 393م كما عقد آخرها بنفس المكان في سنة 427م أنظر: شال موني، تأثير أوغسطين على التشريع الذي عاصره، في أعمال الملتقى الدولي الأول الفيلسوف الجزائري القديس أوغسطين إفريقيته وعالميته، ج1، م.م.إ.أ، الجزائر، 2003، ص132.

⁴ - زينب محمود الخصيري، المرجع السابق، ص 16.

مولد ونشأة القديس أغسطين

نظرا لأسلوبه المتميز بالبساطة والبلاغة في نفس الوقت كيف لا وهو أستاذ البلاغة الذي ذاع صيته من قبل داخل وخارج إفريقيا، وقد وصل عدد المواعظ الملقاة بين ثلاثة وأربعة خلال الأسبوع وحتى إلى موعظتين في اليوم الواحد، إذ يقدر المختصين مجمل مواعظ القديس ب 575 موعظة موجهة إلى أتباعه في هيبورجوس و 123 موعظة حول المزامير وبين 80 إلى 90 موعظة حول الإنجيل ورسائل جون .أي ما يقارب 800 موعظة.¹

اصبح أغسطين جزءا لا يتجزأ من الجماعة المسيحية التي اصبح بمثابة الأب المشترك لهم يسهر على راحتهم وحل كل مشاكلهم، فقد فرضت عليه وظيفته كأسقف القيام بعدة مهام كإدارة ثروات الكنيسة، وكذا القيام بدور القاضي الذي يفصل في مشاكل الرعايا سواء كانوا مسيحيين أو وثنيين لان الأسقف في نظرهم كان اكثر نزاهة وعدلا وحيادا²؛ عمل أغسطين على تحقيق مثل هذه الأمور حتى أواخر أيام حياته

لم يكن أغسطين مجرد اسقف بل ذلك اللاهوتي الناقد المتصدي للبدع والهرطقات توفي أغسطين في 18 أوت 430م في الوقت الذي كانت تتعرض فيه هيبون إلى غزوات الوندال

¹-Colven Madek et Francois Dlbeau, op cit , p 44

²- زينب محمود الخضيرى، المرجع السابق، ص 16،17.

الشكل رقم (02)¹



الشكل (05)



الشكل (04)



الشكل رقم (07)



الشكل رقم (06)

الشكل رقم (04)
الشكل رقم (05) مخلفات كنيسة هيبورجوس
الشكل رقم (06) الطريق الرابط بين هييون والبرقنصلية
الشكل رقم (07) الجزء الخلفي لكنيسة هييون التي وضعها فاريلبيوس تحت تصرف اغسطين
للعيش فيها مع اخوانه

¹ - تصوير الباحثة من آثار المدينة القديمة هييون - متحف عنابة-

خامسا: مؤلفاته

ترك أغسطين عدة مؤلفات، تجاوزت المأتى رسالة والخمسة مائة موعظة ومائة وثلاث عشر مطولة وقد ضاع قسم كبير منها، وكانت هذه المؤلفات مكتوبة باللاتينية حيث اشتهرت بالمتانة والبلاغة وقوة البيان، وتنقسم آثاره الى قطاعات أهمها القطاع الديني، إذ كانت كتابا أغسطين في مجملها موجهة ضد الهرطقات¹ مثل: المانوية واتباع الأفلاطونية، وذلك بهدف ردهم إلى طريق النور والإيمان، كما أراد أغسطين من جهة أخرى أن يصحح بعض الأفكار التي راودت الكنيسة والتي صدرت من داخلها لا من خارجها.

حمل أغسطين على عاتقه المشاركة في القضايا والمجادلات² التي تحدث في أرجاء الإمبراطورية كافة وليس بإفريقيا فحسب، ونحاول أن نورد بعض مؤلفاته الأكثر شهرة:

1- مدينة الله:

ولد اغسطين في الفترة الأخيرة من نهاية الإمبراطورية الرومانية، هذه الإمبراطورية العظيمة التي عمرت حوالي الف سنة، كانت في طريقها إلى التصدع والانهيال فقد حلّ الفساد والانحلال والتفسخ مكان الانضباط والعمل الدؤوب والتمقاني وفي الوقت نفسه كانت تتعرض روما إلى غارات خارجية من جرانها الذين تم التصدي لهم بواسطة رماح وسيوف المرتزقة الجرمانيين (من قوط و وندال) الذين كانوا في خدمة الإمبراطورية.

¹ - أظهر أغسطين اهتماما كبيرا بالبدع التي ظهرت في عصره حتى انه افرد لها كتاب تحت اسم "البدع" ، و ذلك نزولا لرغبة صديقه الأسقف كودفولتديوس Quodvultdeus لأولئك الذين يرغبون في عدم الوقوع في أخطاء معارضة للإيمان المسيحي وقادرة على إغراء النفوس عن طريق اهواء كاذبة عن المسيحية، عدد الكتاب ثمانية وثمانين بدعة. كانت البعض منها منتشرة في إفريقيا وأخرى في خارجها. على أن البدع التي حازت على اهتمام الأساقفة والسلطة هي: ، المانوية، البلاجية والآريوسية هذه الأخيرة التي عرفت اهتماما كبير في شرق الإمبراطورية أكثر من غربها التي كانت منشغلة بمشكلة الدوناتية والتي اعتبرها أغسطين انشاقا وليس هرطقة انظر :

Augustin (st), Oeuv.C.STAugu , Des Hérésies, Tra: de M. l'abbé Aubert, Tome XIV, Bar-Le-Duc, France, 1869,.

² كان لأغسطين باع طويل في مجال المجادلات ضد الهرطقات التي ظهرت في عصره مثل الآريوسية والبلاجية تعتبر من اشدّ المجادلات التي أتت أكلها للمزيد ارجع إلى الفصل السادس ص....

مولد ونشأة القديس أغسطين

إن نهب روما من طرف القائد آلارك (Alark)¹ القوطي سنة 410² لم يكن بالأمر غير المتوقع، فقد تعرضت روما إلى حصار مماثل من قبل، لكن سقوط هذه المدينة القديمة التي كانت تمثل رمز قوة وعظمة الإمبراطورية الرومانية، اعلن عن نهاية عصر الرومان، فهذه المدينة العريقة التي عمرت نحو الف سنة لا يصدق أنها صدعت وهدمت رغم ذلك كان الرومان يملكون بصيص امل في إعادة بعث الحضارة الرومانية³ وذلك بعد تأسيس العاصمة الجديدة القسطنطينية

تساءل الناس عن عدم قدرة اله المسيحية في حماية الإمبراطورية⁴ فحملت النخبة الدينية والثقافية والسياسية الوثنية مسؤولية ما آلت إليه الإمبراطورية الرومانية، إلى تتكر الأباطرة إلى الآلهة الوثنية القديمة وتبنيهم الديانة المسيحية⁵ وذلك عندما حضر كل من غراتيان وثيودوسيوس عبادتها منذ نحو ثلاثين سنة، فهذه الآلهة التي جعلت من روما مدينة عظيمة استحقت حسب الوثنيين اليوم أن تسقط عليها اللعنة بعد السماح بدخول ديانة جديدة كما تم تحويل المعابد الوثنية الشهيرة كابيتول إلى أماكن يؤمها ويجتمع فيها المسيحيون .
لم تكن هذه الصرخة الأولى من نوعها للوثنيين تنديدا بالمسيحية بل تعالت صرخاتهم منذ القرن الثاني للميلاد، وما بعده فتصدى لهم ترتليانوس ثم من بعده كبريانوس⁶

¹ -الارك: قائد روماني ولد حوالي سنة 370م من أسرة أرسنقراطية من قبيلة القوط الغربيين، كان احد القادة البارزين في عهد الإمبراطور ثيودوسيوس ، كما كان قائد القوط الغربيون الذين حاصروا روما و اقتحموها سنة 410م لكنه لم يهنئ بهذا الانتصار إذ في نهاية نفس السنة المّ به مرض أدى إلى وفاته انظر: حسنين، المرجع السابق، ص 42. كذلك : Pierre Michau, L'empire d'occident, Ed : verdier, 2007, pp 80.81.

² - روبين دانيال، المرجع السابق، ص 293.

³ - محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص 77

⁴ - إبراهيم دسوقي وعبد العزيز الغنام، تاريخ الفكر السياسي، دار النجاح، لبنان، 1973، ص 113.

⁵ -ميرسيا إلياد، المرجع السابق، ص 46.

⁶ - كبريانوس: ولد في مطلع القرن الثالث في إفريقيا وعلى الأرجح بقرطاجة، لأبوين وثنيين، الذين حرصا على تعليمه حتى صار خطيبا و أستاذ بلاغة وفلسفة، دخل مسرح الأحداث حين انتخب اسقفا على قرطاج في نهاية 248م أو بداية 249م؛ لم يعلم كبريانوس أن حياته أصبحت مهددة بالموت وذلك منذ أن اعتلى ديقلديانوس العرش واصر مرسوم يقضي بتقريب القرابين والأضاحي للآلهة، ومع إعلان فاليريانوس مرسومه في 258م استدعي من طرف والي إفريقيا أين رفض اعترافه الآلهة الوثنية بقوله: "أنا مسيحي و اسقف لا اعترف بآلهة أخرى غير الاله الواحد والحقيقي ، خالق السماء والأرض والبحر وكلّ ما فيها ونحن المسيحيين نخدم هذا الاله و نتضرع إليه نهارا وليلا من أجلنا ومن أجل جميع البشر

مولد ونشأة القديس أغسطين

نظر سكان شمال إفريقيا إلى سقوط روما، كقصاص وعقاب كان يستحقه سكانها المتعجرفون المتكبرون، هذا المجتمع الذي أصابه التفسخ والانحلال وسادت فيه الرذيلة إلى ابعد الحدود، لكن ابن شمال إفريقيا أغسطين، لم ينظر إلى الأمور بهذه البساطة خاصة وأنه سبق له التفكير في هذه القضية وذلك عندما طلب منه الكونت مارسيليانوس¹ دحض مزاعم الوثنيين في كون إهمال البانثيون الوثني هو السبب الأول وراء ما حصل لروما²، وبتقديم لهم ما هو معقول ومقنع اتجاه سقوط روما، ومن هنا جاءت لأغسطين فكرة تأليف احد روائعه العظيمة، وهو كتاب "مدينة الله."

شرح أغسطين في تأليف كتابه سنة 413م، الذي تضمن في شكله النهائي اثني عشرة كتابا، صدرت على مراحل متفرقة خلال ثلاثة عشرة سنة التالية، كان عمر اغسطين عند بداية تأليفه لهذا الكتاب تسعة وخمسون سنة واثتان وسبعون سنة عند وضع لمساته الأخيرة .

بين أغسطين في الجزء الأول من الكتاب أن المسيحية ليست هي السبب في ما حلّ، ولا يمكن أن نرجع سبب ما حصل إلى غضب وسخط الأصنام الوثنية وكان دليله في ذلك انه قدم أمثلة عن مدن كانت تعبد الأصنام عن حق ومصيرها كان الزوال فأين هي الوثنية لتحميها فهذه الأصنام عاجزة حتى على حماية نفسها ثم انتقل أغسطين للحديث عن تفاصيل هجوم القوطيين على روما وما تميزوا به من رافة ورحمة اتجاه المسيحيين وذلك نتيجة احتكاكهم بالمسيحية التي أثرت على سلوكهم وأفكارهم، كما اثني على المسيحيين

ومن اجل خلاص الأباطرة انفسهم." ، اثر هذا نفي إلى مدينة صغيرة في جنوب رأس الرجاء الصالح بعد سنة وبالتحديد في 14 سبتمبر 258 م عدم من اهم القضايا التي تصدى لها إعادة تعميد الذين عادوا إلى الكنيسة انظر : اليان غوندينه، قبريانوس بابا إفريقيا ، في تاريخ الكنيسة المفصل، تر: أنطوان الغزال ووصبحي حمودي اليسوعي مج 1، ط1، دار دمشق، لبنان، 2002، ص 105- 110

¹ - مارسيليانوس: هو من كلف من طرف الامبراطور هونوريوس برئاسة مناظرة قرطاج في 411م التي جمعت بين الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الدوناتية من أجل الفصل في حيثيات الانشقاق الكنسي و كان اختياره ربما لحماسه الشديد للمسيحية واطلاعه الواسه للامور الدينية كما كان أخوه كما كان أخيه ابرنجيوس برفنصل إفريقيا من اكثر المطلعين على مشاكلها والظاهر أن معرفة أغسطين له كانت بعد توليه مهمة تنظيم مناظرة قرطاج كما تشير الرسائل المتبادلة بينهما وقد أهدى له أغسطين الكتب الثلاثة الأولى من مؤلفه مدينة الله أنظر : Serge Lancel,A.C.C, op cit, p62.

² - آلان فيتجيرالد، المرجع السابق، ص88.

مولد ونشأة القديس أغسطين

الذين عانوا من جراء هذا الهجوم وأن أجرهم في السماء لا يساوي ما خسروه في الأرض، وإن سقطت روما فقدره الله هي الباقية الخالدة إلى **الأبد. 1 (تهميش)**

استلهم أغسطين عنوان كتابه من آية في سفر المزامير: " قد قيل بك أمجاد يا مدينة الله" وأسس لهذا المفهوم اللاهوتي بوصفه بمدينةين، الأولى مدينة الله والثانية مدينة الأرض، يقول أغسطين في هذا الشأن: " حذاري ان تفكر في أن الشيطان قد انتصر لأنه اجتذب إليه عددا كبيرا من الناس، لأنه من الممكن التغلب عليه بعدد قليل. ولهذا السبب نشأت مدينتان: مدينة الأشرار ومدينة الأبرار وكلتاها تتابعان سيرهما منذ نشأة الجنس البشري حتى نهاية العالم. انهما متداخلتان جسما متميزتان إرادة، أما في الدينونة فلسوف تميز أجسامهما. " ¹

نستنتج من قول أغسطين أن مفهوم المدينتين لدى أغسطين ليستا مدينة بالمفهوم الملموس أي مجموعة من الجدران والعمارات والأسوار² بل هما المدينتين قامتا على أساس شكلين من أشكال المحبة: فالمدينة الأرضية انبثقت عن حب الذات التي أوصلت الإنسان إلى نسيان الله، بينما المدينة السماوية ارتكزت على محبة الله التي ترفعت إلى درجت احتقار الذات أما مدينة الأرض تفتخر بنفسها في حين مدينة السماء تفتخر بالله، فهم يتشاركون في المأكل والمشرب.... الخ، لكن الله وحده القادر على التمييز بين البشر وانتمائهم الى احدى المدينتين وذلك سيكون يوم الفصل، يوم الدينونة العظيم مستعينا في ذلك بتقديم أمثلة عن قابيل القاتل - يمثل مدينة الأرض - وهابيل البار، ومن ينحدر عنهم، هم أساس الصراع القائم في العالم، وقد حدد أغسطين مراحل هذا الصراع كالاتي:

- 1- من آدم إلى الطوفان
- 2- من نوح إلى إبراهيم
- 3- من إبراهيم لداوود
- 4- من داوود إلى الاسر البابلي
- 5- من الاسر البابلي حتى عودة المسيح

¹ - القديس أغسطين، تعليم المبتدئين، المصدر السابق، ص 58.

² زينب محمود الخضيرى، المرجع السابق، ص 164.

مولد ونشأة القدّيس أغسطين

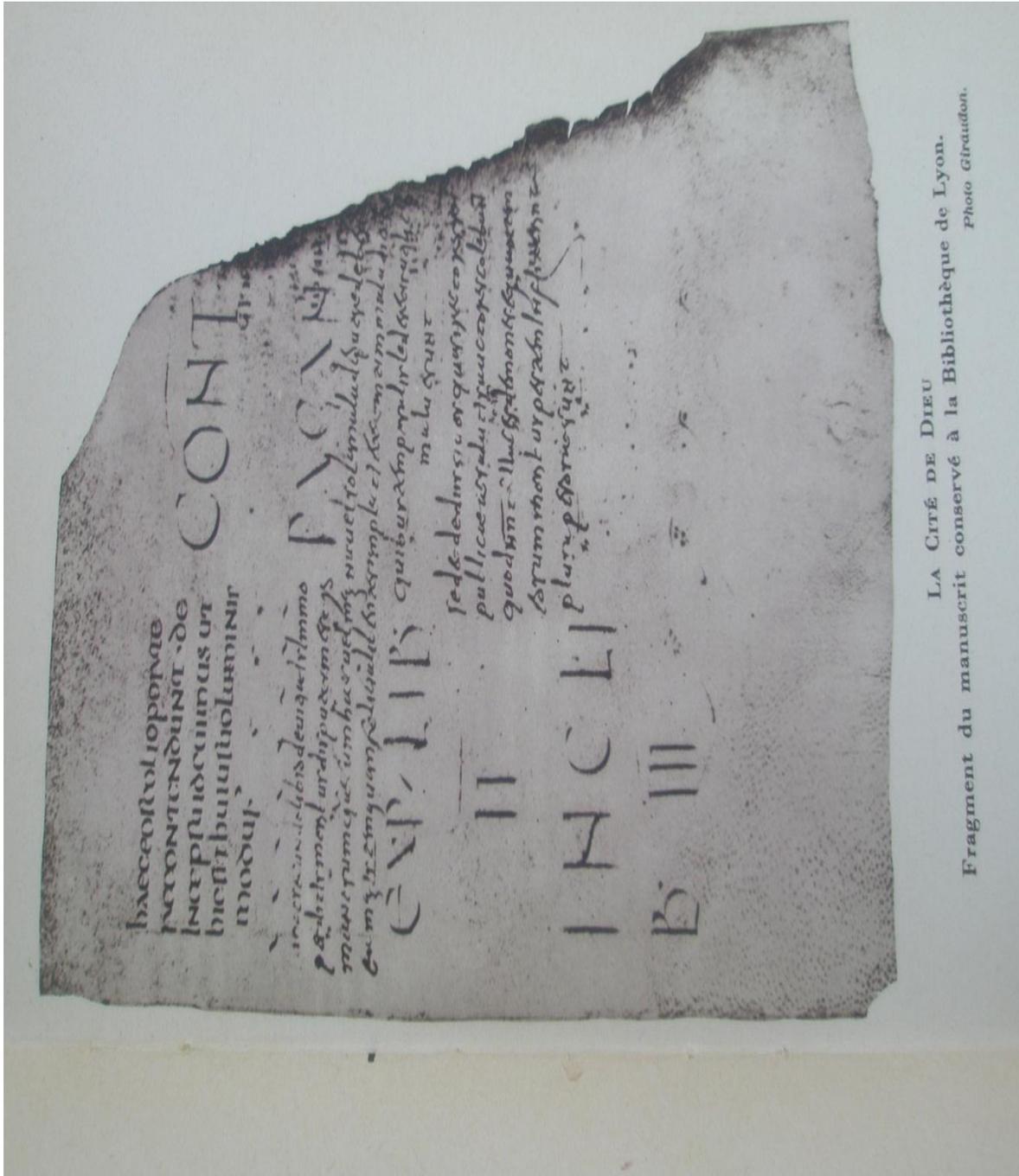
6- تبدأ بعد مجيئ المسيح¹

كتاب " مدينة الله " هو احد الأبحاث والانتقادات والتفسيرات الأكثر شهرة على الإطلاق، فقد لخص من خلالها أغسطين ماضي الإمبراطورية الرومانية بإيجابياته وسلبياته، كما قدم لها الحلول والاقتراحات للمستقبل وبهذا يكون كتاب "مدينة الله" هو إتمام لسلسلة كتب الإيبولوجيا، التي كتبت من قبله، دفاعا عن الإيمان المسيحي، أمام هجومات الوثنية، وتتضح لنا عظمة هذا الكتاب كونه فتح آفاق جديدة من مواضيع اللاهوتية التي أصبحت مجال بحث في العصور الوسطى، كما مازال هذا المؤلف نقطة نقاش بين الباحثين إلى يومنا هذا.

¹ القدّيس أغسطين، تعليم المبتدئين، المصدر السابق ، ص 68. 69 .

مولد ونشأة القديس أغسطين

الشكل رقم (03) ¹



مقتطف من كتاب مدينة الله للقديس أغسطين موجود بمتحف ليون

¹ الصورة مقتبسة من : Stéphane Ratti , Le Premier St Augustin , les belle lettre , paris , 2016 , p98.

2- الاعترافات:

تهدف جل الكتب التي تتناول السير والتراجم إلى تعظيم وتخليد الشخصيات، وما كان لها من مآثر وعظمة، لكن سيرة القديس أغسطين كانت على العكس من ذلك تماما، فوضع أغسطين لسيرته الذاتية من خلال كتاب " إعرافات" الذي قام بتحليل وتشريح حالته الخاصة والتي تشبه الكثيرين أين تناول كل المسائل التي يمكن أن تعترض الجنس البشري خاصة الجانب الضعيف في الإنسان الذي يميل إلى اتباع شهواته حتى يبلغ في بعض الأحيان إلى ادنى مراتب الرذيلة فتصبح حالته ميؤوس منها فاغسطين كانت اعترافاته تمسّ الجانب السلبي والمذموم، ولم يحص الجانب الآخر الذي من المفروض أن يكون في أي إنسان وهو الجانب الخير والحسن، ومن هنا يتبين لنا أن هدف أغسطين لم يكن تخليد سيرته ولا تعظيم شخصيته ولا استقطاب معجبين، بقدر ما كان يريد أن يجعل من حالته نموذجا يقتدي به أي فرد قد اخطأ وغطس في وحل الرذيلة ، أن يكون له طريقا للخلاص وهي طريق الله الذي لا يمكن أن يتخلى عنا اذا ما ثقنا في قدرته وعظمته ومن هنا يشجع الخطاؤون أن يحذو حذوه، وكان يصبو كل فرد إلى أن يعيش الإيمان المسيحي وأن تعم من خلاله المحبة والقداسة، ففضية أغسطين كانت تكمن في كيفية جعل الناس العاديين الأتانيين قديسين فأغسطين أراد أن يزرع نوعا من الشرف في قلب كل فرد حتى يتحول إلى ألطف و افضل إنسان.

لخص أغسطين في الاعترافات حياته منذ الطفولة حتى اهتدائه إلى الإيمان المسيحي وتلقيه التعميد وكتب التسع الكتب الأولى في الفترة الممتدة ما بين (396-397) أما الكتب الأربع الأخرى فقد ركز فيها حول البحث عن الحقيقة الإلهية والإيمان أين وجه أغسطين كل حديثه إلى الله، فاعترف له بكل خطاياها، و دعي إلى كل من هم بعبيدين عن الله بإتباعه قبل فوات الأوان .

3- أعمال أخرى:

جداول تضم الإنتاج الفكري لأغسطين¹

جدول رقم: 01

اعترافات	يقع في 13 كتابا أو فصلا
----------	-------------------------

جدول رقم 02

الأعمال الفلسفية	<ul style="list-style-type: none">• في الجميل والملائم <i>De pulchro et apto</i>• في الحياة السعيدة <i>De beata vita</i>• في النظام <i>De oridine</i>• في المناجيات <i>De soliloquia</i>• في خلود النفس <i>De immortalitate animae</i>• في روحانية النفس <i>De quantitate animae</i>• في المعلم <i>De magistro</i>• في الموسيقى <i>De musica</i>
------------------	---

جدول رقم: 03

الأعمال الدفاعية	• مدينة الله <i>De civitate Die</i>
------------------	-------------------------------------

جدول رقم: 04

الأعمال التفسيرية	<ul style="list-style-type: none">• التعليم المسيحي <i>De doctrinā Christina</i>أ- تفسير العهد القديم<ul style="list-style-type: none">▪ تفسير الفصول الثلاثة الأولى من سفر التكوين▪ في الأسفار السبعة الأولى من الكتاب المقدسوفي المزامير تفسيرات ومواظ مختلفةب- تفسير العهد الجديد:<ul style="list-style-type: none">▪ في اتفاق الانجيليون▪ 124 بحثا في إنجيل يوحنا
-------------------	--

¹ - القديس أغسطين، المسيح مجد الشهداء، تر: ريمون يوسف، د.ط، المركز الثقافي القبطي الأرثوذكسي، مصر،

مولد ونشأة القديس أغسطين

عشرة فصول في رسالة يوحنا الأولى	
دراسات تفسيرية أخرى تناول فيها إنجيلي متى ولوقا ولرسالتين الى أهل رومية وأهل غلاطين .	

جدول رقم: 05

الأعمال اللاهوتية و الأخلاقية و الرعوية	له مجموعة كبيرة من المواعظ حيث نسبت إليه 362 موعظة أصلية إلا أن بوسيديوس مؤلف سيرته الذاتية يذكر 279 موعظة فقط
---	--

جدول رقم: 06

الرسائل	تبلغ عدد الرسائل 270 رسالة؛ 47 منها موجهة إليه، و 6 موجهة إلى احد أصدقائه وقد أضيفت لها 7 ومن تلك الرسائل ما يمكن اعتباره بحث فلسفي، لاهوتي رعوي، ومن أهمها الرسالة رقم 211 التي وضع فيها قانون حياة الرهبنة لدير راهبات هيبون.
---------	---

جدول رقم: 07

الشعر	● *مزمو ر ضد الدوناتية في 30 مقطع ● *منظومة النفس.
-------	---

سادسا: حصار هيبون و وفاة أغسطين:

تميزت فترة تواجد أغسطين بكنيسة هيبون، بسطوع نجمها في كل العالم المسيحي واستطاع أغسطين أن يحقق جملة من الانتصارات، إذ هزمت النحلة المانوية لم تعد لها القدرة على مناظرة المسيحيين الذين استغلت جهلهم من قبل، كما أن الدوناتيين بعد مناظرة قرطاج اصبحوا أقل قوة وحيوية من ذي قبل، بل شهدت الكنيسة الكاثوليكية رجوع جموع كبيرة من الكنيسة الدوناتية، أما في قضية البيلاجية فقد استطاع أغسطين إلقاء الحرم عليها وذلك بموافقة من كنيسة روما نفسها وكذا كنيسة قرطاج، لكن كل هذه الانتصارات لن يتلذذ

مولد ونشأة القدّيس أغسطين

بها اسقف كنيسة قرطاج وذلك لما سيعيشه في السنتين الأخيرتين من عمره من مناظر البؤس والحزن، إذ انه سيرى بأمر عينه أن أكثر المدن العزيزة على قلبه والتي قضى كل حياته في الدفاع عنها، والسهر على تحقيق الاستقرار بها ستلتهمها نيران الغزاة الونداليين، لتعتي بها فسادا، من عبث بالأشجار وتعذيب القساوسة والتتكيل برجال الدين ولم يسلم من وحشيتهم حتى الأطفال والشيوخ¹.

وقد استطاعت كل من قرطاج وهييون وسيرتا الصمود أمام الغزو الوندالي بالمقارنة مع الأقاليم الأخرى، وفي هذه الأوقات لن يفوت أغسطين فرصة إكمال آخر كتبه "عن الزواج و التسامح" كرد على جوليان، إلى أن تمكّن منه المرض، حيث أحس بقرب الدينونة الأخير مما جعله يعلق مزامير التوبة على حائط غرفته والتي كان يقرأها ويعيد قراءتها وعيناه تتهمر بالبكاء، وقبل عشرة أيام من موته طلب من إخوانه من عدم الدخول إلى غرفته إلى أن جاء اليوم الأخير² الذي أحيط سريره بكل إخوانه من رجال الدين الذين لم يكفوا عن الصلاة معه إلى أن توقف أغسطين عن تمتامته، نذيرا أن نجم قل اقل بعد 40 سنة قضاها في خدمة الكنيسة المسيحية وشعبها من كل البدع والهرطقات.

¹ - عيش يوسف، المرجع السابق، ص 35.

² - Pontius, Paulin, Posidius, **trois vie Cyprien Ambroise. Augu**, trad: Nadine plazaner-siarri et jean-pierr Mazières, MIGNE, France, p167.

خاتمة:

مما سبق يمكن القول أن حياة اغسطين مليئة بالمتناقضات والمنعطفات المهمة سواء على صعيد الحياة الخاصة أو الحياة الفكرية، فالتربية التي تلقاها كانت مزدوجة و متناقضة إذ كانت امه مسيحية ومن ثمة رضع المسيحية من لبنها، في حين كان والده وثنيا غير مبالي بالجانب الديني والأخلاقي فكل همّه أن يتلقى ولده تعليما راقيا يمكنه من تبوأ مكانة راقية في المجتمع الروماني مما ولد عنده صراع بين إرضاء أحلام امه في أن يكون ولدا متدينا ومشبعا بتعاليم وقيم المسيحية وبين تحقيق طموحات والده في أن يكون رجل ذا مكانة مرموقة، أما على الصعيد الفكري فقد كان أغسطين يتميز بحب المعرفة والاطلاع الأمر الذي جعله يقلب في ثنايا العديد من المذاهب رغبة في معرفة ذاته وسبل إسعادها من جهة ومعرفة الله من جهة أخرى غير أن أغسطين كان يخضع الأمور للعقل قبل الإيمان بها، الأمر الذي حال دون وصوله الحقيقة وتطلب منه شق طريق طويل بلغ نهايته في سن الثانية والثلاثين من عمره وذلك باعتناقه المسيحية، التي نصب نفسه حاميا لها ضد كل من أراد المساس بها أو تحريف تعاليمها حتى توفي وهو يعيش حصرة سقوط مدينة هيبون بين أيدي القوط

الباب الثاني

الصراع المسيحي المسيحي و انعكاساته

الفصل الأول

الانشقاق الكنسي

الفصل الثاني

موقف أغسطين من الدوناتية والفوضى المحلية

الفصل الأول

الانشاق الكنسي

أولاً: جذور الانشاق الكنسي

ثانياً: موقف السلطة من الانشاق

ثالثاً: انتشار الدوناتية

خامساً: موقف أغسطين من الانشاق

سادساً: الدوناتية في نظر أغسطين

الانشاق الكنسي

تمهيد:

عانت المسيحية بشمال إفريقيا من بطش السلطة الرومانية لها ،شأنها شأن مسيحي الإمبراطورية، مما جعل السلطة تعتبرها جسم غريب عنها يهدد لوجودها طالما لم تظهر احتفاءها بالآلهة الوثنية ولولائها اتجاه الإمبراطور، فقد آمنت بان الله واحد لا يمكن أن تعبد غيره، لكن بعتلاء قسطنطين العرش تم الاعتراف بالمسيحية على قدم المساواة مع الديانات الأخرى، فانتعشت وأخذت في الانتشار ولم يبقى مكان لم تشييد فيه كنيسة ، لكن هذا الانتصار لم يلبث أن تحول من صراع مسيحي وثني إلى صراع مسيحي مسيحي، قسم الكنيسة إلى شطرين كنيسة كاثوليكية وأخرى دوناتية، وفي هذا الفصل سنحاول أن نعود إلى جذور الانشقاق لكشف أسبابه الحقيقية وكيف تعاملت السلطة مع الكنيستين؟ وما كان موقف أغسطين من هذا الانشقاق ؟

أولاً: جذور الانشقاق الكنسي

1-الاضطهاد المسيحي:

عاشت الجماعات المسيحية إلى جانب السلطة الرومانية في أيامها الأولى في وئام إلى غاية الإمبراطور نيرون (68-54 ق.م) الذي مثل أول اضطهاد في سلسلة الاضطهادات التي ستعرفها المسيحية¹ على مرّ ثلاث قرون، فعاش بذلك المسيحيين في حلقة من الخوف والذعر، وتعرضوا إلى اشدّ أنواع التعذيب²، فبالرغم ما عرف عن السلطة الرومانية من تسامح ديني اتجاه الديانات القديمة، لطالما كانت لا تشكل خطر اجتماعي أو سياسي ألا أنها لم تلتزم بهذا التسامح اتجاه الديانة المسيحية، رغم أن المسيحية دعوة دينية محضة، بعيدة كل البعد عن السياسة إلاّ أن دعوتها نبذت كل أشكال العبادة القديمة وبذلك فهي مسّت ركنا أساسيا من أركان البناء الذي قامت عليه الإمبراطورية الرومانية.

إن المسيحية بدعوتها إلى التوحيد كانت تسلب الإمبراطور صفتها المقدسة فاعتبرت

حركة مناهضة للنظام الإمبراطوري المتوارث³، فهي تنظيم غير شرعي يتنافى وسياسة

الإمبراطورية⁴، ومن ثمة تولّد لدى الأباطرة والوثنيين على حدّ السواء، أن المسيحيين غرباء

عن الإمبراطورية وانهم خارجون عن القانون ويهددون سلامتها واستقرارها، ومن ثمة وجب

استئصالها والقضاء عليها⁵.

¹ - محمد محمود الحويري، المرجع السابق، ص 60.

² - شهد عصر نيرون مقتل رئيس الحواريين الاثني عشرة ومؤسس كنيسة روما بولس وذلك بعد الاستياء من الخطب والمواعظ التي كان يلقيها، فتم القبض عليه بتهمة إزعاج السلطات ومن ثمة تمّ تنفيذ حكم الإعدام في حقه سنة 67م. انظر: أحمد غانم حافظ، الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، د.ط، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2007، ص 118.

³ -مصطفى العباد، المرجع السابق، ص 237.239.246.

⁴ - محمد محمود الحويري ، المرجع السابق ، ص 60.

⁵ -فرنسوا هايم، المسيحيون يلقون إلى الأسود، في تاريخ الكنيسة المفصل، مج1، تر: أنطوان الغزال وصبحي حمودي اليسوعي، ط1، دار دمشق، 2002، لبنان، ص 93

الانشاق الكنسي

وفقا لما سبق بدأت سنوات الاضطهاد ضد المسيحيين والتي امتدت على نحو قرنين ونصف (64-311 م)، غير أن هذه الاضطهادات لم تكن متواصلة بل تخللتها بعض فترات الهدوء والاستقرار وكما اسلفنا الذكر فإن بداية اضطهاد المسيحيين كانت مع الإمبراطور نيرون، ففي السنة العاشرة من حكم هذا الأخير¹ تعرضت روما لحريق كبير وألصفت تهمة إضرام النار بالمسيحيين² حيث يقول **تاسيتس:** " وعلى هذا الأساس انزل نيرون اشدّ الوان العذاب بهؤلاء الرجال الذين كانوا تحت اسم المسيحية القبيح في رأي نيرون قد وصموا فعلا بأشنع العار."³

ومن ثمة انزل على النحلة المسيحية اشدّ العذاب حتى الموت فمنهم من دقّ بالمسامير على الصلبات وخيط آخرون في جلود الحيوانات المتوحشة كما استخدموا كمشاعل تضيئ حلقة الليل⁴، كما رمي البعض الآخر إلى الوحوش الضارية لتتهش أجسامهم في مدرجات عامة تضم خصوم المسيحية لتلهي بهذه المشاهد⁵، كما شهد عصر نيرون استشهاد بولس وبطرس؛ وقد بقى القانون الذي أصدره نيرون القاضي بتحريم المسيحية ساري المفعول على يدّ الأباطرة الذين تعاقبوا من بعده ومن أهمهم دومتيان (81

¹ - إدوارد جيبون المرجع السابق، ص 299.

² - أصيبت روما بحريق كبير إذ طالت ألسنة النار على سبعة أحياء من اصل عشرة التي كانت تضمها مدينة روما، وثلاثة منها دمر تماما، ولم يبقى منها اثر وقد كانت هناك شكوك حول اشتراك الإمبراطور في إشعال هذه النيران بالمدينة، ولكن هذه الشكوك وصلت إلى درجة اليقين عندما ادرك الشعب الروماني أن الإمبراطور امر ببناء قصر منيف له، وتم بالفعل على نفس الأراضي التي أحرقت، ولقد بلغ البذخ حدا بعيدا لبناء هذا القصر الذهبي لما فيه من تماثيل ضخمة وحدائق غناء كثيرة و بحيرات صناعية، كما ذهبت بعض الآراء على دور اليهود في هذا الحريق ومن ثمة وجهوا أصابع الاتهام للإمبراطور انظر: محمود إبراهيم السعدني، **حضارة الرومان (منذ النشأة و حتى نهاية القرن الأول للميلادي)**، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1998، مصر، ص 174. كذلك انظر: السعدني، نيرون و اليهود، **مجلة البحوث التاريخية والأثرية**، العدد 02، 1995، ص 1-15 .

³ - إدوارد جيبون، المرجع السابق، ص 299.

⁴ - المرجع نفسه، ص 300.

⁵ - احمد شلبي، **المسيحية مقارنة الأديان** 2، ط10، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1998، ص 82 .

الانشاق الكنسي

-96 م) ¹ الذي الحق شتى أنواع الأذى بالمسيحيين حتى سميّ بثاني الطغاة، فقد حكم على العديد من الأشراف المسيحيين بالموت كما نفى عدد لا يستهان به من الرجال البارزين دون مبرر ² ومن بينهم فلافيان دوميتيان ابنة أخت القنصل فلافيوس اكليمنس احد قناصل روما³، حتى شبهه يوسابيوس القيصري بخليفة نيرون في ظلمه وبطشه اتجاه المسيحيين⁴ كما لم يسلم المسيحيين من اضطهادات هادريانوس⁵ ومن بعده ترجان (91-117 م)⁶ الذي حرم المسيحية و اعتبر اعتقالها جريمة ضد السلطة⁷، وبعد فترة طويلة نعم المسيحيون بهدوء إلى غاية 202م، حيث قام سبتيموس سيفيروس (193-211 م) بتحريم نشر الديانة

¹ - **دوميتيان**: ينحدر من الأسرة الفلافية، لقب نفسه بالمولى والربّ، كان محبا للسلطة والجبروت، تميز بالقدرة والكفاءة في العمل وورث عن أخيه وأبيه المهارة الإدارية فهو أول من عين خبراء قانونيين للإشراف على الإجراءات القانونية المدنية وبذلك كان أول من فصل الإدارة المدنية على الإدارة العسكرية في التنظيم والحكم، لقب قبل معاصره بالمجنون بالتشديد وذلك لمباشرته في بناء مشاريع عملاقة كثيرة، وضع قوانين تحول بين العبيد والعنق نضنا منه أن هذه الطبقة من شأنها أن تلوث الطبقة الراقية بعد العنق بانضمامها إليها وكسب حقوق المواطنة، تميز بنظرته الإصلاحية اتجاه الولايات وحرس على تثبيت الاندماج الحضاري بها، عموما عرفت فترة حكمه نوعا من الرخاء والهدوء و العدل والسلام فيما عدا عدائه للمسيحية انظر: احمد (علي الناصري)، المرجع السابق، ص 215-228.

² - يوسابيوس القيصري، **تاريخ الكنيسة النصرانية**، تر: القمص مرقس داود، د.ط، مكتبة المحبة، مصر، د.ت، ص 115

³ - المصدر نفسه، ص 116.

⁴ - المصدر نفسه، ص 115.

⁵ **هادريانوس**: ينحدر من ايتاليكا الاسبانية ، وقيل ولد بروما سنة 76م اتخذ لنفسه لقب أغسطس، كان شديد الولوع بالثقافة الإغريقية حتى لقب ب "المتعارق"، تميز بسياسة المسالمة والدفاعية، هجر السياسة التوسعية، واطلق على سياسته اسم "السلام الاغسطي"، قام بعدة إصلاحات في عدّة مجالات ك: المجال العسكري والإداري، وتتميز بالين مع رعيته إذ ضاعف الهبات المقدمة للفقراء كما أعفاهم من الضرائب المتراكمة عليهم، قام بعدة زيارات التي شملت كل أرجاء

الإمبراطورية وقد كللت زيارته إلى إفريقيا بإصدار قانون هادريانوس في 128م والذي يشجع الاستغلال الزراعي بإفريقيا، لكن تمييز بعدم التسامح والتكيد بالمسيحيين للمزيد انظر، سيد احمد (علي الناصري) المرجع السابق، ص 247-269.

⁶ - ترجان: أول إمبراطور يجلس على العرش من أصول غير رومانية، ينحدر من جنوب إسبانيا، لقب من طرف السيناتور السيناتور ب " افضل الأباطرة " في سنة 100م، على يده وصلت الإمبراطورية إلى اقصى اتساعها، فقد وسع حدود نوميديا في شمال إفريقيا حتى حدود الصحراء الكبرى كما أقام حامية لحراسة المستوطنات من هجوم البدو الصحراء كما جعل من تيمقاد حاضرة رومانية عامرة بالأسواق والحمامات والمعابد والمسارح، كما انشأ بها مكتبة كبرى بلغ عدد مجلداتها 23000 مخطوط. انظر : المرجع نفسه، ص 243-244.

⁷ - عمر كمال توفيق ، المرجع السابق ، ص 53

الانشاق الكنسي

المسيحية واليهودية على حدّ السواء، كما كثف وصعدّ من حدة الاضطهادات¹ وإزاء هذه المعاملة السيئة اخذ المسيحيون موقفا معاديا من السلطة، فرفضوا العمل في الوظائف الحكومية وامتنعوا عن الخدمة في سلك الجيش وجعلوا اجتماعاتهم سرية² الأمر الذي جعل الإمبراطور **مكسيمينس** ينكل ويطارد الأساقفة الكاثوليك متهما إياهم بإضعاف الإمبراطورية الرومانية بسبب ما جاءوا به من تعاليم³.

لما اعتلى فاليريانوس⁴ كرسي العرش عمل على إكمال ما قام به سلفه، فأمر جميع حكام الأقاليم بإجبار الأساقفة والشمامسة على تقديم القرابين والأضاحي للآلهة الحامية للإمبراطورية وبذلك يكون فاليريانوس قد حصر هذه المرة قضية تقرب الأضاحي والقرابين إلا في رجال الدين مهددا كل من لا ينصاع إلى هذه الأوامر يكون مصيره النفي... الخ وجاء مرسومه الصادر في 257م ليحكم على العصاة بالنفي ثم مرسوم 258م بالقتل والواضح أن حدة هذه القوانين تصب في حرمان الجماعة المسيحية من زعماءها ومن إقامة شعائرها الدينية⁵ وقد شهد عصره إعدام الأسقف قرطاج كبريانوس⁶ في 14 سبتمبر 258م وقد حاول فاليريانوس تدعيم الخزينة الإمبراطورية إذ استهدفت اضطهاداته مسيحي الطبقة الأرستقراطية من أعضاء مجلس الشيوخ والنبلاء وسيدات الطبقة الثرية، فعمل على مصادرة ممتلكاتهم والحكم عليهم بالموت إذ ما رفضوا تقديم القرابين للآلهة الرومانية⁷

¹ - فرنسوا هايم ، المرجع السابق ، المرجع ، ص 95 .

² - عمر توفيق كمال ، المرجع السابق ، ص 51 .

³ - فرنسوا هايم، المرجع السابق، ص 95 .

⁴ **فاليريانوس**: (253-260 م) مارس اشدّ الاضطهادات على المسيحيين، فقام بمصادرة أملاكهم وكنائسهم كما نفى العديد منهم، وكان الإعدام لبعض الأساقفة الذين تحدّوا قراراته ومن بينهم الأسقف كبريانوس، وقع أسيرا سنة 260م في يدّ الفرس، فخلفه ابنه غاليريوس. انظر: محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص 62

⁵ - Francois Prévot et Jean-louis Voisin, **L'Afrique romaine 69-439**, éd: Philip Lemarchand et Mechél Mirroir, Atland, 2006, p238-239.

⁶ - Maria (Bats), op.cit, 258.

⁷ - فرنسوا هايم ، المرجع السابق، ص 96.

الانشاق الكنسي

بدأت بوادر الانفراج تظهر مع غاليريوس الذي اصدر مرسوم التسامح¹ الذي يغفر بموجبه للمسيحيين مقاومتهم السابقة و اعلن عن حقهم القانوني في الدولة و مما جاء في هذا المرسوم: " و عليه فبموجب هذا التسامح الذي منحناهم إياه يمكنهم عبادة ربهم من اجل صالحنا و صالح الإمبراطورية و صالحهم الخاص."²

فغاليريوس أبى أن يسلك طريق والده فاليريان، فقد رفع الأذى و الاضطهاد عن المسيحيين، كما امر برد كل ممتلكاتهم، وسمح لهم بتشييد الكنائس و امتلاك العقارات³ و منذ هذه الفترة، أصبحت الكنيسة المسيحية تتمتع بالسلم و السلام، الذي غمرها طيلة أربعين سنة، مما سمح لها بالتحرك في حرية تامة و ممارسة معتقفيها لشعائر الدينية ، الشيء الذي سمح لها بالنمو و الازدهار الذي لم تشهده من قبل.

ساعد الشعور السائد بالتسامح الديني من تزايد اتباع هذه العقيدة، التي استقطبت أفراداً من الطبقة الأرستقراطية⁴، لكن هذا النعيم ، لم يدم طويلاً، سيصبح فيما بعد كشجرة بأوراق لكن دون ثمار؛ فتلك الحشود التي دخلت الكنيسة كانت تتمتع بروح الحياة الدينية، و تقدم الشكر و الامنتان، لم تكن تعرف عن المستقبل الذي ينتظرها إلا الشيء القليل و أن تحديات و صراعات إيمانهم لم توضع بعد على المحك.

لا يخفى على احد أن الإمبراطورية الرومانية مع نهاية القرن الثالث للميلاد كانت تعيش منعرجاً خطيراً⁵، فقد أصبحت تعيش انحلالاً و تراجع على كل المستويات و كان

¹ - كان هناك تشكيك في مرسوم ميلانو للتسامح في 313 م و أرجعوه إلى غاليريوس في 311م، وقد وقع الالتباس عندما اجتمع كل من قسطنطين وليكينوس في ميلانو لاحظا وجود 311 م الذي أصدره غاليريوس ولكنه لم يطبق بشكل مرضي، لذا كتب كل منهما خطاباً دورياً لأقليمه يوضح فيه كيفية معاملة المسيحيين و إباحة عبادتهم و أن ما وصل إلى أيدينا هو مجرد نسخة لاتينية لكتاب أرسله الإمبراطور ليكينوس إلى حاكم نيقوميديا الذي يقول بالمساواة بين كل الديانات. انظر: عمر كمال توفيق، المرجع السابق، ص 56.

² - نقلاً عن عمر كمال توفيق، المرجع السابق، ص 53.

³ - محمود محمد الحويري، المرجع السابق، 68.

⁴ - المرجع نفسه، ص 63 .

⁵ - محمد المبكر، المرجع السابق ، ص 57 .

الانشاق الكنسي

لابد من إمبراطور يشدّ العزم وينتشلها من الضعف الذي كانت سائرة فيه، ولعل هذا الإمبراطور هو ديقليديانوس¹ الذي قام بعدة إصلاحات، استطاع من خلالها القضاء على الفوضى وتقويض الأخطار الخارجية².

رأى ديقليديانوس أن تعزيز دعائم هذه الإصلاحات لا يكون إلا بإرساء الوحدة الدينية في كل أرجاء الإمبراطورية وهذا لن يتحقق في ظل التسامح الديني الذي كان معمولاً به، وانتصبت عيناه مباشرة إلى المسيحية التي راي فيها تهديداً لسلامة الإمبراطورية أمام ما عرفته هذه الديانة من انتشار واسع، فعمل ديقليديانوس وشريكه في الحكم مكسيميانوس³ على بعث الاضطهاد من جديد وشهدت فترة حكمه أسوأ فترات التعذيب، فقد شكلت المسيحية وفقاً للتنظيم الدقيق الذي قامت عليه كنائسها في نظر السلطة الرومانية أنها دولة مستقلة داخل دولة⁴ فالرومان عامة اظهروا تسامح مع مختلف الديانات إلا المسيحية وذلك لعدة اعتبارات أهمها :

* اعتبر المسيحيين غير مخلصين للإمبراطورية فقد تنبؤا بسقوطها كما امتنعوا عن الخدمة العسكرية وعن شغل بعض الوظائف.

* اعتبر المسيحيين غير منسجمين مع المجتمع لرفضهم المشاركة في الأعياد العامة.

¹ - ديقليديانوس: (284-305 م) تمتع بشخصية أثارت الهيبة في نفوس رعاياه، آمن بألوهية الإمبراطور، فعبد في معظم أرجاء الإمبراطورية، تميز حكمه بالاستبداد المطلق وله وحده الحق في تسيير كل شؤون الإمبراطورية، قام بعدة إصلاحات شملت لك الميادين، عرف باضطهاده الشديد للمسيحية، سمي عصره بعصر الشهداء، تنازل عن العرش في 305م عند بلوغه الستين من عمره ونال منه المرض للمزيد انظر: محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص38. وما بعدها.

² - المرجع نفسه ، ص 395-427 .

³ - بعد اعتلاء ديقليديانوس كرسي العرش قام بتعيين مكسيميانوس كشريك له في الحكم وكلفه بحكم النصف الغربي من الإمبراطورية واطلق على منهما اسم "أغسطس" و في عام 293م قام بتعيين مساعد لكل منهما بلقب قيصر فاختر إلى جانبه "غاليريوس" وإلى جانب مكسيميانوس " قسطنطيوس" وقد عرف هذا النوع من نظام الحكم بـ الحكومة الرباعية انظر: رأفت عبد الحميد، بيزنطة بين الفكر و الدين و السياسة، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ،مصر، 1997، ص 11 .

⁴ - محمد البشير الشنيتي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية، المرجع السابق، ص 314.

الانشاق الكنسي

* اعتبر المسيحيين سبب في انحلال الكثير من الأسر وذلك بسبب تنصرها¹.

ولابد من القضاء عليها في المهد قبل أن تتحول إلى قوة عسكرية تحكمها قوانينها وتنظيماتها الخاصة التي يديرها أساقفة استطاعوا أن يسيطروا على رعاياهم وأن يخضعوهم إلى قراراتها² فقد نظر الوثنيون إلى العناصر المسيحية على أنها عناصر مخربة تريد هدم التراث الديني والأمجاد الرومانية لتبني على أنقاضها ديانة غريبة³ وعليه عمل ديقليديانوس على اتخاذ أسلوب جديد في الاضطهاد، فاعلن أن كل من لا يمثل للآلهة الرومانية ويقرب لها الأضاحي والقرايين يعتبر خائناً وغير مخلص للإمبراطورية وانه لن يتسامح مع كل من تسول له نفسه بعبادة أي هرطقات خارجية تتنافى وأخلاق وأفكار ديانة الإمبراطور السمعاء لا سيما المانوية والمسيحية⁴، وحرسا منه على تنفيذ المرسوم بحذافيره قام بتسليم شهادة لكل فرد قرب ذبيحة للآلهة ومن هنا صعب على المسيحيين التهرب من ممثلي السلطة، فامتألت السجون بالمعذبون وارتفع عدد القتلى حتى سمي عصره بعصر الشهداء⁵.

تعريزا لهذه القرارات اصدر ديقليديانوس مرسومه الأول في 303م ثم المرسوم الثاني في 304م⁶ والذي كان عبارة عن إحياء لقانون فاليريانوس في 258 م⁷ والذي حذف منه إلا إلا عقوبتين الأولى المتعلقة بالإعدام والثانية بمعاقبة النساء المسيحيات اللواتي ينحدرن من

1 - احمد شلبي، المرجع السابق، ص 96.

2 - إدوارد جيبون، المرجع السابق، ص 367.

3 - سيد احمد الناصري، المرجع السابق، ص 421.

4 - محمد البشير الشنيتي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية، المرجع السابق، ص 314.

5 - فرنسوا هايم، المرجع السابق، ص 95.

6 - في سنة 304 م أصيب ديقليديانوس بالمرض، واستقال من منصبه في 305م في هذه الأثناء استغل مجلس الشيوخ الفرصة واصدر مرسوم 304 م الذي ينكل من جديد بالمسيحيين ويواصل الاضطهاد الذي عرفوه في 303 وقد وجهت أصابع الاتهام من طرف المسحيين إلى جاليريانوس الذي طبق هذا القرار بكل دقة وصرامة في شرق الإمبراطورية على عكس غرب الإمبراطورية التي تماطلت نوعا ما في تطبيق تلك القرارات لا سيما بعد تعاطف بعض الوثنيين مع المسحيين لاسيما في مصر انظر: روبين دانيال، المرجع السابق، ص 241

7 - Maria (Bats), op.cit, 259

الانشاق الكنسي

الطبقة الأرستقراطية¹ وبذلك اعلن الاضطهاد في كامل أرجاء الإمبراطورية² وأمام هذه القرارات الصارمة لم يكن أمام المسيحية إلا هجرة كنائسهم التي هدمت ومنازلهم وأماكنهم التي صدرت فقد منع المسيحيين من الاجتماع وترتيل الشعائر الدينية كما أحرقت كتبهم المقدسة و تم الحط من منزلة العبيد

كما الغي قرار سابق كان يسمح للمسيحيين بالدفاع عن انفسهم بالالتجاء إلى القضاء الروماني³ كما أُقيل عدد كبير من الموظفين من مناصبهم⁴ ووفقا لهذه القرارات لم يعد المسيحيين يتمتعون بأية حقوق مدنية أو قانونية⁵ فقد استهدفت اضطهادات ديقلديانوس المناطق التي تفتت وتجدرت بها المسيحية والتي كانت تحوي عدد كبير من الأوفياء⁶ فقد عرفت شمال إفريقيا منذ بداية القرن الثالث ترسيخا كبيرا للمسيحية خاصة بقاطعة سيرتا حيث وجد بها منذ 256م أول اسقف مسيحي معروف باسم فاليريان ، فالمراسيم الأولى التي صدرت ضد المسيحيين من طرف ديقلديانوس طبقت بصرامة كبيرة على مستوى إقليم سيرتا، فمازالت المحاكم الشرعية تحفظ لنا محاكمة شفوية تأرخ لفترة 19 ماي 303م، والتي تكشف لنا الطرق التي تم بها تسليم كل ما يخص العقيدة المسيحية بما فيها الكتاب المقدس دون أي مقاومة تذكر في حين نجد أن حدة الاضطهاد خفت في مناطق أخرى مع ربيع 305م⁷؛ ونظرا لكثرة الشهداء الذين سقطوا لاسيما في سنة 303م لطيلة شهر شهر كامل فعرف بالشهر المشؤوم، سميت هذه الفترة بعصر الشهداء.

¹ - روبين دانيال، المرجع السابق، ص 241.

² - فرنسوا هايم، المرجع السابق، ص 96 .

³ - سيد احمد الناصري، المرجع السابق، ص 322.

⁴ - فرنسوا هايم، المرجع السابق، ص 96.

⁵ - سيد أحمد الناصري، المرجع السابق، ص 223 .

⁶ - Bernadette(Cabouret) et Marie (Pierre), op.cit, p 30.

⁷ - Ibid, p 115.

الانشاق الكنسي

إن الجدير بالذكر أن ما دفع ديقليديانوس إلى إصدار مثل هذه الأحكام الاضطهادية المجحفة هو سببان :

الأول يكمن فيما سلفنا ذكره وهو ما حققته المسيحية من انتشار واسع، اكسبها قوة التأثير والأفناع في نفوس معتقّيها، وهو الأمر الذي خشى ديقليديانوس أن يتحول إلى تمرد ضد السلطة، وهو بالأمر الهين على أساقفة الكنيسة المسيحية.

أما السبب الثاني فهو ما جاءت به المسيحية من تعاليم فهي تدعوا إلى التسامح والسلام ونبذ العنف والقتال، وهي تعاليم تتنافى مع مصالح الإمبراطورية فقد كانت لهذه التعاليم الأثر البالغ في تشتت صفوف الجيش ، الذي فر الكثير من جنوده اذا ما سمحت لهم الفرصة، والبعض الآخر لم يتورع في عدم الانصياع إلى أوامر قادتهم¹، كما رفض الكثير الانخراط جملة وتفصيلا في سلك الجندية خاصة الذين كانت تربطهم بهذا السلك الوراثة، واصبح شعارهم ما قاله احد المسيحيين بتقيست: **"لا يمكن أن اخدم الجندية، لا يمكن أن احمل السلاح، إنني مسيحي"**.²

عمّت الاضطراب شمال إفريقيا بعد هذا الإعلان الإمبراطوري المتعسف وبرزت ظاهرة الرّدة³، فالذين ادعوا انهم مسيحيون تراجعوا عن ذلك بعد أن امتلأت قلوبهم بالخوف والذعر، لما كان ينتظرهم من عقاب، اذا ما اصرروا على ما هم فيه، لكن هذا الهلع والخوف لم يكن حال كلّ المسيحيين بل على العكس من ذلك، كان هناك مسيحيين اكتشفوا في قرارة انفسهم شيئا من النشاط الروحي، ونوعا من الجرأة المقدسة، فاعترفهم العلني الأول بالمسيحية كان إلى حد ما خجولا لكنه عاد واحيا فيهم إيمانهم وبعث فيهم حماسة كبيرة كما أوحى لهم بعزم جديد للوقوف مع المسيح وكلّ من آمن به.

¹ - محمد البشير الشنيتي، التغيرات، المرجع السابق، ص 315.

² - نقلا عن جوليان شارل اندري، مرجع السابق ، ص 287

³ - محمد البشير شنيتي، التغيرات، المرجع السابق، ص 217 .

الانشاق الكنسي

قبل أن نختم الحديث عن معاناة واضطهاد المسيحيين أيام ديقليديانوس نوّد أن نسرّد قصة إمبريتوس (Emeritus) وما كان يملكه من شجاعة تبين لنا صمود الجماعة المسيحية إبان ذلك الاضطهاد.

عند وقوف "إمبريتوس" أمام القاضي بتهمة سماحه للجماعة الكاثوليكية بالاجتماع في بيته سأله القاضي: " لماذا سمحت لهؤلاء القوم بأن يدخلوا بيتك؟" فأجابه: " لانهم إخوتي وأخواتي، ولم أتمكن بالتالي من منعهم من الدخول إلى داري." فرد القاضي: " لكن كان يتوجب عليك أن تمنعهم." فرد إمبريتوس: " بالطبع لا، إذن لسنا صالحين ما دوما لا نعلن الرب معا." فأجابه القاضي: "إن أوامر الأباطرة والقيصرة هي التي يجب أن تأتي في المرتبة الأولى." عند ذلك رد إمبريتوس: " الله هو الأعظم من الإمبراطور." ثم سأله القاضي: " هل لديك أية كتابات مسيحية في دارك." فأجابه: " أنها في قلبي."¹

إن هذه القصة تبين لنا مدى صمود المسيحيين، فكما صعّدت السلطة في تجديد الاضطهاد كلما كان التصدي والتحدي لها اكثر صلابة.

ففي المراحل الأولى من الأزمة حاول المدعو " فونديوس (Fundus) ناظر كنيسة أبثينا² أن يتوصل إلى تفاهم مع السلطات حول تسليم الكتاب المقدس الخاص بكنيسته، مبيّنا بذلك خضوعه ولو ظاهريا لأوامر السلطة واثّر ذلك تم القبض على مئة وأربعة وأربعون فردا من مدينته والذين حولوا إلى قرطاج قصد استنطاقهم ثم اودعوا السجن في 12 فيفري 314م³

¹ روبين دانيل ، المرجع السابق ، ص 212 .

² - أبثينا (Avitina/Abtina): تأكد النقوش الأثرية وبعض تلميحات أغسطين أن أبثينا تقع على الطريق الرابط بين قرطاج وتيفست على قرابة أربعة كيلومتر من (Membressa) مجاز الباب بتونس، التي شهدت استشهاد أربعة وأربعين مسيحي أيام الاضطهاد وبالتحديد في 12 فيفري 304م وقد بقيت منطقة ابثينا تخلد هؤلاء الشهداء عبر الأجيال إذ تسمى اليوم بـ "شهود الباتن" (Chouhoud el-Batin) أي شهداء أبثينا (Martyrs d'Abtina) أنظر:

Beschaouch Azedine, Sur la localisation d'Abitina, la cité des célèbres martyrs africains, C. R.S. A.I., 120^e année, N. 2, 1976. pp. 255-266.

³ - محمد المبكر، المرجع السابق، ص 25.

الانشاق الكنسي

مما أدى إلى تجمع جمهور كبير من المسيحيين حول السجن، فحاول "منصوريوس (Mensurius)¹ اسقف كنيسة قرطاج ومساعد "كاكيليانوس (Caecilienus)² من تفريق تلك الحشود المسيحية، قصد تجنب تعقيد الأمور³ لكن هذه الحادثة أدت إلى سوء تفاهم بين الطرفين وادت إلى شقاق بين المؤمنين المسيحيين المتحمسين، لتتسع الهوة في ما بعد وتؤدي إلى ظهور اكبر جدل واجهته الكنيسة المسيحية الإفريقية الشمالية طيلة القرن الرابع وبداية القرن الخامس للميلاد

خلال نفس الفترة تلقى منصوريوس، أوامر تقضي بتسليمه الكتاب المقدس إلى السلطات الرومانية ليتم حرقها وإتلافها لكن هذا الأسقف، حاول التحايل على السلطات إذ سلمهم كتب مزيفة هرطقية عوضا عن الكتاب المقدس⁴

وعلى العكس من ذلك فإن إكليروس مناطق أخرى من إفريقيا كانوا أقل فطنة من منصوريوس، فالسجلات الشرعية للسلطات الرومانية مازالت تحفظ لنا ما حدث مع الأسقف

¹ - مونصوريوس : أسقف قرطاج توفي بعد وفاته سنة 311م أو 312م، تم تعيين شماسه سيسيليانوس الذي كانت سيامته سببا في الانشقاق الكنسي الذي مس الكنيسة الإفريقية أنظر: Dictionnaire encyclopédique du chrétianismeancien, sous la direction de Angelo Di Birardino adaptation française: Francois, v I, SRF, Belgique, .1990, p716

² - سيسيليانوسCaecilienus : أحد الأوجه البارزة لبداية الانشقاق الكنسي بإفريقيا بقرطاج في حوالي 311/312م، كان في البداية شماس ثم أسقف لمدينة قرطاج، أظهر قدرة كبيرة على فرض الانضباط، في فترة الاضطهاد اتهم بوضع عراقيل وحشية لمنع وصول الغذاء لمسجونى ابثينا الذين تم سجنهم في قرطاج، بعد وفاة اسقفه مونصوريوس تمت سيامته بسرعة إذ عند وصول اساقفة نوميديا إلى قرطاج من أجل المشاركة في قداس سيامة الأسقف الجديد حسب الأعراف المتعارف عليها كانت سيامة سيسيليانوس قد تمت على يد ثلاثة أساقفة أثنان منهم كانوا من مدينة قرطاج أما الأسقف الثالث كان فيليكس أبثينا من إقليم البيزاسان، مما اثار حفيظتهم واعتبروا سيامته باطلة وأعلنوا ماجورينوس (Majourinus)

منافسا وكأول زعيم للطرف الدوناتى وبعد وفاته خلفه دوناتوس الذي اشتقت من اسمه الحركة ، انظر: **op cit,p 442**

³ - حسب رواية الدوناتيون في " قصة الآمهم" يتعلق الأمر باستشهاد أربعة و أربعين مسيحيا من مدينة ابثينا وذلك اثر منع كاكيليانوس الطعام عنهم حتى ماتوا جوعا، واثر هذه الحادثة رفع شعار كان بمثابة قانون يتبعه المسيحيون الاتقياء وهو، كل من دخل في اتصال مع المتخاذلين لن يشاطرن العيش في ملك السماوات انظر: محمد المبكر ص 25 وما بعدها.

⁴ -Saint-Augustin, traité anti-donatiste, tra :G Finaert, VI, Desclée de brouwer,France .1963,, p

الانشاق الكنسي

بولس على مستوى كنيسة سيرتا أين تعرض هذا الأسقف مع مجموعة من زملائه المسيحيين إلى مدهامة في احد البيوت المسيحية من طرف الحاكم المحلي للمدينة، وقد كانت هذه المدهامة موسومة بالتهديد والتخويف الشديدين ففي الوقت الذي اكتفى فيه بولس بإنكار وجود الكتاب المقدس هرع الكثير من المسيحيين إلى تسليم الكتب المقدسة وكل شيء له علاقة بالعقيدة المقدسة¹. آملين في ذلك كسب رضى الحاكم للغو عنهم، في حين كان موقف بعض المسيحيين مغايرا تماما واستتروا ما قام به إخوانهم المسيحيين تحت التهديد والتخويف.

الأكيد أن هذا هو حال الكثير من المسيحيين في إفريقيا خلال هذه الفترة، فهناك من خارت قواه ولم يستطع الصمود أمام اضطهاد السلطة فسلموا الكتاب المقدس²، وعرفوا بالمتخاذلين (Taraditores)³ أو المرتدين، في حين المقرون بعقيدتهم (Confessores) كونفيسيروس، والذين اخذوا موقفا سلبيا من إخوانهم الذين تراجعوا عن عقيدتهم وتخلوا عنها، فرفضوا كل أشكال التعامل معهم بعد الاضطهاد في حوالي 305م⁴؛ وتعالى أصواتهم المنادية بضرورة انفصال أولئك الشهداء الذين سقطوا في أثينا عن أقرانهم المتخاذلين، وكانت هذه المطالب بمثابة قانون يجب أن يتبعه كل المسيحيين الأبطال.

2- مرسوم ميلانو:

واجهت السلطة الرومانية خلال القرن الرابع للميلاد اعظم مشكلة دينية والتي وجب على المسؤولين إيجاد حل لها، فقد برز على السطح تعارض كبير بين موروث ثقافي مثل جزء من الحضارة الرومانية والذي تجسد في الإمبراطورية الوثنية وبين تعاليم دين جديد

¹ - محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص 200.

² - روبين دانيال، المرجع السابق، ص 201.

³ - المتخاذلين Taraditores: من الفعل اللاتيني Trado بمعنى سلم إلى، وعملية تسليم الكتب المقدسة إلى السلطة المضطهدة عرفت في النصوص ب: Traditio والمسلم ب Traditor؛ وقد احتفظت اللغة الفرنسية بالفاعل Traditeur ولم تحتفظ بالمصدر (Tradition) في هذا المعنى. انظر محمد المبكر، المرجع السابق، ص 25.

⁴ - المرجع نفسه، ص 15.

الانشاق الكنسي

عرف انتشارا واسعا وهو المسيحية¹ ومع مرور الوقت ظهر استحالة التعايش بين الوثنية كدين رسمي للإمبراطورية الذي يتمتع بالمشروعية والأغلبية وبين المسيحية التي نظر إليها كتنظيم غير شرعي تمثله أقلية فقيرة، عانت كما رأينا من اضطهاد السلطة لها وقد عجز الأباطرة على مرّ الزمن في إيجاد حل لهذه المشكلة الدينية، إلى أن جاء قسطنطين محاولا إحلال التسامح الديني، في أرجاء الإمبراطورية وذلك بإصدار مرسوم ميلانو في 313 م. باعتلاء قسطنطين العرش، عرفت الإمبراطورية الرومانية انقلابا سياسيا لا مثيل له ، فبعد أن كانت الإمبراطورية وثنية لعدة قرون، فجأة أعلنت ولائها للمسيحية واحتضنتها² فمرسوم ميلانو شهد وضع مبدأ التسامح الديني الرسمي عبر التاريخ فقد منح هذا المرسوم كل فرد حق العبادة الحرّة، وبالطريقة التي يراها مناسبة وبالتالي فقد تم الاعتراف بوضع المسيحية على قدم المساواة مع بقية الأديان الأخرى المعترف بها في أرجاء الإمبراطورية³، ولكل فرد الحق في ممارسة شعائره الدينية بالطريقة التي يراها مناسبة³؛ مهما يكن فإن مرسوم ميلانو جعل الديانة المسيحية مرخصة كما ساوى بينها وبين مختلف الديانات، وتعهد بحماية أرواح وممتلكات المسيحيين⁴

كان لهذا المرسوم البسيط نتيجتان بعيدتا الأثر والنطاق:

¹ عمر كمال توفيق، المرجع السابق ، ص 51 .

² كلود لوبليه، اهتداء قسطنطين، في تاريخ الكنيسة المفصل، تر: أنطوان الغزال وصبحي حمودي البسوعي ، مج 1 ، ط1، دار دمشق، لبنان، 2002 ، ص 147 .

³ - أن القرار الذي اتخذ من طرف الإمبراطور قسطنطين تدل على تطور في الوعي الفكري أكثر منه في الجانب الروحي، ففي الوقت الذي تمّ الاعتراف فيه بالمسيحية لم يتمّ التعرض للوثنيين بالاضطهاد، وأنّ دلّ هذا على شيء فانه يدل عن محاولة قسطنطين إمساك العصى من الوسط لتحقيق نوع من التواز الديني، فعصر قسطنطين لم يشهد وجود الديانة المسيحية و الوثنية فحسب بل كذلك وجود تيارات دينية مسيحية مختلفة ومتضاربة كالدوناتية والاروسية والبيلاجية.... الخ ، وفي خضم هذا التنافس و الصراع نجد أن قسطنطين حاول حل كل المشاكل بإرضاء الجميع دون أن يغضب فئة أو طرف معين. للمزيد انظر: سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، د.ط، دار النهضة العربية، 1976 ، لبنان، (الفصل الثاني من الكتاب) .

³ - محمود محمد الحويري ، المرجع السابق ، ص 65 .

⁴ سعيد عبد الفتاح عاشور ، المرجع السابق ، ص 37.38 .

الانشاق الكنسي

أما الأولى تمثلت في وضع حدّ للاضطهاد الذي مسّ المسيحيين لفترة طويلة عبر كامل أرجاء الإمبراطورية بما فيه شمال إفريقيا وبذلك تنفس المسيحيين الصعداء ولم يعودوا إلى مكابدة المعاناة والضغط وابتزاز الموظفين الجشعين لهم¹.

لم يكتفي قسطنطين² بمجرد الاعتراف بالمسيحية كدين رسمي، بل اصدر مرسومه في سنة 319م³ والذي منح لرجال الدين المسيحيين نفس الحقوق والامتيازات التي منحت للكهنة والوثنيين، فأعفوا من الضرائب والواجبات الأخرى مثل العمل في المناصب الحكومية بهدف التفرغ لمزاولة نشاطهم الديني⁴، ومما جاء في هذا المرسوم:

"ويغفى الذين يسمون الاكليروس إعفاء كلياً من كل من كافة الواجبات، حتى لا يتسنى لأي امرئ يريد انتهاك حرمة الدين ان ينتزعهم من خدمتهم الكهنوتية المقدسة"⁵ ليصدر في سنة 332م مرسومه الثاني الذي يعفي بشكل نهائي كل المسيحيين من المشاركة في مصاريف الولائم الوثنية⁶ كما سمح للكنائس بامتلاك عقارات واستقبال هبات الأفراد لها⁷، لها⁷، بل وشارك هو بنفسه في تشييد الكنائس الأمر الذي بعث في النفوس روح القوة والمساهمة⁸ الأمر الذي عجل بالانتشار الواسع للكنيسة وكانت من الأمور التي رسخت الوجود المسيحي في المجتمع الروماني وهو جعل قسطنطين ليوم الأحد كعطلة إجبارية تمنع فيها ممارسة أي نوع من النشاطات كما أعطى للأساقفة حق النظر في قضايا المحاكم

¹ - عمار كمال توفيق، المرجع السابق، ص 31.

² - كان قسطنطين من عبدة الشمس ويظهر ذلك في تواجد رسوماها على الآثار المصورة والنقود والنقوش، اعتبر قسطنطين الشمس احد اهم الرموز المعبرة عن كمال الله، و ربما تبعية الشمس للإله كانت سبب في اعتناقه المسيحية للمزيد انظر: المرجع السابق، ص 447.

³ - تشارلز وارث، المرجع السابق، ص 212.

⁴ - المرجع نفسه، ص 57.

⁵ - نقلا عن تشرلز زارث، المرجع السابق، ص 213.

⁶ - المرجع نفسه، ص 213 .

⁷ - Michel (Rouche), Les origine du christianisme 30- 451, Hachette livre, France, 2007, p

107

⁸ تشارلز وارث، المرجع السابق، ص 213.

الانشاق الكنسي

وكانت قراراتهم القانونية تساوي أحكام القضاة العاديين¹ كما امر بمضاعفة النسخ للكتب المقدسة حتى يتسنى لكل كنيسة امتلاك نسخة خاصة بها²، كما ظهرت الرموز المسيحية على القطع النقدية ليصل الأمر إلى حجب الرموز الوثنية تماما³ واستمرت السلطة في دعم المسيحية إلى أن أفل نجم الوثنية بشكل نهائي، عند إصدار ثيودوس مرسوم سنة 438م القاضي بتحريم الوثنية تماما من المجتمع الروماني⁴

أما النتيجة الثانية فتكمن في أن هذا المرسوم كرس لبداية تحالف دائم بين السلطة والكنيسة، فقد استثمر قسطنطين المسيحية ليس في إنشاء مجتمع جديد فحسب ولكنه اصبح محاط بأساقفة يستشيرهم ويستمع إلى نصائحهم في قضايا تخص العامة وحتى القضايا التي تخص الكنيسة وهذا يظهر من خلال المجامع التي عقدت بأمر من قسطنطين أولها في آرل في 314 م.⁵

إن مرسوم ميلانو لم يضع الديانة المسيحية في منزلة اعلى من المعتقدات الأخرى، بل أعطاها نوعا من الشرعية بعد أن كانت الوثنية هي التي تتمتع بالشرعية الرسمية من طرف السلطة الرومانية التي ساعدت بدورها في وضع القواعد الأساسية التي ستجعل من المسيحية المنتصر أمام عدوتها الوثنية⁶ فبفضل قسطنطين أصبحت الوثنية مرخصة⁷ لا ديانة رسمية⁸ فرغم أن المسيحية لم توضع في منزلة اعلى من الوثنية إلا أن ميزان التسامح مال إلى المسيحية دون أن تمس الوثنية مباشرة ففي الوقت الذي منع قسطنطين المساس

¹-Michel (roucher), op cit, p 107.

²- تشارلز وارث، المرجع السابق، ص 213.

³- كلود لوبليه، اهتداء قسطنطين، المرجع السابق، ص 148.

⁴- احمد شليبي، المرجع السابق، ص 96.

⁵-Michel (roucher), op cit, p 107.

⁶- محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص 66.

⁷- المرجع نفسه، ص 67.

⁸- محمود سعيد عمران، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية (مدخل الى التاريخ السياسي و الحربي)، د.ط، دار المعرفة الجامعية، 2000، مصر، ص 24.

الانشاق الكنسي

بالمسيحية وممتلكاتها امر بهدم 03 معابد شهيرة¹ كما اقدم على بناء كنائس رائعة في روما بل شيد القسطنطينية كعاصمة جديدة تكون رمز للديانة الجديدة وهي المسيحية وعلى غرار أقاليم الإمبراطورية استقادت شمال إفريقيا من هذا المرسوم ففي نهاية شهر أكتوبر من سنة 312م لم يفوت الإمبراطور فرصة تعبيره عن عطفه اتجاه المسيحية الإفريقية من خلال مرسوم ارسلهما إلى البرقنصل ألييانوس Anullinus يأمره بإرجاع للكنيسة كل ممتلكاتها، كما اتخذ قسطنطين علاقة مباشرة مع قرطاج ليعلمهم بأنه قد وضع تحت تصرفهم ثلاثة مئة قطعة نقدية لتغطية مصاريف المساعدات الغزيرة للكنيسة بالإضافة إلى توفير الحماية التامة لهم من كل ما قد تسبب في اضطهادهم وتفريقهم من قبل² عموما عرفت المسيحية منذ اعتراف قسطنطين بها ازدهارا كبيرا وكانت تزداد في كل مرة قوة أمام عدوتها الوثنية التي أبت أن تستسلم³ أمام ما صدر من مراسيم ضدها ونخص بالذكر هنا مرسوم ثيودوسوس الذي امر بهدم المعابد الوثنية ومن ثمة تحريم الوثنية بشكل نهائي فاصبح الوثنيون من مضطهدون إلى مضطهدين⁴

3- الانشاق الحقيقي:

عرف موقف الإمبراطورية الرومانية تغيرا جذريا إزاء الديانة المسيحية وذلك اثر اعتلاء قسطنطين العرش وإصداره مرسوم ميلانو الشهير في 313 م⁵ (Edit of Milan) والذي

¹ - محمود سعيد عمران ، المرجع السابق، ص 67 .

² - Francois Prévot et Jean-louis Voisin, op cit, p 126.

³ - أن الوثنية في صراعها ضد المسيحية أظهرت صمودا لا مثيل له، فقد ناضلت لعدة قرون آمله أن تستعيد أمجادها ودليل ذلك وجود شخصيات تسيطر على المناصب العليا في الحكومة مازالت على وثنتيتها حتى القرن الرابع والخامس، كما أن العديد من الشخصيات المثقفة في المجتمع حافظوا على وثنتيتهم خاصة أصحاب مذهب الأفلاطونية المحدثة وظلوا كذلك حتى عهد ثيودوسوس II للمزيد انظر: محمود محمد الحويري ، المرجع السابق، ص 70.

⁴ ميرسيا إلياد، المرجع السابق، ص 448.

الانشاق الكنسي

وضع مبدأ التسامح الديني الرسمي عبر التاريخ¹ فقد منح هذا المرسوم كل فرد حق العبادة الحرة، وبالطريقة التي يراها مناسبة ومما جاء فيه :

" يمنح المسيحيين وسائر الناس الحرية في اتباع ما ترضاه من الديانة نفوسهم، وأن لا يحرم أي إنسان من حرية الاختيار في اتباع عقيدة المسيحيين أو في اعتناق الديانة التي يراها متناغمة وقلبه، حتى يتفضل علينا الربّ بجميل نعماته."²

وفقا لما تقدم فقد تم الاعتراف بوضع المسيحية على قدم المساواة مع بقية الأديان الأخرى المعترف بها في أرجاء الإمبراطورية، إن هذا المرسوم البسيط كان له نتيجتان بعيدتا الأثر والنطاق :

أما الأولى تمثلت في وضع حدّ للاضطهاد الذي مسّ المسيحيين لفترة طويلة عبر كل أرجاء الإمبراطورية بما فيه شمال إفريقيا.

أما النتيجة الثانية كون أن هذا المرسوم كرّس لبداية تحالف دائم بين السلطة والكنيسة، فقد سمح لهم ذلك باسترجاع ممتلكاتهم، وتشبيد الكنائس كما تقلد الكثير منهم المناصب العليا في السلطة، وبدأت كنائس شمال إفريقيا تطلع قدما وتتبئ بحلول العصر الذهبي.

في الوقت الذي كانت الكنائس الأوروبية وآسيوية غارقة في حلّ النزاعات اللاهوتية المتعلقة الغنوسية والآريوسية³ وبدع أخرى كانت كنائس شمال إفريقيا منشغلة بمسألة

1

² - رأفت عبد الحميد، بيزنطة بين الفكر والسياسة، المرجع السابق، ص 39.

³ - الآريوسية: نسبة ل آريوس (Arius) وهو شيخ من شيوخ كنيسة الإسكندرية ، عاش في بداية القرن الرابع للميلاد انكر الوجود الأزلي لكلمة الله، ورفض ألوهية المسيح، اصطدمت مزاعمه بمقاومة عنيفة داخل كنيسته نفسها، عقد في 325 م مؤتمر النظار بمجمع نيقيا (Concil de Nicée) والذي اتخذ قرار ضد مبدأ الآريوسية، عرفت هذه العقيدة قبولا القادة الوندال حتى أصبحت ابتداء من 429م الديانة الرسمية لشمال إفريقيا انظر: محمود محمد الحويري، المرجع السابق، 79 وما بعدها . وجه أغسطين انتقادات شديدة للهجة لآريوس المتمثلة في رسائل متبادلة للزيد ارجع إلى الفصل السادس .

الانشاق الكنسي

عرفت بالدوناتية، والتي تسببت في انقسام حقيقي في الجماعة المسيحية أدى إلى انقسام الكنيسة المسيحية الإفريقية.

لم تتضح معالم الانشقاق الكنسي إلا بعد انتهاء الاضطهاد ببضع سنوات وذلك اثر وفاة اسقف قرطاج "مونصوريوس" حوالي سنة (311-312م) وتم تعيين مكانه الشماس (Diaconus) كايكليانوس (Caicilianus)¹ وقد تمت هذه السيامة بسرعة كبيرة غير أن هذا التعيين لم يكن بإجماع كبار أساقفة نوميديا مما يعتبر خرقا للتقاليد والأعراف الإفريقية.

اثر هذا التعيين توجه جثليق نوميديا سيكندينوس² إلى قرطاج وعقد مجمع حضره سبعون اسقف³ اجتمعوا بمنزل إحدى النساء الأرستقراطيات تدعى لوسيا (Lucilla)⁴ التي يرى الطرف الكاثوليكي أنها قامت برشوة لعدد من الاساقفة المسؤولين عن الاحتجاج الذي قام ضد سيسيليانوس⁵ منددين بعدم أحقيته بمنصب اسقف قرطاج كونه عين من طرف بعض الأساقفة المتخاذلين والمرتدين أيام الاضطهاد ووجهوا الاتهام على وجه الخصوص إلى " فليكس Felix الذي

¹ - Saint-Augustin, **T. Anti.D.**, op cit, p 12

² - **سكنديوس: أسقف تيجزي Tigris** وجثليق نوميديا، وقائد الفريق المعارض لسيامة سيسيليانوس كأسقف لكنيسة لقرطاج، قدم أغسطين في كتابته ضد الدوناتيين وثائق تثبت أنه عفى عن مجموعة من رجال الدين على مستوى نوميديا بعد اعترافه الصريح بتسليمهم الكتاب المقدس ورغم ذلك عفى عنهم أنظر: Augustin(st), lettreXLIII ، **انظر لنص الرسالة التي ألحهاها سيكونديوس في المجمع الملحق رقم 03.**

³ -Ibid, p 12.

⁴ - **لوسيليا:** تنحدر من طبقة اللامعين من أصول اسبانية لكنها استقرت بقرطاج، في خلال فترة حكم ديقلديانوس مما جعلها شاهدة على اضطهادات 303-305م ، كانت رافضة لسياسة الحذر التي اتبعتها الأشقف منصوريوس وشماسه سيسيليانوس اتجاه السلطة حول تسليم الكتاب المقدس ومن ثمة دعمت الطرف المعادي لسيامته فكانت المنظمة والممونة لمؤتمر المنعقد بزعامة سيكونديوس، حتى اتهمها الطرف الكاثوليكي بشراء أصوات الأساقفة المترددين اتجاه هذه القضية، وهذا دليل على ان الكنيسة الدوناتية لم تكن كنيسة الفقراء و الأفارقة فقط. أنظر:

Lepelley Claude. Les sénateurs donatistes. In: **B. S. N. A. F.**, 1990, 1992. pp. 48.49.

⁵ -Bels Jacques. La mort volontaire dans l'oeuvre de saint Augustin. , **R. H. R.**, tome 187, n°2, 1975, p 149.

الانشاق الكنسي

اعتبره دوناتوس¹ واتباعه عدوا لهم لأنه كان من المتخاذلين أيام الاضطهاد ولم يظهر صمودا يليق به ولا بالديانة المسيحية بسبب تسليمه الكتاب المقدس أيام الاضطهاد للسلطات الرومانية كما اتهم أن له يد في تغييب أساقفة نوميديا عن مجمع انتخاب كايكليانوس خلفا لمنصوريوس² واختاروا اسقف بديلا له هو "ماجورنيوس" (Majorinus)³ الذي لم يلبث أن خلفه دوناتوس (Donatus) الملقب بدوناتوس الأكبر⁴ والذي اشتق من اسمه الحركة الدوناتية في نفس الوقت أظهر سيسيليانوس صمودا من أجل الحصول على لقب أسقف قرطاج مستعينا بالسلطة الرومانية⁵.

إن هذا التعيين لم يثر حافظة الأساقفة النوميديين فحسب، بل على مستوى قرطاج نفسها، لم يكن هناك اتفاق على أحقية كايكليانوس بهذا المنصب وحتجهم في ذلك هو سوء معاملته لإخوان المسيحيين في السجن خلال الاضطهاد⁶ - سجناء ابثينا - فقد اتهم كايكليانوس بشراسته في منع إخوانهم المسيحيين من زيارتهم في السجن ومواساتهم كما

¹ - دوناتوس: ولد في 270م بالديار السوداء بجنوب نوميديا، كان على الأغلب اسقف في فترة الاضطهاد المسيحي، رفض أي تعاون مع السلطات الوثنية، في 05 أكتوبر 313م أعلنه مجمع وأسقف روما مليتياذ متهما باعادة تعميم رجال دين خونة، في عهد أغسطين اعتبر المسؤول عن الانشقاق الكنسي الذي مس الكنيسة الإفريقية، ولم يصبح دوناتوس على رأس الكنيسة الدوناتية إلا بعد موت المنافس الرئيسي لسيسيليانوس ماجورنيوس، لم تصلنا مؤلفاته ولا نعرف إلا بعض مقولاته التي أوردها أغسطين في كتاباته، تم نفيه بعد أحداث باغاي لتوفى بالمنفى في حوالي 355م للمزيد انظر:

D.ensy.ch. na, op cit , p714.

² - Augustin(stà, lettreXLIII

D.ensy.ch. na,op cit , p716.

³ - ماجورنيوس: سيد غني وكاهن من لوسيليا Lucilla انظر:

⁴ - في مناظرة قرطاج اكد الدوناتيون على وجود شخصان يدعان دوناتوس: الأول دوناتوس اسقف الديار السوداء (Casae Nigrae) بنوميديا وهو الأول من صدر في حقه أول حكم ضد الدوناتيون سنة 313، أما دوناتوس الأكبر فهو زعيم الدوناتية المشهور والذي بقي على رأس أبرشية قرطاج أربعين سنة (313-347) أين تم نفيه إلى غاية وفاته في حوالي 350-355. الا أن المحدثون يتفقون على وجود دوناتوس واحد أمثال بريسون، وارنيتق سون للمزيد انظر: محمد المبكر ، هـ ص نقلا عن

- Brisson (J.P) , Autonomisme et Christianisme , op cit , pp 237 .

-Warminction (B.H).The Northe African Provinces, op cit, PP.78.97.

⁵ -Bels Jacques, op cit, p 149.

⁶ - Sain- Augustin, T. Anti.D, OP CIT ,PP.14

الانشاق الكنسي

قطع عليهم المؤونة، وعمل على تشتيت المتظاهرين أمام السجن¹ أمام هذه الاحتجاجات المناوئة لـ كايكيايانوس وادعاءات الأساقفة النوميديين، تمخض عنه الانشقاق في الكنيسة المسيحية الأفريقية.

وفقا لهذه الأحداث تعصب كل من الفرقين إلى رأيه رافضا الاستماع والانصياع إلى الرأي الآخر، وتولدت اثرها كنيستين، الأولى كنيسة كاثوليكية بقيادة كايكيليانوس والثانية كنيسة دوناتية بقيادة دوناتوس² هذه الأخيرة التي عانت من اضطهاد معظم الأباطرة، عكس الكنيسة الأولى التي حظيت بدعم ومساندة السلطة الرومانية لها، وقد قضت الكنيستين أشواطاً من المناوشات التي أخذت الطابع الفكري لأن الدوناتيون كانوا يرفضون المواجهة والمناظرة المباشرة مع خصومهم الذين وصفوهم بالمتخاذلين وقد ظلت المواجهة بين الطرفين على هذا النحو إلى غاية 411م³ وهو تاريخ مناظرة قرطاج - التي سيأتي الحديث عنها فيما بعد - أين حضرها الدوناتيون مرغمون ومكرهون بأوامر الإمبراطور هونوريوس.

ثانياً: موقف السلطة من الصراع:

عُرف قسطنطين، بتحيزه والتزامه بالعمل لصالح الكاثوليك على اعتبار انهم كانوا يمثلون الجماعة المحافظة، المساندة للنظام، يؤمنون بالوحدة، ويخضعون لأنظمة السلطة كما تميز نظارهم بالثقافة وإتقانهم للغة اللاتينية.

فقد اظهر الكاثوليك في العديد من المناسبات طاعتهم وولائهم للسلطة، واعتادوا على طلب إرشاداتها، وبات هدفهم هو تحقيق مصالح الإمبراطورية وتعزيز الاستقرار بها اكثر

¹– Ibid, P2.

²– Augustin(st), T. Anti.D, op.cit, p 2

³– Ibid , p13

الانشاق الكنسي

من حرسهم على متطلبات إفريقيا ومصالحها الخاصة¹ على عكس الدوناتيون الذين أظهروا نوعا من العصيان والتمرد وميلهم إلى حرية التفكير بدون أي وازع، فهي تشبه بذلك حركة المونتانيين²

و النوفاتيين³، التي كان يصعب التحكم بها وإخضاعها⁴ كمن اسم الدوناتيين ارتبط بحركة الدوارين التي شكلت مصدر إزعاج والاستقرار بإفريقيا لما زرعت هذه الحركة من فوضى وتخريب بين الجماهير⁵ والتي استفحل أمرها إلى درجة عدم قدرة السلطة السيطرة عليها، وبات وفقا لهذه المعطيات واضحا إلى أي جهة سينحاز قسطنطين، ولكن رغم كل ذلك اظهر هذا الإمبراطور نوعا من الصبر والعدل والحكمة، فرغم انه في البداية انتهج أسلوب الضغط والقمع اتجاء الهرطقة والبدع إلا انه تراجع عن هذا الأسلوب واتخذ من اللين والنقاش أسلوبا له في حل المشاكل إذ يقول: " ليس لغير الأحق أن يأخذ سبيل الانتقام، في حين

¹ - رويين ، دانيال ، المرجع السابق ، ص 242 .

² - المونتانيين: نسبة ل مونتان (Montan) كان كاهن آلهة آسيا الصغرى، بعد اعتناقه المسيحية انتقد التنظيم الكنسي محاولا إحياء المبادئ التي عاش عليها انصار يسوع الأوائل محاولا الارتقاء إلى المبادئ الأخلاقية الروحية ؛ آمن المونتانيين بالتنبؤات وزعموا ن الله يرسل لهم التنبؤات، كما بشروا باقتراب ظهور المسيح ثانية وحلول نهاية العالم اشتهروا بالتنسك والزهد و الصوم وفك أوصار الزواج، كان القديس كبريانوس من اتباعها؛ عمرت حركة المونتانيين زما طويلا نسبيا وهذا يظهر من خلال الإمبراطور جستنيان الذي اطلق عليهم الحرم في القرن السادس للميلاد للمزيد عن المونتانيين انظر: سفينسيسكايا .إ.س، المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية خفايا القرون، تر: حسن مخائيل اسحق ، ط2، دار علاء الدين، 2007، ص 187-189.

³ - نوفاتيين: نسبة ل : نوقاطيانس، وهو رجل لاهوتي متقف من اهم مؤلفاته "غذاء اليهود" " في الثالث " كان له تأثير كبير في إدارة الكنيسة بروما، كان يرى ن الكنيسة لا سلطان لها على غفران الجريمة بل تعود الى الله وحده ، تميز بتشدده العقائدي الذي أدى الى ظهور حركة النوفاتيين التي تدعو الى الحدّ من سلطان الحل والربط الذي أولاه المسيح للكنيسة، وقد ادين هذا المذهب و الحركة في روما في مجمع 251م، فأسس نوقاتوس كنيسة منشقة امتدت من روما الى القسطنطينية وانطاكية والإسكندرية بمساعدة كاهن من قرطاج يسمى نوقاطس وكان اتباعهم يسمون انفسهم بالأطهار وقد ظلت الحركة حتى القرن 07م لنظر: صلاح فنصون، المرجع السابق، ص 13.

⁴ - رويين دانيال، المرجع السابق ، ص 238

⁵ - المرجع نفسه، ص 235

الانشاق الكنسي

يجب أن نوكل ذلك إلى الله، لا سيما وأن من واجبات ديانتنا أن نوقن بأننا ما نعانيه من خبل هذا الصنف إن هو في نظر الله إلا استشهاد.¹

كان أول تدخل لقسطنطين من خلال عقد أول مجمع في روما سنة 313م والذي يدخل ضمن سلسلة المجمع الكنسية التي تعرف بالمجامع المسكونية وذلك بعد أن وجه إليه أتباع ماجورينوس رسالة تحتوي قائمة من التهم والجرائم ضد كيكيليانوس، الأر الذي دفع قسطنطين إلى رفع القضية للأسقف مليتياد² Miltiade من أجل فيها فأمر هذا الأخير بعقد مجمع يمثل فيه الطرفين المتخاصمين لتحري الحقيقة أمام تسعة عشرة أسقف من إيطاليا وغاليا، فجاءت قرارات المجمع ضد دوناتوس وداعمة تعيين كايكيليانوس كأسقف شرعي لكنيسة قرطاج³ في 05 أكتوبر 313م⁴.

لم يولي الدوناتيين هذا القرار أي أهمية بل على العكس من ذلك تجاهلوه تماما وطلبوا مرة أخرى تدخل الإمبراطور قسطنطين بنفسه للفصل في حيثيات هذه القضية، فأظهر الإمبراطور صبرا لا ينفذ⁵، وفعلا طلب مرة أخرى بإنشاء لجنة أوسع نطاقا من سابقتها في 01 أوت 314م بـ "آرل"⁶ والتي انتهت بتبرأة كايكيليانوس للمرة الثانية⁷.

¹ - نقلا عن تشالز وارث، المرجع السابق، ص 213.

² - مليتياد Miltiade: أسقف روما من أصول إفريقية أوكلت له مهمة الفصل في الانشقاق الذي حدث في كنيسة إفريقيا بأمر من الإمبراطور قسطنطين أنظر: D.Ensy.CH, op cit, p. 717.

³ - Lettre LXXXVIII.

⁴ - D.E.CH, op cit, p 713.

⁵ رويين دانيال، المرجع السابق ، ص 236

⁶ آرل: أو ارلس تقع على الساحل الجنوبي من بلاد الغال (فرنسا) وعلى جانبي نهر الرون، أسست سنة 46 ق.م كمستعمرة لفيلق من الجنود المحنكين ثم صارت مدينة تجارية مهمة، في أواخر القرن الرابع أصبحت تستخدم في المناسبات كما كانت مقرّ إمبراطوري عند الحاجة، ودخلت مدينة آرل تحت الضوء الكنسي في سنة 314م حين عقد بها أول مجمع كنسي تحت رعاية الإمبراطور قسطنطين بناء على طلب الدوناتيين. للمزيد انظر: آلان د.فيتجيلرد، المرجع السابق، ص

⁷ - D.E.CH, op cit, p 713.

الانشاق الكنسي

وفقا للقرار الذي أصدرته اللجنة اعتبر كاكيليانوس ناظرا لكنيسة قرطاج، لكن الدوناتيون لم يسكتوا ولم يرضوا بهذا الحكم الذي اعتبره حكما سيئا غير عادل.

في السنة الموالية وبالتحديد في فيفري من سنة 315م طالب المنشقين واتباعه من الإمبراطور قسطنطين إعادة النظر في قضية فيلكس فأمر قسطنطين برقنصل إفريقيا أيلوس بولينوس Aeluis Poulinus بإعادة فتح القضية والتأكد من الاتهامات الموجهة ضده حول تسليم الكتاب المقدس ، فبدأت التحريات من مدينة أبثينا مهد الخلافات أيام الاضطهاد لينتهي الأمر بإطلاق الحكم من قرطاج القاضي بتبرأة ذمة فيلكس من كل التهم الموجه ضده¹.

تفاقت الاضطرابات في إفريقيا، الأمر الذي دفع بقسطنطين إلى اتخاذ قرار حاسم اتجاه هذه القضية فبعد ثلاثة سنوات أي في 316م قرر وضع قرار آرل حيز التنفيذ²، فقابل الكثير من الدوناتيون هذا القرار بالرفض، وكان مصيرهم هو التهديد بالعقاب إن واصلوا العناد والتعنت، كما حضر عليهم الاجتماع ليلا³ والا عرضوا انفسهم إلى اشدّ العقاب.

في خضم هذا الجو لم يتراجع الدوناتيون بتاتا، بل على العكس من ذلك عززت هذه المضايقات من موقفهم وصلّبت قراراتهم واعتبروا انفسهم مضطهدين من جديد فنجحوا بذلك في استقطاب شريحة واسعة من المجتمع الإفريقي التي أصبحت رافضة لبداية علاقة جديدة بين الكنيسة والسلطة - رفضها نسيان أيام الاضطهاد- وأعلنت ولائها ودعمها لزعيم الانشقاق دوناتوس⁴ والظاهر أن الالتفاف الشعبي الكبير حول حزب دوناتوس لم يكن على

¹ - D.E.CH, op cit, p 966.

² - روبين دانيال، المرجع السابق، ص 237.

³ - المرجع نفسه، ص 237.

⁴ - بعد رفض دوناتوس حكم المجامع المتعاقبة والتي برأت ذمة كيكيليانوس سجن بأمر من قسطنطين في ايطاليا، ليطلق سراحه فيما بعد قصد إعطائه فرصة أخرى لمواجهة كيكيليانوس لكنه إغتتم الفرصة ليرجع إلى إفريقيا أين بذل جهود كبيرة

الانشاق الكنسي

دراية دقيقة حول أسباب القطيعة مع روما، حسبهم أنها تعارض روما فقط وهذا كان كافيا، لضم صوتهم إليهم ضد من اضطهدهم و سلبوا أراضيهم، وأرهبوا كاهلهم بالضرائب، فحولتهم من ملاك إلى عبيد لا يملكون حتى ثمن شراء حريتهم¹.

بعد فترة الاضطهاد التي تعرض لها الدوناتيون إبان صدور قانون "آرل"²، راي الطرف الدوناتى نفسه الأكثر تضررا في الصراع القائم بين اطراف الكنيسة المنشقة نظرا لتحيز السلطة إلى الطرف الكاثوليكي وعليه أن يجد مخرجا جديدا يضمن به بقائه فلم يلبث الأساقفة الدوناتيون أن تقدموا بطلب إلى الإمبراطور يدعون فيه إلى العفو والسماح لهم بالعودة من المنفى³.

قبل قسطنطين طلب الدوناتيين، والظاهر أن هذا القبول كان محتما، وله مرجعين الأول يكمن في الشعبية التي كانت الدوناتية تتم بها في أوساط جماهير إفريقيا الشمالية وإمكانية تحريض هذه الجماهير ضد السلطة أو ضد الكنيسة الرسمية باعتبارها حامية لها فقد استطاعت الكنيسة الدوناتية أن تضم إليها صفوفها الفقراء والمعدومين والمظلومين الذين وجدوا فيها أداة ووسيلة لإيصال أصواتهم وانشغالاتهم الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية في الوقت الذي لم يكن قسطنطين مستعدا فيه لإثارة أي فوضى هو في غننا عنها خاصة في اهم مقاطعة ممونة لروما بالقمح.

من جهة ثانية أمل قسطنطين أن يكون هذا العفو سبيل لحل هذا النزاع وإقناع الدوناتيون بالعدول عن آرائهم، ففي 321 م سمح للدوناتيين بحرية التصرف وأن يعملوا بحسب ما

لتعريف بقضيته وكسب تأييد الجماهير، وقد تحقق له ذلك إذ كان يحظى بتقدير كبير كما حظى حزبه بشعبية واسعة النطاق. أنظر:

D.Ensy.CH, op cit, p 966

¹ - رويين دانيال، المرجع السابق، ص 236.

² - المرجع نفسه، ص 238

³ - محمد المبكر، المرجع السابق، ص 199.

الانشاق الكنسي

يرونه مناسب، ودعاهم إلى التعقل والسعي إلى الصلح¹، بل انه أخذ على عاتقه تعويض الكاثوليك عن بعض الكنائس التي انتزعها منهم الدوناتيون عنوة، مثل بناء كنيسة سيرتا سنة 330 م فبنى كنائس جديدة للمظلومين².

لكن الدوناتيون اغتتموا هذه الفرصة لترسيخ عقائدهم وتثبيت دعائمهم، وهكذا تزايد عدد الكنائس كما تدعمت عددا ونفودا وعملت على توسيع نطاقها الجغرافي بعد أن كانت نوميديا هي اكبر معاقل الدوناتية فيبدو انهم طمحووا إلى نشرها حتى في موريطانيا³

استطاعت الدوناتية خلا الثمانين سنة التالية أن تضم أغلبية المسيحيين في شمال إفريقيا فكانوا من اتباعها بكل إخلاص ووفاء⁴.

عمت شمال إفريقيا بالكنائس حتى اصبح المسافرين الغرباء لا يميزون بين الكنائس الكاثوليكية والدوناتية، وذلك لقربها من بعضها، كما لدى الكنيستين الكتاب المقدس عينه كما كانوا يمارسون نفس أنماط العبادة⁵، حتى أن أغسطين علق على هذه القضية بقوله: "نحن إخوة نصلي إلى الله نفسه، نحن نؤمن بالمسيح عينه، كما نستمع إلى الإنجيل الواحد، ونرتل المزامير ذاتها، و نردد الآمين عينها، ونسمع الهللويا ذاتها، ونحن نحتفل بعيد القيامة عينه، فلماذا انتم خارج الكنيسة، بينما أنا في داخلها."⁶

وجدت السلطات الرومانية نفسها أمام معضلة عجزت عن حلها، فرغم كل ما انتهجته من سياسات كإصدار القوانين والمراسيم والحوار والعمو لم تتجح في إخماد نار الفتنة والصراع بين الكنيستين اللتين أصبحتا تطالبان بنفس الحقوق والممتلكات فقرر بكل بساطة

¹ - روبين دانيال، المرجع السابق، ص 238.

² - محمد المبكر، المرجع السابق، 199.

³ - روبين دانيال، المرجع السابق، ص 238.

⁴ - روبين دانيال، المرجع السابق، ص 238.

⁵ - المرجع نفسه، ص 298

⁶ - القديس أغسطين نقلا عن المرجع نفسه، ص 238

الانشاق الكنسي

أن يتجاهلهم¹ منذ شهر ماي 321م أين تخلى تماما عن اتخاذ أي محاولة اتجاه الدوناتية سواء بالسلب أو الإيجاب إلى غاية نهاية حكمه الأمر الذي أتاح لهم فرصة التمتع بالحرية ودليل ذلك، عقد دوناتوس مجمع بسيرتا سنة 336م حضره مئتين وسبعون أسقف².

أ- قسطنطس:

اعتزم قسطنطس منذ 347م التدخل في الشؤون الدينية في إفريقيا، على غرار والده وذلك بإصدار قانون يؤكد به حكم أبيه ضد الدوناتية ونقصد هنا قانون قسطنطين في 316م³ الذي تعرضنا له قبل قليل، وبالتالي فهو يبطل هنا التسامح الذي أصدره سنة 321م؛ ويموجب هذا القانون -قانون قسطنطس- فالدوناتيون اصبحوا معرضين للعقوبات ومصادرة كنائسهم و ممتلكاتهم اذا ما حاولوا التعرض للكاتوليك، وتباعا لهذا القانون ارسل قسطنطس إلى قرطاج مبعوثان إمبراطوريان هما: "بولس" و"ماركيوس" وذلك في محاولة لوضح حد لصراع بين الكنيسة الدوناتية والكنيسة الكاثوليكية واحلال الصلح بينهما⁴

لكن الأمور تعقدت **عندما اقترب ماركليوس** عند وصول المبعوثان إلى مدينة **باغاي** التي كان اسقفها دوناتوس والذي رفض الانصياع لأوامر المبعوثان وحاول مقاومتها الأمر الذي دفع المبعوثان إلى الاستجداد بالقوة العسكرية في حين استجد دوناتوس بالدوارين فوقعت بين الطرفين، معركة طاحنة راح ضحيتها عدد كبير من الأساقفة الدوناتيون⁵ وكان ربما سبب عدم رضوخ دوناتوس للمبعوثين هو أن الأمر كان محسوما من طرف السلطة مسبقا وذلك بالتحيز إلى الكنيسة الكاثوليكية إذ أن المبعوثان وبمجرد وصولهما إلى قرطاج

¹ - روبين دانيال، المرجع السابق، ص 240.

² -

³ - محمد المبكر، المرجع السابق، ص 205

⁴ - Cayrel Pierre. Une basilique donatiste de Numidie **M. A.H.**, tome 51, 1934. pp. 138.

⁵ - محمد المبكر، المرجع السابق، ص 208

الانشاق الكنسي

قاما بشعائرهما الدينية في كيسة كراتوس (Gratus)¹ وتجاهلوا وجود دوناتوس²، الأمر الذي دفع به إلى إصدار مقولته الشهيرة "ما شأن الإمبراطور بالكنيسة؟"³.

من خلال ما سبق عرضه من بعض مراسيم والقرارات والقوانين التي اتخذتها السلطة اتجاه الانشقاق نلاحظ أن الأباطرة استنفذوا كل صبرهم - نخص بالذكر الإمبراطور قسطنطين - وكل حيلهم وأفكارهم في سبيل الخروج من هذه المعضلة، إذ تراوحت القوانين بين العقاب والتسامح، بين التهديد والتحاور لكن الظاهر أن كل هذه الطرق لم تأت أكلها أمام تعنت وتصميم كل من الطرفين وتمسكهم بآرائه وأفكاره؛ لكن قضية أخرى تلفت الانتباه فيما يتعلق بأحداث باغاي سنة 347م وهي عملية استنجد الدوناتيون بالمناضلين الريفين أو الدوارين⁴ فخلال هذه الفترة اظهر الدوناتيين إلى العلن علاقتهم بالدوارين وهذا يدعو إلى التساؤل عن جذور العلاقة التي تربطهم ببعض أو بمعنى آخر هل هناك علاقة حقيقية بين الدوناتية والدوارين؟ أوان هذه الأحداث كانت مجرد صدفة، اضطر فيها الدوناتيون إلى الاستنجد بهم أمام بطش الجيش الروماني كون هذا الأخير يمثل عدوا مشترك لهما؟

الواضح أن المبعوثان الإمبراطوريان لم يتوانوا لحظة في إلحاق الأذى بكل من حاول الوقوف في وجههم دون أن يفرقوا بين الأبرياء أو الدوارين المتسببين في الاعتداء بكل وحشية لا سيما المبعوث مكاريوس⁵، لدرجة أن الدوناتيون اطلقوا لقب حزب ماركوس على الكنيسة الكاثوليكية، وسميت تلك الفترة الاضطهادية بأيام مكاريوس فالهدف الأساسي بات واضحا من هذه البعثة وهو اقتلاع جذور الاضطراب والانشقاق جملة وتفصيلا، وحتى يكونوا

¹ - كراتوس Gratus : اسقف مدينة قرطاج بعد وفاة كايكليانوس سنة 346 م. (مرجع المعلومة)

² - المرجع نفسه، ص 214

³ - رويين دانيال، المرجع السابق، ص 239

⁴ - Augustin(ST), T.Anti.D, p 38

⁵ - Ibid., p 23

الانشاق الكنسي

عبرة لمن يعتبر من هؤلاء الذين ترأسوا الفتنة¹ وعلى اثر هذه الأحداث تم نفي دوناتوس البغائي مع آخرين من القادة.

لقد كانت أحداث سنة 347م باغاي منعرجا حاسما لاسيما في إعطاء نظرة سيئة كان لدوناتيون في غننا عنها، حيث أظهرت الأحداث الارتباط الموجود بين الحركتين الدوناتية والدوارين على الأقل في هذه المرحلة.

إن تدخل المبعوثان الإمبراطوريان بالعنف اتجاه الدوناتية نتج عنه إضعاف الكنيسة الدوناتية وتثبيت دعائم الكنيسة الكاثوليكية "الرسمية" مما أعطى الصراع الديني أبعادا جديدة ووضوحا اكبر في أذهان الافارقة، خاصة الدوارين، فبعد هذه الأحداث تزايد بشكل كبير عدد الكنائس والأساقفة الكاثوليك تحت غطاء ورعاية السلطة² واصبح التواجد الكاثوليكي ملموسا إلى حد كبير في أرجاء إفريقيا بعد ما أن كانت تسيطر عليه الدوناتية.

حتى أن المجمع الكنسي الكاثوليكي المنعقد بقرطاج في سنة 348 م برئاسة **كراتوس** افتتح جلسته بالشكر والامتنان لله على تدخل قسطنطس وإرساله للمبعوثين إلى إفريقيا³، فالكنيسة الكاثوليكية لم تستطع إخفاء فرحتها اتجاه هذا التدخل الإمبراطورية إلى جانبهم الأمر الذي عزز موقفهم وجعلهم في موقف قوة واصبح واضحا جدا للعيان مدى التحالف المتين الذي ربط الكنيسة الكاثوليكية والسلطة الرومانية في الوقت الذي أظهرت فيه الحركة الدوناتية كحركة معارضة للسلطة ومصدر إزعاج لها مما جعلها تتلقى ضربة قاسية كادت أن تقضي عليها تماما لولا اعتلاء جوليانوس العرش⁴.

¹ - Optat De Milève , **T. C. D.**,t1, Edition de Cerf, paris, p 72

² - محمد المبكر، المرجع السابق، ص 228.

³ - المرجع نفسه، 228.

⁴ - Augustin (st), T. Anti.D, op.cit. , p19

الانشاق الكنسي

ب- جوليانوس (361-363م):

مثلت فترة حكم جوليانوس¹ العاصي أو المرتد آخر محاولة للوثنية في صراع مع الحياة أو الموت ضد المسيحية²؛ نهج لوليانوس منذ اعتلائه كرسي العرش سياسة تقضي بالتسامح الديني مع مختلف المعتقدات التي كانت سائدة في أرجاء الإمبراطورية³، غير انه لقب بالمرتد⁴ وذلك لعدم إظهاره الاحترام الكافي اتجاه الكنيسة الكاثوليكية، متهما إياها بتخليها عن مثاليات المسيح البسيطة⁵ وبذلك عمل على إعادة مكانة الوثنية كديانة تمثل جزء من حضارة الإمبراطورية الرومانية.

كان اول مرسوم اصدره جوليانوس لصالح الوثنية في 360م⁶، فبموجب هذا القانون استعادت الوثنية معابدها و ممتلكاتها⁷

¹ **جوليانوس**: هو فلافيوس كلوديوس جوليانوس، ابن أخ غير شقيق لقسطنطين العظيم، كان قائدا مبرزا في ميدان الحرب فانتصاراته المتتالية على ضفتي الدانوب جعلته مدعاة لحقد شديد من طرف الإمبراطور قنسطانطينوس، اعتلى عرش الإمبراطورية بعد الموت المفاجئ لهذا الأخير عام 361م وهو في الثانية والثلاثين من عمره، كان فيلسوفا يحب البساطة وأبهة القصور لذا عاش صوفيا، اشتهر بكرهه للمسيحية و أراد أو يعيد أمجاد الوثنية على حساب المسيحية لذلك لقب بالمرتد أو العاصي. انظر: إسحاق عبيد، **الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية مع دراسة في " مدينة الله "**، د. ط.، دار المعارف، مصر، 1972 ص 61.75.

²- إسحاق عبيد، المرجع نفسه، ص 62.

³- محمد المبكر، المرجع السابق، ص 288.

⁴- كان جوليانوس شديد التعلق بالوثنية، لكنه اخفى ذلك إلى أن مات قسطنطين، وارتداده عن المسيحية يعود إلى سببين

1- تأثر جوليانوس بالفلاسفة الذين عرفهم خلال شبابه، فالثقافة الإغريقية قادتته إلى معرفة بعض الفلاسفة أمثال ليبانيوس الذي تميز بنشر الفضائل الوثنية الإغريقية على حساب المسيحية إلى جانب زيارته لأثينا من اجل استكمال تعليمه الفلسفي فتأثر بالفلسفة اليونانية

⁵- محمد المبكر، المرجع نفسه، ص 288

⁶ -Bidez (J), **la vie de l'empereur julien**, les belles lettres, paris, 1965, p190.

⁷ - تم إعلان هذا القانون لأول مرة في الإسكندرية في 04 فيفري هذا حسب:

Piganiol (A), **L'empire chretienne (325-395), 2^{eme} ed** , mise a jour par CHastagnol, PUF, paris , 1962, p 145

ثم تم إصدار التسامح كقانون عام في أرجاء الإمبراطورية في نهاية 361م انظر:

Chastagnol (A), les fastes de la prefectur de Rome au bas-empire, nouvelles edition, paris, paris, 1962, p

الانشاق الكنسي

اعلن جوليانوس في 01 أوت 362م عن قانون آخر يدعو إلى ضرورة التسامح بين الديانات قائلا: " تمسكوا بالوثام فيما بينكم"¹ وهنا يقصد الوثام بين الوثنية والمسيحية، غير أن تحيز جوليانوس إلى الوثنية ظهر جاليا، بإعلانه حرب أدبية ضد الكنيسة والمسيحية² إصداره قانون 13 مارس 362م والذي يخص التعليم فبموجب هذا القانون تم إصلاح المدارس وأصبحت مهمة تعيين المدرسين لا تتم إلا بموافقة الإمبراطور نفسه، إذ جاء في رسائله: " انه لا ينبغي على كل من يتصدى للتدريس ان يكون طيب الخلق ، حسن السيرة ، وأن لا تكون آرائه مخالفة للحكومة ."³

وبالتالي اصبح أبناء المسيحيين يتلقون الثقافة الوثنية رغما عنهم في حين امتنع الكثير منهم في إرسال أبنائه إلى المدارس خوفا من أن يتحول صغار المسيحيين إلى وثنيين وتخلى آخرون عن مهنتهم في التدريس، الأمر الذي جعل المسيحيين من الناحية الفكرية دون الوثنيين⁴، ناهيك عن الامتيازات الكثيرة التي منحت لكل من يتخلى عن المسيحية، كما تم عزل عدد لا يستهان به من المسيحيين من المناصب العسكرية وكذا المدنية وأقام مكانهم وثنيين⁵، كما رفع علامة الصليب من أعلام الجيش ودروع المحاربين وابدلها بشارات بشارات وثنية⁶ كما حرم رجال الدين المسيحيين من الحقوق والهبات التي اغدق بها عليهم قسطنطين بل وصل به كره المسيحية إلى عدم قدرته على سماع اسم المسيح فاطلق على المسيحيين اسم "الجليلين"⁷

¹-Julien L'empereur, **Ceuvre complète**, t₁, 2^{eme} parti , lettres et fragments tra M J . Bidez ,2^{eme} ed les belles lettre, paris 1960 p 195.

²- أحمد غانم حافظ، المرجع السابق، ص 141.

³- نقلا عن الباز العريني، **الدولة البيزنطية 323م-1081هـ**، د.ت، دار النهضة العربية، لبنان، 1986، ص 36

⁴-المرجع نفسه، ص 36.

⁵-المرجع نفسه، ص 35.

⁶- عمر كمال توفيق، المرجع السابق، ص 66 .

⁷- إسحاق عبيد، المرجع السابق، ص 65 .

الانشاق الكنسي

بالموازاة مع سياسة جوليانوس ضد المسيحية واصل دعم الكهنة الوثنيين ودعم ركائزهم، فعمل على إعادة بعث المعابد الوثنية وشجع تقديم القرابين من اجل عبادة الآلهة الوثنية، ولما رأى جوليانوس صعوبة الأمر بسبب ما عرفته المسيحية من انتشار واسع وترسخ بين الأفراد عمل على إصلاح شؤون الوثنية¹، فراح ينظم المعابد الوثنية على نسق الكنيسة المسيحية، وذلك بتأسيس شبه كنائس موزعة على كل الأقاليم² تتلى بها أسرار الحكمة اليونانية والأمر الذي يقابل المواعظ عند المسيحيين³

إن كل القرارات التي اتخذت من طرف جوليانوس كانت لصالح الوثنية، ففي جوان 362 م، منع حكام الأقاليم من إقامة أي تشييدات أو بناءات جديدة مستثيا بناء المعابد الوثنية مما جاء في نص المرسوم: "إن كل حكام الأقاليم يمنعون من اتخاذ أي قرار فيما يخص تشييد مباني جديدة إلا فيما يخص إتمام أشغال أسلافهم باستثناء السماح ببناء المعابد الوثنية". ترجمة شخصية⁴

في خضم التحيز الذي أظهره جوليانوس إلى الوثنية ضد المسيحية استغل الدوناتيون فرصة إصدار الإمبراطور قانون 362م الذي يقضي بالتسامح مع كل الديانات ودعوا إلى أن يشمل هذا التسامح كنيستهم الدوناتية، وأمام الانتشار الواسع لهذه الكنيسة في إفريقيا لم يرى جوليانوس داع لصددهم⁵ الأمر الذي سمح لهم بالرجوع من منفاهم واسترجاع الأساقفة الدوناتيون العديد من ممتلكاتهم⁶ لاسيما التي صدرت منهم في سنة 347م والتي كان

¹ - إسحاق عبيد، المرجع السابق، ص 65 .

² - Julien L'empereur , Œuvre complète , op cit , p 144 147 .

³ - عمر كمال توفيق ، المرجع السابق ، ص 66 .

⁴ -Cod. Theod, XX, 1.3 , Ils (les gouverneurs de provinces) ne doivent entreprendre aucune nouvelles nouvelles construction jusqu'à ce qui'ils aient acheve les travaux commencé par leurs prédessesurs , exceptée seulement la construction de temples).

⁵ - رويين دانيال، المرجع السابق، ص 240.

⁶ - لم يخص مرسوم جوليانوس بالتسامح اتجاه الدونتيين فقط بل شمل الطوائف المسيحية الأخرى التي أرسلت الى المنفى في عهد سابقه لأريوسيين أو اتباع مجمع نيقيا، قد استضاف جوليانوس زعماء هذه الطوائف المتصارعة لسماعهم

الانشاق الكنسي

الكاثوليك قد استولوا عليها¹، كما تمّ تعميم الكثيرين الذين اصبحوا مجددا دوناتيين فضلا على أن بعض النظار صاروا دوناتيين كذلك²، ووفقا لهذا استعاد الدوناتيون بسرعة كبيرة ما كان قد فقد منهم من قبل، فقد راي جوليانوس أن تغذية الانشقاق الذي مسّ الكنيسة المسيحية سوف لا يجعل منهم مصدر خوف على الوثنية³

ادن تمتع الدوناتيون في فترة حكم جوليانوس بنوع من الحرية، فبعد ما عانوه من اضطهاد ونفي تذكر الكثير من المصادر الأدبية وعلى رأسها المؤلف ابطاتوس الميلي في كتابه "معاهدة ضد الدوناتية" على انه منذ سنة 362 م امرت السلطات الرومانية بإفريقيا باسترجاع كل الممتلكات التي صدرت من قبل، وبفضل هذه القرارات وجدت الدوناتية الجوّ الملائم لإعادة بعث نفسها، وان كانت قرارات جوليانوس تظهر التسامح الديني مع كل المعتقدات والديانات فان ابطاتوس يرى عكس ذلك ويلخص أن هدف جوليانوس الأول هو "هدم السلام"⁴ لان رجوع الدوناتية إلى إفريقيا واسترجاعهم لممتلكاتهم ومناصبهم كان مصحوبا بالحقد والكراهية ضد منافسيهم، فقد هاجموا الكنائس واقترفوا الجرائم واستفزوا كل مسيحي اعترض طريقهم⁵

فحسب ابطاتوس، أراد جوليانوس أن يحيي الخلاف الموجود بين المسيحية والدوناتية، لخلق جوّ ملائم للوثنية وانتشارها، وبالتالي سياسة التسامح الديني كانت لصالح المنشقين والتي زعزت المسيحية وفتحت أبوابا جديدة أمام إعادة بعث الوثنية فمجرد سماح

ومناقشتهم في قصره غير أن صخبهم وكثرة شغبهم في المناقشة جعله يصيح فيهم قائلا: " أليست لكم آذان تسمع ؟ أصغوا إلي قليلا، إن برابرة الفرنجة والألمان كانوا يجيدون أدب الاستماع لي." ثم طرد الجميع من مجلسه انظر: إسحاق عبيدة، المرجع السابق، ص 64.65.

¹-المرجع نفسه، ص 240.

²- محمد المبكر، المرجع السابق، ص 288.

³- الباز العريني، المرجع السابق، ص 36.

⁴ -Optat de Miléve, op cit, p 15.

⁵-Ibid, livre II, p 17.1

الانشاق الكنسي

جوليانوس لدوناتية بالعودة إلى إفريقيا يعتبر في نظر ابطاتوس اضطهاد غير أن جوليانوس لم ينجح في مقاومة المسيحية وتحطمت جهوده والواقع أن الوثنية لن تكن لتنهض من جديد لأنها قد انهكت وهلكت¹ بينما ظفرت الدوناتية بانتعاشة وصحة من جديد، جعلها تقوم مرة أخرى ضد منافستها الكاثوليكية.

ثالثا: ازدهار الدوناتية

عرفت الدوناتية انتشار واسع في إفريقيا الرومانية، ولم تعرف لها أعداء بالمنطقة، الأمر الذي ساعدها على الانتشار على نطاق واسع خاصة في ناحية نوميديا التي تعتبر اهم معاقلها واضحت بذلك تشكل الأغلبية بالمقارنة مع الكنيسة الكاثوليكية، وازداد عدد اتباعها حتى وصل إلى اكثر من نصف عدد المسيحيين في إفريقيا² فعند وصول أغسطين إلى هيبورجيوس في سنة 391م، و جد الأغلبية الساحقة من سكانها المسيحيين ينتمون إلى الكنيسة الدوناتية فمن بين 311 كنيسة و معبد نجد 219 منها يعود إلى الكنيسة الدوناتية³، وهذا دليل واضح على احتلالها الصدارة في إفريقيا، فضلا عن تحول الكثير من السكان الكاثوليك إلى الدوناتية وذلك هروبا من المشاكل التي كانت تلحق بهم من طرف هذه الأخيرة، استطاع الطرف الدوناتى ربح الدعاوي ضد خصومهم المسيحيين لان تأثير الدوناتية كان عميقا إلى حدّ أن بذور الانشقاق و الفتنة تخللت المجتمع بل أفراد الأسرة الواحدة الذين رغم تقاسمهم كل عناصر الحياة تحت سقف واحد لكنهم اختلفوا في انتمائهم الكنسي المذهبي.

¹ -الباز العريني، المرجع السابق، ص 37.

² -ورمنقتن (ب.هـ)، المرجع السابق، ص 119.

³ - عمرا عبد الحميد، الديانة المسيحية في المغرب القديم - النشأة و التطور -، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه

،جامعة منتوري قسنطينة ، 2011/2010

الانشاق الكنسي

استطاع الدوناتيون أن ينكلوا بإخوانهم المسيحيين، فقد منعوا مثلاً في كثير من الأحيان من تحضير وبيع الخبز إلى الكاثوليكين، فقد اضطر سلف الأسقف فاليريانوس فوستين إلى طهو الخبز للكاثوليكين الذين كانوا قلة¹ كما كان الأساقفة الكاثوليك عند إلقاءهم للمواظ مجبرين على تحمل صراخ وصياح الدوناتيين المجتمعين لإحياء حفلات تمجد شهدائهم²

إن الجدير بالذكر أن مثل هذه التصرفات التي كانت تصدر من قبل الدوناتيين إنما تدل على مدى تجذر الحركة وانتشارها الواسع في المنطقة، غير أن هذا الانتشار لم يمس - حسب المعلومات المتوفرة - الطبقات العليا في المدن إلا القلة القليلة، إذ أن هذه الأخيرة ظلت وفية في عباداتها للديانة الوثنية³

إذا كانت الدوناتية قد فشلت في ضم عليية القوم إلى صفوفها فإنها نجحت في استقطاب وعلى نطاق واسع الطبقة المثقفة⁴، و هذا يظهر بوضوح من خلال سير بعض البارزين منهم أمثال دوناتوس، فعلاوة على الخلق العظيم الذي كان يتمتع به، فقد كان يتمتع بثقافة واسعة اتسمت بالتشبع بالثقافة الرومانية التقليدية، التي ازدهرت في المدن الإفريقية طيلة القرن الرابع للميلاد، الأمر الذي جعله محل احترام واعتراف من قبل خصومه ومنافسيه⁵؛ إلى جانبه نجد تيكونيوس المفكر والفيلسوف الدوناتى الذي تميز بمعرفته الواسعة للدراسات التقليدية والمسائل الدينية حتى أن القديس أغسطين كان يتبنى الكثير من آرائه، بالإضافة إلى قصة المحامي الشهير ذائع الصيت بالقسطنطينية بتليان فعلى الرغم من انتمائه إلى الكنيسة الكاثوليكية استطاع الدوناتيون من ضمه إلى صفوفهم ليصبح اسقف

¹- Louis Guérin, Histoire de st augustin, chXVIII, bibliothèque Abbaye Saint Benoît de Port-Valais .

²- Fancois Decret , le christianisme en Afrique du nord ancienne ,seul, paris ,1996, p163 -

³- رومنقن، المرجع السابق، 135.

⁵-

الانشاق الكنسي

دوناتي كرس كل حياته ومواهبه في الدفاع عن هذه العقيدة الجديدة بل واصبح المتحدث الرسمي لها¹ وقد وصل عدد الأساقفة الدوناتيين في فترة أغسطين إلى 410 اسقف، وهو عدد لا يستهان به².

تعتبر فترة بريميانوس من الفترات الذهبية بالنسبة للدوناتية ، فقد استطاع هذا الأسقف والخطيب المشهور والمتمرس الذي تمت سيامته في 390م من بعث نفس جديد في انصار الحركة للدعاية ضد الكاثوليك فقد استطاع بشخصيته القوية أن يضع الأساقفة الكاثوليك في درجة من التفاهة والتراخي³ .

يمكن القول أن الأدب الدوناتى في عمومه تميز بالوفرة و الغزارة اذا ما قورن بالأدب الكاثوليكي فان استثنينا القديس أغسطين يمكن القول أن الكاثوليكية كانت ديانة غير المتعلمين في الوقت الذي استهوت فيه الدوناتية المثقفين حتى أنها طيلة القرن الرابع للميلاد ظلت تستقطب الأذكياء و المفكرين المسيحيين من الافارقة من معلمين و محامين جاءوا في معظمهم من طبقة أعضاء مجالس المدن⁴ ودليل ذلك أن قانون 412 م الذي ارهق كاهل طبقة الممتازين بضرائب مثقلة نتيجة لا صرارهم على التمسك بالعقيدة الدوناتية⁵ .

لا شك أن الثقافة العالية التي تمتع بها أساقفة وانصار الكنيسة الدوناتية قد اكسبها الكثير من القوة وساهم في صمودها أمام كل الاضطرابات التي عصفت بها و جعلتها على قدم المساواة مع الكنيسة الرسمية الكاثوليكية التي عملت جاهدة على الإطاحة بها والقضاء

¹ - رومنتن ، المرجع السابق ، ص 135 .

² - Louis Guérin , op cit ,chXIII.

³ - Paul Corbier et Marc Griesheime , l'afrique romaine 146 av.j-c 439ap.j , M ellipes

France, 2005, p 235

⁴ - رومنتن، المرجع السابق، ص 136 .

⁵ - المرجع نفسه، ص 136

الانشاق الكنسي

عليها وذلك على طول تعاقب الأباطرة، الذين عرفوا بتحيزهم الواضح إلى الكنيسة الكاثوليكية.

أن الصحة والانتعاشة الحقيقية التي عرفتها الدوناتية كانت في فترة حكم جوليانوس فاستمرارية شعبية الدوناتية رغم ما عاناه زعمائها من تشتت في صفوفها بسبب النفي و مصادرة ممتلكاتهم إنما يعود إلى مرسوم التسامح الصادر في 362 م و الذي اسلفنا التحدث عنه في العنصر السابق، والذي شملهم بالعفو، الأمر الذي فسح المجال أمام زعماء الحركة بالعودة من مناهم بل واسترجاع كبرى كنائسهم وممتلكاتهم، مع السماح لهم بحرية ممارسة شعائرهم الدينية¹.

اتسمت عودة الدوناتية على مسرح الأحداث بنوع من الحقد والعدوانية اتجاه منافسيهم الكاثوليك، وما زادهم شجاعة في المضي قدما في ما قاموا به من أعمال عنف هو تعاطف الموظفين معهم وعدم حرسهم على تطبيق القوانين الصادرة من قبل بصرامة وذلك يعود إلى عدة أسباب سنحاول تلخيصها في الفصل السادس .

إن الجبروت والطغيان الذي نعم به الدوناتيون خلال فترة حكم جوليانوس لم تدم طويلا فبعد موته اعتلى **جوفيانوس** العرش ومن بعده **فالننتيان** الذين عملوا على إعادة مكانة المسيحية، فكانت كل القوانين الصادرة تصب في مصلحة الكنيسة الرسمية .

اضطر الدوناتيون في هذه الأوضاع إلى إعادة النظر في طرق العمل المنتهجة ، من عنف إلى تبني سياسة القانون من اجل استرجاع ممتلكاتهم²، وقد نجح الدوناتيون في كثير من الأحيان في التخلص من عدة قضايا، خاصة وأن قضائهم اتسموا بالمرونة خاصة في قضية دفع الغرامات المالية المفروضة وفقا للقوانين لصادرة عن السلطة إذ

¹ - المرجع نفسه، ص 138.

² - رومنتنن، المرجع السابق، ص 139 .

الانشاق الكنسي

اعتبروا انفسهم غير مصنفين كهراطقة وبالتالي كل القوانين الصادرة في هذا المضمار لا تطبق عليهم¹.

إذن كان تنفيذ القوانين الصادرة ضد الدوناتية صعبة التطبيق في بعض الأحيان ، كما استطاع الدوناتيون انفسهم التخلص منها أحيانا أخرى .

تضافرت عدة عوامل في جعل الحركة الدوناتية تعرف ازدهار كبير وانتشار واسع لاسيما في 20 سنة الأخيرة من القرن الرابع أو على الأقل اخرت من سقوطها وانهزامها أمام منافستها الكاثوليكية .

رابعا الانشقاق الدوناتى:

بعد أن حققت الدوناتية ازدهارا كبيرا ستعرف خلال الفترة المقبلة مشاكل اخطر من التي عرفتها من قبل السلطات الرومانية؛ فأنصار بريميانوس سيعرفون انشقاق داخلي وتجزئة على مستوى كنيستهم وذلك بسبب خصام و نزاع بعض الأفراد داخل الحركة ، التي ستفرز بدورها انشقاقات أخرى لا تعد ولا تحصى في الكثير من الأقاليم .

كان أول انشقاق مسّ الكنيسة الدوناتية في موريطانيا القيصرية فيما بين 362-372 م، حيث تم العتاب على بعض الرفاق على عدم تسامحهم المذهبي وتواطؤهم في أعمال العنف والشغب التي حولت بعض الأوفياء إلى مذنبين، فلم تتل مثلا ثورة فيرموس دعما واتفقا بالإجماع من طرف الكنيسة المنشقة² الأمر الذي جعل اتباع فيرموس يتجهمون على الأفراد الغير مؤيدين لهم ومن بينهم "ركاتوس" Rogatus³ الذي رفض بشدة عنفهم وادى الأمر به إلى الانشقاق عن الكنيسة الدوناتية⁴، وقد عانى الروكاتيون (اتباع روكاتوس)

¹ -المرجع نفسه، ص 142 .

² -Paul Corbier et Marc, op cit, p 233

³ - ركاتوس: اسقف كارتينا Cartennae وهي تنس حاليا غرب الجزائر .

⁴ -Ibidem, p 234

الانشاق الكنسي

من رد فعل بريميانوس واتباعه الذي استغل ثورة فيرموس الإفريقي في القضاء عليه، وقد اختفت الروكاتية شيئاً فشيئاً وأخر إشارة لها كانت عند أغسطين وترجع إلى حوالي 420 م¹. عرفت الكنيسة الدوناتية انشقاقاً آخر في حوالي 380م في قرطاج، تزعمه كلاوديانوس وهو اسقف دوناتي في مدينة روما والذي عرف خلاف بينه وبين بريميانوس في قرطاج غير أن انشقاقه لم يتعدى مدينة قرطاج ولم يستمر طويلاً إذ رجع إلى حضيرة الكنيسة الدوناتية في حوالي 392 م².

اخطر انشقاق عرفته الكنيسة الدوناتية هو انشقاق 393م والذي نشب بقرطاج بصورة مفاجئة، وعرف انتشاراً إلى معظم الأقاليم الشرقية خاصة إقليم بيزنكا (المزاق) وتعود خيوط الانشقاق إلى أقدم بريميانوس بحرم احد شماسته وهم مكسيميانوس³ فاعلن هذا الأخير تمرداً، ضاماً حوله عدد من الأساقفة، ففي 24 جوان 393م اجتمع اكثر من 100 اسقف في مجمع عقد ب بيزنكا والتي أدانت بريميانوس وأعلنت ولائها لمكسيميانوس، وبعد سنة تقريباً من **هذا التمرد او الانشقاق** جاء الردّ من نوميديا، ففي حوالي 24 أبريل 394م وبالتحديد في باغاي عقد مجمع مهم ضم حوالي 310 اسقف كان اكثرهم من نوميديا وموريطاني وتمت من خلاله تزكية بريميانوس على راس الاسقفية الدوناتية⁴

كما أدانت مكسيميانوس و11 من اتباعه، وهذا الاستعراض في القوى من الجهتين تعطينا فكرة عن تجدر الانشقاق، وقد ارتفع عدد أساقفة الكنيسة الدوناتية بزعامه بريميانوس إلى 400 اسقف سنة 394م ،عندما تبرأ أساقفة بيزنكا من المجمع الذي عقد بها، وتجنبت حضوره.

¹ -Monceux (Paul) , R.H.R , t 63 , paris , 1911 p 187 188 n° 07. ____

² -Monceux (Paul) , r.h.r, op cit, p 189.

³ - شخصية تمثل الاتجاه المحافظ ومن المطالبين بالحفاظ على مبادئ كابرانوس الذي يعكس آراء الدوناتيين الأوفياء في

Francois Decret, op cit, o 162

كل من البروقنصلية وبيزنكا انظر:

⁴-Paul Corbier, op cit, p 236

الانشاق الكنسي

بهذا أصبحت البروقنصلية وبيزنكا، البريميانيين والكسيمانيين في معاداة وتنافس على ان البريميانيين كانوا يمثلون الأغلبية، وقد لجأ الفريقان إلى سلطة المحكمة من اجل استرجاع ممتلكاته من طرف خصمه، حيث امر المؤتمر المنعقد بقرطاجة في سنتي 401م و403م المنهج الواجب اتباعه في جمع الأدلة المتعلقة بالخصمين كما امر الحكام المحليين بإجراء تحقيقا بخصوص امتلاك الكتدرائيات على أن هذا التحقيق يكون مدونا في محاضر¹ كما لم يتردد البريميانيين في الاستعانة بالدوايين ضد خصومهم المنشقين وفي نفس الفترة قام ابطاتوس التمقادي بنشر الرعب والعنف في كل أرجاء نوميديا ، مستعينا بالدوايين ثم في 397م قام جيلدون² على رأس قوات إفريقيا بالتمرد على هونوريوس وقد دعم الأساقفة المنشقين هذا التمرد ورغم أن هذا الانحراف كان فردي لكنه اقنع السلطات الرومانية بأخذ فكرة أن الكنيسة المنشقة اتسمت بطابع عدم التفاهم والاندماج فيما بينها وفي نفس السنة 397م انتصر البريميانيين وقرروا العفو عن بعض الأساقفة المكسيمانيين وأرجعتهم إلى حظيرة الكنيسة الدوناتية وهذا لا يعني موت الانشقاق المكسيماني ولكنه ضعف كثيرا واصبح محصورا في اقليم بيزنكا.

¹ - شال مونيي، تأثيرات أغسطين على التشريع الذي عاصره، تر: محمد هناد، في أغسطين إفريقياته وعالميته، ج1، منشورات م.إ.أ، الجزائر، 2003، ص 140 .

² جيلدون : من الأبناء البارزين ل نوبال، تميز بالحكمة السياسية فضلا عن كفاءته العسكرية ، كما كان وفيا للسلطة الرومانية، التي انتهت بكسب ثقة الإمبراطور ثيودوز، الذي رفعه إلى مصافي الرجال الشرفاء كما قلده مناصب رفيعة ووصلت العلاقة بين الطرفين إلى المصاهرة حيث زوجت ابنة جيلدون صالفينا Salvina من ابن أخ الإمبراطورة فلاسيا Flacille زوجة الإمبراطور ثيودوز الأمير نبريديوس Nubrudius أنظر: محمد الحبيب بشاري المرجع السابق، ص 249.

خاتمة:

بحلول القرنين الثالث والرابع بعد الميلاد، بدأ المجتمع المسيحي في النمو بشكل كبير. أصبح عدد من أباطرة الرومان يضطهدون العقيدة المسيحية بشكل مباشر، وكان عهد الإمبراطور ديوكليتيانوس أكثر فترات اضطهاد وتكفيل بالمسيحيين حيث وصل عدد قتلى المسيحيين إلى حوالي 3500 مسيحي من أصل 6 ملايين مسيحي في الإجمال.

استطاعت المسيحية أن تحقق النصر لاتباعها بعد كل ما عانته من اضطهاد، وهذا بفضل شجاعة اتباعها وصبرهم على كافة أنواع العذاب الذي الحق بهم، ولعل ما حققتة المسيحية من نجاح يعود إلى ما جاءت به من تعاليم كالعدل والمساواة، فقد أصبحت المسيحية مأوى لكل من لم يجد مأوى في ظل الإمبراطورية الرومانية، فقد ألغت المسيحية كل الحواجز الاجتماعية والعرقية والثقافية وغذا كل الأفراد على ساق من المساواة لا يفرق بينهم إلا بالعمل الصالح .

إن التلاحم والتضامن الذي نعمت به المسيحية بالأمس لم يفتئ إلى أن يتحول إلى صراع داخل جدران الكنيسة ويقسمها إلى شقين متعادين قرابة قرن من الزمن، كنيسة كاثوليكية وأخرى دوناتية، هذه الأخيرة ورغم عدم نجاحها في استمالة السلطة إلا أنها نجحت وبامتياز في ضم جماهير غفيرة حولها واستمدت قوتها منهم، فعرفت بذلك ازدهار وتوسع لا مثيل له، لكنها في نفس الوقت لم تسطع أن تحافظ على وحدة صفوفها مما أدى إلى انشقاقها وتشتتها إلى فرق كثيرة، ليصبح هذا الانشقاق هو نقطة ضعف يستغلها خصومهم الكاثوليك.

الفصل الثاني

موقف أغسطس من الدوناتية و الفوضى المحلية

أولاً: الدوناتية والفوضى المحلية

ثانياً: أغسطس و الدوناتية

ثالثاً: مآخذ أغسطس ضد الدوناتية

رابعاً: استراتيجية أغسطس في مواجهة الدوناتية

تمهيد:

أخذ الانشقاق الذي مسّ الكنيسة الإفريقية حيزا كبيرا من تاريخ شمال إفريقيا والذي ظل قرابة قرن من الزمن، تميز بالصراع المستمر بين الكنيسة الرسمية التي مثلتها الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة المنشقة التي مثلتها الكنيسة الدوناتية، وأمام التحالف العنفي الذي ظهر بين السلطة والكنيسة الكاثوليكية، وللذان عملا على إرجاع الكنيسة المنشقة إلى حضن الكنيسة الكاثوليكية بشتى الأنواع، على أن الدور الكبير لعبه القديس أغسطين وذلك فور تعيينه اسقف مساعد لكنيسة هيبون، في سنة 396م منتهجا أسلوب المجادلات الكلامية، كوسيلة لجعل خصومه يتراجعون عن انشقاقهم على قناعة لا عن طريق القوة، في هذا الوقت اختارت الكنيسة المنشقة حليفا لها تمثل في جماعة الدوارين، وأصبحت الحركتين حركة واحدة يصعب التفريق بينهما لاسيما في كتابات أغسطين ، في هذا الفصل سنحاول أن نقف على حدود العلاقة بين الحركتين و في إلى أي فترة يعود التحالف الدوناتى الدوارى .

أولا: الدوناتية والفوضى المحلية

1- الدوارين:

أ- التعريف بالدوارين:

يعود أول ذكر لمصطلح الدوارين إلى كتاب ابطاتوس¹ "ضد الإنشقاق الدوناتى"¹ الذي وضعه فيما بين 364-376م، أين تحدث عن فئة من الناس في نوميديا في حوالي

¹ - **ابطاتوس**: Optat تكاد تكون المعلومات منعدمة عن حياة ابطاتوس الميلي ، ومن خلال حديث أغسطين يمكن القول انه وثني اعتنق المسيحية ويعتقد انه ولد " بميلا ف" أو "ميلو" (ميله حاليا) على بعد حوالي 50 كم شمال غرب سيرتا (قسنطينة حاليا) بنوميديا لا يعرف تاريخ ولادته ولا تاريخ وفاته بالضبط حوالي (320-392 م)، كان اسقف مدينة ميلاف Miléve على الأقل منذ سنة 366م أو بداية 367م، ويعتبر أحد اشهر الكتاب الكاثوليك إذ دخل في مجادلة الفقهية مع الدوناتين، أول من وصلتنا كتاباته إذ الف كتابه حوالي سنة 366-367م، وكان الأسقف المناوؤ له في تلك الفترة هو بريميانوس اسقف مدينة قرطاج، تضمنت كتابات ابطاتوس نقاشات حول عدّة مسائل دينية معلقة بين الكاثوليك

340م كان يقودها رجلان إحداهما يدعى "اكسيديو" والثاني يدعى "قاسير" والذي اطلق عليهم اسم الدوارين،².

إن كلمة الدوارين في اللغة اللاتينية يقابلها كلمة "circumcelliones"، وهي كلمة مركبة من جزئين "circu" و"cella"، أما الجزء الأول "circum" معناه "دائر" أو "حول"، أما الجزء الثاني "cella" فمعناها "هري" أو "مستودع المؤن" من زيوت وخمور وحبوب، وبالتالي يكون معنى كلمة الدوارين "circumcelliones" اولئك الذين يحومون حول المستودعات"³.

أما العالم بيرسون Brisson فقد عرف الدوارين على أنهم مجموعة من الشباب الذين كانوا يتنقلون بين ضياع الأثرياء طلبا للعمل، وعندما لا يتمكنون من الحصول على فرص العمل يبدؤون بالدوران حول أهراء الحبوب ومزارع كبار الملاك من أجل الحصول على لقمة العيش⁴

أما العالم فروند "W.H.C.Frend" فقد أعطى تعريفا آخر لكلمة الدوارين، والذي أخذ منحى ديني فرأى أن معنى مصطلح Cellas يقصد به "شهداء الكنيسة" أي فئة سخرت نفسها لخدمة الله وخدمة الكنيسة الدوناتية والدفاع عنها وبذلك يصبح معنى الدوارين مجموعة

والدوناتيين كمسألة التعميد وقداسة الكنيسة ووحدها، كما تحدث بإسهاب عن الانشقاق الكنسي وما رفقته من أحداث وتصرفات الطرفين. للمزيد انظر:

Optat De Milève, T. C.D, p10-13

¹ - جاء هذا الكتاب كرد على المناو الذي عرفه اغسطينوس في تلك الفترة وهو بريميانيوس (Parmenianus) ، إذ شرع ابطاتوس في دحض كتاب بريميانيوس نقطة بنقطة، على شكل محاوره ، و رجع في ذلك إلى بدايات الانشقاق الدوناتى، وقد استعان في ذلك بوثائق ادارية وكنسية يتراوح تاريخها ما بين 314-330 م والتي جاءت كملاحق في كتابه، واستمر في سرد أحداث الانشقاق إلى غاية السنين القريبة منه فهو ذو قيمة تاريخية كبيرة بالنسبة لملف الدوناتيين كما انه يكتسي نوع من المصداقية والنزاهة ودليل ذلك هو استشهاد الدوناتيين انفسهم بكتابه خلال مناظرة قرطاج في 411 م. للمزيد انظر تحليلا مفصلا عن هذا الكتاب ل:

Monceaux (paul), Histoire Littéraire de L'frique Chrétienne , volume V,Réed- .Bruxelles
,Paris , 1920 , p 241.

² - Pottier Bruno. Les circoncillions. Un mouvement ascétique itinérant dans l'Afrique du Nord des IVe et Ve siècles , Ant.Afr, 44,2008. pp. 46.

³ - محمد المبكر، المرجع السابق، ص 85 .

⁴ - محمد الصغير غانم، مقالات وآراء في تاريخ الجزائر القديم، ج2، دار الهدى، الجزائر، 2010، ص 236.

من الأفراد الذين يحمون حول أضرحة الشهداء الذين سقطوا في سبيل تثبيت دعائم المسيحية بمنظور دوناتي¹

أما العالم الإيطالي كالديرون s.galderon، فقد اعتبر الدوارين نوع من الرهبان أو النساك المتجولون بين الأديرة².

تم تداول اسم الدوارين بغزارة في كتابات أغسطين الذي لم يفوت أي فرصة في توجيه هجمات عنيفة وانتقادات لاذعة لهم كلما وصلت إلى مسامعه ما كانوا يقومون به من أحداث شغب وفوضى، وإذا اردنا استلال تعريف للدوارين حسب أغسطين علينا استلال بعض المقتطفات التي تعطي وصفا لطبيعتهم ولسلوكات التي تميزوا بها حيث يقول: "هم صنف من الناس....كثيري العدد اربعوا وهزموا وهربوا إلى الحقل، كانوا يدورون حول المخازن الريفية، اطلق عليهم اسم الدوارين"³.

إن وصف أغسطين لهذه الفئة بقوله "هربوا إلى الحقل" تجعلنا نعتقد انهم مزارعون فقدوا أراضيهم بسبب السياسة الرومانية المجحفة، مما جعلهم يتجولون إلى مزارعين أحرار ينتقلون بين الضياع بحثا عن عمل، وما يؤكد هذا القول هو عدم تواجد الدوارين بموريطانيا التي كانت الزراعة بها محدودة، لكن تواجدهم كان كبير في نوميديا التي عرفت انتشار واسه لنشاط الزراعي⁴.

أما الدوارين أنفسهم كان يحلوا لهم أن يطلقوا على أنفسهم بعد التحامهم بالكنيسة الدوناتية اسم المقاومين أو المصارعين Agonistici أو جنود المسيح Milites Christ وهذه الألقاب إنما تدل على تبني الدوارين قضية الدوناتية فبعد أن استهدفت ثورة الدوارين الأثرياء وكبار الملاك أصبحت مدافعة عن راية المسيحية وفقا لمنهج الدوناتية⁵، من جهة أخرى أخذت حركة الدوارين طابع ديني إذ يذكر أغسطين قيامهم بكل الأفعال التي يمكن أن تؤدي

¹- المرجع نفسه، ص 237.

²- محمد المبكر، المرجع السابق، ص 86.

³- نقلا عن رومنتن، المرجع السابق، ص 128.

⁴- رومنتن(ه.ب)، المرجع السابق، ص 131.

⁵- محمد الصغير غانم، مقالات وآراء، ص 236.

بهم للموت وذلك طلبا للشهادة ، فكانوا لا يترددون في الانتحار الجماعي برمي انفسهم من المنحدرات، أو يقومون بحرق أنفسهم و هم أحياء أو اغراق انفسهم في الماء.¹

الظاهر أن الدواوين جمعوا بين صفوفهم الجنسين من نساء ورجال ففي موضع آخر يتحدث أغسطين عن ما كان يحدث بينهم من فسوق و خلع²، الذين تواجدوا بأعداد هائلة في نواحي نوميديا، مؤكدا عدم اتقانهم اللغة اللاتينية³ حيث كانت معرفة اللغة البونيقية ضرورية للتعامل معهم⁴.

ان قانون هونوريوس الصادر في 30 جانفي 412م مصدر آخر يمكنه أن يسلط الضوء على المكانة الاجتماعية لفئة الدواوين، هذا القانون الذي صدر عقب مناظرة قرطاج التي أدانت الدوناتية واعتبرتها هرطقة وجب القضاء عليها، ويكون ذلك باستئصال جذورها، وهذا لا يتحقق إلا بمعاقبة كل طبقات المجتمع، عن طريق فرض غرامات مالية على كل الأشخاص الذين رفضوا التخلي عن الدوناتية وعن فكرة الانفصال عنها⁵.

وقد جاء النص القانوني متدرجا في فرض الغرامات مراعيًا المكانة الاجتماعية لكل طبقة، ومدى قدرتها على دفع هذه الغرامات⁶ حيث صنف الدواوين بعد طبقة عامة المدن قبل طبقة الرقيق وعبيد الأرض والواضح أن التصنيف الذي وضع فيه الدواوين يدل على انهم ذوي مكانة اجتماعية ميسورة الحال، ويمكن اعتبارهم من الرجال الأحرار، فنفس القانون لم يعرضهم للعقوبات البدنية التي فرضت على الأرقاء كما لم يفوض أمرهم إلى أسيادهم كما هو الحال للخدم⁷.

¹- Augustin(st), lettre CLXXXV

²- المرجع نفسه، ص 129 .

³- Monceaux (pol), L'Église Donatiste au temps de Saint-Augustin , Revue D'histoire Religieuse , LXI , 1910 , p50

⁴- محمد المبكر، المرجع السابق، ص 93 .

⁵- رومنتقن(ه.ب) ، المرجع السابق، ص 130.

⁶- محمد المبكر، المرجع السابق، ص 89.

⁷- رومنتقن(ب.ه)، المرجع السابق، ص 131 .

ارتبط اسم الدوارين بأحداث الشغب والعنف ونشر الرعب في الأوساط التي يتواجدون بها¹(أنظر الخريطة رقم...). وهذا ما يؤكد اغسطين في وصفه للدوارين في كتابه "البدع" قائلاً: "الدوارين، رجال تميزو بالخشونة و الجرأة الغير عادية، كما اشتهروا بارتكابهم الجرائم الفظيعة ضد الآخرين، بكل قسوة وجنون حتى ضد أنفسهم. فهم ينتحرون بطرق مختلفة، لا سيما من خلال رمي أنفسهم في الماء أو في النار"²

اعتمادا على ما سبق نستنتج أن رغم اختلاف المؤرخين في إعطاء مفهوم للدوارين إلا أن خيطا رفيعا يظل يربط بين كل تلك المفاهيم و تتقف على صفة الدوران مما يجعلنا القول أن الدوارين هم فئة من الناس ذوي مستوى متدنى في المجتمع كانت دائمة الدوران حول المستودعات حصولا على قوتها، وهذا الوضع الاجتماعي المزري ربما جعلها تلتحم مع الحركة الدوناتية³ وتتبنى أفكارها الدينية ، كتقديس الشهداء والتبرك برفاتهم ومن اتخذوا صفة الدوران حول الأديرة؛ كما حملوا على عاتقهم لواء المقاومة إلى جانب الدوناتية ضد السلطة الرومانية التي تمثل العدو المشترك للطرفين وهو ما يفسر سلوكهم العنيف اعتمادا على أصولهم المحلية، التي تكبدت ظلم و استبداد السلطات الرومانية التي سلبتهم ممتلكاتهم وأراضيهم وحولتهم من ملاك إلى مزارعين متقلبين، فكانت ردّة فعلهم قوية ضد كل من يمثل السلطة .

¹ – Optat De Milève, T. C. D, p10-13

² - Augustin(st), oeuv.c.st.: Des Hérésies, LXIX , op cit.

³ كانت المسيحية الدوناتية الشكل الوحيد الذي عرفته البوادي والأرياف على عكس الكاثوليكية التي عرفت انتشارا في المدن الساحلية (توسع الفكرة)

ب- التحالف الدوناتى الدوارى:

ظلت الدوناتية شوكة في حلق السلطة الرومانية و الكنيسة الكاثوليكية منذ سنة 312 م - بداية الانشقاق - ورغم المساعي الحثيثة التي بذلت من طرف السلطة من اجل لم شمل الكنيسة والقضاء على الانشقاق الذي مسها أثبتت في كل مرة فشلها إلى غاية اعتلاء الإمبراطور هونوريوس الحكم (395-423 م) الذي استطاع أن يكسر شوكة الدوناتيون وذلك من خلال مناظرة قرطاج في سنة 411 م¹، التي عززت بتطبيق قانوني 412-414 م² الذي يمثل البداية الحقيقية لنهاية الحركة الدوناتية واتباعها الدوارين؛ لكن هذا الانشقاق لم يشكل خطرا حقيقيا لسلطة إلا منذ 347م أحداث باغاي والتي أظهرت نوعا من التحالف المعلن بين الدوناتية والدوارين، استهدف مباشرة (السلطة) تدخل السلطة الرومانية في شؤون إفريقيا، وهذا يجعلنا نطرح جملة من التساؤلات :

- إلى فترة يرجع التحالف الدوناتى الدوارى؟

- ما هي دوافع هذا التحالف؟ هل هو ردة فعل عن التحالف الذي كان بين السلطة والكنيسة الكاثوليكية؟ أو هو تحالف أفرزته حتمية الظروف للحركتين باعتبار أن السلطة كانت تمل العدو المشترك؟ ا وان التعايش اليومي بين رجل الدين الدوناتيين على مستوى الأرياف والحلة المزرية للدوارين جعلهم يتعاطفون معهم ومن ثمة نشأ بينهم تحالف دون تخطيط مسبق؟

واهم هذه التساؤلات هل أحداث 347 م كانت بداية التحالف بين الدوناتية والدواريين أو كانت لها جذور سابقة لم تظهر على مسرح الأحداث إلا في أحداث باغاي ؟

للإجابة عن هذه التساؤلات وفك لغز العلاقة التي تربط بين الحركتين لابد من الرجوع إلى الوراء أي قبل أحداث باغاي

¹ -Augustin(st), T. Anti.D,op cit, p 88

² - محمد المبكر، المرجع السابق، ص 248.

*الإرهاصات الأولى لتحالف بين الدوناتية والدوارين:

أن الإرهاصات الأولى لتحالف الدوناتية مع ثورة الدوارين إنما ترجع إلى 340م، وذلك بعد أن استعان الدوناتيون بالسلطة الزمنية في التصدي للدوارين أين لبي الكونت طورينوس النداء بمحاصرة مجموعات الدوارين في الأسواق التي كانوا يتمنون و تم قتل العديد من الدوناتيين الذي اعتبروا فيما بعد أول شهداء سقطوا تحت اضطها السلطة المسيحية¹.

إن هذه الحادثة تبين لنا براءة الطرف الدوناتية من أي تحالف مع الدوارين، غير أن وجهة نظر أغسطين تختلف وتجعلنا نغير وجهة نظرنا باعتبار أنها تظهر مدى تعاطف الدوناتيين مع ضحايا محلة اوكتافيا، الذين اعتبروهم من شهداء الدوناتيين، هذا التعارض بين رواية ابطاتوس وأغسطين تدل على انقسام صفوف الدوناتيين إلى تيار معتدل و آخر متشدد اتجاه الدوارين ففي الوقت الذي تتكرر فيه كبار الأساقفة الدوناتيين من الدوارين و استتکروا كل أعمال الفوضى والشغب التي قاموا بها، احتضن صغار رجال الدين الدوناتيون للدوارين باعتبار أنهم كانوا منتشرين في مختلف القرى والمدن وبالتالي عايشوا المعاناة اليومية لهذه الفئة فتعاطفوا معهم ووقفوا إلى جانبهم على الأقل في محنة محلة أكتافيا².

من ناحية أخرى يمكن ملاحظ أن نشاط الدوارين بدأ وظل مركزا بنوميديا طيلة السنوات المتعاقبة إلى غاية عهد القديس أغسطين³ الذي أعطاها حيزا كبيرا من كتاباته، ومن المعروف أن نفس المنطقة كانت من اكبر معاقل الدوناتية التي كانت قد مرّ على ظهورها حوالي 28 سنة.

وبالتالي كانت نوميديا هي نقطة إلتقاء بين الحركتين وإن اختلفوا من حيث الأهداف فالأولى كانت عبارة عن تمرد ذا دوافع اجتماعية واقتصادية تعكس الأوضاع المزرية التي كان يعيشها صغار الفلاحين والمزارعين.

¹- Lepelley Claude. Juvenes et circoncillions : les derniers sacrifices humains de l'Afrique antique, Antiquités africaines, 15,1980. P 261..

²- محمد المبكر، المرجع السابق ، ص 352.

³- المرجع نفسه، ص 189.

أما الثانية فكانت تمردا ذا دوافع دينية محضة¹، وبالتالي يمكن القول أن الحركتين على الأقل في هذه الفترة كانتا منفصلتين خاصة وأن المصادر التي وصلتنا لم تتحدث عن الدواريين وعنفهم إلا في اطار الدفاع عن المظلومين والمحرومين ضد كبار الملاك والأسياد وانهم لم يتعرضوا للكنائس الكاثوليكية و الاكليروس²، زد على ذلك لم يكن الدواريين يكثرثون بتاتا لنداءات الدوناتية المنادية بالكف عن ممارسة أعمالهم الوحشية ، كما لم تسمح الكنيسة الدوناتية للدواريين بدفن شهدائهم في كنائسهم³

إذن الحركة الدوناتية خلال هذه الفترة كانت بعيدة كلّ البعد عن الصراع الديني المذهبي بين الكنيستين الكاثوليكية والدوناتية و إن كانت قد اصطبغت بلمسة دينية عندما اطلقت على شهدائها لقب "المناضلين و"القديسين"⁴، وبالتالي لم تتطابق الأهداف النضالية الدوناتية والدوارية إن صحّ التعبير في جوهرها فالأولى كانت تدافع عن مبدأ مذهبي و المتمثل في مطاردة المتخاذلين أيام الاضطهاد وعدم أحقيتهم في إدارة الكنيسة دون أن تراعي أوضاعهم الاجتماعية، أما الدواريين كانوا يطاردون أصحاب السلطة والقرار في البلاد والمتسببين في ما يعانیه الفقراء والمساكين من اوضاع مزرية⁵، دون أن تراعي انتمائهم المذهبي و الديني.

ولما كانت الأهداف والمبادئ متباينة كانت طرق العمل المنتهجة مختلفة فالكنيسة الدوناتية سعت إلى إقناع السلطة وكلّ من حولها الاعتراف بها ككنيسة الحقّة ضد خصومهم⁶ عن طريق التحاور والانشقاق، أما الدواريين فكانت منهجية عملهم تعتمد على السطو والنهب والقتل والتعذيب والتكيل ضد كلّ من يعتبرونه متسبب في ظلمهم ومعاناتهم⁷

¹ - محمد المبكر، المرجع السابق ، ص 191 .

² - المرجع نفسه، ص 195.

³ - المرجع نفسه، ص 197-198.

⁴ - المرجع نفسه، ص 198.

⁵ - المرجع نفسه ، ص 200 .

⁶ - المرجع نفسه ، ص 198 .

⁷ - المرجع نفسه ، ص 200

إلى غاية هذه الفترة استطاع الدوناتيون التبرأ من أعمال الدوارين جملة وتفصيلا و لم يتمكن خصومهم الكاثوليك من إثبات تهمة الشغب وإثارة الفتنة ضدهم أمام السلطة ودليل ذلك هو إصدار قنسطنس قانون جديد من اجل الوحدة بين الكنيستين سنة 347م¹ وارسل مبعوثيه إلى إفريقيا لتثبيت دعائم هذه الوحدة في نفس السنة² غير أن هذه البعثة أدت إلى إحداث منعرج كبير غير النظر اتجاه العلاقة التي تربط بين الدوناتية والدوارين

وبالتالي يمكن القول أن أحداث 340م في محلة اوكتافا لا تعدوا أن تكون تعاطف من صغار الدوناتيين المنتشرين في القرى والمدن اتجاه الدوارين الذين كانوا يعيشون حياة البؤس والفقر.

*البعثة الإمبراطورية وانعكاساتها على الصراع الدوناتى الكاثوليكي:

إن بداية الحديث الحقيقي عن العلاقة التي كانت تربط بين الحركة الدوناتية والدواريين تبدأ من 347م، حيث ارسل الإمبراطور قنسطنس مبعوثان إلى إفريقيا وهما بولس Paulus وماكارىوس Macarius في مهمة رسمية، لم تتضح معالمها، لكنها في الأغلب تهدف إلى انهاء الصراع بين الكنيستين المتناحرتين، وإن اتسمت هذه البعثة في البداية بروح التسامح والسلام فانها ستتحوّل إلى حملة عنف ومجزرة في حق الدوناتيين، وذلك بعد تقرب الأسقف ماركيلوس³ على رأس وفد يتكون من عشرة أساقفة ويوجهون تحذيرا للمبعوثين باسم الكنيسة الدوناتية في نوميديا، فقابل المبعوث ماركوس هذه التحذيرات بتصويت ماركيلوس وسجنه ومن ثمة قتله برمييه من سفح جبل⁴ وبهذا ظهرت البعثة الإمبراطورية بمظهر عدائي اتجاه الكنيسة الدوناتية مما جعلهم يتوجسون خيفة منها، مما يجعلها تعرض طريقها بمجرد اقترابها إلى مدينة باغاي مستعينة بالدوارين.

¹ - محمد المبكر ، المرجع السابق ، ص 125.

² - المرجع نفسه ، ص 208 .

³ - **ماركيلوس**: يعتبر من أشهر الشهداء الدوناتيين، كان محاميا وثنيا، وبعد اعتناقه المسيحية كرس كل حياته لخدمة الله الله حتى وبذلك استحق أن يكون أسقف لمدينة نجهلها، تم قتله على يد البعثة الإمبراطورية، وهناك اختلاف حول مقتله حيث أن ابطانوس الميلبي يذكر أنه قد توفي بعد أن قام برمي نفسه من منحدر عال، اما سبب موته عند اغسطين يبقى محل شك، ليعطي بول مونصو P.Monceaux تفسير مفاده انه قتل بحد السيف ليتم رميه فيما بعد من منحدر عال، وقد بقيت ذكرى مركوس محفورة في اذهان الدوناتيين لمدة ستين سنة حيث تم ذكره في مناظرة قرطاج سنة 411م. أنظر: Cayrel

Pierre, op cit, p 138.

إن تعرض البعثة الإمبراطورية إلى هجوم من طرف الدوناتيين والدواريين¹ الذين دخلوا إلى حلبة الصراع إلى جانب الدوناتين علنا، والذي اعتبرته السلطات الرومانية تهديدا مباشرا لها.

كانت المحطة الأولى للمبعوثان هي قرطاج، أين بدت الأمور طبيعية، غير أن وصول المبعوثان إلى مدينة باغاي أصبحت الأمور أكثر تعقيدا وذلك بتعرض مبعوثي الإمبراطور "بولس" و"مكاروريوس" للهجوم²؛ وهذا الهجوم يدعونا إلى تحليل أسباب هذا التمرد قبل الكشف عن إمكانية وجود علاقة تحالف بين الحركتين.

إن العنف الذي صاحب بعثة الإمبراطور يضعنا أمام فرضيتين الأولى استياء وعدم استساغة الدوناتيون تدخل السلطة في شؤون إفريقيا عامة و شؤون الكنيسة خاصة أو أن الدواريين حملوا على عاتقهم قضية الدفاع عن الدوناتية باعتبارها مضطهدة من طرف عدوهم المشترك هو السلطة .

ويرى محمد المبكر أن التسليم بالطرح الأول كون أن الدوناتية كانت رافضة لتدخل السلطة في شؤون إفريقيا يضعنا في حيرة، كون الكنيسة الدوناتية، قد لجأت إلى السلطة الرومانية في اكثر من مناسبة من اجل التدخل للفصل في قضية الانشقاق الكنسي، وذلك بداية 313 م أي مع بداية الانشقاق³، أين توجهوا إلى الإمبراطور قسطنطين يحتكمون إليه في مدى مصداقية تعيين كايكيليانوس كأسقف لقرطاج، وفي سنة واحدة قبل أحداث باغاي أي سنة 346م طلب دوناتوس الأكبر من الإمبراطورة قسطنطس الاعتراف به كأسقف لقرطاج وذلك إثر وفاة خصمه كايكيليانوس⁴

وفي كل مرة كانت السلطة تظهر برأة كايكيليانوس⁵ كما تقف إلى جانب الكنيسة الكاثوليكية، وهذا ما يفسر تمرد الدوناتيون على البعثة وعدم قبولهم احتكام السلطة كونهم

¹ - محمد المبكر، المرجع السابق ، ص 205 .

² - المرجع نفسه ، ص 206 .

Augustin(ST) , T.Anti.D ,op cit, p 44.

³ - رويين دانيال، المرجع السابق، ص 235.

⁴ - محمد لمبكر، المرجع السابق، ص 226.

⁵ - رويين دانيال، المرجع السابق، ص 235.

اخذوا فكرة مسبقة عن نتيجة هذا الحكم، وهو الوقوف إلى جانب الكنيسة الكاثوليكية ضد الكنيسة الدوناتية.

أمّا اذا سلمنا بالطرح الثاني واعتبرنا أن الدواريين هم المسؤولين عن هذا التمرد ،و الهجوم على البعثة الإمبراطورية، فالتفسير الأكثر منطقية هو أن الدواريين مازالوا إلى هذه الفترة يدافعون عن المبادئ والأهداف التي تأسسوا من أجلها، وهو حماية كلّ مظلوم ومقهور، ومضطهد، وقد كانت الحركة الدوناتية في نظر الدواريين مضطهدة من طرف السلطة، وقد شكلت هذه البعثة في نظرهم مؤشرا لبداية عهد جديد موسوم بالاضطهاد الديني¹، الذي كانت قد عاشته نوميديا من قبل (303-305 م)² ونقصد هنا باضطهاد الذي عرفته المسيحية على يد ديقلديانوس خاصة وأن هذه الحملة كانت محاطة بحماية عسكرية التي كانت تتم عن عملية اضطهاد ضد الأهالي.³ وتصفية للدوناتية و الدواريين على حد سواء⁴ حيث استخدمت كل وسائل التعذيب كالرمي بالدوناتيين في الحفر أو من المرتفعات السحيقة، قتلهم عن طريق إغراقهم في الماء على أن الدوناتيون كانوا لا يظهرون مواجهة ضد هذه الاضطهادات بل كانوا يستسلمون طوعا⁵ لا شك أن هذه الاضطهادات التي لم تلقى مقامة كانت ضد الدوارين، إذ حسب روايات أغسطين كانت مثل هذه الأحداث تجعلهم في عداد الشهداء، فقد كانوا يقومون بالانتحار بشتى الطرق والجنث التي كانت تلقى حذفها بإرادتها يجعلها تلقى تبجيلا خاصا⁶ و بذلك كانت أحداث باغاي في غاية الفظاعة ولم تمحى ذكراها من أذهان الدوناتيين.

إن المفارقة في تدخل الدوارين ضد الحملة الإمبراطورية يكمن في عدم توازن القوى بين الطرفين، أي كيف كانت شجاعة الدوارين تصل إلى حدّ الهجوم على حملة عسكرية مدججة بالأسلحة ومعززة بالجنود، أمام مجموعة من الأهالي والفلاحين والمزارعين البسطاء.

¹-المرجع نفسه، ص 213.

²- محمد المبكر، المرجع السابق، ص 226.

³- المرجع نفسه، ص 227.

⁴- المرجع نفسه، ص 215.

⁵- عبد الحميد عمران، المرجع السابق ، ص 216.

⁶ -Augustin(st) , lettre XLIX.

الواضح أن الهجوم على البعثة الإمبراطورية في ناحية باغاي كانت تقع على الحركتين معا إذ بات من الواضح أن الدوناتيون توجسوا خيفة من هذه الحملة رغم أنها أظهرت نواياها الحسنة في البداية، وأراد ردعها خاصة وأنها حلت بأهم معاقلهم نوميديا ولم يجدوا سبيلا في ردعها إلا الاستعانة بالدوارين الذين لم يتورعوا في رفض هذه المساعدة كونها ضد السلطة التي تعتبر في نظرهم هي المسؤول الأول عن كلّ الأوضاع المزرية التي ألوا إليها ، فكان هذا التحالف الذي على الأرجح فرضته الأوضاع الراهنة ولم يكن له تخطيط مسبق وربما كان هذا هو بداية التحالف الذي تورطت فيه الدوناتية ولم تجد مخرجا له كما سنرى لاحقا¹.

أظهرت السلطات الرومانية صرامة اتجاه العنف الذي صدر من الدوناتية واتباعها الدوارين معتبرة الكنيسة الدوناتية المسؤول الأول والأخير عن إثارة الفوضى وعدم الاستقرار بالمنطقة، مما جعل الإمبراطور يصدر قانونا ومما جاء فيه:

-لابدّ من لم شمل الكنيستين المتخاصمتين في كل إفريقيا.

-منع إعادة التعميد التي كامن تمارسها الكنيسة الدوناتية.

-وجوب عودة كل الكنائس المنشقة إلى الكنيسة الحقة وهي الكنيسة الدوناتية.

-كل من لا يمثل لهذه الإجراءات من أساقفة الكنيسة الدوناتية يكون عقابه النفي.

كما أعطيت للسلطات المختصة سلطة تنفيذ هذه القرارات وفي حالة العصيان والمقامة لها الحق في استخدام الجيش²

كلّ هذه العوامل كانت دافع للدواريين لتبني القضية الدوناتية أمام عدو مشترك وهو السلطة الرومانية، على ان هذه الأحداث ظلت من أكبر الأحداث عنفا ضد الدوناتيين

¹ - محمد المبكر، المرجع السابق ، ص

² - عمران عبد الحميد، المرجع السابق، ص 215 .

وظلت تخلد ذكر شهدائها مكسيميانوس، اسحاق¹ وماركلوس الذي اصبح قبره محجا لكثير من الدوناتين²

*انعكاسات التحالف الدوناتى الدوارى:

يقول القديس أغسطين: " ...إنني اترك هذا جانبا (أعمال الدواريين) لأن هناك منكم من يحتج إزاء هذه الأحداث باستنكاره لها في الحاضر والماضي إلا انهم ... لا قدرة لهم فيها ، فيستحملونها من اجل السلام (يقصد سلامة الكنيسة الدوناتية وو حدثها) ."³

من خلال هذا النص يمكن أن نستنتج مدى تذبذب رأي الدوناتية اتجاه الدواريين فالدوناتية لم تستطع أن تأخذ موقفا واضحا من الدواريين فيما كانت تحبذ أو تستنكر أعمالهم، فالواضح أن الدوناتية وفي الفترة السابق لاسيما في أحداث 347م أصبحت متورطة في أعمال العنف التي كانت تصدر من الدواريين ورغم عدم رضاهم عليهم لم يتمكنوا من الإفصاح عن ذلك والتنكر لهم⁴، خاصة وأن هذه الجماعة أصبحت تشكل حركة تمرّد اجتماعية لها وزنها في إفريقيا لا سيما على مستوى القرى والأرياف، هذه المناطق التي كانت نفسها معاقل الكنيسة الدوناتية، وبالتالي أي تمرّد أو تصرف غير محسوب من طرف الدوناتية قد يتسبب في انقلابهم ضدها وبالتالي تخسر اكبر حليف لها وهي شعبية الفقراء ولمساكين، لاسيما وأن الدواريين في فترات لاحقة قد حادوا عن أهدافهم الاجتماعية، ولم تصبح هجوماتهم تستهدف كبار الملاك والأسياد ولكنها طالت بعض الكنائس والإكليروس باعتبار انهم أداة مساعدة للسلطة⁵ حيث يذكر أغسطين العنف الذي كان يتعرض له رجال الدين الكاثوليك، ومن بينهم احد الأساقفة الذي يدعى رستيتو والذي تعرض للخطف من

¹ - قام كل من ماكسيميانوس وإسحاق برفض قانون الوحدة الذي اصدر من طرف الإمبراطور، إذ قاما بتمزيق القانون الذي علق بقرطاج، فلم تتسامح السلطة مع هذه الأفعال، وربما حتى يكونا عبرة لغيرهم كما تبين مدى عزم السلطة في تطبيق القانون، فقامت برميها في البحر أين لقاو حذفهم وظلت ذكر كل من مكسيميانوس وإسحاق مخلدة لدى الدوناتيين انظر: عبد الحميد عمران ، المرجع السابق ، ص 216 .

² - المرجع نفسه، ص 216.

³ - نقلا عن محمد المبكر، المرجع السابق، ص 240.(اختيار قول اخر لاغسطين)

⁴ - المرجع نفسه، ص 255.

⁵ - المرجع نفسه ، ص 256 .

طرف الدوناتيين واتباعهم الدوارين وذلك بعد اختياره العودة إلى كنف الكنيسة الكاثوليكية فبعد ضربه بوحشية تمّ لفه في حصيرة ومن ثمة رميه في حفرة¹

ومثل هذه الأفعال تبين أن الدوارين تبنا القضية الدوناتية وحملوا لواء الدفاع عنها ودون أن تشعر وترغب الدوناتية وجدت نفسها لسيقة بالدواريين، وأصبحت أهداف الحركتين متحدتين عندما امتزجت الأهداف الاجتماعية بالأهداف الدينية، إلى أن وصلت العلاقة إلى حدّ المتانة عنوة عن الدوناتيون خاصة على مستوى الأرياف أين كان الأساقفة الدوناتيون على علاقة مباشرة ويومية مع الدوارين وكانوا في كلّ الأحيان مجبرين على التعامل معهم سواء رغبة منهم، أو تعاطفا معهم، أو ضغطا عليهم ومثال ذلك سلوك "كلاروس" محلة سوبولوس الذي امتنع عن تنفيذ أوامر اسقفه التي تمنع الدواريين من دفن شهدائهم - على حد قولهم - في الكنيسة الدوناتية كون هذا الدفن يمنحهم نوعا من التشريف².

إذن لا شك أن موقف الأساقفة الدوناتيون لم يكن واحدا اتجاه الدوارين وأعمالهم وكانوا يرفضون التعامل معهم جملة وتفصيلا لا سيما الأساقفة الذين وجدوا على مستوى المدن الكبرى كقرطاج، وهيورجوس³ وكان القرار بأيديهم ذلك انهم كانوا على يقين أن هذه العلاقة المشبوهة التي تربطهم بالدوارين قد تشكل لهم خطرا كبيرا مع السلطة التي ستتهمهم بالتمرد والاشتراك في نشر الهلع وعدم الاستقرار بإفريقيا⁴، وفعلا هذا ما سعت إليه الكنيسة الكاثوليكية وعلى رأسها القديس اغسطين الذي حاول بكل الوسائل إظهار مدى الالتحام الموجود بين الحركتين التي اعتبرهما حركة واحدة ففي الرسالة رقم 86 المؤرخة في 402م وتظهر استتجاد اغسطين بحاكم نوميديا سيسيليان من أجل اجل وقف العنف الذي كان يقوم به الدوناتيون قائلا: "من واجبي أن نحذر عظمتك، لئلا صمّتي يجعلني متهما بإهمال واجباتي. لتعرف إلى ما وصلت إليه التجاوزات الجريئة للهراطقة في المنطقة التي أنا

¹ - Augustin(st) , Lettre LXXXVIII .

² - محمد المبكر، المرجع السابق ، ص 225.

³ - المرجع نفسه، ص 224.

⁴ - محمد المبكر، المرجع السابق ، ص 233.

فيها، أن كنت تفضل أن تسمع من إخواننا وزملائنا الذين سيبلغون سماعتك، أو ترغب في الاستماع إلى كاهن سنبعثه لكم مع هذه الرسالة¹

في رسالة أخرى لأغسطين تحت رقم 88 المؤرخة في 406 يبين أشكال العنف الممارس من طرف الدوارين الذين لم يتورعوا من إلحاق كل أشكال التعذيب برجال الدين الكاثوليك كأن يتسببوا لهم بالعمى عن طريق رش الجير المخلط بالخل في أعينهم وكذا تمزيق أجسامهم بمخالب الحديد وغيرها من التصرفات العنيفة²

وجد أصوات الكنيسة الكاثوليكية، آذان صاغية من طرف السلطة، إذ استطاعت أن تقنعها أن المسؤول الأول والأخير عن كل الفوضى وعدم الاستقرار بإفريقيا إنما سببه الكنيسة الدوناتية واتباعها وأن إعادة امن واستقرار المنطقة لا يكون إلا بالقضاء على الانشقاق وإرغام الدوناتية بالعودة إلى كنف الكنيسة الكاثوليكية التي أصبحت تلوح لهم بالاطمئنان.

إن العلاقة التي أصبحت ظاهرة للعيان والتي ترتبط فيها حركة الدوارين بالكنيسة الدوناتية، جعلتها تفقد شعبيتها التي كانت تتمتع بها من قبل، خاصة وأن حركة الدوارين كانت تستهدف في هجوماتها كبار الملاك والأسياد ، مما أدى إلى استنفارهم منها، والسبب الثاني يعود إلى صرامة السلطة اتجاه كبار الملاك وحرسها على تطبيق قوانينها لاسيما قانوني 412-414 الذي انزل عقوبات عديدة على كل من يتخاذل في تطبيقها.

أمام هذا الوضع وجدت الكنيسة الدوناتية نفسها أمام تحالف حقيقي جمع بين السلطة والكنيسة الكاثوليكية، ثم ما لبثت أن ضمت إليها كبار الملاك والأسياد الأمر الذي دفعها إلى تعزيز علاقتها بالدواريين الذين وجدت فيهم الحليف الذي يمكن أن يساندها في مسيرتها ونضالها الديني ضد خصومها الكاثوليك ومن ساندهم.

¹ - Augustin (st) , Lettre LXXXVI .

² -Augustin(st) , Lettre LXXXVIII.

2- تحالف الدوناتية مع ثورة فيرموس:

تعد ثورة فيرموس¹ ثورة شاملة أدت إلى نشر الاضطراب في إقليم إفريقيا فقد امتدت من جبال البابور شرقا إلى الونشريس و الظهرة غربا² و بذلك استطاعت أن تهدد اهم الأقاليم الرومانية خاصة وأن إفريقيا كانت الممون الرئيسي للقمح إلى جانب مصر³ كما استطاع فيرموس في وقت قصير أن يكسب ثقة الأهالي، بل اصبح مستجيب النداء⁴ ولعل الدافع الكبير الذي حفز وشجع القبائل أن تلتف حوله هو تأملهم في اقتراب ساعة الخلاص النهائي من السيطرة الرومانية⁵.

جاءت هذه الثورة في الفترة التي شهدت احتقان كبير بين السلطة الرومانية والانشقاق الذي مسّ الكنيسة، وقسمها إلى كنيسة كاثوليكية وأخرى دوناتية وقد اختارت السلطة الانحياز إلى الكنيسة الأولى بل اعتبرتها شريكة لها، أما الثانية فقد عانت في كثير من الأحيان من اشد العقوبات التي ألحقت بها، فلم يكن من الغريب أن تلتحم طموحات فيرموس الاستقلالية ذات طابع انتقامي مع طموحات الدوناتية الدينية السياسية وكذا طموحات الدوارين الاجتماعية ضد عدو مشترك هو السلطة الرومانية حت سماوا بـ الفرمانيين⁶.

رأى فيرموس في الدوناتية واتباعها الريفيين معينا بشريا، إذ جند منهم رجال أشداء ساندوه في الثورة ضد عدوه الرومان كما هو حال اسقف مدينة روسوبيكاري الدوناتية الذي

¹- فيرموس: هو ابن نوبل ينحدر من عائلة بوبو لاني من منطقة جبال البيبان، تولى قيادة وحدة عسكرية، لقب بالملك واعتبر أقوى أمراء موريطانيا القيصرية، كانت ممتلكات هذه العائلة شاسعة امتدت من وادي الشلف غربا إلى حوض الصومام غربا كان فيرموس من ابرز أبناء نوبل إلى جانب جيلدون و ماسكزال و مازوكا أنظر: محمد الحبيب بشاري، أوضاع الإمبراطورية الرومانية في النصف الثاني من القرن الرابع ميلادي ثورة جيلدون 398/397، مجلة الاتحاد العام للآثارين العرب، ع 11، ص 247-248.

²- فوكة محمد، مناطق سهل الشلف في ظل الاحتلال الروماني، في الفترة الممتدة من ق 1 ق.م إلى ق 3م، مجلة عصور الجديدة، جامعة الجزائر، ع 12/11، 2013/2014، ص 18.

³- Francois Decret , op cit , p 159

⁴- محمد البشير شنييتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني (بحث في منظومة التحكم العسكري لليمس الموريطاني و مقاومة المور، ج 2، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ت، الجزائر، ص 362.

⁵- محمد البشير شنييتي ، المرجع نفسه، ص 359 .

⁶- فوكة محمد ، المرجع السابق، ص 18.

عبد الطريق لفيرموس وساعده في الاستلاء على مدينة ساحلية تابعة له¹ ، كما راو هم فيه القائد المغوار الذي يمكنه أن يخلصهم من الاستعمار الروماني، كما استغل الدوناتيين فيرموس وقواته في اضطهاد المنشقين عنهم من الروقاديين² .

تطلب القضاء على ثورة جيلدون تنظيم خمس حملات عسكرية بأمر من الإمبراطور فالنتينان بقيادة القائد ثيودوز Theodose وبعد الحملة الشرسة التي قام بها هذا الأخير ضد الأهالي التي تراوحت بين أسر النساء و حرق الممتلكات وبيع الأسرة للمرتزقة، ويهدف عزل الأهالي عن الثورة، وقد نجحت هذه السياسة في النهاية في القضاء على فيرموس بعد أن نقل ثورته إلى الونشريس وزكار والبليدة بعد فاقد كل ممتلكاته و عائلته ليأفل نجمه في احدى المعارك سنة 375م³

دفعت الدوناتية ثمن تعاونها مع فيرموس، فالسلطة لم تتسامع مع من تجرأ ورفع السلاح في وجهها، بل وهدد تواجدها بالمنطقة، جاء الردّ على الدوناتية من خلال قانون 20 فيفري 373م، حيث امر الإمبراطور من برقنصل إفريقيا تحريم عادة إعادة التعميد التي رفض الدوناتيين التخلي عنها و كل أسقف لا يرضخ لهذا القانون يتم عزله ليشدد غراتيان هذه الأحكام بإصداره قانون آخر في 375م يقضي بمصادرة كل الأماكن التي تعقد بها اجتماعات المنشقين، مهددا كل من يتوانى من المسؤولين اتجاه تطبيق هذه التعليمات⁴، ليصدر القانون آخر في حقهم في 17 أكتوبر من سنة 377م موجه إلى حاكم إفريقيا فلافيانوس يحرم الطائفة الدوناتية من حق حماية القانون، واستمرت هذه السياسة المعادية للدوناتية أربعون سنة.

اعلن الأباطرة الذين تعاقبوا وراء فالنتينان إدانتهم الصريحة للدوناتية اتجاه ما ارتكبه من أخطاء وطلب منهم تسليم الكاتيدرانيات التابعة لهم إلى خصومهم الكاثوليك وكذا تسليم أماكن العبادة في الأرياف إلى الخزينة العامة وما أن وصل ثيودوسوس إلى كرس الحكم

¹ - رومننقن (ه.ب) ، المرجع السابق، ص 135.

² - المرجع نفسه، ص 135.

³ - محمد فوكة، المرجع السابق، ص 18.

⁴ - عمران عبد الحميد، المرجع السابق، ص 275.

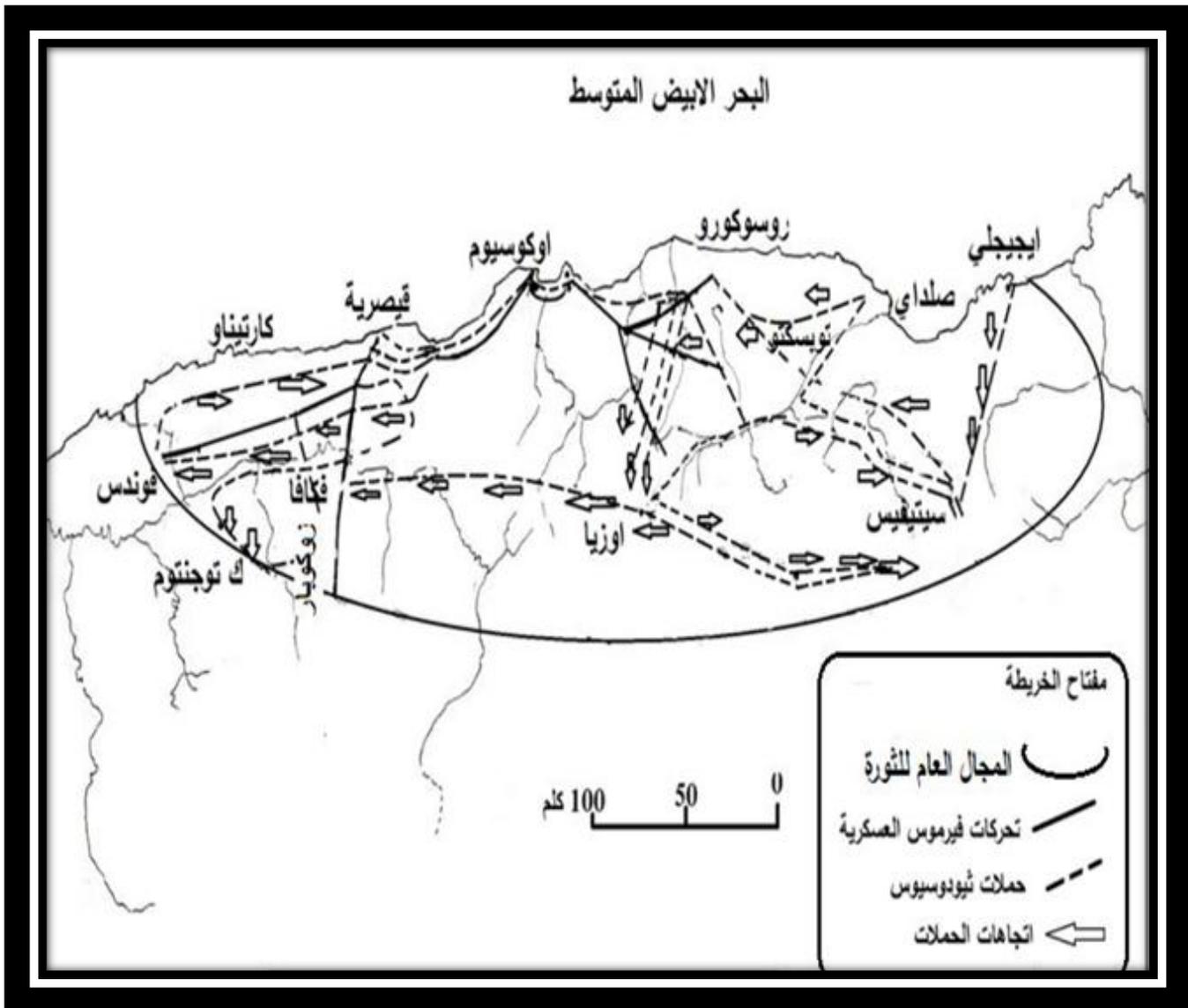
حتى اصدر قانون آخر يدين فيه عادة الدوناتية المتمثلة في ممارسة المعمودية الثانية¹ التي كانت تمثل أساس مذهبهم الديني غير أن هذه الإجراءات لم تزيد إلا من تعنتهم و صمودهم².

أما فيرموس فقد تم تتبعه بجيش تحت قيادة ثيودوس (انظر الخريطة 1) بأوامر الحاكم العام في إفريقيا أين تمكن من محاصرته وتضييق الخناق عليه الأمر الذي دفعه إلى الانتحار وبذلك فشل فيرموس في إنشاء إمبراطورية تضم الشعوب الموريطانية³.

¹- رومنتنن (ه.ب)، المرجع السابق، ص 141.139

²- شارل اندري جوليان، المرجع السابق، ص 303

³ -Francois Decret , op cit , p 159



خريطة توضح المجال الجغرافي لثورة فيرموس وحملة ثيودوسيوس

¹ - عمران عبد الحميد، المرجع السابق، ص 273.

3- تحالف الدوناتية مع ثورة جيلدون:

يبدو أن القوانين التي أنزلت بالدوناتية عقب تحالفها مع الثائر فيرموس، لم تطبق بصرامة وذلك لعدم استقامة الحكام الذين كانوا في معظمهم وثنيين ودليل ذلك هو الوضع الأفضل الذي أصبحت عليه الدوناتية فكانت الأجواء مهيبّة لعقد تحالف آخر 387م وهذه المرّة مع شقيق فيرموس جيلدون الذي كان بالأمس حليف الرومان ضد أخيه فيرموس ومقابل الولاء الذي أظهره لروما تمت مكافأته، وذلك بحصوله على لقب الرجل الشريف، كما عين سنة 385م قائدا للقوات الرومانية في إفريقيا، الأمر الذي خول له حق عقد الاتفاقيات مع زعماء القبائل النوميدية والمورية قصد تجنيد الوحدات القتالية عند الضرورة¹.

لكن المجد الذي طاله جيلدون جعلته يحلم باستقلال إفريقيا، ما جعله يظهر عداؤه اتجاه روما وذلك منذ سنة 386 و 388م، أين رفض تقديم المساعدات المالية والبشرية للإمبراطور ثيودوز ضد خصمه ماكسيموس، لتصل جرأة جيلدون إلى دعم هذا الأخير بالحبوب، وقد كرر جيلدون هذا العصيان سنة 392م وذلك بعد رفضه مرة أخرى دعم الإمبراطور ضد تمرد أوجين Eugene.

رغم العصيان الصريح الذي أظهره جيلدون ضد السلطة الرومانية، فقد تغاضى الإمبراطور عن هذه التصرفات و ذلك لسبب واحد هو حاجته الماسة للقمح الذي كان يتحكم فيه جيلدون².

بعد وفاة الإمبراطور سنة 395م، أخذ جيلدون في تقليص كمية القمح في اطار الضريبة السنوية المعروفة بالأنونة ليقطعها بشكل نهائي سنة 397م³ الأمر الذي هدد روما بالمجاعة، فاضطر سيليكون الوندالي إلى مصادرة قمح إسبانيا وغوليا تأمينا للغذاء بالمنطقة⁴.

¹ - عمران عبد الحميد، المرجع السابق، ص 248.249.

² المرجع نفسه، ص 249.

³ محمد الحبيب البشاري، أوضاع الإمبراطورية، ص 251.

⁴ محمد الحبيب بشاري، التوسعات الرومانية و انعكاساتها على الزراعة المغاربية، مجلة الدراسات التاريخية، ع 14، جامعة الجزائر 2، 2012، ص 5.

أعلن مجلس الشيوخ أن جيلدون عدوا ووجب القضاء عليه، ومن ثمة سخر ستيليكون كل ما يملكه من قوات برية و بحرية، موكلا مهمة قيادة الجيش إلى أخ جيلدون ماسكزال¹ ليجمع في نفس الوقت جيلدون قوة ضخمة مستغلا نفوذه بين القبائل النوميدية والغرامنتية والجيتولية، كما سخر كل القوات الرومانية التي كانت تحت إدارته في هذه الحرب²

استطاع جيلدون على غرار أخيه استطاع أن يكسب شعبية كبيرة إلى صفوفه خاصة على مستوى المناطق التي عرفت انتشارا كبيرا للدوناتية ، التي أعلنت مع اتباعها الدواوين الانضمام إلى ثورة جيلدون³ ، فبعد وفاة الإمبراطور ثيودوس قطع جيلدون حلفه مع إمبراطور الغرب هونوريوس ، و جعل إمبراطور الغرب اركاديوس حليفه الجديد⁴ . كان جيلدون يرى نفسه في موقع قوة ، فيمكنه أن يتسبب في مجاعة في روما و إيطاليا ، اذا ما امتنع عن إرسال الحصة السنوية من القمح⁵ خاصة و أن روما أصبحت تعتمد على إفريقيا في تموين الغرب اكثر من ذي قبل لأن مصر أصبحت بعد تشييد القسطنطينية ممونا للشرق⁶ مستعينا بأخ جيلدون مكاسزال ، حيث تمكنوا من محاصرته ، و القضاء عليهم وحجز أمواله الطائلة ، التي استوجب متصرف مالي خاص بها⁷

¹ على ما يبدو أن اختيار ستيليكون لماسكزال لقيادة الجيش الروماني نابع عن درايته بالخلاف الذي بين الإخوة، إذ أن ماسكزال فر إلى روما هروبا من أخيه الذي فشل في قتله ، و الذي تمكن من قتل ولديه الذي تركهما من ورائه في موريطانيا مما و لد حقا لدى ماسكزال و رغبة في الانتقام من أخيه أنظر: محمد الحبيب بشاري، أوضاع الإمبراطورية الرومانية، ص 250.

² المرجع نفسه ، ص 251.

³ - Francois Decret , op cit , p 160

⁴ يفسر محمد الحبيب البشاري اختيار جيلدون لإمبراطور الغرب كحليف له بدلا من الاستقلال التام ، أن هذا التحالف كان ظرفي باعتقاد أكيد من جيلدون أنه لم يسبق أن عاش وريثين صغرين متصارعين على السلطة ، كما أن بعد إمبراطورية الشق عنه تحول دون المراقبة المستمرة له أ الأمر الذي يفتح أمامه مجال واسع من الحرية بالمنطقة ، عكس إمبراطورية الغرب القريبة منه كما أنها فرصة للاستعانة بتروب عند الحاجة ضد منافسه ستيليكون . انظر: محمد الحبيب بشاري، أوضاع الإمبراطورية الرومانية، المرجع السابق، ص 250.251.

⁵ شارل اندري جوليان ، المرجع السابق ، ص 306

⁶ محمد الحبيب بشاري ، التوسعات الرومانية، المرجع السابق ص 5

⁷ المرجع نفسه ، ص 306.

كانت العلاقة جلية جدا بين الدوناتيين و جيلدون من خلال الحماية التي وفرها هذا الإخير لابطاتوس التيمقادي الذي اشتهر بعنفه النابع من علاقته بجيلدون حتى اطلق عليه ابطاتوس مختلف النعوت كـ أبطاتوس الجيلدوني¹ ، جندي جلدوني، صديق القائد الجيلدوني، فلك القائد الجيلدوني² ، كما وجد جيلدون مصلحته في الدوناتيون اذ قدموا لهم جنود على استعداد تام للاستشهاد و ذلك في سبيل قضيتهم الدينية³ خاصة و أن الدوارين قد اشتهروا بحب الاستشهاد الذي يكسبهم صفة الشهادة و استطاع جيلدون بدوره ان يحمي الدوناتيين من عدة قوانين التي تعذر على السلطة تطبيقها دون عون القوات العسكرية ، كما استغل الدوناتيون بدورهم قوات جيلدون في ضرب المنشقين عنهم من اتباع ماكسيميانوس ، كما شكلت الدوناتية لجيلدون دعما قويا لجيشه الإفريقي الذي كان بقيادته.

نجح جيلدون من ضم عدد كبير من الأطياف الاجتماعية حوله ، كالدوناتيين و اتباعهم الدوارين و كذا مختلف القبائل الإفريقية ، مما اضفى على ثورته الصبغة الدينية الاجتماعية التحررية⁴

لم تكن السلطة الرومانية أن تغض الطرف عن التحالف الذي عقده الدوناتيون مع جيلدون و الذي ترجم في جملة من ، القوانين تواليت في إصدارها فيما بين 398-409م ، ففي 403م حكم اسقف كالما من قبل حاكم ولاية إفريقيا بتهمة الهرطقة و عوقب بغرامة قدرها 10 جنيهات من ذهب ، كما اصدر قانون آخر في 12 فيفري 405م الذي يدين الدوناتية و يعتبرها هرطقة و يحرم عليها عادة المعمودية الثانية ، كما حرّمهم من حقهم في إعطاء و أخذ المواريث ، كما امروا بتسليم كنائسهم و ممتلكاتهم و من ثمة لم يعد لديهم أسس قانونية يستندون إليها⁵.

كانت هذه العقوبات وخيمة العواقب فقد شتت صفوف الدوناتية وذلك بالسجن أو نفي زعمائها فالأسقف أبطاتوس التيمقادي كانت نهايته خسارة كرسي الأسقفية بعد أن أقل نجمه

¹ رومنتن ، المرجع السابق ، ص 141

² محمد الحبيب بشاري ، التوسعات الرومانية، المرجع السابق ، ص 252.

³ محمد الحبيب بشاري، أوضاع الإمبراطورية الرومانية ، المرجع السابق، ص 251.

⁴ المرجع نفسه ، ص 252.

⁵ رومنتن ، المرجع السابق ، ص 142-143.

بالسجن¹ كان من شأن كل هذه الإجراءات المتخذة في حق الدوناتيون أن ترجح كفة الكاثوليك وتجعلهم ينعمون و يحتفلون بانتصارهم على خصومهم ، بل استطاعوا يقنعوا السلطات بضرورة إقامة مناظرة تجمع الطرفين و تفصل بشكل نهائي في قضية الانشقاق ، و تحقق له ذلك إذ امر الإمبراطور هونوريوس بعقد مناظرة قرطاج في 411م² ، التي أسست للنهاية الحقيقية للدوناتية

¹ - Albertini Eugène. Un témoignage épigraphique sur l'évêque donatiste Optat de Thamugadi, C. R.S. A.I, 83^e année, N. 1, 1939. pp. 100-

² رومنتنن ، المرجع السابق ، ص 143.



خريطة توضح المعركة الفاصلة بين قوات جيلدون وقوات مكزيرل

¹ نقلا عن عمران عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص 245

ثانيا: موقف أغسطين من الانشقاق الدوناتى:

كان أغسطين على اطلاع واسع حول حيثيات قضية الانشقاق الكنسي والذي دارت أحداثه بالدرجة الأولى حول سيامة سيسيليانوس كأسقف لقرطاج، هذا الأخير الذي لم تقبل سيامته من طرف مجموعة من الأساقفة بزعماء سيكوندوس أسقف تجيزي Tigisis معتبرين سيامته باطلة لأنها تمت في غياب أساقفة نوميديا و هو ما يتنافى والتقاليد الكنسية من جهة كما تمت على يد خونة من جهة أخرى .

أن مجادلات أغسطين الكلامية لخصومه الدوناتيين كانت تستند لما جاء في الكتاب المقدس و أقوال المسيح ، كما جاءت مبنية على الحجج و البراهين ، و ذلك بتقديم الوثائق التي تثبت صحة طرحه في القضايا التي يناقشها ضد خصومه لاسيما فيما يخص قضية الانشقاق.

حضر أغسطين ملف ملفت للانتباه ضد خصومه الدوناتيين ، التي تدين سيكوندوس و اتباعه ، إذ أن هذا الأخير حسب أغسطين و بشهادة أسقف ليما(....) بريينوس Purpuins ، قد تمّ الزج به في السجن و ذلك في محاولة لإجباره على تسليم الكتاب المقدس أيام الاضطهاد ، أين قام بكل الوسائل في سبيل اطلاق صراحه ، و التي تطلبت في النهاية تسليمه الكتاب المقدس¹ . وفقا لما تقدم يكون سيكوندوس متهم بالخيانة و هي تهمة تعادل التهمة التي وجهت إلى سيسيليانوس.

قدم أغسطين محاضر أخرى تفيد أن سيكوندوس، على مستوى أسقفيته قام باستجواب بعض الأساقفة ، إذ ما كانوا قد سلموا الكتاب المقدس أم لا أيام الاضطهاد ، حيث اعترف الأساقفة بذنبهم ، و كان موقف سيكوندوس من هذا الاعتراف هو العفو عنهم ، تاركا الحكم على قضيتهم إلى الله .²

إن مثل هذا التصرف يجعلنا نعتقد أن هؤلاء الأساقفة كانوا على علم بقضية خيانة سيكوندوس و تسليمه الكتاب المقدس الذي كان سبب في اطلاق صراحه من السجن ،

¹ Augustin(st), lettre XLIII .

²– Ibid.

وحتى لا يفضح سرّه، عفى عن هؤلاء الأساقفة و دليل ذلك ما يورده أغسطين حول نفس القضية، كون نفس الأساقفة كانت أسمائهم ضمن القائمة التي أدانت سيسيليانوس، واعتبرته هو و من قاموا بسيامته خونة مرتدين على أن زعيم المعارضة هو سيكوندوس.

هنا تساءل أغسطين عن التناقض الذي صدر من أسقف تيجيزي، إذ كيف له أن يعفوا عن أساقفة اعترفوا بذنبهم و خيانتهم ، مصرحا انه ترك حكم القضية إلى الله ، وذلك في سبيل الحفاظ على سلام الكنيسة ، في الوقت نفسه أدان كيكيليانوس، في غيابه ودون اعتراف منه، و بذلك يكون سيكوندوس قد تسبب في أكبر شرخ لم يقسم الكنيسة الإفريقية إلى فريقين متناحرين طيلة قرن من الزمن¹ بل قسم المجتمع المسيحي على كل المستويات فقد بل وصل الانشقاق إلى كنف الأسرة الواحدة ، و الذي بتفريق الزوج عن زوجته في بيت الله و إن كانوا مجتمعين في بين واحد²

كان تصرف سيكوندوس من وجهة نظر أغسطين بعيدة كل البعد عن حفظ السلام الكنسي ، إنما كان مجرد ستار أخفى به جرمه و يكون بذلك أعضاء المجلس الذي أدان كيكيليانوس مكون من خونة اغتموا الفرصة من أجل رفع الشبهات عنهم و قذف غيرهم بها³ لم تتوقف متابعة أغسطين لقضية الانشقاق إلى هنا بل تفيد رسائله المتبادلة مع خصومه امتلاكه المزيد من المحاضر و الوثائق التي تثبت براءة سيسيليانوس ، من طرف أساقفة روما و ذلك بأمر من الإمبراطور قسطنطين ، و التي براءة سيسيليانوس من كل التهم المنسوبة إليه ، هذا الحكم الذي لم يقبله الأساقفة المنشقين دفعهم بتقديم شكوى أخرى إلى الإمبراطور مصحوبة بلفافة من جلد تحتوى على قائمة من التهم المنسوبة سيسيليانوس من طرف ماجورينوس ، و وفقا لهذا امر الإمبراطور بإقامة محاكمة أخرى تجسدت في مجمع آرل و التي برأت مرة أخرى سيسيليانوس ، لكن رفض الطرف الدوناتى لهذا الحكم عرضهم إلى إصدار حكم ضدهم يقضي بمصادرة ممتلكاتهم و دفع ضريبة على أماكن تجمعهم⁴.

¹– Augustin(st), lettre XLIII ..

² – Ibid, letreXX

³ - Ibid, letre XLIII .

⁴– Augustin(st),lettre, LXXXVIII.

كما يتبع أغسطين نفس الطريقة في محاولة منه إثبات براءة فيلكس أسقف أبثينا والذي أتهم هو الآخر بالخيانة من طرف أتباع دوناتوس، والذي أثبتت براءته لأكثر من مرة، بعد أن أمر الإمبراطور قسطنطين برفنصل إفريقيا أيليانوس Aelianus ثم خلفه بريبيانوس Probianus بفتح تحري حول القضية أين امتثل عدد من الموظفين أمام البرقنصل لاستجوابهم، لتثبت براءته من كل التهم الموجهة له¹

وفق لمل سبق نرى أن أغسطين رفض و بشدة وجهة نظر معاصره من أتباع الكنيسة المنشقة التي توارثت عن أجدادها خطيئة الانشقاق، الذي بني على أساس باطل و ذلك لعدم إثبات الجرم بالأدلة سيسيليانوس ، كما أن خطئهم لم يقف عند حد توجيه جريمة إلى شخص بريء بل عمموا هذا الجرم على الجماعة المسيحية عامة و الكنيسة الكاثوليكية خاصة، كما سعى أغسطين في محاولة منه استمالة و اقناع خصومه العدول عن انشقاقهم، استحضار مناقب و خصال كبريانوس الذي يعتبر الدوناتيون أنفسهم خلفاءه الأتقياء ، مستشهدا بقوة الصبر التي اظهرها أمام الوثنيين و أما السلطة أيام الاضطهاد، واضعا أمام خصومه فرضية إن كان كايكيليانوس خائنا و مرتدا أيام الاضطهاد بتسليمه الكتاب المقدس لا يمكن ان تحول قضيته إلى جريمة تعمم على كافة الكاثوليكين ، و أن تبقى التهمة لصيقة بأحفادهم عبر الأجيال .

يقول أغسطين في احدى رساله الموجهة إلى:" لا يمكن بسبب الاشرار ان نهمل و نتجاهل الأخيار بل بالعكس يجب من أجل الأخيار أن نتحمل الأشرار"²

من خلال هذا القول بلا حظ أن أغسطين كان يؤمن بفكرة أن الكنيسة يمكن أن تحوي أشخاصا صالحين و أشخاص طالحين ، و السلوكات التي تصدر عن النوع الثاني من الأشخاص لا يجوز أن تعمم على كامل الكنيسة، و هذا لا يعني عزلهم عنا بل الواجب الأول الذي وجدت من أجله الكنيسة هو تقويم سلوكات الأفراد، ليبقى الله وحده القادر على محاسبتهم و معاقبتهم.

¹ - Duchesne Louis. Le dossier du donatisme, M. A.H, tome 10, 1890. pp. 596.

²

من هذا المنطلق وجب على الجيل الجديد تجاوز الخلافات مهما كانت في سبيل لم شمل الكنيستين تحت شعار الوحدة الذي من شأنه أن يحقق استقرار و سلام الجماعة المسيحية . (لم ت. ه. ش)

ثالثا :مآخذ أغسطين ضد الدوناتية

جاء تعريف الدوناتية في القائمة التي وصفها أغسطين للبدع موسومة بخاصتين ، أما الخاصة الأولى و هي إصرار اتباع الحركة على الانشقاق و عدم العودة إلى كنف الكنيسة الكاثوليكية ، و ذلك بعد رفضهم وسامة اسقف قرطاج ، وقد كانت بدعة الحركة الدوناتية حسب أغسطين كونهم اعتبروا كنيستهم الكنيسة الحقّة و المقدسة التي قد زالت و لم يعد لها وجود ما عدا في إفريقيا و ذلك بفضل الكنيسة الدوناتية و التي أصبحت وحدها تملك التعميد الصحيح، و بذلك كانت قضية قداسة الكنيسة الدوناتية و عادة إعادة التعميد من أهم المآخذ التي ركز عليها أغسطين في مجادلاته ضد خصومه.

1- الكنيسة الدوناتية هي الكنيسة الحقّة:

تميزت الكنيسة الدوناتية بالتشدد، مقارنة مع الكنيسة الكاثوليكية، لا سما في قضية الأخلاق و علاقتها بالوظيفة الدينية، و قد وجه الطرف الدوناتى لخصومهم الكاثوليك اتهامات لاذعة حول ما اتسمت به كنيستهم من تساهل الذي نجم عنه ارتباطها بالدولة الذي وصل إلى درجة الانصهار، وذلك في سبيل أن تحقق لها القوة من جهة و تضمن لها استمراريتها من جهة أخرى.

في حين اعتبرت الكنيسة الدوناتية نفسها "كنيسة الشهداء" التي استطاعت أن تحافظ على نقاوة و صفاء العقيدة من كل الشوائب¹، محافظة على القيم و التعاليم المسيحية الحقّة قبل، أثناء و بعد الاضطهاد الذي اعتبروا انفسهم انه ظلوا يعانون منه في تلك الأيام على يد السلطة و بمساعدة الكنيسة الكاثوليكية، و من هنا جعلوا انفسهم يستحقون لقب الكنيسة

¹ - كيفين كويل، مفهوم الهوية الشخصية الإفريقية الشمالية المسيحية في عهد أغسطين، تر: محمد هناد، في أعمال الملتقى الدولي الأول الفيلسوف الجزائري القديس أغسطين إفريقيا و عالميته، منشورات م.إ.أ، 2003، ص83.

المقدسة حتى صبحوا يقولون: "العالم بأسره تشتم منه رائحة كريهة إلا إفريقيا فرائحتها طيبة"¹

وفقا لهذه القولة، نستنتج أن الدوناتيون حصروا الكنيسة الحقبة إلا في إفريقيا و بالتحديد في الكنيسة الدوناتية²، وهذا الاستحقاق إنما جاء نتيجة ما اتصف به أتباعها من أخلاق التي لا بد أن يتحلى بها كل الإكليروس ، و هذا ما جعل أغسطين يتساءل في محاولة منه الحصول على تفسير من الدوناتيين كيف يمكن للمسيح أن يفقد تراثه الموروث في جميع أنحاء العالم، لتتحصر إلا في إفريقيا و على وجه التحديد في أتباع دوناتوس³.

إن فكر أغسطين خاصة و الكنيسة الكاثوليكية عامة كان عكس الفكر الدوناتى حول العلاقة بين الأخلاق و الوظيفة ، إذ لم تتردد الكنيسة الدوناتية من إبعاد المذنبين و الخطائين من حضيرة الكنيسة، فالوناتية تؤمن كل الإيمان بعصمة الجماعة الدينية داخل الكنيسة عكس أغسطين الذي يرى وجوب اتباع أسلوب النصح و الإرشاد صوب من ظلوا الطريق، بل يرى أن واجب رجل الدين هو العمل بكل جهد في سبيل إرجاع المذنبين إلى طريق الحق و التركيز على تحريرهم من ذنوبهم بدلا من التركيز على موجونهم، و ان الله وحده الذي يملك حق محاسبتنا في الدنيا و الآخرة⁴

رغم احتفاظ و اتفاق الكنيستين المتناحرتين على صفة الكاثوليكية إلا انهما اختلفتا حول مدلولها حيث ركز الطرف الكاثوليكي على امتدادها الجغرافي حيث استند أغسطين إلى الكتاب المقدس الذي بشر بانتشار الكنيسة في كل العالم و هذا ما يعطيها صفة الكاثوليكية(شرح مفهوم الكاثوليكية في الهامش) التي تعني العالمية⁵

في حين أعطت الفريق الدوناتى مفهوما آخر للكاثوليكية بعيد كل البعد عن الامتداد الجغرافي، و اربط أكثر مفهوم "أصلية" و المرتبطة بمدى محافظة اتباع الكنيسة بتعاليم و

¹ - المرجع نفس، ص 83.

² -Augustin (st), Lettre XLIX.

³ -Ibid.

⁴ آلان فيتجيرالد، المرجع السابق، ص 86.

⁵ - Ibid, Lettre XLIX

قيم المسيحية منذ عهدها الأولى و التي لم تتأثر عند الدوناتيين بأي مؤثرات و يقصدون هنا على وجه الخصوص قضية المرتدين و الخونة الذين سلموا الكتاب المقدس أيام الاضطهاد و كذا التحالف الذي حدث بين الكنيسة الكاثوليكية و السلطة الذي افقدها قدسيتها و جعلها تتساهل و تتكيف و التطورات الحاصلة¹

انتقد أغسطين هذا التفسير، خاصة و أن الكنيستين كانوا يمارسون نفس الطقوس الدينية و يرتلون نفس الشعائر كما كانوا يعتمدون نفس التراتب الكنسي ، و يحتكمون في قضاياهم إلى نفس النصوص الدينية، و هذا كافي لتتحد الكنيستين، لكن العائق في نظر أغسطين هو افتقاد الكنيسة الدوناتية لشعور الوحدة الروحية مع الكنائس الأخرى و تشبثوا بقول أن الشعور الديني في الكنيسة الدوناتية كان سبب وحدتها و من ثمة ظفرها بالقدسية².

الظاهر أن هذا التوجه لم يكن يؤمن به كل الدوناتيون أمثال **تيكونيوس** الذي حاول تقديم شرح لأغسطين مفاده أن هناك نوعان من الدوناتية الأول يرفض كل شعور بالوحدة مع أية كنيسة متحدة روحيا مع سيسيليانوس و أخرى مستعدة لمثل هذه الوحدة مع غيرها من أتباع الكنائس الأخرى لكن ترفض إشراك أصحاب الفئة الأولى و هذا ما يجعله قريب جدا من موقف سبريانوس.

رغم محاولة أغسطين في مراسلاته المتبادلة مع خصومه الوصول إلى حل قضية انحصار القدسية إلا في إفريقيا و في حزب دوناتوس لكن دون جدوى فقد رفض الدوناتيون أي تفسير و بقوا مصرين على رأيهم، الذي وصل إلى اعتبار كنيستهم هي الكنيسة الوحيدة التي يمكن أن تعطي تعميدا صحيحا.

2- إعادة التعميد:

كانت ممارس وإعادة التعميد قديمة في إفريقيا، و كانت محل جدل بين الأسقف سبريانوس و أسقف روما إتيان، حيث كان يرفض الثاني وبشدة هذه العادة ودعى إلى نبذها ووجوب اتباع كنيسة أفريقيا للكنيسة الأم في روما، غير أن هذه العادة ظلت سارية حتى وفاة

¹ كيفين كويل، المرجع السابق، ص83.

الأسقفان، الأمر الذي خفف من حدة الصراع، لكن لم ينتهي بشكل نهائي وظل محل نقاش و نقطة خلاف بين الكنيستين في إفريقيا وروما خاصة و الكنائس الأخرى عامة.

كان لنزاع كنيسة قرطاج حول سيامة سيسيليانوس فرصة لكل الكنائس لفض هذا النزاع، وأصبح الأمر آنذاك متوقفا على موقف الإمبراطور قسطنطين، حيث استطاعت كنيسة روما وسائر الكنائس الأخرى من كسب تأييده ومن ثمة أصبح قرار الإمبراطور كافي بتحريم و إدانة هذه العادة الممارسة من طرف كنائس إفريقيا.

أمام هذا القرار أصرّ أتباع ماجورينوس ودوناتوس على الاستمرار في ممارسة هذه العادة في حين تخلى عنها سيسيليانوس و أتباعه، وأعلنوا ولائهم لكنيسة روما وسائر الكنائس الأجنبية، ربما هذا ما عزز موقف سيسيليانوس وثبت سيامته كأسقف قرطاج، إذ كان هذا الأخير مجبرا على الخضوع لقرار نبذ هذه الممارسة وإلاّ يتم استبعاده من صفوفهم، بسبب عصيان الكنيسة الأم في روما.

وفقا لما تقدم يكون أغسطين قد أخطأ في تخمينه الذي مفاده أن ممارسة إعادة العميد هي عادة ادرجها الدوناتيون، بل على العكس من ذلك فان هذه العادة من تخلوا عنها، ربما بدافع المصلحة إذ لو لم يتم إدانة هذه الممارسة في مجمع آرل سنة 314م لا ظلت ممارستها في إفريقيا سارية، حتى و إن رفضت هذه الممارسة في كافة الكنائس الأجنبية، لأن الكنيسة الأفريقية تميزت منذ عهدها الأولى بالنزعة الاستقلالية .

رغم أن أساس الانشقاق لم يكن سببه إعادة التعميد إلا انه أصبح صفة لصيقة بالطرف الدوناتى فأضحى من أبرز القضايا التي تجادل حولها الطرفين إذ أجبرت الكنيسة الدوناتية على كل من يريد الانضمام إلى صفوفها الخضوع إلى إعادة التعميد باعتبار أن التعميد الأول الذي تلقوه في حضن الكنيسة الدوناتية تعمد باطل لأنه تمّ على يدّ خونة مرتدين مدنسون بخطيئة تسليم الكتاب المقدس، وأساقفة لم يعترف بتعيينهم و لا قبولهم من الأساقفة الدوناتيين، متقنين بذلك أثر كبريانوس الذي يعتبرون أنفسهم ورثته الأتقياء، إذا كان موقف كبريانوس واضح حول هذه القضية كما سبق الذكر، معتبرا أن التعميد الذي يتم في

كنيسة نوظائيانوس باطلة بالرغم من أنه لم يصنف من الهرطقة ، رغم ذلك لا يعتبر عماده صحيحا إلا إذا تم في كنيسة المسيح الموحدة¹.

تساءل أغسطين في إحدى رسائله عن إذا ما كان حقا الدوناتيون يملكون وحدهم التعميد الصحيح، و أنه لا توجد معمودية المسيح في كنيسة الكاثوليك ويمكن الحصول عليها فقط في حزب دوناتوس، ليتعجب فيما بعد كيف أمكنهم إذن قبول الأشخاص الذين عمدوا على يدّ المنشقين عنهم من مكسيميانين² إذ يرى أغسطين أن التعاليم المسيحية تفرض على الأفراد تلقى تعميدا واحد مدى الحياة ، وإن وقع الفرد الذي تلقى التعميد في الخطيئة وأعلن توبته فإنه لا يتلقى تعميدا آخر، بل ينظر إليه على أنه حافظ على تعميد ومن ثمة يتم حسب أغسطين التركيز على تقويم سلوكاته المنحرفة³ و هم ما جعله يرفض وبشدة هذه ممارسة من طرف الدوناتيين اتجاه الكاثوليك الذين انضموا إلى صفوفهم.

في ردّ أغسطين عن إحدى الرسائل لرجل دين كاثوليكي يدعى ثيودور، الذي سأله عن كيفية التعامل مع من عادوا إلى حضن الكنيسة الدوناتية فكان ردّ أغسطين كالتالي:

"...سألتني عن كيفية التعامل مع رجال الدين من حزب دونات الذين أصبحوا كاثوليك، و ما أجيبك به هو، أنني وضعت علامة على هذه الرسالة التي بعثتها، حيث إذا سألك شخص حول هذه القضية يمكنك أن تظهر له ما كتب بيدي وما اتخذته حول هذا الموضوع....اعلم أننا لا نكره فيهم إلا انفصالهم الذي يجعلهم منشقين وهرطقة، مما يضعهم خارج الوحدة وخارج الكنيسة الكاثوليكية الحقة....ولهذا أخي العزيز تظهر لك هذه الرسالة و الكتاب الذي تعرفه جيدا، أن جميع الدوناتيين الذين يظهرون قلقهم حول الرتب الوظيفية التي يحتلونها وسطنا، إذ كانوا يريدون الحفاظ عليها. فاعطها لهم...لن يحافظوا على معمودية المسيح فقط الذي تلقوه لكن كذلك وظائفهم حسب تراتبها الكنسي."⁴

¹ - إيليان غوندينه، قبريانوس بابا إفريقيا، المرجع السابق، ص 109.

² - Augustin(st), Lettre LXXXVI .

³ - Augustin(st), De l'unité du baptême réfutation des erreurs de Pétilianus, livre 1, tra :M.Raulx, Bar-Le-Duc , 1869,France.

⁴ - Augustin (st),Lettre LXI.

إن هذه الرسالة تبين لنا الطرف الكاثوليكي لم يتخذ نفس الموقف الذي اتخذه الطرف الدوناتى أي أنهم لم يخضعوا كل من انضم إلى صفوفهم إلى إعادة التعميد، معتبرين أ التعميد الذي تلقوه في الكنيسة الكاثوليكية قبل انضمامهم لحزب دونات لم يسقط بجريمة الانفصال¹.

من جهة أخرى اعتبر أغسطين أن التعميد الذي خارج الكنيسة الكاثوليكية هو تعמיד صحيح لكنه يفتقد للشرعية وبذلك يكون عديم الفائدة ولا يحقق للفرد الخلاص، لكن تعود فعالية هذا التعميد بمجرد عودة الفرد إلى الوحدة².

إن الانشقاق الذي مس صفوف الدوناتية و شتتها إلى فرق ، أتاح الفرصة أمام أغسطين أن يقدم الكثير من الحجج و البراهين ضدهم فيما يتعلق بمبدأ التعميد فوجه لهم انتقادات لاذعة لما هم فيه من تناقض، و يتعلق الأمر بفليسيانوس الذي فقد معموديته وسيامته بمجرد الانفصال عن الدوناتية و التحاقه بنحلة مكسيمانيين، لكنها في نفس الوقت فتحت أبوابها للذين رجعوا إلى صفوفها دون إعادة تعميدهم رغم أنهم تلقوا التعميد على يد المنشقين فليسيانوس ومكسيميانوس³، مضيفا ما قام به بريمنيان الذي وجد كنيسته في انتشار كبير كالنار في الهشيم لكنها تفتقد إلى التأطير الديني ، فاضطر إلى إيجاد طريقة لتعويض هذا النقص ، و ذلك عن طريق قبول كنسيين كانوا كاثوليك في السابق⁴ ، مما دفع أغسطين إلى القيام بحملة واسعة النطاقه يفضح فيها التناقض العقائدي للدوناتيين⁵ ابتداء من 401م و 403م

¹ -Augustin(st), Oeuv.C.ST, De l'unité du baptême, L1, op cit.

² -Ibid.

³ - Augustin(st), Oeuv.C.ST, De l'unité du baptême, L2, op cit.

⁴ - مورين أتيلي ، المرجع السابق ، ص 181.

⁵ - كانت التقاليد الكنسية في شمال إفريقيا آنذاك تقوم على أساس عدم أحقية رجل دين تحصل على وسامة في كنيسة أن يتحصل على منصب قيادي في كنيسة أخرى لاسيما الكنيسة المنافسة ، و نظرا لتجاوز الأمور بين الطرفين واعتماد بريمنيان هذه الطريقة ، مستندا إلى أن تلك السامة باطلة بما أنها قد حصلت على يد خونة ، وانه ذنب يتصل بالفرقة المنشقة و قد اعتمد أغسطين نفسه هذه الطريقة خوفا من خسارة الكثير من رجال الدين و الكنائس الكاثوليكية انظر : مورين أتيلي ، المرجع السابق ، ص 181.

رابعاً: استراتيجية أغسطين في مواجهة الدوناتية:

1- استراتيجية المجامع الكنسية:

اعتمد أغسطين في بداية صراعه للدوناتية و اتباعها الدواوين أسلوب العقل و العاطفة و التي ترجمت في عقد سلسلة من المجامع الكنسية ، حيث تزامن تعيين أغسطين كقس لكنيسة هيبون مع رسامة أوريليوس¹ كأسقف لكنيسة قرطاج ، أين ستشهد فترتهما عقد سلسلة من المجامع الكنسية كان أولها، مجمع هيبون الذي عقد في 08 أكتوبر 393م و تنتهي بمؤتمر المنعقد بنفس المدينة ب بازيليك ليونتين برئاسة أوريليوس دائماً في 24 سبتمبر 427م ، و الظاهر أن انعقاد هذه المجامع بنفس المدينة ليس من محض الصدفة و إنما يدل على العلاقة الوثيقة و المتينة التي ربطت بين اسقف مدينة قرطاج و هيبون ، فالأمور كانت تسيير كما لو أن أغسطين هو من أراد بعث فكرة مؤسسة المؤتمرات الكنسية في إفريقيا²، حيث تفيد الرسالة التي بعث بها أغسطين إلى أوريليوس قرطاجة بعزمه الشديد على إزالة كل العواقب التي من شأنها أن تعيق سلام و مسار الكنيسة حيث يقول:

" أعلم أنني أبعد من أن يدب إليّ اليأس ، بل أجدني مفعماً بالأمل في أن ربنا و مولانا و بفضل السلطة الحازمة للمؤتمرات و سلطتك أنت سيخلص الكنيسة الإفريقية من أفعال الدنس العديدة و الأمراض التي تفتك بها"³

لعل ما يقصده القديس أغسطين هو الحركة الدوناتية التي تجدرت عبر العصور و أبت أن تنتهي ، الأمر الذي دعى إلى تكثيف عقد المجامع الكنسية التي وصل عددها في الفترة الممتدة من 392م إلى غاية 411م إلى 25 مجمع أي بمعدل مجمع واحد كل تسعة اشهر في حين نجد عددها يصل إلى 16 مجمع في الفترة الممتدة ما بين 305 إلى 391م ، أي بمعدل مجمع واحد كل خمس سنوات و خمس اشهر⁴ (أنظر الجدول أ)

¹-تمّ تعيين اوريليوس أسقفا لكنيسة قرطاج خلفا للحبر جينيثيولوس وتمت سيامة أغسطين في نفس السنة كقس لكنيسة

هيبون من طرف الأسقف فاليريوس انظر : شال مونيبي ، المرجع السابق ، ص 132 .

²- المرجع نفسه، ص 132.

³- نقلا عن شال مونيبي ، المرجع السابق ، ص 133 .

⁴- عبد الحميد عمران ، المرجع السابق، ص 224.225 .

جدول رقم 108¹ يبين مجمل المجامع المنعقدة من طرف الكنيسة الكاثوليكية فيما بين

393م إلى 422م

مكان و موضوع المجمع	تاريخ المجمع
مجمع هيبون	08 أكتوبر 393م
مجمع قرطاج	28 أوت 397م
مجمع قرطاج	27 أبريل 399م
مجمع روما	16 جوان 401م
مجمع قرطاج	401م
مجمع ميلاف	13 سبتمبر 401
مجمع قرطاج	27 أوت 402م
مجمع لبحث دعوة عقد مؤتمر	25 أوت 403م
مجمع قرطاج	نهاية 403م
مجمع قرطاج	16 جوان 404 م
مجمع قرطاج	23 أوت 405م
مجمع قرطاج	3 جوان 407 م
مجمع قرطاج	16 جوان 408 م
مجمع قرطاج	13 أكتوبر 408 م
مجمع قرطاج لتحضير المؤتمر	14 جوان 410 م
مجمع بنوميديا	25 ماي- 7 جوان 411 م
مجمع بالباصاسين	14 جوان 412م
مجمع بقرطاج	24 فيفري 418 م
مجمع بقرطاج	1 ماي 418م
مجمع بنوميديا	25 ماي 419م

¹-المرجع نفسه، ص 235.236.

إن العقد المكثف للمجامع الكنسية على الأرجح كان يهدف إلى توحيد كلمة كنائس إفريقيا الذي يزيدها قوة أمام خصومهم الدوناتيين من جهة وإشراك الأساقفة الكنائس التابعة لهم من جهة أخرى في اتخاذ القرارات المناسبة عن طريق طرح المشاكل كل حسب منطقتة، ناهيك ، أغسطين كان يملك كلمة الفصل في هذه المجامع التي حاول من خلالها رفع شكايي للسلطة ممهدا تدخلها للفصل في حيثيات هذا الانشقاق بشكل نهائي كما استطاع ان يفرض من خلالها آرائه و توجهاته كما حاولت الكنيسة الدوناتية بزعامة أغسطين في تشتيت أتباع الكنيسة الدوناتية و ذلك يدعمهم و تركيته منشقيهم، حيث تم الاعتراف مكسيميانوس المنشق عن بريميانوس كأسقف شرعي للدوناتية¹

2- استراتيجية المجادلات الكلامية:

كان الانشقاق الكنسي من أهم القضايا التي أولاها أغسطين أهمية، و ذلك فور نعيه كأسقف مساعد لكنيسة هيبيون سنة 396م، معتبرا أن هذا الانشقاق من أخطر القضايا التي تهدد وحدة و استقرار الكنيسة، و لهذا نجد الحركة الدوناتية نالت حيزا كبيرا من كتاباته، إذ كرس الجهد الكثير في سبيل لم شمل الكنيستين تحت شعار الوحدة الكاثوليكية عن طريق المجادلات الكلامية، و المناظرات العلنية و كذا نظم الأشعار الشعبية البسيطة .

فضل أغسطين في بداية مواجهته ضد الدوناتية طريقة المجادلات، إذ اعتبر أن التعامل بالكلمة و المناقشة² هي الوسيلة الأنجع لإقناعهم بالعودة إلى كنف الكنيسة الكاثوليكية، و رافضا تماما في بداية مساره الكنسي استعمال العنف والقوة، قصد إجبار خصومه الدوناتيين على الوحدة³، في الوقت الذي قابلت فيه الكنيسة الدوناتية حماس أغسطين و رغبتة الجامحة في المجادلات بالرفض مع من وصفوه بالمجادل القرطاجي وأمروا اتباعهم بمقاطعته⁴، كما ترجم رفضهم لهذه المجادلات في الصمت الكلي و عدم

¹-عبد الحميد عمران ، المرجع السابق، ص 226-227.

² محمد بن إبراهيم جندلي، عناية في سياق التاريخ وعمق الجغرافيا، ك1، ط1، مطبعة المعارف، الجزائر، 2007، ص 122.

³ Augustin(st),Lettre

⁴ محمد بن إبراهيم جندلي، المرجع السابق، ص 122.

الرغبة في كثير من الأحيان في الردّ على رسائل أغسطين التي كان يرسلها إلى كبار الأساقفة الدوناتيين أمثال بروكوليانوس إذ يقول أغسطين: "هم يريدون أن يكونوا صامتين لكن واجبهم الكلام."¹

إن قول أغسطين هذا يدل على رفض الدوناتيين الدخول في أي نوع من التعامل مع خصومهم، ودليل ذلك اتخاذهم موقف معاد من الكنيسة الكاثوليكية، خاصة بعد الدعم والعناية التي حظيت بها هذه الأخيرة من طرف السلطة الرسمية، و لم يقتصر هذا الموقف السلبي على عدم خوض المناظرات مع زعماء الكنيسة الكاثوليكية أمثال أغسطين بل وصلت إلى دعوة أتباعها إلى منعهم من إلقاء التحية أو التكلم مع الكاثوليك و كذا عدم مجالستهم أو التردد على مجامعهم، وعدم مخاطبتهم بالأخ أو الأخت ، كما منع الدوناتيين من مصاهرة الكاثوليك، و كذا رفضت المقابر الدوناتية دفن موتى الكاثوليك على مستوى مقابرهم أو حتى استعمال أدواتهم الجنائزية،² .

انطلق الدوناتيين من فكرة أن الكاثوليك قد ورثوا خطيئة الردة و الكفر عن آبائهم، و من ثمة أغلقوا كل الأبواب التي يمكن أن تجعلهم في اتصال مع خصومهم، و قد بالغ الدوناتيين في فكرتهم هذه، إذ كانوا يقومون بعد ضمهم بعض الكنائس الكاثوليكية إلى ممتلكاتهم بتطهير الجدران و الأسقف و كذا الأرضيات عن طريق الكشط أو النقشير أو الحرق ، مع غسل كل ما وجد بها من أواني أو أدوات ووصل تشدد الطرف الدوناتى إلى إجبار من يريد الانضمام إلى الكنيسة الدوناتية إلى العودة إلى الوثنية ليتم قبولهم بعدها في الكنيسة الدوناتية معتبرين أن خطيئة الردة أخطر من اعتناق الوثنية³ .

إن التشدد الذي طبع به أتباع الكنيسة الدوناتية لا يمكن تعميمه على كل أتباعها ، ودليل ذلك هو الكم الهائل من الرسائل المتبادلة بين أغسطين و مختلف أساقفة الطرف الدوناتى التي سمحت لكل طرف إظهار آرائه و أفكاره ، فقد رد أغسطين في كثير من

1

²-محمد البشير شنيني، التغيرات، ص 292.

³- المرجع نفسه، ص 292.

موقف اغسطين من الدوناتية و الفوضى المحلية

المناسبات على خصومه أمثال : بريميانوس¹، بيتليانوس²، فورتينيانوس³ و كذا كاودتيوس⁴ والتي حرس فيها أسقف كنيسة هييون على أن تكتب بأسلوب يتسم بالاحترام المتبادل، و هذا ما نستشفه من الرسالة التي بعث بها إلى الأسقف الدوناتى بهييون بروكوليانوس و المؤرخة في 396م، إذ يقول: "إنني ارتجف من أن تجد في كلماتي شيئا يبدوا لك فيه إهانة، سأحترس بقدر ما أستطيع."⁵

أن هذا المقطع يجعلنا نعتقد أن العلاقة بين الطرفين - الدوناتى و الكاثوليكي - لم تكن دائما عدائية، على الأقل ليس مع كل الأساقفة، فالكنيسة الدوناتية كانت تملك بين صفوفها ثلة من الأساقفة ذوي مستوى ثقافي عالي شهد به لهم خصومهم، كما أن أغسطين لم يظهر نفسه على أنه الوحيد الذي يملك الحقيقة التي تأهله إلى نشرها بين كل المسيحيين أو الدوناتيين، فقد حاول دائما أن يجعل مجادلاته مستندة إلى الكتاب المقدس و كلمات المسيح على أساس أنها مصدر الحقيقة التي يعترف بها الجميع و يبحث عنها الطرفان، إذ

¹ بريميانوس Primianus: اسقف قرطاج خلفا لـ برمنيانوس في حوالي 391-392م والزعيم الدوناتى بعد دوناتوس من 362م إلى 392م بريميانوس : اسقف قرطاج الدوناتى ، و من أصول غير إفريقية ، اذا كان ابطاتوس كان ينعتة بالأجنبي ، ونظرا لكفاءته كانت الكنيسة الدوناتية تعلق قضيتها عليه انظر : - Louis Guérin, op cit.,ch 16^{eme}

² بيتليانوس: أسقف سيرتا، ينحدر من ابوين مسيحيين من سيرتا، مارس مهنة المحاماة وبمجرد تلقيه التعميد تمت سيامته كأسقف رغما عنه تحت ضغط شعب سيرتا، يفترض أن هذه السيامة تمت بعد مؤتمر باغاي الدوناتى في 394م لأن محاضر المجامع الكنسية لا تذكر اسمه، لكن تعيينه تم قبل مؤتمر 369م الذي أعاد دمج نحلة مكسيم المنشق بمواقفة بيتليانوس نفسه، فيما بين 398-399م وضع كتاب حول تعاقب الأساقفة الدوناتيين، التي رد عليها أغسطين في كتابين الذي جاء على شكل حوار يدحض فيه آراء بيتليانوس نقطة بنقطة، ليدين أغسطين رسالة بيتليانوس التي جاءت كرد على الكتابين الأولين متهما إياه بالخروج عن موضوع المناقشة، مثل بيتليانوس الطرف الدوناتى في مناظرة قرطاج نظرا لما يتمتع به من فطنة وقدرة على المجادلة. أنظر: -**Actes de la conférence de carthage en 411**, tI, tra : Serge Lancel, ed du CERF, France, 1972, p281. - Monceaux Paul. La littérature donastique, les ouvrages de Petilianus, C. R.S. A.I, 50^e année, N. n 4, 1906 وللמיד عن رد أغسطين عن بيتليانوس انظر: **Oeuv.C.ST, Contre les lettreS de Pétilien**, Tra: de M. l'abbé, Burleraux, Bar-Le-Duc, L. Guérin & Cie, éditeurs, 1869

³ - فورتينيانوس: أسقف سيكا(سكيكدة) الدوناتى، واحد من البعة الذين تم اختيارهم كمثلي الطرف الدوناتى في مناظرة قرطاج أمام خصومهم الكاثوليك كما تبادل مع أغسطين رسائل لمناقشة قضية الانشقاق أنظر: Augustin(st),Lettre CXLVIII

⁴ - أنظر رسائل أغسطين :

⁵ -Augustin (st), Lettre XXXIII.

يقول: " دعونا نصحح ليس عن طريق الرجل نفسه الذي يمكن أن يكون خاطئ لكن عن طريق الحقيقة نفسها، أي عن طريق المسيح فهو الحق".¹

إن هذا القول يؤكد أن الهدف الأول لأغسطين من المناظرات و المجادلات التي كان يقيمها مع خصومه هو الوصول إلى الحقيقة بالدرجة الأولى التي تنتهي بتحقيق الوحدة ، و لا يمكن لهذا أن يتحقق إلا بالاستناد إلى ما جاء في الكتاب المقدس، الذي يعترف به الطرفان فقد رفض أغسطين أن يكون أي شخص من الطرفين قد يملك الحقيقة المطلقة ، إنما ينبغي البحث عنها و الوصول إليها .

كان أغسطين يصرّ على علنية المجادلات بينه وبين خصومه، و ذلك بهدف إعطائها نوع من المصداقية من جهة و حتى تكون أمام كلّ الرعية التي يتسنى لها من خلال حضور هذه المناظرات، اختيار الطرف الذي يروونه الأحق إذ يقول: " أطلب منكم أن تتذكروا الوعد الذي قطعتموه بأن تعالجوا معي سلمياً قضية كبيرة ، التي تخلص الجميع ، في حضور من ستختارهم أنت بنفسك ، على شرط أن لا تضيع كلماتنا في الهواء . لكن أن تكون مكتوبة : لتحاوّر في هدوء وسلام ، وسوف نكون قادرين على إيجاد الحل ، الذي بمجرد نطقه لن يغادر ذاكرتنا أو اذا أردت يمكن أن نتناظر بخصوصية عن طريق الرسائل أو المحادثاتثم سنترك الناس يعرفون ما دار بيننا و اذا كان من المناسب لك أن نتناظر عن طريق الرسائل ، سيتم قراءة رسائلنا لكلا الطرفين ، على أن يوما ما لا نكون شعبين بل شعب واحد . أنا أقبل مقدما بسعادة ما تأمر به ."²

من خلال ما تقدم نلاحظ أن أغسطين كان يريد جعل الرعية هي الحكم بين الطرفين كما هي محاولة إلى إقناع أتباع الطرف الدوناتى و جرهم إلى العودة إلى حضن الكنيسة الدوناتية، وحتى و إن رفض زعمائهم الاقتناع، و ربما هذه سياسة أراد بها كذلك إضعاف الطرف الدوناتى، الذي يستمد قوته من القاعدة الشعبية التي يتمتع بها بالمقارنة مع الكنيسة الكاثوليكية .

¹ -Ibed.

² - Augustin(st) , lettreXXXIII.

لم يكتفي أسقف كنيسة هيبون بالإصرار على علنية المناظرات و المجادلات الكلامية مع خصومه، بل أراد أن تكون مكتوبة و ذلك تفاديا أي تحريف لما يجري بينه و بين خصومه من محادثات، والرسالة واحد وخمسين التي أرسلها أغسطين إلى اسقف كالما كريسينوس Crispinus ، تبين توعده ضد هذا الأخير بعدم إثارة أي جدال معه إلا عن طريق الرسائل المكتوبة أو المجادلات العلنية تتم في حضور كتاب، تكون مهمتهم تدوين كل ما يدور من مناقشات بين الطرفين بكل دقة دون زيادة أو نقصان، في الوقت الذي تكون فيه الرعية هي الشاهدة على صحة ما دون، لأن نفس الرسالة تبين الاتهام الذي قدمه أغسطين ضد خصمه كريسينوس الذي اعتاد تحريف محتوى المحادثات التي تجري بينهما لما يتناسب و مصالحه و يتماشى و توجهاته، و يقول أغسطين في هذا المضمار: "أما بالنسبة لي، فإنني عازم على عدم التعامل مع هذه القضايا معكم، إلا بحروف، بحيث لا يمكن نسيان أي شيء قيل،.....فقد اعتدت على قول الكذب حول ما حدث ، وروايته كما يحلو لك ،ربما عن طريق الخطأ لا بنية الكذب و لهذا السبب إن أردت دعنا نحكم فقط على الأشياء الحالية"¹

الواضح أن أغسطين لم يكن يملك الثقة الكافية في خصومه، تجعله يدخل في مجادلات خاصة معهم ، مما جعله يصر على علانيتها و تدوينها، و ذلك لكي لا يتسنى لأي طرف تحريف أي كلمة التي من شأنها أن تعيق الوصول إلى الحقيقة أو تشوه صورة الكنيسة الكاثوليكية بغير وجه حق.

كما حاول أغسطين أن يعالج القضية الدوناتية مستعملا كل الأساليب بما فيها توعية الشعب البسيط و ذلك بتبنيه إلى خطورة هذا الانشقاق وما افرزه من فوضى و عدم استقرار بين الجماهير و يقصد هنا أفعال الدوارين و عنفهم ، و تم توصيل كل هذه الأفكار عن طريق نظم نصوص ، في شكل مزموور في أسلوب شعبي متداول يسهل على البسطاء من الرعية حفظه و ترتيله في بعض المناسبات ، و كان المغزى من هذه الأناشيد هو ربح أكبر عدد ممكن من الرعية لصالح الكنيسة الكاثوليكية، ومنه ضرب الكنيسة الدوناتية في القاعدة الشعبية التي تمثل مصدر قوتها كما هو مبين في النص.(غير مهمش)

¹– Augustin(st) , lettre LI.

يقن أغسطين أن استعمال العقل و العاطفة لم يجدي نفعا في استمالة الدوناتية و لم يحقق هدفه المنشود في لمّ شمل الكنيستين المتناحرتين¹، فكان هذا منعرج في تغيير فكر أغسطين اتجاه الأسلوب المتبع في إخضاع خصومه إذ يقول كوفمان عن موقف أغسطين هذا : " لقد قبل بمساعدة الدولة في القضاء على الانشقاق انطلاقا من اعتباره استمرار خصومه في الخطأ بمثابة الحجة الدامغة على تسلط الشرّ على العقل و الخيال" غيرَ أغسطين في الفترات اللاحقة وجهة نظره اتجاه الطريقة التي اتبعها ضد خصومه، وذلك بعد تأكده من عدم ناجعتها، ليستعين بالسلطة الزمنية في إخضاع خصومه و إجبارهم على الوحدة.²

وبهذا تجاوز أغسطين طريقة الحوار على مبدأ العقل للوصول إلى إقناع خصومه وتفضيله الاستعانة بالسلطة الزمنية لتحقيق الوحدة الكاثوليكية.

3- الاستعانة بالسلطة الزمنية:

إن فشل أغسطين في مسعاه طول الفترة السابقة، التي بدأت فور تعيينه أسقفا مساعدا بكنيسة هيبون إلى غاية مطلع سنة 400م، لم تشلّ من حماسه في لمّ شمل الكنيستين المتناحرتين، لكن جعله يغير رأيه في طريقة مقاومة خصومه و التي اعتمدت في المرحلة السابقة على مبدأ الحوار حيث يقول: ".....توصلت إلى أن الأمثلة التي عارضها زملائي حول تفكري صحيحة ، لأن شعوري الأول كان يقوم على عدم إجبار أي شخص على الوحدة الكاثوليكية، بل أن أتفاعل عن طريق الكلمة و أقاتل عن طريق المناقشة للتغلب عن طريق العقل.... هذه ليست كلمات تناقض لكن أمثلة انتصرت على الرأي الأول الذي كان لي."³

إن هذا المقطع المقتبس من رسالة أغسطين الموجه إلى أسقف كرتان Cartenne(تنس) الذي ينتمي إلى نحلة رقاتوس المنشق عن الكنيسة الدوناتية، يظهر

¹-مورين أتيلي، الدين الذي على أغسطين لتجاه الدوناتية، تر: محمد هناد، ج1، في ملتقى الدولي الأول " الفيلسوف

الجزائري القديس أغسطين إفريقيته و عالميته ، منشورات م.إ.أ الجزائر ، 2003 ، ص 179 .

²-نقلا مورين أتيلي، المرجع السابق، ص 179

³ -Augustin(st), Lettre XCIII .

تبني أغسطين لأسلوب جديد في مقاومته لدوناتيين، و المتمثل في الاستعانة بالسلطة الزمنية لإحلال السلام الكنسي خاصة ومكافحة البدع و الهرطقات عامة¹ اعتمادا على أسلوب الترغيب والترهيب، وذلك بتطبيق قوانين قسرية و منه لم يتردد أسقف هيبون في اطلاع السلطة على كل أعمال الشغب والعنف التي كان يقوم بها خصومه، والرسالة رقم 86 المؤرخة في 405م التي أرسلها أسقف هيبون إلى سيسيليان حاكم تقول: "من واجبي أن نحذر عظمتك ، لئلا صمتي يجعلني متهما بإهمال واجباتي. لتعرف إلى ما وصلت إليه التجاوزات الجريئة للهرطقة في المنطقة التي أنا فيها ، إن كنت تفضل أن تسمع من إخواننا و زملائنا الذين سيبلغون سماحتك ، أو ترغب في الاستماع إلى كاهن سنبعثه لكم مع هذه الرسالة"²

تدل هذه الرسالة على التحالف المعن بين أغسطين و السلطة الرومانية من أجل القضاء على الانشقاق كما أن لفت انتباه السلطة إلى أعمال العنف و الفوضى التي كان يقوم بها الدوناتيون أراد بها الطرف الكاثوليكي إلى استمالة السلطة إليهم، و ذلك بجعل السلطة تقتنع أن جل الفوضى و عدم الاستقرار الذي تعاني منه إفريقيا إنما سببه الكنيسة المنشقة التي وجب وضع حدّ لها وذلك بجعلها تدخل الوحدة قسريا³. مبررا أن استخدام العنف مشرع من عند الله الذي يحبنا أكثر من أي شخص آخر ، حيث شبه الأخطاء الدوناتية بالص الذي ينثر العشب من أجل استدراج القطيع من الضيعة في الوقت نفسه يستخدم الراعي الصوت في إرجاع هذا القطيع إلى الحظيرة ، و هذا العنف المستعمل لا ينبع من كره و إنما ينبع من خوف و حب في القطيع ، ومن ثمة وجب على الكنيسة أن تجبر المنشقين بالعنف للعودة إلى حظيرة الكنيسة التي ستضمن لهم الخلاص الأبدي، مضيفا أن من يقاوم السلطة فهو يقاوم إرادة الله قائلاً⁴ يتوعد و يحذر عن طريق رجال الدين ويمكن للقوانين السلطة الدنيوية أن تقوم بذلك على شرط أن يتم ذلك بدون سفك الدماء ، فالذين لم تؤثر فيهم الكلمة يمكن استعمال أسلوب العقاب معهم على أن يكون هذا العقاب

¹ - شال مونيي ، المرجع السابق ، ص 140.

² - Augustin(st), Lettre LXXXVI .

³ -

⁴ - Augustin(st), Lettre XCIII.

مرفق جدا ، و الذي اثبت نجاعته و هذا استنادا لقول أغسطين :¹'فمدينتي، التي كانت تنتمي كليا إلى حزب دونات، تحولت إلى الوحدة الكاثوليكية خوفا من القوانين الزمنية'¹

رغم نجاح أسلوب العنف في إرجاع الكثير من المنشقين إلى الكنيسة الكاثوليكية فقد أراد أن يطبق باعتدال و رفض أن يصل إلى حد القتل بسبب قناعة دينية ، فحتى عند استجابة السلطة إلى نداءاته و التي تجسدت في قانون 01 فيفري 405م الذي ألزم فيه الإمبراطور هونوريوس اتباع أسلوب الإكراه في إخضاع المنشقين ، و التي وصلت إلى حدّ الموت ، طالب أغسطين بالاعتدال في تطبيق القوانين².

إن موقف أغسطين هذا يبين أن هدفه المنشود من الهجومات التي شنّها ضد خصومه إنما الالتحاق بالوحدة الكاثوليكية التي حقق لهم -حسبه- الخلاص الأبدي.

¹-Ibid.

²- الآن فيتزجيرالد ، المرجع السابق ، ص 104 .

الخاتمة:

إذن نلاحظ أن أسلوب أغسطين للمّ شمل الكنيسة تراوح بين عقد المجامع الكنسية والمناظرات و كذا تبادل الرسائل و نظم المزامير على أن الأسلوب الغالب على هذه الوسائل هو التوبيخ ، العتاب والنصح في نفس الوقت، لأن التوبيخ والعتاب حسب أغسطين يكون بدافع المحبة، مستعينا في ذلك بما جاء في الكتاب المقدس : " و إن أخطأ إليكم أخوك فاذهب و عاتبه ...إن سمع منكم فقد ربحت أخاك¹

¹ - متى 18 : 15 ، نقلا عن آلان ص 102

الكتاب الثالث

الفصل الأول

السلطة تقمع الدوناتية

الفصل الثاني

القديس أغسطين بين الأصالة الإفريقية والثقافة لرومانية

الفصل الأول

اولا: أفول الدوناتية وانتعاش الكاثوليكية

ثانيا: دعم الكنيسة الكاثوليكية ضد الدوناتية

ثالثا: مناظرة قرطاج

رابعا: اجراء السلطة بعد مناظرة قرطاج

خامسا: رد فعل الدوناتية من حكم مناظرة قرطاج

سادسا: أسباب تأخر سقوط الدوناتية

تمهيد:

تسبب الانشقاق الدوناتى عن الكنيسة الرسمية في نزاعات و مجابهات دموية دامت حوالي قرن من الزمن، عانت فيه الكنيسة الدوناتية من اضطهاد الكنيسة الرسمية والتي تولى قيادتها والدفاع عنها أغسطين معتمدا كل الاعتماد على السلطة الزمنية ومستغلا سلطتها في محاولة ردع الدوناتية تارة عن طريق القوانين وتارة أخرى عن طريق العنف، كما استغل أغسطين خلال مواجهته الدوناتية ما انتشر من رعب في أوساط إفريقيا لاسيما من طرف كبار الملاك، من طرف حركة الدوارين الذين يعتبرهم أغسطين رؤوس رماح الدوناتية، وقد استطاع أن يتغلب على الانشقاق الدوناتى ويؤسس لبداية نهايته أو على الأقل إضعافه وتشتيت صفوفه من خلال مناظرة قرطاج المنعقدة بقرطاج في سنة 411م. وهذا يدفعنا إلى التساؤل عن أسباب اتخاذ السلطة لقرار عقد هذه المناظرة؟ وما هي اهم الأطراف الفاعلة فيها؟ وما هي نتائجها؟ وما مصير الانشقاق الدوناتى بعدها؟

أولا:أقول الدوناتية وانتعاش الكاثوليكية (390-411 م):

تميزت هذه الفترة بظهور أسقفان على مسرح الأحداث واللذان سيعملان على التغيير لصالح الكنيسة الكاثوليكية.

الأسقف الأول هو اوريليوس الذي كان على رأس أسقفية قرطاج ابتداء من السنة 392م والذي عمل على استئناف عهد المجالس السنوية كما تحمل مسؤولية الكنيسة المسيحية بكل حزم¹.

أما الأسقف الثاني فهو أغسطين الذي تسلم أبرشية هيبيورجوس ابتداء من 391م كأسقف مساعد، ليعن فيما بعد على رأسها اسقفا سنة 395م والذي دخل بكل حماسة في كل المجادلات المذهبية في وقته، والتي كانت تهدف لحماية الكنيسة المسيحية من كل البدع والهترقات، خاصة الانشقاق الدوناتى الذي عرف قوة وانتشار كالنار في الهشيم مما دفعه إلى بذل كل جهده في سبيل الحدّ من قوة الكنيسة الدوناتية.

¹ -Paul Corbier, op cit , p 236.

أما الكنيسة الدوناتية فكان على رأسها الأسقف بريميانوس منذ 390م، والذي امتاز بشخصية جمعت بين الثقافة والمعرفة الواسعة والحزم والعنف والتسلط في نفس الوقت¹.

بالنظر إلى الدور الكبير الذي لعبه القديس أغسطين في الجدل الكلامي ضد الدوناتية فإن أغسطين لم يكتشف الانشقاق الكنسي الذي حصل على مستوى كنيسة إفريقيا إلا بعد استقراره بهيبورجوس اثر سيامته كأسقف لأبرشية الكنيسة² فاطر المعاشة اليومية لأغسطين لسكان هيبورجوس تعرف عن قرب على كل أنواع الإزعاج والمضايقة التي كان يتعرض لها الكاثوليك من طرف أعدائهم الدوناتيين الذين كانوا يمثلون الأغلبية الساحقة.

إن ابن تاغست على الأرجح لم يعيش في مدينته المشاجرات والمشاحنات اليومية التي أصبحت مشاهدا عادية تغذي وتنشط حياة السكان في هيبورجوس، حتى انه في مناظرة قرطاج في 411م اليبوس صديق أغسطين واسقف تاغست كان يذكر بفخر وشكر أن كنيسته لم تتعرض لمثل هذا الانشقاق لم تعيش مدينته ماكانت تعانيه هيبورجوس.

فاغسطين قبل مجيئه إلى هيبورجوس وفي الوقت الذي كانت إفريقيا باسرها تتخبط في قضية الانشقاق، كان منكبا على قضية المانوية التي شغلت تفكيره، فكان لا يرى عدو اخطر من المانوية على المسيحية، فمنذ عودته إلى إفريقيا كان شغله الشاغر هو محاربة هرطقة ماني³ ومع مرور الوقت اكتشف أغسطين خطورة الانشقاق الكنسي وأهمية العمل من اجل لَم شمل الكنيسة المسيحية الكاثوليكية الإفريقية

ثانيا: دعم الكنيسة الكاثوليكية ضد الدوناتية

إن ما تمتعت به الحركة الدوناتية من حرية في فترة حكم الإمبراطور جوليانوس مكّنها من إعادة تنظيم نفسها عن طريق استعادتها لممتلكاتها وكنائسها وكذا عقد عدة مجامع، لكن هذا الانفراج لم يدم طويلا⁴، فالأباطرة الذين تعاقبوا من بعد جوليانوس تميزوا بسياستهم الواضحة والتي تدعم بشكل خاص المسيحية ف "فلونتيان" رغم تمييزه بحياده اتجاه الأمور

¹ -Ibid, p 236.

²- Ibid, p 236.

³- انظر حول محاربة اغسطين لبدعة ماني الفصل السادس، ص

⁴ -Francois Decret, op.cit, p 156.

الدينية إلا انه صرح بعدم جدارة الأسقف Caceroloe حول قضية إعادة التعميد¹ التي كان الدوناتيون يصرون عليها بالنسبة للذين جاؤوا من الكنيسة المعادية (المسيحية) وهذه الحادثة صورة مثالية لتدخل الأباطرة في الشؤون الدينية إلى صالح الكنيسة الكاثوليكية.

في حين عزم الإمبراطور **غراتيان** على مصادرة كل أماكن العبادة الهرطقية والمبتدعة الخارجة عن صميم الكنيسة الرسمية التي تعتبر الكنيسة الحقة².

كانت فترة حكم الإمبراطور ثيودوسوس حاسمة بالنسبة للمسيحية، حيث عمل على ترسيخها بكل السبل فتميز بمعاملته الكريمة لرجال الدين المسيحيين فأغدق عليهم الامتيازات والحقوق³ على أن لا تمتد هذه الامتيازات إلى التدخل في شؤون السلطة ومن اجل ذلك اصدر مرسوما في 18 أكتوبر 392م حدد فيه الحدود الموجودة بين السلطة والكنيسة وبذلك اسقط عدة حقوق عن الكنيسة من بينها عدم قدرة الكنيسة على إيواء المذنبين الذين يفرون من قضاء السلطة كما منع كل مدني من الالتجاء إلى الكنيسة التماسا للحماية والتهرب من دفع الضرائب⁴ مثلا فقد عمل ثيودوسوس على دعم الكنيسة المسيحية بقدر ما اصبح المتحكم في تسيير شؤونها.

عمل ثيودوسوس على دفع المسيحية إلى الأمام على حساب أعدائها وذلك بسنّه عدة مراسيم منها مرسوم 392م (**البحث عن القانون**) والذي يحرم على الوثنيين تقديم القرابين وإقامة الشعائر الوثنية للآلهة، متوعدا أن كل من يخالف هذه القرارات يعتبر خائنا ومجرما في حق الإمبراطورية والعقيدة المسيحية⁵ ووجب معاقبته، كما اصدر قانون في 15 جوان 392م على كل الأساقفة المنشقين والزمهم بدفع ضريبة تقدر بـ 10 أرتال من الذهب، ومن لا يدفع هذه الضريبة يعرض للجلد ومنها لسجن أو النفي⁶.

¹ -_تفصيل أكثر عن قضية إعادة التعميد الممارسة من طرف الكنيسة الدوناتية عد إلى الفص الرابع، ص..

²-Francois Decret, op.cit, p 156.

³- الباز العريني ، المرجع السابق، ص 42.

⁴ - Cod Théod,IX , 45,1.

⁵- الباز العريني ، المرجع السابق، ص 42.

⁶-Francois Decret, op.cit, p 157.

إذن منذ اعتلاء ثيودوسوس عرش السلطة، كانت كل قوانينه تصب في هدف واحد وهو القضاء على كل البدع والهرطقات المنتشرة في كافة أنحاء الإمبراطورية، لكن الدوناتية في هذه الفترة لم تكن مستهدفة بشكل خاص، كونها استطاعت بفضل أساقفتها المحنكين من الإفلات من عدة قوانين كونهم لم يصنفوا انفسهم كهراطقة¹ بل منشقين خاصة وأن، منافسيهم اعتبروا كذلك ك ابطاتوس الميلي الذي اعتبر الكنيسة الدوناتية كنيسة المنشقين لا الهراطقة غير أن ممارستهم المستمرة وإصرارهم على قضية إعادة تعميد المسيحيين الجدد العائدين إلى كنف الكنيسة الدوناتية، كنت تصنفهم في كثير من الأحيان كهراطقة من طرف السلطة على أساس أن مبادئ وأسس التعميد نفسها في كلتا الكنيستين حتى أن تلاوة الصلاة والشعائر الدينية نفسها وبالتالي يفترض أن تسقط عملية إعادة التعميد، الأمر الذي لم يجعل الكثير من الدوناتيين في مأمن ففي نفس السنة التي اصدر فيها قانون 392م تمّ التتكيل ببعض الأساقفة حيث قام النائب العام لإفريقيا سيرنوس بتطبيق ضريبة دفع 10 أرتال من الذهب على الأسقف الدوناتى ابطاتوس التيمقادي الذي استطاع السيطرة على منطقة نوميديا ونشر الرعب فيها بمساعدة الدوارين على أن هذا القانون لم يطبق بشكل واسع وذلك خوفا من ردة فعل رجال الدين الدوناتيين

رغم إظهار السلطات الرومانية لرفضها لظاهرة إعادة التعميد إلا أن أساقفة الكنيسة الدوناتية لم يتوقفوا عن ممارسة هذه الطقوس لكل من أراد الانتماء إلى كنيستهم فالمصادر تذكر أن الأسقف كريسيبينوس Crispinus المسؤول عن أبرشية كالمما قام بإعادة تعميد 80 مزارع بعد استرجاعه لملكية كانت بيد المسيح وتمت إعادة تعميدهم بالقوة باعتبار أن صاحب الملكية كان من الدوناتيين المؤمنين بأفكار الأسقف كريسيبينوس الأمر الذي يلزمه بدفع ضريبة وفقا لقانون 393 م، إلا أن القديس أغسطين اقترح عليه إقامة مناظرة مفتوحة أمام الجماهير حول قضية إعادة التعميد على أن تترجم هذه المناظرة إلى البونية حتى يتسنى للأفراد فهمها ومن ثمة يكون لهم اختيار الاتجاه الذي يروونه صحيح كاثوليكي أو دوناتي، لكن كريسيبينوس رفض هذا العرض².

¹-Ibid, p 158.

²- Paul corbier, op.cit, p 240.

استطاع اسقف كالما الدوناتى أن يفلت من دفع الغرامة المالية بفضل تدخل اسقف كالما الكاثوليكي امام برقنصل إفريقيا وهذا دليل على ان الكنيسة الكاثوليكية لم تعتبر منافسيها الدوناتيين هراطقة بل منشقين عنها .

تزايدت حدة المضايقات والهجمات الدوناتية ضد الكاثوليك مما دفع بمجمع قرطاج في 16 جوان لسنة 404م من إرسال أسقفان هما ثياسيوس Theasius و افوديوس Ivodius إلى الإمبراطور يطلبون توفير حماية أكبر لرجال الدين الكاثوليك من هجمات الدوناتيين واتباعهم الدوارين¹ من جهة والتشدد في تطبيق القوانين ضد الدوناتيين من جهة أخرى، منددين بعدم صرامة الدولة في تطبيق القوانين الصادرة ضدهم بكل حزم ونشاط؛ فكان ردّ الإمبراطور هونوريوس إصدار مرسوم 12 فيفري 405م الذي يأمر فيه بالوحدة الدينية للكنيستين وذلك تحت غطاء الكنيسة الرسمية الكاثوليكية، كما اعتبرت عملية إعادة التعميد هراطقة، وكنتيجة لذلك منع الدوناتيون من الاجتماع وكذا صدرت أماكن عبادتهم وكل الأساقفة المتمردين عن هذا القانون معرضين السجن والنفي.

جاء مرسوم هونوريوس ضد الدوناتيون هذه المرة صراحة، ومن اجل تفعيل هذه القرارات قامت السلطة بتعين قضاة وكذا تعزيز السلطة العسكرية من اجل تطبيق هذا القانون بحذافيره.

في 23 أوت 405م أبدت الكنيسة الكاثوليكية شكرها للإمبراطور² وسرورها إزاء هذه القرارات، فقد نجحت بعد صراع طويل من إقناع السلطة بالتدخل إلى جانبها واتخاذ موقف معاد للدوناتية إذ اتسم هذه المرة بالحزم و تجاوز لغة التهديد والوعيد وفي المقابل باشرت الكنيسة الكاثوليكية لتهيأة كل الظروف من اجل استقبال أساقفة الكنيسة المعادية³.

¹ – Alland Fitzgerald, Encyclopédie St-augu la méditerranée et l'europa IVe siècle, le serf, France, 2005, p 521.

² – Alland Fitzgerald, op cit, p 521.

³ – Paul Corbier, op.cit, p 241.

في السنة الموالية وبالتحديد في جانفي 406م، توجه وفد من الأساقفة الدوناتيين إلى روما طالبا مقابلة الإمبراطور وكان فحوى هذه المقابلة حسب ما ذكره الدوناتيون في مناظرة قرطاج هو تنظيم مناظرة بين الكنيستين، لكن طلبهم قوبل بالرفض.

كثفت السلطات الرومانية من الاضطهادات في إفريقيا ضد المنشقين، فكانت سائرة في تطبيق القوانين الصادرة على قدم وساق، الأمر الذي أدى إلى نقص عدد الدوناتيين وبالتالي إضعاف حركتهم، مع وجود بعض الدوناتيين الذين اظهروا نوعا من المقاومة العنيدة والتي تجلت بشكل كبير في أعمال العنف لاسيما في المناطق التي اتسمت بالانتشار الكبير للمسيحية، الأمر الذي دفع بالسلطات إلى تكثيف جهودها أكثر فأكثر من أجل القضاء على هذا الانشقاق فأصدرت قانون آخر في جوان 409م (تهميش القانون) والذي امر بتطبيق عقوبة الإعدام على كل من تثبت عليه جريمة الهرطقة أو إثارة العنف ضد الإيمان المسيحي.

كانت سنة 410م سنة سوداء على الإمبراطورية الرومانية فقد تعرضت روما في هذه السنة للغزو وذلك بنهبها وسلبها من طرف الآرك فعمّت بذلك الفوضى في روما لكن إفريقيا في هذه الأثناء كانت لاتزال في مأمن من الغارات الجرمانية، فارتأى هونوريوس أن تفادي أي فوضى أخرى أو انقسام أو تمرد من شأنه أن يشنت إفريقيا التي تعتبر مصدر قوة لروما من الجانب الغذائي وذلك لأنها الممون الرئيسي إلى جانب مصر لروما بالقمح لاسيما بالنسبة للجيش، من أجل ذلك اصدر مرسوم التسامح الذي يقضي بحرية كل فرد في ممارسة العبادة التي يراها مناسبة وبالطبع كانت الكنيسة الدوناتية أول مستفيد من الخلفية السياسية لهذا المرسوم الذي لن يدم طويلا فالدوناتيون لا يعلمون انهم على موعد السنة المقبلة (411م) مع اكبر مناظرة ستأسس للقضاء عليهم بشكل نهائي ورسمي.¹

¹–Paul Corbier, op.cit, p 241.

ثالثا: مناظرة قرطاج

1- ظروف إجراء مناظرة قرطاج:

بقيت مسألة الانشقاق الكنس مسيطرة على إفريقيا طوال القرن الرابع للميلاد لتستمر إلى بداية القرن الخامس للميلاد، وبدى أنه من المستحيل التوصل إلى حلّ يرضي الطرفين، ويلمّ شمل الكنيستين، فقد فشلت السلطة في إخماد هذا الانشقاق رغم السياسة التي اتبعتها والتي زاوجت بين التهديد والوعيد من جهة وسن القوانين والمراسيم من جهة أخرى(انظر الجدول 01 ادناه)، فالدوناتيون رفضوا على مرّ الفترة السابقة الاعتراف أو الانتماء إلى من لقبوهم بالمتخاذلين الخونة وبالمقابل رفض الكاثوليك الانفصال عنهم أو التكر لهم¹، وإذا كان مجمع قرطاج المنعقد في 14 جوان 410م من طرف أساقفة الكنيسة الكاثوليكية قد طالبوا بتطبيق القوانين التي تدين الدوناتييين وتجبرهم على الخضوع للوحدة الكاثوليكية² فان البعثة التي اتجهت إلى روما تشتكي الحريات الكبيرة التي يتمتع بها الدوناتييون، تطلب بإلحاح شديد من الإمبراطور هونوريوس إقامة مناظرة تسمح بمواجهة الطرفين وذلك عن طريق تدخله شخصيا، ومن ثمة الفصل وبشكل نهائي في حيثيات قضية الانشقاق التي أبت أن تتطوي وأصبحت متجذرة اكثر فأكثر عبر الأجيال قد رجعت متفائلة ومسرورة بعد إظهار الإمبراطور قبوله لعقد مناظرة تجمع الطرفين³.

قرر هونوريوس فعلا التدخل عن طريق عقد مناظرة عالية المستوى بين الطرفين ليفصل نهائيا في هذه المسألة، فأرسل من اجل ذلك رسالة في 14 جوان 410م إلى الكونت مارسيليانوس تحوي على جملة من التعليمات تأمر بتوجيه دعوة لكل الأساقفة من الطرف الكاثوليكي والدوناتي في مدة أقصاها أربعة أشهر من أجل حضور مناظرة تهدف إلى الوصول لحل وطي الانشقاق الذي مس الكنيسة كما عين مارسيليانوس نفسه رئيسا لهذه المناظرة نظرا لعلمه بالمسائل الدينية، كما كان أخيه ابرنجيوس برفنصل إفريقيا من اكثر المطلعين على مشاكلها، غير أن البعض يعتقد أن تعيين مارسيليانوس كان بطلب من

¹-Brown Peter, op.cit, p 171.

²-Francoi Decret, op.cit, p 171.

³ _

أغسطين وهذا الطرح يمكن قبوله مقبول إلى حد ما¹ على أساس الصداقة التي تربط بينهما فهذا الأخير

اهدى لمارسيليانوس الكتب الثلاثة الأولى من مؤلفه مدينة الله².

وصل المفوض الإمبراطوري إلى قرطاج في نهاية سنة 410م ليصدر مرسوم في 19 جانفي 411م الذي أكد فيه الإمبراطور لمارسيليانوس أهمية هذه المناظرة التي ستفتح ملف الانشقاق بكل جدية و من ثمة الوصول الى حل نهائي يضمن الحفاظ على الإيمان الكاثوليكي للكنيسة خاصة ولإمبراطورية عامة ولذا وجب أن تسير في ظروف ملئها الشفافية والعدل بين الطرفين³

بذلك أصبح كل أساقفة إفريقيا، كاثوليك ودوناتيين مدعون إجباريا لحضور مناظرة ستعقد في 01 جوان 411م، اذ يقول مارسيليانوس في مرسومه الموجه إلى الأساقفة الذي أعدت قراءته في بداية المناظرة ما يلي: "...أحذر بنص المرسوم الحاضر⁴ أن كل أساقفة إفريقيا من الطرف الكاثوليكي والطرف الدوناتى أن يتغيبوا عن التجمع بالمدينة المتألقة قرطاج، التي ستحتضن المناظرة، ولتجنب تغيب طرف ما بطريقة ثابتة حتى لا يبدوا لنا إصدار حكم ضده حول صحة وشرعية إيمانه..."⁵

إن هذا المقتطف من مرسوم مارسيليانوس يظهر نوع من التهديد الضمني ضد الكنيسة الدوناتية، وتحذير لها من أن تتغيب عن هذه المناظرة لأن الكنيسة الدوناتية اعتادت

¹ - حسب سارج لانسال انه ليس هناك ما يؤكد أن القديس أغسطين تربطه صداقة مباشرة مع مارسيليانوس قبل أن يعين في هذه المهمة بإفريقيا خلال شتاء 410م إلى غاية 411م ومن المحتمل أن هذه المناسبة التي جعلتهم أصدقاء لتتطور هذه الصداقة خلال سنتين وهذا يظهر من خلال إهداء أغسطين الكتب الثلاثة الأولى من مؤلفه "مدينة الله"، لمارسيليانوس لكن من المؤكد أن أغسطين لم يفوت فرصة اعترافه لمارسيليانوس في المراسلات المتبادلة بينهما ما يکنه له من حب واحترام انظر: Serge Lancel, A.C.C, op cit, p62.

² - Michel kaplan, l'afrique romaine de l'atlantique à tripolitaine (69-439 ap J.C.) Bréal , 2006, France, p20

³ - p514

⁴ - يقصد بالمرسوم الحاضر مرسوم الإمبراطور الذي تلقاه في 19 جانفي 411م والذي تمت قراءته مرتين، عند افتتاح المناظرة وكذا في الدورة الثانية تأكيدا على العمل بما جاء فيهم تعليمات .

⁵ - A.C.C,op cit, p 532.573.

على مثل هذه التصرفات والتي تصب بشكل علم في مقاطعة كل المحاولات التي تصدر من الكنيسة الكاثوليكية وحليفتها السلطة للجمع بين الكنيستين المنشقتين

وقد وعدت السلطة الطرف الدوناتى بانها ستتجاوز خلال هذه المناظرة كل العقوبات والإجراءات القانونية التي أخذت من قبل في حقها، وأنها تكفل الحماية وعدم التعرض لهم مهما كانت النتيجة ويمكنهم العودة إلى أقاليمهم سالمين غانمين¹ لكن الدوناتيين وكعادتهم رفضوا هذه المناظرة إلا بشرط وهو أن يحضر جميع الأساقفة الدوناتيين المناظرة وقد أعطى أغسطين تفسير لهذا الاعتراض في رسالة موجه إلى مارسيليانوس بعد أن ابدى فرحه الشديد وموافقة كل الأساقفة الكاثوليك على ما جاء في الدعوى التي يوافقون على المشاركة فيها وليس لهم أي اعتراض لا على المكان ولا الزمان وعدد الأطراف التي يمكن حضورهم وانهم مستعدون لقبول الحكم الذي سيصدر سواء كان ضدهم أو لصالحهم بل أخذت الحماس الذي تميز به أغسطين اتجاه هذه المناظرة جعله يحضر لأرضيتها من شهر جانفي إلى غاية شهر جوان وذلك عن طريق الوعظ المنتظم ضد خصومه في قرطاج وكذا سيرتا لأن هذه المناظرة في نظر أسقف هيبون كانت فاصلة فستحدد في النهاية من هي الكنيسة الحقبة التي ستمثل شمال إفريقيا كاف(تهميش من **les serment**).

من جهة أخرى أغسطين ابدى حزنه وأسفه لاعتراض الذي أبداه الدوناتيون الذين اعتادوا على مثل هذه التصرفات، التي يريدون من خلالها إثبات قوتهم وذلك بحضور عدد كبير من أساقفتهم في محاولة منهم تكذيب الأقاويل التي صدرها ضدهم كونهم مجرد أقلية مضيئا أن كنيسته يمكن بكل سهولة أن تثبت عكس ذلك، من خلال تقديم إمضاءات أساقفة الطرف الكاثوليكي في محاضر رسمية، كما يرى أغسطين أن السبب الثاني وراء اعتراض الدوناتيين لهذه المناظرة هو رغبتهم نشر الفوضى وعرقلة سير المناظرة لأن القضية حسب أغسطين واضحة وتحتاج إلى ممثلين معينين من كل طرف للفصل فيها، حيث -حسب أغسطين- أن كلمة واحدة تخرج من فم كل شخص من الحاضرين من شأنه أن يجعل

¹ -Francois Decret , op.cit. , p 171 .

المناظرة في فوضى عارمة تحول دون مناقشة الأمور في جو من الهدوء والسلام و الذي يصل في النهاية لسلام والكنيسة ومن ثمة وحدة كل المسحيين¹.

كان ردّ مارسيليانوس حازم وهو مشاركة الكنيسة الدوناتية لا مفر منه وذلك تطبيقاً لأوامر الإمبراطور هونوريوس وفي حالة رفضهم المشاركة في هذه المناظرة ستضطر السلطة إلى اتخاذ إجراءات صارمة ضدهم² فما كان أمام الدوناتيون إلا قبول التفاوض التحاور مع خصومهم الكاثوليك رغماً عنهم³

¹ -Augustin(st) , Lettre CXXIX

² -Brown Peter , op.cit. , p 372

³ -روبين دانيال ، المرجع السابق ، ص 247 .

الجدول رقم 10¹: جدول يبين القوانين والمراسيم الإمبراطورية والبروقنصلية الصادرة ضد الدوناتين من سنة 316م إلى غاية 350م

السنوات	320-316م	330-321م	340-331م	350-341م
القوانين	قانون واحد	قانون واحد	قانون واحد	قانونين
المراسيم	ثلاثة مراسيم	مرسومين	أربعة مراسيم	/
المراسيم	حكيمين	/	/	/

الجدول رقم 10²: جدول يبين القوانين والمراسيم الإمبراطورية والبروقنصلية الصادرة ضد الدوناتين من سنة 381م إلى غاية 390م

السنوات	360-351م	370-361م	380-371م	390-381م
القوانين	/	/	قانونين	ثلاثة قوانين
المراسيم	مرسوم واحد	مرسومين	مورسمين	مرسوم واحد
المراسيم	/	/	/	/

جدول رقم 11³: جدول يبين القوانين والمراسيم الإمبراطورية والبروقنصلية الصادرة ضد الدوناتين من سنة 391م إلى غاية 430م

السنوات	400-391م	410-401م	420-411م	430-421م
القوانين	ثمانية قوانين	سبعة قوانين	ستة قوانين	ثلاثة قوانين
المراسيم	خمسة مراسيم	ثلاثة عشر مرسوم	مرسوم واحد	/
المراسيم	ثمانية أحكام	حكم واحد	حكم واحد	/

¹ - عمران عبد الحميد، المرجع السابق، ص 233.

² - المرجع نفسه، ص 233.

³ - المرجع نفسه، ص 233.

2- سير المناظرة:

في 18 ماي 411م بدأ تهاتف الأساقفة الأفارقة من كل مكان قاصدين قرطاج تلبية للنداء الإمبراطور الذي وجه لهم حيث تقرر عقد هذه المناظرة على ثلاث جلسات حدّدت تواريخها في 01 / 03 / 08 / جوان من سنة 411م¹.

أ- الدورة الأولى:

في الفاتح جوان من سنة 411م اخذ الأساقفة أماكنهم في قاعة² كانت قد أعدت خصيصا لهذه المناظرة العظيمة التي لم يشهد سابقة لها في إفريقيا وكان افتتاح الجلسة من طرف مارسيليانوس³ وذلك بقراءة النص الإمبراطوري الذي أوضح فيه سبب عقد هذه المناظرة مؤكدا أن هدفها الأول هو تأكيد الإيمان المسيحي وتثبيت دعائمه كما طلب من الطرف الكاثوليكي أن يستندوا في إظهار خطأ دوناتوس إلى أدلة صلبة وواضحة .

ليتم تذكيرهم بمرسوم مارسيليانوس الذي وجه إلى الطرفين يدعوهم فيها إلى حضور مناظرة يتم فيها مناقشة الأمور المتنازع عليها بين الكاثوليك والدوناتيين ،ليقرأ مرسوم آخر يبين للفريقين كيفية سير المناظرة⁴ على أن عقد جلسات المناظرة يكون مغلق ويتم الإعلان عن نتائج الجلسات عن طريق محاضر رسمية مقدمة من طرف الأساقفة الذين يتم تفويضهم من قبل زملائهم⁵ إذ كان عدد الأساقفة المشاركين ستة وثلاثين أسقف، ثمانية عشر من طرف الدوناتيين وثمانية عشر من الطرف الكاثوليكي ومن بين هؤلاء الثمانية عشر سبعة فقط

¹- Francoi Decret, op.cit., p 173 .

²- لم يتم تحديد المكان الذي عقدت به مناظرة قرطاج بالضبط، لكن من خلال تلميحات أغسطين نعرف أن المكان سمي حمامات جرجيليوس Gargilius الذي يقع في وسط مدينة قرطاج الذي حدده البعض بصرح الأعمدة الموجود على الجانب الأيسر من خليج قرطاج وبعد المسرح وأمام مفترق طرق المؤدي إلى المرسى والظاهر أن المكان تميز بشساعة المساحة والإضاءة وكذا الأرياحية التامة إذ استطاع استيعاب ما لا يقل عن خمس مئة أسقف استطاع كل واحد منهم أن يحجز مكان له وأن يتناظروا لساعات طويلة. للمزيد أنظر: Serge Lancel, c.c, op cit, p 50.5

-Michel Kaplon ,op cit, p 202.

³-Brown Peter, op.cit., p 373.

⁴-Augustin(st), **Oeuv.C.ST :Résumé d'une conférence avec les Donatistes**, M. Raulx, L. Guérin & Cie, Bar-Le-Duc, paris, 1869.

⁵- Paul Corbire, op.cit, p 243.

يخوضون المناقشة، ويستدعى سبعة آخرون للتداول، إن دعت الحاجة،¹، والأربعة المتبقين كأمناء أو محررين محاضرين المناظرة على انه يتم التأكد من حضور الأساقفة التي دونت أساءهم على هذه القوائم.²

غير أن الطرف الدوناتى رفض هذا العرض وطالب بأن يحضر المناظرة كل الأساقفة وكذا حاول أن يقترح القضايا التي يتم مناقشتها، غير أن طلبهم هذا قوبل بالرفض من رئيس الجلسة وأمر بالمحافظة على سبعة أساقفة ممثلين لكل طرف، أما بالنسبة للقضايا التي سيتم مناقشتها، أمر مارسيليانوس باستئناف قضية الانشقاق بكل تفاصيلها منذ البداية إلى غاية يوم المناظرة.³

تميزت الجلسة الأولى ببعض المشاحنات بين الطرفين حيث حاول كل طرف إظهار تفوقه العددي (أنظر الجدول 12) فأليبيوس ذكر أن عدد أساقفة طرفه يمكن أن يرتفع إلى مئة وعشرون أسقف تغيّبوا لأسباب مختلفة كالمرض، كبر السن أو لانشغالات مهمة، وأعطى الطرف الدوناتى نفس التفسيرات مؤكداً أن عدد أساقفته أكثر بكثير من الحاضرين، كما أخذت بعين الاعتبار المناصب الكنسية الشاغرة بسبب موت أساقفتها من وقت قريب ولم يتم سيامة أساقفة جدد حيث حدد الكاثوليك أربعة وستين منصب كنسي شاغر، في الوقت الذي لم يعلن الطرف الدوناتى عن عدد المناصب الكنسية الشاغرة⁴ (أنظر الخريطة رقم....و رقم.....).

ولمحاولة تقدير عدد الأساقفة الممثلين لكل طرف سنركز على التوزيع الإقليمي للأسقفيات الحاضرة في المناظرة حسب ما جاء في محضر مناظرة قرطاج (أنظر الجدول 02)، والذي يبين الحضور الكبير للطرف الكاثوليكي في إقليم البروقنصلية، Proconsulaire نوميديا Numidie والبيزاسان Byzacéne في حين يتناقص عدد الممثلين كلما توجهنا نحو الغرب أي في إقليم السطايفية Sitifienne، القيصرية Césarienne والموريطانية Tripolitaine، أما الكنيسة الدوناتية فقد سجلت حضوراً كبيراً بممثليها في إقليم

¹ – Augustin(st), Oeuv.C.ST , R .C,op cit.

² -Francoi Decret , op.cit. , p 173.

³ – Augustin(st), Oeuv.C.ST .R.C,opcit.

⁴ –Paul Corbier Marc, op cit, p 202.

البرقنصلية Proconsulaire ولا سيما نوميديا Numidie التي تعتبر مهدّ بدايتها كما أن حضورها لا يقل أهمية عن إقليم السطايفية Sitifiene أو القيصرية Césarienne أو الموريطانية Tripolitaine بالمقارنة مع خصومها.¹

شكك الأساقفة الكاثوليك في قائمة الحضور الموقعة من طرف خصومهم الدوناتيين وأعلنوا عن غياب حوالي ستة وأربعون أسقف²، الأمر الذي تتطلب محاولة التأكد من صحة إنساب كل توقيع إلى صاحبه وذلك عن طرق المناداة وعدم وجود صاحب التوقيع يؤدي مباشرة إلى شطبه من القائمة، حيث تم الكشف عن وجود العديد من أسماء الأساقفة الدوناتيين الموقعين دون تواجدهم في عين المكان، فكان يتوجب على الدوناتيين تقديم تفسير والذي كان سببه -حسبهم- أن بعض الأساقفة كانوا مرضى فاضطروا إلى الرجوع إلى كنائسهم قبل الوصول إلى قرطاج وقد تعرض البعض إلى الموت، فتساءل الكاثوليك كيف يكون قد وقّع حضوره وهو متوفي، وقد أخرج هذا السؤال كثيرا الطرف الدوناتى الذي توتر وبعد صمت قصير أجابوا أن هؤلاء الأساقفة كانوا بالأمس هنا في قرطاج وبعد توقيعهم ونظرا لمرضهم الشديد عادوا إلى ديارهم و قد توفي البعض منهم وهو في طريق العودة، فطالب الدوناتيون بإعادة قراءة القوائم لتأكد منها وكشف كل التناقضات وأمر رئيس الجلسة بدوره إدلاء بعض الأساقفة بشهادتهم تحت القسم بأن هؤلاء الأساقفة فعلا كانوا في قرطاج بالأمس، الأمر الذي ألقى بالطرف الدوناتى في متاعب كبيرة وجعل أحدهم يقول "ربما وقع أحدهم في مكانه"، فكان رد مارسيليانوس أن عقوبة مثل هذه الأفعال تكون من الله ورفض القيام بأي إجراءات إزاء مثل هذه السلوكات³

بعد التأكد من قائمة الأساقفة الحاضرين منهم والغائبين، تمّ الإعلان عن عدد أساقفة كل طرف حيث قدر الطرف الدوناتى ب مئتين وتسعة وسبعون أسقف، بما فيهم الأساقفة الغائبون والمتوفون أما الطرف الكاثوليكي فقد قدر عددهم ب مئتين وستة وثمانين أسقف⁴.

¹ – A.C.C, p 143-145.

² –Paul Corbier Marc, op cit, p 273.

³ – Augustin (st) , Oeuv.C.ST : R.C, op cit.

⁴ Augustin (st) , Oeuv.C.ST : R.C, op cit.

الظاهر أن المشاحنات و الاختلافات بين الطرفين لم يتوقف حول تحديد عدد كل طرف بل طال من سيحضر هذه الجلسة، ويتعلق الأمر بحضور إلى جانب رئيس الجلسة ممثلين رسميين للسلطة بالإضافة إلى 18 اسقف كاثوليكي، الأمر الذي رفضه الدوناتيون لأنه اخل بالاتفاق القائل ب 07 أساقفة من الطرفين واعتبروا الممثلين عن السلطة دعم وتزكية للكاثوليك بما أن السلطة ميولها واضح للكنيسة الكاثوليكية وعليه فهئية التحكيم لن تكون حيادية، فاصرّ بذلك على أن يحضر الجلسة كل الأساقفة دون استثناء أو تمييز¹.

عرفت الجلسة نفسها مشاحنات وتفاوض كبير حول طبيعة هذه المناظرة هل هي جلسة تحاور بين الأساقفة من اجل بحث أمور لاهوتية أم هي جلسة محاكمة يتم فيها سماع التهم التي يسردها الكاثوليك ضد الدوناتيين ومن ثمة يتم الحكم عليهم².

كما رفض الأساقفة الدوناتيين الجلوس وفضلوا أن يكونوا واقفين طيلة المناظرة قائلين: " لن أجلس مع الأشرار."³

انتهت هذه المشاحنات المليئة بتبادل الاتهامات بتعيين سبع أساقفة ممثلين عن كل طرف حيث تمّ اختيار بتيليانوس كممثل أول عن الدوناتيون مقابل أغسطين أسقف هيبورجوس عن الكاثوليك، كما طلب مارسيليانوس تعيين الدوناتيين لأسقف يكون موازي لرتبته وذلك من اجل مشاركته في الحكم على القضية وذلك لإضفاء نوع من الشفافية والمصادقية في الحكم غير أن الدوناتيون قد اعرضوا عن الاستفادة من هذا العرض⁴.

ب- الدورة الثانية:

في 03 جوان بدأت الدورة الثانية التي ستعلن عن بداية المجادلة الفعلية، فكان الأساقفة السبعة من كل طرف على أتم استعداد لخوض المناظرة المصرية.

¹-Paul Corbier, op.cit, p 243.

²-Brown Peter, op.cit, p 373.

³- Augustin(st) , Œuv. C.ST :Résumé d'une conférence , trad : M. Raulx, Bar-Le-Duc, L. Guérin & Cie, éditeurs, 1869Valais

⁴-Ibid, p 373.

كان اختيار الأساقفة المكلفون بالمجادلة (أنظر الجدول 12 و 13 ص...) خلال المناظرة حسب مهاراتهم وقابليتهم فمن الطرف الكاثوليكي مثلا كلف فورتينانوس بإثارة المجادلة أما بلاغة أغسطين جعلته في منصب الردّ على الدوناتيين بالحجج والبراهين القاطعة، أما البيوس أسقف تاغست أكلت له مهمة التكلف بالأمر القانونية وكذا كل ما يخص الخريطة الجغرافية لتوزيع الأسقفيات عبر المقاطعات؛ أما الطرف الدوناتى فقد كان بريميانوس هو المسؤول عن تسيير المجادلات وذلك بقدرته على تجنب بعض المسائل والتكتم على البعض الآخر وإثارة المواضيع التي كان الدوناتيون يتحكمون فيها بامتلاكهم الحجة والبرهان، أما اديوداتوس فقد كان مكلف بالأمر اللاهوتية في حين اميراتوس عني بالجانب البلاغي على أن الأسقف الذي سجل أكبر عدد من المداخلات والتي وصلت إلى 150 مداخلة هو البلاغي ورجل القانون بينليانوس اسقف سيرتا.¹

اظهر الدوناتيون في الجلسة الأولى والثانية تفوق كبير على يد مفوضهم بينليانوس السيرتي، الذي بدأ المناوشات الكلامية خلال المناظرة لصالح الكنيسة المنشقة وقد كان هذا الأخير حذرا جدا وفطنا في تقديم حججه فقد ابتعد كل البعد في الحديث عن قضية سيسيليانوس الذي تمت تبرأته مرتين من قبل قنسطنين باعتبار ان مارسيليانوس وبدون شك كان يدعم التشريعات والمراسيم الإمبراطورية السابقة بل ركز بينليانوس على الحجج المؤثرة التي تبرهن على أن كنيستهم هي الكنيسة الحقيقية، وسعيا وراء ربح المزيد من الوقت لا يجاد الحجج والدلائل المقنعة طلب الدوناتيون تأجيل لمدة 05 أيام لكن المحضر الرسمي الذي سجل في اليوم الأول لا يسمح لهم بذلك² إذ تمّ تحديد موعد كل الجلسات كما اسلفنا الذكر.

¹—Mechel Caplan, op cit , p 204.

²—Francoi Decret, op.cit., p 173.

ج- الدورة الثالثة:

في فجر 08 جوان 411م استأنفت الجولة الثالثة من المناظرة والتي أخذت نوع من الاستقامة والحزم في مناقشة قضايا أهمها، الطبيعة الحقيقية للكنيسة¹ وفي هذه القضية حضرّ الدوناتيون ملف ملفت للانتباه² غير أن طرق تحديد التعاليم المسيحية وممارستها هو ما اتفق عليه الطرفين وذلك بالرجوع إلى سلطة الكتاب المقدس³، الذي اعتمد بشكل كبير خلال المناقشة وذلك بالاعتباس وتقديم الحجج كما اتفق الطرفي على تسمية كنيسة المسيح بـ "الكنيسة الكاثوليكية المقدسة"⁴ إلا أن الكاثوليك ركزوا على فكرة كاثوليكيته أما الدوناتيون ركزوا على فكرة قداستها.

خلال هذه الجولة اتهم الكاثوليك خصومهم بالانفصال عن إخوانهم في الكنيسة وهذا عكس ما نادى به المسيح الذي حث على أن تكون الكنيسة موحدة، فكان ردّ الدوناتيون أن هذه الوحدة يجب أن تكون داخل الكنيسة المقدسة، تماما كقدسية المسيح وكانت حجتهم في ذلك هي التوصية الرسولية: " فاعزلوا الخبيث من بينكم"⁵

كان الدوناتيون يقصدون من وراء هذه التوصية الرسولية كايكيليانوس الذي اعتبروه خائن ويجب إبعاده وعزله عن الكنيسة؛ كان ردّ الكاثوليك أن مهمة العزل هي من اختصاص الأساقفة الرسميين لا من طرف الدخلاء المنشقين، فردّ الطرف الدوناتى بأنه كان يجب طرد وعزل أمثال كايكيليانوس فهو خارج عن الكنيسة وبدل عن ذلك عين كأسقف ووفقا لهذا فالكنيسة قد فشلت في تطبيق التعاليم الحقيقية للمسيحية وبالتالي فهي لا تستحق الاحترام ومن ثمة وجب الانفصال عنها تماما مستعينين بكلمات⁶ المسيح: " **إن الحقيقة و اني، كلّ غصن في لا يأتي بثمره فنزعه..... إن كان احد لا يثبت فيطرح خارجا كالغصن فيجف.**"
(غ.م.ه.ش)

¹-Paul Corbier, op.cit, p 243.

²-Brown Peter, op.cit, p 435.

³- روبين دانيل، المرجع السابق، ص 248.

⁴- المرجع نفسه، ص 248.

⁵- المرجع نفسه، ص 249.

⁶- المرجع نفسه، ص

اعتبر الدوناتيون انفسهم حلفاء كابريانوس الحقيقيون الذين صمدوا وقت الاضطهاد وكابدوا كافة أشكال العذاب واعتبروا انفسهم البقية التقية التي يسمع صوتها لدى الله وكانوا يعتمدون بشكل كبير على كلمات المسيح في دعم حججهم وآرائهم.

جدول رقم (12)¹:

جدول يبين التوزيع الإقليمي للأسقفيات الممثلة في مناظرة قرطاج

الدوناتيين	الكاثوليك	
4+56	15+87	Proconsulaire البرقنصلية
4+67	9+55	Numidie نوميديا
6+47	12+49	Byzacéne البيزاسان
3+18	4+12	Sitifiene السطايفية
3+21	3+14	Césariene القبصرية
5	5	Tripolitaine الموريطانية

جدول رقم (13)²:

يبين قائمة لأساقفة الطرف الكاثوليكي المكلفين بخوض مناظرة قرطاج 411م

اسم الأسقف	الكنيسة	
اوريليوس Aurelius	قرطاج Carthage	
فورتناتيانوس Fortunatianus	سيرتا Sicca	
أليبيوس Alypius	تاغست Thagaste	
أغسطين Augustinus	هيبورجوس Hiporigius	
فيكتورينوس Vicentius	كولسي Culusi	
بوسيديوس Possidius	كالما Calma	
فورتيناتوس Fortunatus	سيرتا Cirta	

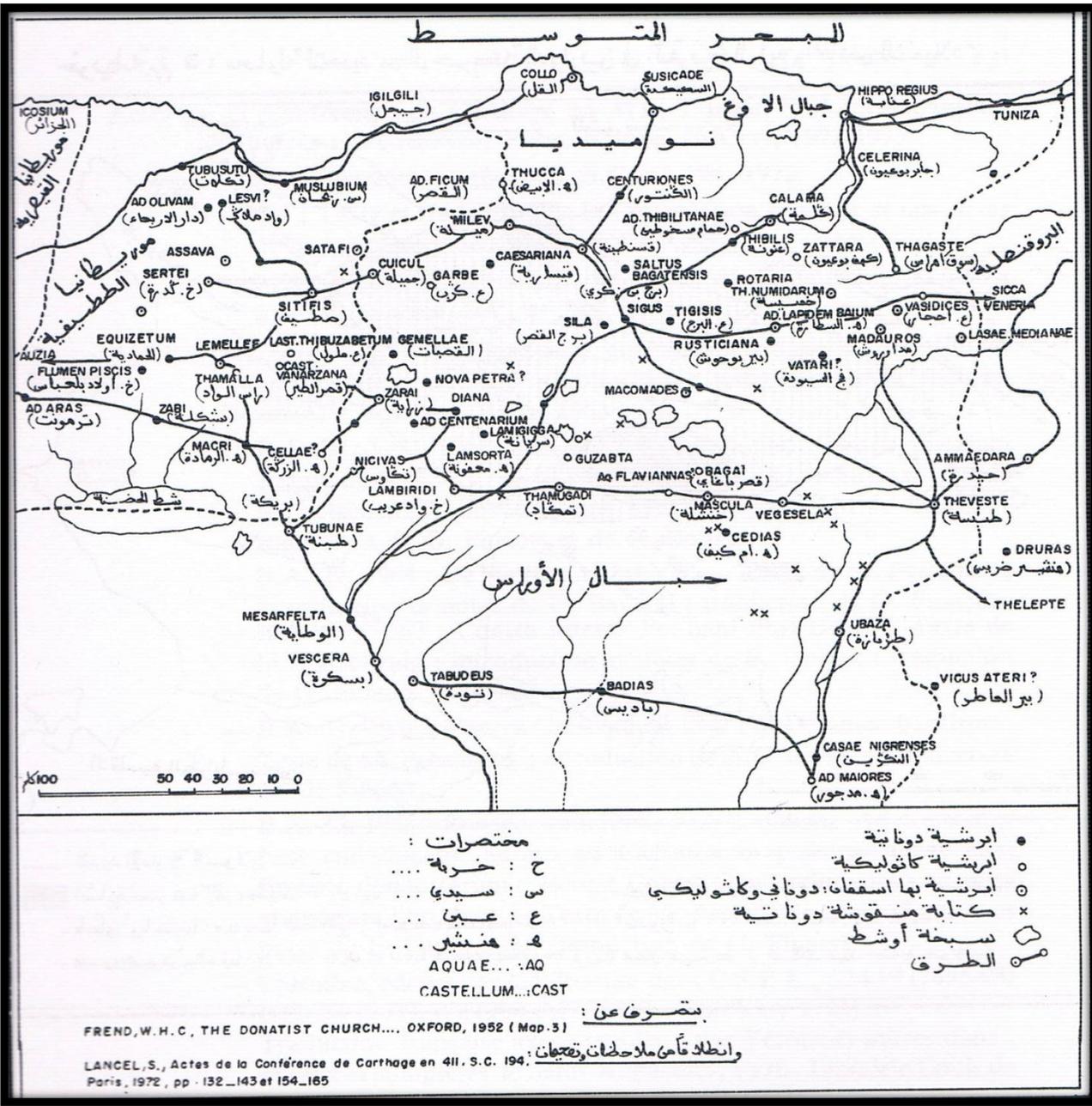
¹ - العدد الأول عدد الأساقفة الحاضرين في مناظرة قرطاج والعدد المضاف هو عدد الأساقفة الغائبين في المناظرة لكن ممارستهم لوظائفهم على مستوى هذه الأسقفيات مثبت. أنظر: A.C.C, op cit, p 144.

² -Paul Corbier , op.cit. , p 242 .

جدول رقم (14)¹: لقائمة لأساقفة الطرف الدوناتى المكلفين بخوض مناظرة قرطاج 411م

الاسم الأسقف	الكنيسة	
بيتليانوس	Petilianus	سيرتا Cirta
بريميانوس	Primianus	قرطاج Chrtage
كردنتيوس	Gardentius	ثمقادي Themogadi
بروتاسيوس	Protasius	طبنة Tubna
مونتانوس	Montanus	زاما Zama
أديوداتوس	Adeodatus	ميلاف Miléve
اميريتوس	Emeritus	موريطنيا القيصرية Caesarea

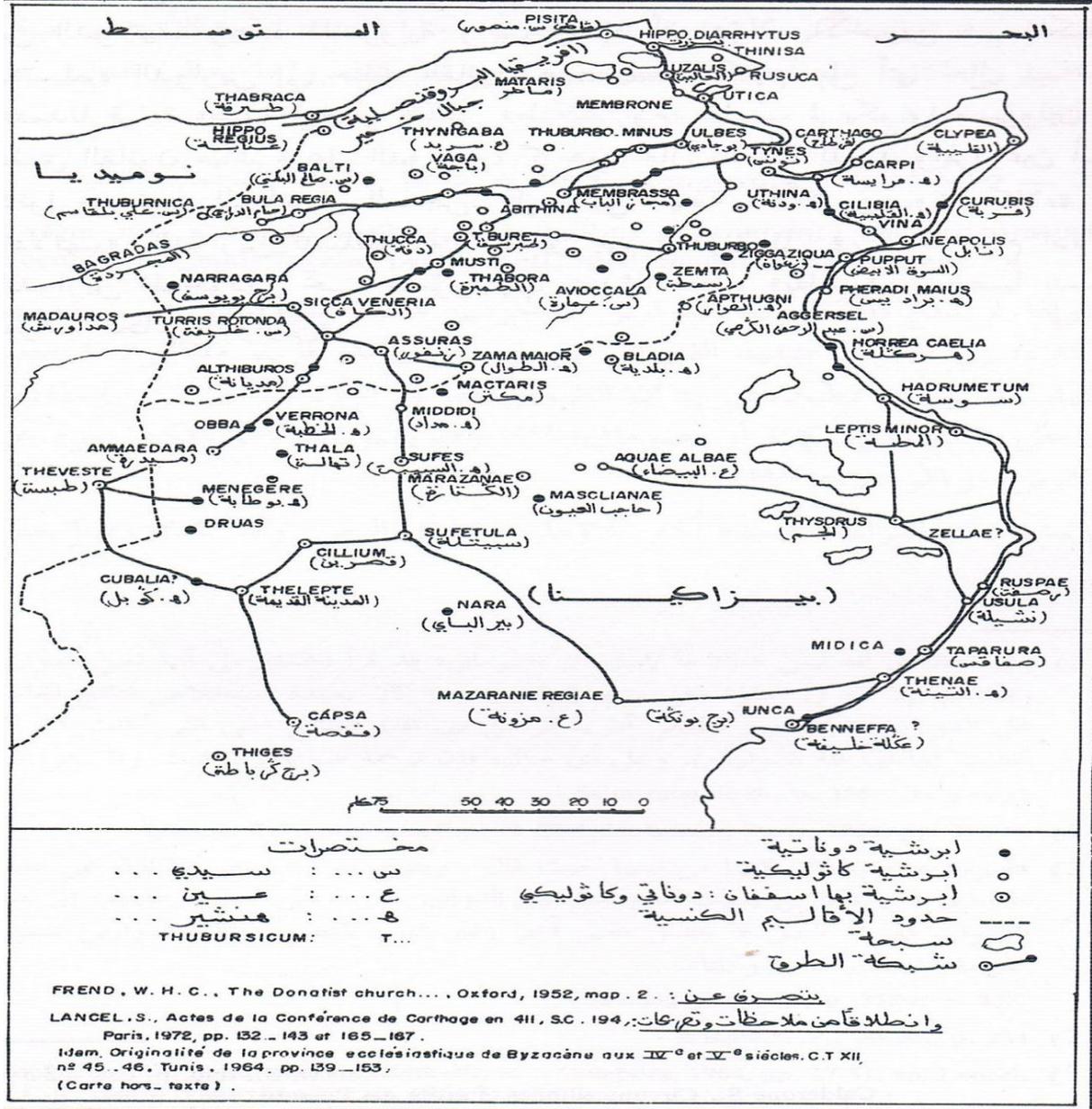
¹ – Paul Corbier , op.cit. , p 242 .



الابرشيات الدوناتية والكاثوليكية في نوميديا وموريطانيا الصطايفية في مناظرة قرطاج 411م

¹ - محمد المبكر، المرجع السابق، ص.....

السلطة تقمع الدوناتية



خريطة توضح الأبرشيات الدوناتية و الكاثوليكية في نوميديا وموريطانيا الصطايفية في مناظرة قرطاج

¹ - نقلا عن محمد المبكر، ص 391.

د - أغسطين يقضي على الدوناتية:

بعد حوالي 12 ساعة من المواجهة بين الطرفين امل اغسطين الذي اكتفى بالإنصات منذ مستهل هذه المنارة أن تكون هذه المجادلات ذات نتائج إجابيه تصب في المصالحة ولمّ شمل الكنيستين لكن ظنه خاب، إذ أن المجادلات أخذت طابع اتهام كل طرف للآخر بالاضطهاد المتبادل¹، فكان هو على أتم الاستعداد في الجولات اللاحقة إلى أن يصل إلى حلّ يسوي النزاع بين الطرفين بكل الأساليب والطرق دون أن يتنازل عن مبادئ المسيح العليا²، فرأى أغسطين أن تكون البداية بتصحيح فهم الكنيسة لدى الدوناتيون الذين - حسبه - قد اخلطوا بين الكنيسة السماوية والكنيسة الدنيوية³ فالأولى تمثل الكنيسة المثالية التي لا يمكن أن يشوبها خطأ أو عيب وهي ممجدة في السماء على عكس الثانية، كنيسة الضعفاء الخطائين والساقطين⁴ ولا بد أن تحوي الكنيسة كل هؤلاء الناس ما دمنا نحيا ونعيش ولن يتم عزلهم ومعاقبتهم إلا في الآخرة وإلى ذلك الوقت يرى أغسطين انه لا يحق لأي إنسان كان أن يحاسب إنسان آخر إلا الله وكلّ من انفصل عن الكنيسة لان أعضاءها غير مستقيمين فهو مذنب عند الله، وذنبه اعظم من غير المستقيمين لان خطيئة وذنب الانفصال هي إساءة إلى محبة الله والمسيح.

اعتبر أغسطين وجود الأشرار والأبرار على هذه الأرض امر محتوم وقد أعطى مثال عندما شبه ما يحصل على الأرض بالصيد الذي يرمي شبابه في البحر، فهو يحصل على السمك الجيد والرديء وبالتالي يرى أغسطين أن واجب الكنيسة ليس محاسبة الناس ولكن واجبها أن تعلم الناس الاستقامة وأن تحسن من أوضاع الضعيف، الضال والجاهل⁵.

رفض الدوناتيون كل هذه الحجج واعتبروا أن كل هذا يحصل خارج الكنيسة ولا يفترض أن يحدث داخلها باعتبارها رمز الاستقامة والقداسة إلى حدّ هذه الجولة لم يستطع أغسطين أن يكون سيّد الموقف إلا في الجلسة الأخيرة، أين أراد أن يبرهن هذا الجدل الطويل، فعرض

¹-Paul Corbier, op.cit, p 243.

²- Augustin(ST), T.Anti.D,op.cit, p 25.

³-Ibid, p 26.

⁴ -Augustin(ST), La cité de dieu, op.cit p 02.

⁵- روبين دانيال، المرجع السابق، ص 250-251 .

على خصومه ملف سيرتا لسنة 305م والذي يظهر أن من الدوناتيين يوجد خونة سلموا الكتاب المقدس لسلطات ولم يظهروا هم كذلك صمودا أمام الاضطهاد. حاول الدوناتيون إثبات عكس ما جاء في المحاضر الرسمية لمجمع سيرتا لكنهم فشلوا¹.

انتقل أغسطين إلى ملف آخر حيث طلب من خصومه أن يفصلوا في قضية كايكيليانوس² وإذا ما كان هذا الناظر قد خان الإيمان أم لا وإن افسد الكنيسة الكاثوليكية في إفريقيا وبالتالي كان لابد من فتح موضوع فيليكس الذي اتهم بالتخاذل أيام الاضطهاد الأمر الذي جعل الدوناتيون وقتها يبطلون هذا التعيين (اي تعيين كايكيليانوس) لكن اغسطين استطاع أن يدحض مزاعم خصومه بتقديمه كل الملف الذي يخص قضيتي سيسيليانوس وفيلكس والذي يحتوي على:

- محاضر مجمع سيرتا
- تقرير البرقنصل أنيلينوس Anulinus إلى الإمبراطور قسطنطين مرفوق بالشكوى الأولى المقدمة من طرف الدوناتيين
- تقرير لنفس القنصل إلى الإمبراطور يعلمه بإرسال وفد من الأساقفة الذي تم استدعائهم إلى روما من أجل النظر في قضية سيسيليانوس في روما
- محاضر مجمع روما
- رسالة موجّهة من قسطنطين إلى حاكم إفريقيا يعلمه بالحكم النهائي لمجمع روما
- شكوى المقدمة ضد الأسقف فيليكس أبثينا
- تقرير البرقنصل إيانوس إلى الإمبراطور مصحوب بالشكوى السابقة قراءة المحضر الرسمي لهذه القضية جعل الدوناتيون في موقع ضعف فالمحاضر تظهر في اكثر من مرة براءة فيليكس³ وبالتالي فسيامة كايكيليانوس صحيحة⁴.

¹ - Michel kaplan , op cit, p 204.

² -Saint-Augustin, T.Anti.D , op.cit, p 26.

³ -Paul Corbier, op.cit, p 243.

⁴ - Duchesne Louis, op cit, Pp 605.606.

جعلت هذه الوثائق ادعاءات الدوناتيين باطلة ووضعت بذلك بيتليانوس على أرضية هشة، كما شعر بإحراج شديد دفعه إلى مهاجمة اغسطين، مذكرا إياه بالخطايا والمجون الذي عاشه في شبابه ما اتهمه ضمنا انه لايزال ينتمي إلى الطائفة المانوية¹، لكن اغسطين لم ينكر هذه الخطايا وكان سهلا عليه ردّ هذه الاتهامات وذلك بما له من شهرة أدبية وفصاحة بلاغية وكتابات لاهوتية غزيرة في تلك الفترة.

انتقل الحوار بين الطرفين إلى موضوع آخر له صلة اقرب بالمناظرة نفسها وهي إرغام أولئك المنشقين بالعودة إلى الكنيسة رغم عدم اقتناعهم بذلك، وهنا ربما يقصدون أغسطين الذي غير رأيه حول هذه القضية في حوالي 408م² إذ كانت وجهة نظر أغسطين حول هذه القضية هو اتباع أسلوب الإقناع والتأثير لتحقيق الوحدة الكاثوليكية.

أمام تعنت وإصرار الدوناتيون والتمسك اكثر فاكثر بأرائهم، دفع أغسطين إلى التفكير في تدخل السلطة القانونية عن طريق التهديد والعقاب إن لزم الأمر وذلك بهدف لمّ شمل الكنيسة من جهة وحفظ الأمن والاستقرار من جهة ثانية، إذ رأى أغسطين أن هذا الأسلوب قد اثبت ناجعته في كثير من الأحيان ودليل ذلك هو أن الأقلية الكاثوليكية في هيبورجوس وضواحيها قد أصبحت تمثل الأغلبية³ ومن هنا كان تبريره أن الغاية تبرر الوسيلة وقد استعان هنا بكلمات المسيح القائلة: "الزموهم بالدخول"⁴ ولاشك أن هذه الحجة قد دحضت الدوناتيون باعتبار انهم ربما كانوا ليؤدوا نفس الفكرة لو تاحت لهم الفرصة في استخدام القوة القانونية لإخضاع خصومهم الكاثوليك ودليل ذلك هو احتكامهم اكثر من مرة إلى السلطة.

اكتفى رئيس الجلسة مارسيليانوس بالصمت والإنصات طوال هذه الجلسات وحان الوقت لتدخله للفصل بين المتجادلين ولمّ شمل الكنيستين تحت شعار "الوحدة الكاثوليكية"⁵ ثم

¹ - روبرين دانيال، المرجع السابق، ص 251.

² - المرجع نفسه، ص 250.

³ - المرجع نفسه، ص 252.

⁴ - الشيخ ابو عمران، اغسطين العنابي و مقاومة الحركة الدوناتية، مجلة الاصلية ، العدد 34، الجزائر، 1976 ، ص

⁵ -Saint-Augustin, Trai-Anti.D, op.cit , p 2.

اصدر مارسيليانوس حكمه الذي نزل على الدوناتيون كالصاعقة، فمرسيليانوس تأثر بانضباط وهدوء وحكمة القديس أغسطين الموسومة بالرحمة والرأفة، اتجاه خصومه الذين قابلوه بالعنف والتعصب وعدم قبول أي فكرة من خصومهم¹.

انتهت الجلسة لصالح الطرف الكاثوليكي، وقد سمح للدوناتيين بالعودة إلى ديارهم سالمين كما تعهد مارسيليانوس في بداية المناظرة وترك لهم فرصة التفكير في الشروط التي عرضت عليهم والمتمثلة في عدم التعرض لهم ولممتلكاتهم وكنائسهم طالما وافقوا على الالتحاق بالكنيسة الكاثوليكية وقبلوا تعاليمها² وخضعوا للمراسيم الإمبراطورية، أما اذا رفضوا فسيعرضون إلى أشد العقوبات وذلك بقوة القانون.

رابعاً: اجراءات السلطة بعد مناظرة قرطاج

تم الإعلان الرسمي عن حكم المناظرة في 26 جوان 411م بعد أن ارسل مارسيليانوس تقرير مفصل إلى الإمبراطور هونوريوس يعلمه فيه بتفاصيل وحيثات المناظرة، فاصدر هذا الأخير تعليماته التي تدين الدوناتية من جديد والتي تقضي بـ:

- السماح للدوناتيين العودة إلى ديارهم كما جاء في الدعوة الموجهة لهم في البداية.

-منع الدوناتيين من التجمع.

-مصادرة كل ممتلكات الدوناتيين وضمها إلى ممتلكات الكنيسة الكاثوليكية.

-نفي رجال الدين الدوناتيين الذين يرفضون الإمثال والإنصياح للأوامر الإمبراطورية³.

- يعرض أتباع الدوناتية الذين لا ينصاعون للأوامر للجلد⁴

¹ -Saint-Augustin, Trai-Anti.D, op.cit , p 25.

² - محمد البكر، المرجع السابق، ص 48 .

³ -Michel kaplan , op cit , p 204 .

⁴ -Yann Le Bohec, **Histoire de L'Afrique Romaine** 146 av.j.c-439 a.ap.j.c,2^{ème} éd,Picart,2013,France, p204.

أقدم الدوناتيين على رفع شكوى للإمبراطور هونوريوس مفادها أن الجلسة لم تكن عادلة في إصدار أحكامها وكانت متحيزة للطرف الكاثوليكي؛ تجاهل الإمبراطورة هذه الشكوى تماما، واصر في السنة الموالية قانون 30 جانفي 412 م يلزم فيه الدوناتيين بدفع غرامات مالية مستثيا طبقة المزارعين والعبيد، وذلك عملا بمبدأ أغسطين القاضي بإنزال عقوبة مالية على كل المتشبهين بالكنيسة الدوناتية عوض العقوبة الجسدية.¹

إن جاء هذا القانون ضد كل الدوناتيين الذين رفضوا الانصياع للقرارات التي اتخذت عقب مناظرة قرطاج والقاضية بتسليم كنائسهم، بفرض غرامات مالية كانت في مجملها ثقيلة، إذ جاءت هذه الغرامات تتناسب وقدرة اتباع الكنيسة المنشقة ليس بالنظر للممتلكات الكنيسة نفسها ولكن بحسب التسلسل الطبقي في المجتمع (أنظر الجدول رقم 15)

جدول رقم (15)²

يبين العقوبات المسلطة على الدوناتيون بعد مناظرة قرطاج تتوافق والتسلسل الاجتماعي.

المشهورون	Inlustre	50 رطلا من الذهب
الأشراف (الوجهاء)	Spectabiles	40 رطلا من الذهب
السناتوريون	Senatores	30 رطلا من الذهب
اللامعون (البارزون)	Clarissimi	20 رطلا من الذهب
الكهنة	Sacerdotales	30 رطلا من الذهب
رؤساء البلديات	Municipales	20 رطلا من الذهب
أعضاء المجالس البلدية	Decuriones	05 رطلا من الذهب
التجار	Negotiatores	05 رطلا من الذهب
سكان المدن	Plebei	05 رطلا من الذهب
الدوارون	Circumcelliones	10 رطلا من الفضة مع تحميل

¹ - Lepelley Claude. Les sénateurs donatistes, pp. 46.

² - Cod Théod, XVI .5.52.

السلطة تقمع الدوناتية

أسيادهم مهمة تنبيههم ونصحهم		
السجن	Servi	العبيد
عدد من الجلد أو يسدد	Coloni	عبيد الأرض

جاء هذا القانون مخالفا تماما للقوانين السابقة، فهو لا يهدد بسجن وإعدام أشخاص معينين من الأساقفة الدوناتيين ولكنه هدد كل طبقات المجتمع من اعلى طبقة إلى أسفلها وهذا يعني القضاء على الدوناتيين من خلال اقتلاع جذورهم من قريب أو بعيد أي حتى من تكون له محاولة مساعدتهم أو الوقوف إلى جانبهم، وجاءت الضرائب متقلبة حسب التسلسل الاجتماعي وهذا بهدف هدم بعض العائلات الأرستقراطية أن لم تستجب للقانون.

لم يكن القضاء على الحركة الدوناتية بالأمر الهين، فهذه الحركة تجذرت عبر الأجيال وزاد اتباعها اقتناعا بمبادئها وأبت أن تتطوي تحت كنف الكنيسة الكاثوليكية الرسمية فلم تكن عقوبات قانون سنة 412م كافية للقضاء على الدوناتية

فقد صاحب شدة تطبيق القوانين إصرار كبير من طرف اتباعها على التمسك بها رغم حدة التنكيل بهم، أمام هذا الإصرار اصدر هونوريوس قانون 414م موجه إلى برقنصل إفريقيا، يذكر فيه بقانون سنة 412م وبالوضعية القانونية للدوناتيين والدعوة إلى الزيادة في التشديد في تطبيق العقوبات عليهم دون رحمة ولا شفقة خاصة بعد إصرار اتباعها على ممارسة العنف مستهدفة الأفراد والأساقفة الذين عادوا إلى كنف الكنيسة الكاثوليكية الذي يعزز تطبيق القوانين السابقة وذلك بمعاقبة المتعنتين بدفع غرامات مالية تصل إلى حدّ مصادرة أملاكهم وأن كل رجال الدين الذين مازالوا يزاولون نشاطهم ضمن نحل الدوناتية يتم نفيهم خارج إفريقيا، وجاء نص القانون كالآتي:

"أما أكارو ضيعاتنا، إذ هم سمحوا بممارسة الهرطقة (الدوناتية) فوق أرضينا ، فليعاقبوا بأداء قدر من المال يساوي القدر الذي يسددونه عادة ككراء (عن الضيعات) وأما أكاروا الخواص، فإذا سمحوا بانعقاد تجمعات (دوناتية) في الملكيات، أو أدى تساهلهم إلى تدنيس الأسرار القدسية، فليخبر القضاة بذلك الملاك المعنيين، وعلى الأخيرين إما أن

يصلحوا اعوجاج الأكارين، وأما أن يعرضوا من تمادى منهم في غيهم بمديرين متشبعين بالمبادئ الإلاهية، أما الملاك الذين تهاونوا في إخبار السلطة، فليعاقبوا بغرامة يبلغ قدرها الربع الذي اعتادوا كسبه (من أراضهم)¹

شهدت فترة حكم هونوريوس وخلفه فالونتنيان الثالث Valentinien III بإصدار حوالي عدة قوانين تأكد على تطبيق سابقتها بشدة و نذكر من بينها قانون 25 أوت و 3 أوت 415م وقانون 06 جويلية و 6 أوت 425م وقانون 30 ماي 428؛ وقد بقيت السلطات الرومانية تطبق هذه القوانين بكل شدة حتى عشية الغزو الوندالي²

رغم سياسة الحزم التي أظهرها الإمبراطور هونوريوس اتجاه الحركة الدوناتية من خلال مناظرة قرطاج كمحاولة منه القضاء وبشكل نهائي في هذا الانشقاق وهو ما فشل فيه سابقه منذ نهاية القرن 04 م وحتى بداية القرن 05 م فإن المنشقين أظهروا في كل مرة اصرارا وتصلبا في آرائهم، لكن هذا لم يمنع من تخفيف حدة انتشارهم وبذلك يكون هونوريوس على الأقل قد أسس لبداية القضاء على الحركة الدوناتية.

خامسا: رد فعل الدوناتية من حكم مناظرة قرطاج:

رغم صراحة الحكم الذي اصدر في حق الدوناتيين إلا انهم ادعوا أن الجلسة كانت لصالحهم ولن يفقدوا الأمل في الانتصار على خصومهم، فالدوناتيون لم يقبلوا بالحكم الصادر من طرف مارسيليانوس مقتنعين انهم الأحق بالنصر، لكن الإغراءات المالية التي تلقاها رئيس الجلسة من خصومهم حال دون ذلك³.

لم تزد صرامة تطبيق القوانين على الدوناتية إلا حدة وإصرار على التشبث بآرائهم ومبادئهم، فقد اقدم الأسقف ماكروب بمعية عصابة على حدّ قول أغسطين التي تضم

² – Francoi Decret , op.cit , p 175.

³ – Augustin(st) , lettre CXXI.

الجنسين من نساء ورجال والتي كانت تجوب كل المناطق، على فتح كنائس كانت قد أغلقت من قبل¹ غير معرين السلطة أي اهتمام.

أما في نوميديا فقد قام اسقفها كودونتوس Gaudentus بتمقادي برفض الاستسلام أو الرضوخ إلى أوامر السلطة، وقام بحبس نفسه مع مجموعة من اتباعه وهدد بحرق، الأمر غير أن الحاكم دوليكتيوس² Dulcitus أظهر حكمة ورزانة اتجاه مثل هذه التصرفات مما جعل أغسطين يثني على حكمته اتجاه العناد الذي بدى من هذه الحركة المتمردة المتكالية على حدّ قول أغسطين.³

أما بالشمال الغربي وبالتحديد في قصر كلب (بخنشلة) فعملية التفتيش أحييت ذكرى الشهيد ماركيلبوس Marcus الذي يعتبر من ابرز الشهداء الذين سقطوا أيام المبعوثين الإمبراطوريين بولس وماركسيوس سنة 347 م، حيث قاما بتسويطه ثم سجنه ومن ثمة قتله برمييه من سفح جبل في 24 أو 29 نوفمبر، فاعتبر هذا الاستشهاد الأول من نوعه في تاريخ الدوناتية، فالملاحظ أن الدوناتيون بنوميديا حافظوا على أماكن العبادة الخاصة بهم والأمر نفسه بموريطانيا القيصرية⁴.

فقد كانت ضواحي هيبورجيس تعج بالدوناتيون المتعنتون أمثال الأسقف ماركوبيوس الذي نجح في استرجاع عدة أراضي ولمّ شمل الأوفياء من اتباعه⁵، كما بقيت إلى غاية 416م إعادة التعميد سارية المفعول على الرغم من القوانين المنقدة بإبطاله، فالأسقف دوناتوس رفض الامتثال لنبذ عملية إعادة التعميد حتى وصل الأمر إلى محاولة انتحاره و ذلك برمي نفسه تحت الدابة أثناء القبض عليه مما عرضه إلى الإصابة بعدة جروح بليغة⁶ و ذلك رغبة في الاستشهاد بدلا من التنازل عن مبادئهم في إعادة التعميد و قد نجح فعلا

¹ – Augustin(st) , lettre CXXXIX.

² – Monceaux Paul. Les ouvrages de Gaudentius, évêque donatiste de Thamugadi (Timgad) au temps d'Auguste, C. R.S. A.I, 50^e année, N. 5, 1906. p. 314.

³ - **ابحث عن رسالة أغسطين لـ Gaudentus Dulcitus أو-**

⁴ – Paul Corbier , op.cit , p 244.

⁵ – Francoi Decret, op cut, p 176.

⁶ –Ibid, p 176.

في كسبه الشهادة - حسب رأيهم - برمي نفسه في البئر أين لقي حذفه و كان هذا حال الكثير من الدوناتيون الذين اختاروا الانتحار بشتى الطرق كالموت بالسلاح أو عن طريق الرمي من سفوح جبل أو الغرق¹.... بدلا من الخضوع لأوامر السلطة وقد علق اغسطين على هذه التصرفات التي وصفها بالجنون إذ يقول : "

سادسا: جهود أغسطين المتواصلة بعد المناظرة

كانت انعكاسات القرارات التي خرجت بها مناظرة قرطاج منافية تماما لأمال وتطلعات أسقف هيبون، فقد اعتبر هذه المواجهة هي الخطوة الأخيرة التي سيتم من خلالها القضاء وبشكل نهائي على الانشقاق وعلى كل ما يمكن أن يعكر صفو الكنسية، وبذلك تبين له أن القضاء على هذه النحلة المتعصبة ليس بالأمر الهين.

فكثف أغسطين من جهوده، التي كانت تعمل على جبهتين، الأولى هو محاولة البقاء في اتصال دائم مع السلطة فقد وجه عقب المناظرة رسالة إلى الكونت مارسيليانوس رئيس مناظرة قرطاج، بين فيها تطلعاته إلى الوعود التي قطعها بشأن القوانين التي ستصدر ضد الدوناتيين ردعا لهم لما كانوا ينشرونه من رعب أوساط الجماهير² والتي ستجعلهم يعلنون توبتهم بمأن خوفهم من الله لم يجعلهم يتوبون ملفتا إياه إلى أعمال العنف والفوضى التي زادت حدتها بعد المناظرة وذلك بإقدامهم على قتل احد الأساقفة وطمس وتشويه البعض الآخر.

من جهة أخرى لم يتح الفرصة للدوناتيين فرصة تشويه الكنيسة الكاثوليكية ولا صورة رئيس الجلة الذي اتهم بالرشوة مقابل إصداره حكما لصالح الكنيسة الكاثوليكية وهذا ما دفع أغسطين ، بعد اشهر من عقد مناظرة قرطاج وضع كتاب La collatio de cartage وهو عبارة عن خطاب دقيق وواضح موجه إلى اتباع الحركة الدوناتية تحذيرهم و لهم ينفي فيه

¹ -

² - Francoi Decret , op cut , p 176.

كل ادعاءاتهم التي نشروها بين الناس ويذكرهم أن المجادلات التي جرت كانت حاسمة وفاصلة لوضع ولا تحتاج إلى أي تأويل داعيا أيهم الحد من تصرفاتهم المشينة¹.

كما كتب في السنوات اللاحقة في حوالي 420م كتاب آخر موجه إلى الأسقف كودونتئوس Gaudentius اسقف ثمقادي واحد من الممثلين السبع في مناظرة قرطاج ينتقد فيها تصرفات اتباعه رغم اخفاقهم في اظهار أن كنيستهم هي الكنيسة المقدسة الحقّة.

في 418 م أوكلت لاغسطين وصديقه اليببوس وتلميذه بوسيديوس مهمة تحري واتباع الأساقفة الدوناتيين وكل ما يتعلق مشاكل التأديبية الخاصة نظرا للتواجد الكبير والتأصل العميق للحركة في هذه المناطق، وللقيام بهذه المهمة تنقلوا إلى البرقنصلية أين استقبل الدوناتيين لم يخلوا من الصعوبات، وهذا يدل على التواجد المستمر لهم.

فالاكتشافات الأثرية والتنقيب في نهاية القرن 19م وكما حددها غزال تكشف عن قبر روبا Roba أو بوبا² Boba التي سقطت ضحية وشهيدة في 25 مارس 434م على يد الكاثوليك³ والتي نقش على قبرها مايلي: "ذكرى روبا، شهيدة في الله، أخت هونوراتوس أسقف Aquae Sirenses قتلت تحت ضربات الخونة استحقت شرف الشهادة، عاشت خمسين سنة، توفيت في اليوم الثامن من شهر أفريل في السنة الكنسية 395.⁴"

كما تثبت إكتشافات أخرى بالقيصرية وبالتحديد في (Ala Miliaria) (البنيان) على مقبرة دوناتية دوفن بها أسقفان وكاهنين وشماس بالإضافة إلى رهبان أين أرخت أضرحتهم في ما بين 422-446م⁵

¹ - Augustin(st) , Oeuv. C ST :Avertissement aux donatiste , trad : M. Raulx, Bar-Le-Duc, L. Guérin & Cie, éditeurs, 1869

² - إن الفجوات التي كانت على واجهة الشاهد القبوري الذي وجد Aquae Sirenses (حمام بوحنيفة) حال دون التأكد من اسم الشهيدة الدوناتية روبا Roba أو بوبا Boba، أما أخوها هونوراتوس كان يدير اسقفية Aqua sirenses الذي يوجد شمال (بنيان) ومن بين الأساقفة الموقعين على قائمة الأساقفة الذين حضروا مناظرة قرطاج 411م أنظر: Paul Corbier et Marc, op cit, p245

³ - Paul Corbier , op cit p 24 .

⁴ - Ibid , p 245 .

⁵ - للمزيد عن الشواهد الأثرية للكنيسة الدوناتية أنظر Monceaux Paul. Épigraphie donatiste, C. R.S. A.I, 53^e année, N. 4, 1909. pp. 249-252.

أن هذه الشواهد القبرية تدل على أن الدوناتية أبت أن تستسلم أمام خصومها، وبقي أتباعها مصرين على تمسكهم بمذهبهم حتى النهاية متحدين كل الظروف.

الظاهر أن قوانين السلطة مهما بلغت من حدة وصرامة فقد فشلت في الفصل في الأوضاع بشكل نهائي فتلك القوانين أثارت سخط الكنيسة المعادية مما ضعف العنف الدوناتى¹ الأمر الذي نادى بمضاعفة وتشديد العقوبات والمطالبة بتطبيقها غير أن تلك القوانين لم تطبق بكل صرامة أحيانا وتم تجاهلها كلية أحيانا أخرى وذلك على مستوى المناطق التي تمثل غالبية دوناتية .

سابعاً: أسباب تأخر سقوط الدوناتية

استطاع هونوريوس أن يؤسس لبداية سقوط الحركة الدوناتية التي أبت أن تسقط رغم محاولات الأباطرة المتكررة من اجل إيجاد حل يرضي الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الدوناتية، غير أن الطرفين ظل متمسك طوال الوقت بآرائه ومبادئه وأبى أن ينصت أو يقتنع بالرأي الآخر؛ وقد عملت الكنيسة الرسمية على طول الفترة الممتدة من 313م إلى 411م على محاولة استمالة السلطات إلى صفها وذلك بهدف قمع الطرف الدوناتى وإرغامهم على الرجوع إلى كنف الكنيسة الرسمية، تحت شعار الوحدة الكاثوليكية ، غير أن خصومهم نجحوا في التملص منهم و استطاعوا أن يؤسسوا لحركتهم دعائم قوية جعلتها تعمّر قرابة قرن من الزمن، وكان لهذا الصمود عدة عوامل يمكن إيجازها كالاتي:

➤ ضمت الكنيسة الدوناتية في صفوفها جملة من خيرة الأساقفة الذين كانوا على قدر عال من الثقافة والعلم ، فكان من السهل عليهم في كثير من الأحيان من إقناع السلطة بالتراجع عن الكثير من القرارات التي اتخذت ضدهم ، كما استطاعوا إقناع واستقطاب الكثير من الاتباع .

➤ امتلاك الكنيسة الدوناتية لثروات وممتلكات كبيرة، عززت مكانتها، وذلك بفضل اتباعها الأغنياء الذين قدّموا الكثير من العطاءات و الهبات، ودليل ذلك إقدام اسقف كالما الدوناتى "كريسينوس" بعد استعادته لمزرعة في منطقة مابالي على

¹– Paul Corbier , op cit, p 176 .

إعادة تعמיד مجموعة من فقراء وصل عددهم إلى 80 مزارع.¹ كما يظهر من خلال رسائل أغسطين الهبات والمواريث انتقلت إلى الكنيسة الدوناتية بأمر من أصحابه².

➤ كانت الأغلبية الساحقة من الموظفين لا تزال إلى فترات متأخرة تدين بالوفاء للديانة الكلاسيكية الوثنية وبالتالي لم يكن لهم تحيز اتجاه الكنيسة الرسمية ، بل ربما على العكس من ذلك تماما، إذ كانوا يرون فيها العدو اللدود الذي قضى على أمجادهم الوثنية كجزء لا يتجزأ من الحضارة الرومانية، وبالتالي لم يعملوا على تطبيق القوانين الصادرة ضد الدوناتية بحزم وحماسة .

➤ ساعدت طبقة كبار الملاك التي تدين بالمسيحية من التأخير في سقوط الدوناتية بفضل ما تملكه من قوة و نفوذ حال دون قدرة الموظفين على التدخل في شؤون ضياعهم لتطبيق القانون على مزارعيهم الدوناتيون، الذين كانوا يجبرون على التخلي عن عقيدتهم إذ نجد اغسطين في حوالي 402 يوجه رسالة الى فيستوس وهو شخص غنيا له ممتلكات شاسعة بمنطقة هيبون يحثه على جعل المزارعين الذين ينتمون إلى مزرعته يعودون إلى الوحدة الكاثوليكية³ .

➤ امتداد جذور الكنيسة الدوناتية إلى عمق القرى والمدن الصغيرة وقد كان لهذا الانتشار الواسع والتغلغل العميق في أوساط الأهالي معضلة أمام السلطات الرومانية لإيجاد الميكانيزمات المناسبة للقضاء عليها، خاصة وأن السلطة كانت تمثل العدو المشترك في أعينهم سواء بالنسبة للكنيسة الدوناتية (اضطهاد ديني) أو للافارقة (استغلا اجتماعي و اقتصادي) .

➤ الارتباط الذي طفى على سطح الأحداث بين الحركة الدوناتية وحركة الدوارين فالأولى كما قلنا حركة دينية في حين الثانية حركة ذات دوافع اجتماعية و اقتصادية ، الأمر الذي جعلها تتبنى على نطاق واسع بين الطبقات الدنيا من المجتمع التي رأت في الحركتين تعبير عن أوضاعها المزرية .

¹ -Lettre Augustin(st), LXXVI

² ابحث عن الرسالة

³ - Augustin(st), LETTRE LXXXIX .

➤ نجاح الدوناتيون في كثير من الأحيان من التخلص من التهم التي كانت تلصق بهم من طرف خصومهم فيما يخص نشر الرعب والهلع بين الجماهير في إفريقيا عن طريق الدوارين فقد حرص كبار الأساقفة¹ على الابتعاد عن هذه الأعمال كونها ستضعهم موضع انتقاد من طرف السلطة ومن ثمة تحملهم مسؤولية عدم الاستقرار والأمن في إفريقيا².

➤ لطالما اعتبرت الكنيسة الدوناتية من المنشقين ولم تعتبر من الهرطقة، ودليل ذلك ان مرسوم ثيودوسوس الصادر في 05 جوان 392م والذي يفرض غرامات مالية تقدر بـ 10 أرتال من الذهب على كل رجال الدين الهرطقة، واستثنيت الكنيسة الدوناتية لأنها في نظر السلطة جزئ لا يتجزأ من الكنيسة الكاثوليكية ولم تعتبرها يوما هرطقة، والأمر ذاته لدى خصومهم³ وعلى رأسهم ابطاتوس الميلي صاحب مؤلف "معاهدة ضد الدوناتية" والذي احتوى الكثير من الجدل فيما يخص هذه القضية حيث اعتبر الدوناتيون منشقين لا هرطقة⁴، ونفس الشيء ينطبق على اغسطين، الذي يقر أن الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الدوناتية لا اختلاف بينهما من الجانب العقائدي، لكن سبب الانشقاق بقي محصور في كيفية التعامل مع الخونة والمرتدين وما يؤكد أن اغسطين لم يعتبر الكنيسة الدوناتية هرطقة هو رده على ثيودور الذي كان يتساءل عن الطريقة التي يتعامل بها مع رجال الدين الدوناتيون الذي عادوا إلى حضن الكنيسة الكاثوليكية، هل يتم إعادة تعميدهم أم لا فكان ردّ أغسطين مايلي: "ان الكنيسة الكاثوليكية لا تحمل ضدهم اي شيء و لا تكره فيهم الا انشقاقهم الذي جعلهم خارج الوحدة الكاثوليكية مؤكدا ان رغم ادانتهم للخطأ

¹ - انقسمت الدوناتية إلى تيارين تيار معتدل وآخر متطرف، فالتيار الأول مثله الاكليروس الأعلى وهو جناح لم يجذب التعامل مع الدوارين ورفض تصرفاتهم الهمجية كما تبرا منها جملة و تفصيلا، أما التيار الثاني فمثله صغار رجال الدين الذين تواجدوا على مستوى الأرياف القرى وكان لهم احتكاك اكبر بالدوارين ومعايشتهم اليومية لمعاناتهم ربما جعلتهم تتعاطف معهم وبالتالي تستغلهم وتشركهم في هجماتها ضد السلطة. للمريد انظر: محمد المبكر، المرجع السابق، ص 231- 257.

² - المرجع نفسه، ص 222.

³ - لم يدخل اغسطين في الجدل الذي يصنف الدوناتيين هرطقة أو منشقين لكنه ركز على خطورة هذه الحركة و ضرورة القضاء عليها عن طريق إرجاعهم إلى كنف الكنيسة الكاثوليكية تحت شعار الوحدة الكاثوليكية.

⁴ - Paul Corbier, op.cit, p 234.

الذي ارتكبه فهم يحترمون و يحبون الخير الذي فيهم ، مضيفا انه يرغب في كسبهم الى الله من خلال الرحمة التي تحميهم من الخسارة و الضياع و هم خارج الكنيسة و عودتهم تحقق انسجام اخوي و سلام ودي¹ من خلال هذه الرسالة نستنتج أن الكنيسة الكاثوليكية لم تنتهج أسلوب إعادة التعميد اتجاه العائدين إلى حضن الكنيسة الكاثوليكية عكس خصومهم .

➤ سمحت فترة حكم جوليانوس للدوناتية بلم شمل زعمائها و بعث روح الطمأنينة في اتباعها و كذا استرجاع ممتلكاتها ، و من ثمة بعث روح جديدة في الحركة ككل و ذلك بفضل مرسوم التسامح الذي أصدره جوليانوس سنة 363 م .

➤ مجارة الموظفين المسيحيين في فترة حكم جوليانوس تطبيق مرسوم التسامح و لو كان على حساب المسيحية ، لانهم كانوا على ادراك كبير بسياسة جوليانوس الداعمة للوثنية ضد المسيحية و لم يكن احد منهم يجرأ على المغامرة بمنصبه أو مستقبله² .

➤ الاضطرابات التي مرّت بها الإمبراطورية في كثير من الفترات جعلها تمتنع عن تنفيذ القوانين بكل نشاط و حزم إذ من شأنه أن يعكر صفو حياة الإمبراطور نفسه و سير أمور الإمبراطورية ككل ، بل قد يؤدي إلى تعقيد الأمور اكثر ، فكان لا بدّ من انتهاج سياسة وسطية تميزت بالتهديد و الوعيد أحيانا خاصة و أن إفريقيا كانت منطقة حساسة لروما فهي الممون الرئيسي إلى جانب مصر للقمح خاصة للجيش ، فكانت السلطة مجبرة على أن تتنازل و ذلك بإصدار مراسيم التسامح من فترة إلى أخرى ، و ذلك حال سنة 410 م عندما تعرضت روما إلى النهب و السلب من طرف آلارك، اضطرت الإصدار مرسوم التسامح لصالح الكنيسة الدوناتية و الذي قام بتنفيذه كونت إفريقيا هو قليانوس³

¹ - Augustin(st), Lettre LXI

² رومنقن ، المرجع السابق ، ص 138 .

³-Brisson J.P **Autonomisme et christianisme dans l’afrique romaine de septime a l’invasion vandale** , E de boccard , paris, 1958 p 266 .

خاتمة:

و بذلك نستنتج أن أغسطين إن لم ينجح في القضاء الكلي على الدوناتية إلا انه استطاع توجيه ضربة موجعة لها أسست لبداية نهايتها متبعا في ذلك استراتيجية المجادلات الكلامية ، نظرا لما يتمتع به من مهارة بلاغية منقطعة النظير ، شهد بها له حتى خصومه ، كما أن إلمامه الواسع بالفلسفة و علوم عصره و كذا شرحه للكتاب المقدس جعله يخوض من دون أي تردد في كل المسائل اللاهوتية لا سيما مع خصومه ، لكن بعد تأكد أغسطين من عدم جدوى هذه الطريقة استعان بالسلطة في إجبار خصومه على العودة إلى خزن الكنيسة الكاثوليكية ، باعتبار أن السلطة معترف بها من طرف الدوناتيين و دليل ذلك هو احتكامهم اكثر من مرة إلى السلطة الرومانية ، فقد جعلها أغسطين الطرف الوحيد الذي يملك سلطة التحكيم و كذا سلطة إصدار القوانين و تطبيقها كما جعلها الطرف الرسمي في دعوة الدوناتيين إلى مناظرة قرطاج.

بقبول الدوناتيين خوض هذه المناظرة ، يكون أغسطين قد قطع عليهم الطريق و المنفذ الذي اعتادوا اللجوء إليه ، إذ انهم مجبرين على قبول و الامتثال لنتائج و قرارات المناظرة و عكس ذلك يعتبر عصيان للسلطة ، و محاولة لهدم الاستقرار الديني ، و مثل هذه التصرفات تعطي الحق للسلطة استخدام القوة و العنف لإجبار المنشقين العودة إلى كنف الكنيسة لتحقيق السلام الكنسي و الأمن العام للإمبراطورية ، و هذا ما استطاع أغسطين تحقيقه على ارض الواقع ، فقد اتسمت سياسته الإمبراطور هونوريوس بالحزم و صرامة في تطبيق القوانين و هو ما فشل فيه سابقه منذ نهاية القرن 04 م و حتى بداية القرن 05 م ، الأمر الذي ابقدها حيوبتها ، و جعلها نحل متناثر في أماكن متعددة من إفريقيا.

الفصل الثاني

القديس اغسطين بين الاصاله الافريقيه والثقافه لرومانيه

أولاً: إفريقيه القديس أغسطين

ثانياً: الدور الاجتماعي للقديس أغسطين

ثالثاً: الفكر السياسي لأغسطين

رابعاً: نشاط القديس أغسطين الديني

تمهيد :

منذ أن عين أغسطين كأسقف لكنيسة هيبورجوس، حمل على عاتقه الدفاع عن كل القضايا المسيحية فكان حماسه شديدا اتجاه هذه الديانة، مما جعله يكرس كل اهتماماته وكتاباته للدفاع عنها ضد الهرطقات والبدع، وهذا لم يمنع انسجامه كل الانسجام مع ما كان يدور في محيطه سواء على المستوى المحلي أو الإقليمي، إذ كان على اطلاع تام بكل القضايا الاجتماعية والدينية واللاهوتية، فلم يتجاهل قط ما كان يعانيه الرعية من مشاكل كما لم يتوانى لحظة في المحافظة على نقاء الكنيسة منصبا نفسه مجادلا لاهوتيا متصدي لكل الهرطقات التي عرفت في عصره.

أولا: إفريقية القديس أغسطين:

يذهب تفكير الكثيرين عند الحديث عن القديس أغسطين انه شخصية غربية لاتينية، لا تمت بصلة إلى إفريقيا إلا من حيث المولد، كما يرفض الكثير من المؤرخين الغير متخصصين إفريقية القديس وهذا الطرح يجعلنا نتساءل:

هل مولد الفرد بعين المكن كافي لجعله في ارتباط وولاء دائم إلى ارض هل ويمكن أن يتأثر وينجذب بثقافة وحضارة أخرى؟ بمعنى آخر هل مولد أغسطين بإفريقيا -تاغست- كافي أن يجعله في ولاء لإفريقيا والأفارقة أو أن تأثير الثقافة الرومانية كان اقوى ومن ثمة تتكر لأصله وشعبه؟

ان أول ما يمكن الحديث عنه للفصل في هذه القضية هو معرفة اصل القديس اغسطين ، هل هو من اصل نوميدي أو ايطالي ، باعتبار ان نوميديا قد عرفت توافد من الايطاليين من قبل ، و حسب سارج لانسال فإن الافتراض الثاني ضئيل وفي نفس الوقت تاكيده ليس بالأمر السهل .

يختلف الأمر تماما اذا تحدثنا عن اصل اغسطين من جهة الأمّ و يمكن ان نلمس ونؤكد على افريقيتها وانحدارها من نوميديا من خلال اسمها " مونيكا " و هو اسم مشتق من

اسم آلهة نوميديية وهي " مونا " ¹ و هذا يجعلنا نقول ان اغسطين افريقي الأصل على الأقل من جهة الأم .

نشأ و تربي اغسطين في بيئة افريقية ، و لما كانت اللغة هي أول ما يتعلمه الانسان من محيطه، نجد اغسطين خلاف عن ذلك، فرغم ميلاده في بيئة تتكلم اللغة البونيقية وهي لغة ادخلها الفينيقيون ستة او سبعة قرون من قبل وقد ظلت مستمرة الى غاية عهد القديس اغسطين، قد تعلم اللغة اللاتينية باعتبار انها لغة المحيط الذي نشأ و تربي فيه ، فحسب كتابه الاعترافات يتحدث عن تعلمه اللغة اللاتينية بسهولة منذ نعومة اظافره لانها كانت لغة الاسرة و المربيات كما كانت اللغة الرسمية قي المدارس ².

رغم ضعف اغسطين اتجاه اللغة البونيقية، لكنه لم يمنع استعماله للغات الثلاثة – ولو كام هذا الاستعمال يقتصر على بعض الكلمات – ، اللاتينية، اليونانية، البونيقية و لابد ان نقف وقفة تأمل من الاستعمال الثلاثي للكلمة بثلاثة لغات من شأنه كما يقول لانسال انه يساوي بين اللغة البونيقية واللغتين ثقافيتين عالميتين ³ ، فاغسطين لم يتجاهل هذه اللغة وبالتالي لم يتجاهل متكلميها من الافارقة الذين إذ كان يحرص على ان يصل صوته اليهم من خلال استخدام ما امكن استخدامه من المصطلحات البونيقية في خطبه ومواعظه، بل اكثر من ذلك فقد سعى اغسطين الى الاستعانة بقساوسة في الجهات الكنسية التابعة له يتقنون لغة رعاياه وهي البونيقية ⁴ فقد كان بإمكان اغسطين ان يتجاهل هذه اللغة وأن يعتبرها لهجة محلية تعبر الآ عن جزء من الأفراد ولا تمثل اللغة الرسمية، التي تعكس السلطة الرومانية، لكن على العكس من ذلك ،لم يعتبر اغسطين اللغة البونيقية لغة فرضها الواقع بل اعتبرها جزء من الحضارة العالمية ككل وكان يعترف بها كأداة رئيسية لحفظ الهوية والوعي الإفريقي ⁵ .

¹ سارج لانسال، بين الإفريقية والرومانية: أغسطين وطريقه إلى العالمية، تر: محمد هناد، أعمال ملتقى الفيلسوف

الجزائري القديس اغسطين إفريقياً وعالميةً، منشورات مأ الجزائر، 2003، ص 66

² القديس اغسطين ، اعترافات ، ص 22.

³ سارج لانسال ، بين الإفريقية والرومانية ، المرجع السابق ، ص 67 .

⁴ سارج لانسال ، بين الإفريقية والرومانية ، المرجع السابق ، ص 67 .

لاطاما اشاد القديس اغسطين بالانتاج الفكري الثقافي للغة البونيقية ، ويقصد هنا ما كانت تجمعها مكتبة قرطاج بين رفوفها من كتب دونت باللغة البونيقية، وكان مثاله في ذلك ابوليوس المادوري ذا الاصل الافريقي، فيكفي انه كان أول من اسس لكتابة الرواية في التاريخ، فقد اشاد اغسطين باعماله الضخمة وان دلّ هذا على شئٍ فانه يدل على الاعتزاز و الافتخار بأمجاده واصالته الافريقية¹

رغم الإتقان العالي والتمكن الكبير لاغسطين من اللغة اللاتينية الاّ انه يذكر لنا الصعوبات التي واجهها خلال اقامته بميلانوا، فرغم الشهرة البلاغية التي حظى بها الاّ ان لهجته كانت تخونه ولا تستطيع ان تخفي افريقيته، فاغسطين يخبرنا عن لهجته الافريقية في نطق اللغة اللاتينية، والتي جعلته محل ملاحظة وانتقاد كما انهدهش هو بدوره من طريقة النطق هناك بميلانو؛ يقول في هذا الصدد : " حتى و ان كنت ذلك الذي كان مظطر الى تعلم كل تلك الامور (اي البلاغة) بصبر ومثابرة، كان الناس في ايطاليا يسخرون مني بسبب طريقة نطقي للكلمات المفردة وهو نفس ما كنت الومهم عليه"²

ان مقولة اغسطين هذه يمكن ان نشبهها بالجزائري مثلا وهو يتكلم اللغة الفرنسية او الانجليزية فمهما كان اتقانه للغة يظهر تأثير لغته الامّ اذا ما قارنه بالفرنسي او الانجليزي وهو يتكلم لغته، هذا هو حال القديس اغسطين فلهجته كانت تُظهر انتمائه الافريقي ، فاغسطين فعلا كان افريقيا، وعدم اتقانه للغة لبونيقية على خلاف اللغة اللاتينية مثلا التي اظهر فيها براعة كبيرة وجعل منه في نظر الكثيرين رومانيا من الدرجة الاولى يمكن ان نقبله الاّ من الناحية الثقافية، وان تحقق هذه الاخيرة انما يعود الى اختلافه عن غيره من الافارقة من حيث مستوى المعيشة وثقافة المحيط ففي الوقت الذي كانت الاغلبية المجاورة من سكان المدينة بتاغست يتكلمون اللغة البونيقية كان محيط اغسطين بمستوياته الصغير (الاسرة) والكبير (المدرسة والاصدقاء) يتكلم للاتينية³.

¹ المرجع نفسه، ص 68 .

² دوروثيا قبير، تأملات في الخلفيات الادبية والجدل القائم حول انتقادات جوليان لوطن اغسطين ، تر: محمد هناد ، ج1

، اعمال الملتقى الفيلسوف الجزائري القديس اوغسطين إفريقيا و عالميته، منشورات م.إ.أ. ، 2003 ، ص 94 .

³ المرجع نفسه، ص 94

تظهر لنا جليا افريقية القديس اغسطين مرّة اخري من خلال احد رسائله التي تبادلها مع عالم النحو بتاغست يدعي ماكسيموس ، الذي اعرب عن خوفه من ان اغسطين بعد سفره الى روما ثم الى ميلانو ان يتأثر بهذه المدن المشهورة وان ينبهر بمبانيها و شخصياتها و حضارتها وينسى موطنه الاصلي البسيط¹ ، فكان ردّ اغسطين في هذا الموضوع واضحا اذ يقول " انا افريقي، اكتب لافارقة مادام كلانا يعيش في افريقيا."²

كان اغسطين لا يتوانى لحظة في الردّ على كل من تسول له نفسه الاستهزاء او التقليل من قيمة الافارقة وكان في كثير من المناسبت شديد اللهجة ، واضح كما هو الحال في ردّه على رسالة اخرى على المادوري مكسيموس (**أنظر نص الرسالة في الملحق رقم...**) الذي كان يسخر من الاسماء البونيقية مخاطبا اياه انه لا يمكن لافريقي ان يخاطب الافارقة بلهجة سخرية وهم اصحاب اللغة التي نقلت كنوز من العلم والحكمة³

كما اظهر اغسطين اعتزازه بأصله الافريقي مباشرة وذلك في ردّه على اسقف آخر الشاب "جوليان ديكلان " * الذي نعت اغسطين بـ المجادل الافريقي فردّ عليه اغسطين قائلا : " لا تحتقر مزهوا بأصلك في هذه الدنيا هذا البونريقي الذي يوبخك لا تظن لانك

¹ روبا دودارو ، اعمال الملتقى ، ص 77

² نقلا عن . Francois prevlot et autre , op cit, p 319 .

³ سارج لانسال ، بين الإفريقية و الرومانية ، المرجع السابق، ص 67 68 .

جوليانوس ديكلان: ينتمي جوليانوس الى الجيل الثاني لأتباع بيلاج، وكان الناطق باسم الأساقفة الراضين لإدانة بيلاج وتلميذه سيلبيستوس، وبذلك كان من المعارضين للفقاه الاغسطيني وهاجمه في عدة مناسبات محاولا ربطه بالزندقة المانوية، لكن محاولات للتدخل لصالح البيلاجية لم تجد أذان صاغية وتم ادنتها في مجمع 30 أبريل 418م الذي قضى بالحكم على بيلاج واعتباره هو و اتباعه اصحاب بدعة (**اكثر تفصيل عن البيلاجية انظر ص ..**) للمزيد انظر : أوتو فرميلينغيز، **قرارات مجمع إفريقيا سنة 418م المتعلقة بالغفران والحرية، كما جاء بها أغسطين ليقدمها ليونيفاس، اسقف روما ،**

تر: محمد هناد ، ج1 ، في أعمال الملتقى الدولي الأول الفيلسوف الجزائري القديس أغسطين إفريقيا و عالميته ،

** منشورات م.إ.أ ، الجزائر ، 2003 ، ص 297.305

مولود ب بوي (Pouilles -Italie) ا نان لك فضلا على هؤلاء البونيفيين بالولادة و انت عاجز عن التفوق عليهم بالعقل.¹

هذا من دون شك يظهر عدم تنكر اغسطين لاصله الافریقی او الخجل منه، امام هذا الاسقف الروماني الذي يمثل الرومانيين الذين يدعون الحضارة والثقافة .

ان كان الأصل الافریقی لاغسطين حتمية وحقيقة فُرضت عليه، فإن افریقیته كانت مرة اخرى من اختياره، ففي الوقت الذي بلغ فيه من الرشد والحكمة الكثير كما بلغ ما كان يحلم به من شهرة ومكانة مرموقة، في سلطة كانت تمثل اقوى امبراطوريات العالم انذاك، ونقصد هنا تحصله على منصب كرسي بلاغة بميلانوا، بمساعدة سيماخوس، الى جانب احتكاكه بأرقى رجالات السلطة واكثرهم نفوذا، وحتى بعد اعتناقه الدين المسيحي على يد اشهر رجال الكنيسة في روما، وهو امبرواز، هذا الاخير الذي اظهر حب وتقدير كبير اتجاه اغسطين وكان كما يقول في اعترافاته بمثابة الاب الحنون الذي احتواه .

في خضم كل هذه الأحداث اختار اغسطين العودة الى مسقط رأسه ، ولم يوضح لنا الأسباب التي دفعته الى العودة، فكما يقول سارج لانسال، ربما هذه العودة كانت امراً بديهياً لا يحتاج اي شكل من اشكال التوضيح² ويكتفي بقوله في الاعترافات حول هذا الموضوع : **" كنا نبحث عن مكان نستطيع ان نكون فيه اكثر خدمة لك فيه، فعدنا الى افریقيا ."**³

فعلا بعد عودة القديس اغسطين الى افریقيا، وتقلده منصب قسّ كنيسة هيبون ثم اسقفا لها، حيث زاول هذه الوظيفة لمدة 40 سنة، لم يدخر فيها اي جهد اتجاه مساعدة اتباع كنيسته التي كانت مترامية الاطراف، كما عمل جاهدا من اجل الدفاع عن آراء الكنيسة الافریقیة، بمساعدة اصدقاءه الاساقفة ولاسيما اسقف تاغست "اليبيوس"⁴

¹ نقلا عن منير بوشناق، اغسطين والإفریقیة انطلاقا من المؤلفات التاريخية والدراسة حول موقع تاغست ، تر: محمد

هناد، ج 1 ، في عمال الملتقى الدولي الفيلسوف الجزائري القديس اغسطين وإفریقیته وعالميته، منشورات م.إ.أ ، الجزائر،

2003، ص 170

² سارج لانسال ، بين الإفریقیة و الرومانية ، المرجع السابق ، ص 69 .

³ نقلا عن المرجع نفسه، ص 69 (ابحث في الاعترافات)

⁴ سارج لانسال ، بين الإفریقیة و الروماني ، المرجع السابق، ص 69

يمكن القول ان افريقية القديس اغسطين كانت في نفس مستوى ثقافة الرومانية التي فرضها عليه محيطه الصغير العائلي أو المحيط الاوسع، المدرسة، حيث في اعترافاته يذكر انه تلقى اللغة اللاتينية من خلال مداعبات مربياته وعن طريق معلميه¹

ثانيا: الدور الاجتماعي للقديس أغسطين:

إن ممارسة أغسطين لمهامه الكنسية حتمت عليه في كثير من الأحيان التنقل بين أرجاء الإقليم الشاسع الذي كان تحت سلطته الدينية، مما سمح له التقرب أكثر فأكثر من الرعية ومعايشة معاناتهم اليومية، الأمر الذي دفعه على تبني قضيتهم والدفاع عنها، فكان معيناً للفقير وسنداً لليتيم ومؤوا للمظلوم.

1- دفاعه عن الفقراء:

في خضم الصراع الذي خاضه ضد الدوناتية من خلال المجادلات الكلامية وتأليفاته اللاهوتية لم ينسى واجبه اتجاه رعيته في إقليم نوميديا من الفقراء، فهذا الإقليم الشاسع والذي كان يمتد على مسافة تزيد عن اربعين كيلومتر جنوبا وغربا والذي كان يحتوي غالبا على العديد من المدن والقرى الآهلة بالسكان الذين كانوا يعيشون حياه البؤس والفقرة².

عاش اغسطين الحياة اليومية لهؤلاء السكان الذين يطلق عليهم اسم colons ليس بالمفهوم الحالي للكلمة، لكن بمعنى الأصلي للكلمة "المزارع" والذين كانوا يقيمون على ضياع واسعة وشاسعة المساحة تابعة لكبار الملاك، الذين كانوا يجبرون على دفع ضريبة سنوية لصاحب الضيعة إما نقدًا أو عينًا³ ووفقًا لنظام الإقطاعي، فالأمر يبدو عاديا، لكن تلاعبات أصحاب الضياع والقائمين عليها هو ما جعل حياة هؤلاء المزارعين تسوء وتتدهور نحوى الأسوأ، ذلك بسبب الفرض المضاعف للجباية على المزارع البسيط والتي فُرضت عن

¹ - المرجع نفسه ص 69 .

كلود لوبلي، الكفاح من اجل الفقراء ، ملاحظات حول العمل الاجتماعي للقديس اغسطين بمنطقة هيون، تر: محمد هناد، ج1، اعمال الملتقى الدولي الأول الفيلسوف الجزائر القديس اغسطين إفريقيا وعالميته، القدس اغسطين ،منشوراتم.إ.أ. الجزائر، 2003، ص 118 .
³-المرجع نفسه، ص 118 .

طريق السلطات فعوض أن يتحمل كبار الملاك هذه الأعباء فإنهم يتهربون من دفعها ومحاولة تأمينها من جيوب هؤلاء المزارعين البؤساء.¹

زادت تشريعات القرن الرابع من بؤس المزارعين، إذ جاءت قرارات هذا التشريع بتوريث المزارع للأرض، وذلك في محاولة الدولة ربط المزارع بأرضه عوض تركها بورا، لكن هذا القانون قضى بالدرجة الأولى على حرّية المزارع وجعله في تبعية دائمة لصاحب الضيعة الذي كان لا يتورع في إتهال كاهله بالضرائب.

في هذا الجو المليء باستغلال القوي للضعيف، كان اغسطين يحاول يومياً وبكل ما أوتي من قوّة الحدّ من مثل هذه التصرفات وذلك عن طريق منصبه الذي سمح له بمعرفة وإقامة علاقات كبيرة مع كبار الملاك أو موظفين سامين في السلطة، فلم يفوت الفرصة في محاولة استمالتهم للحدّ من مثل هذه التصرفات، والرسالة رقم 247 والتي بعثها اغسطين إلى شخص يدعى رومولوس والذي كان يملك أراضي بهييون والتي عهد بها إلى وكلاء كانوا يقومون بتسيير ممتلكاته غير أن هؤلاء الوكلاء تميزوا بالجور والظلم اتجاه المزارعين التابعين لهم، إذ كانوا يجبرونهم على دفع الضريبة السنوية مرتين بدل أن تدفع مرّة واحدة، وكانت تلك الأموال المختلصة بغير وجه حق توجه لفائدة هؤلاء الوكلاء² و أمام تعالي صيحات المزارعين تدخل اغسطين بإرساله رسالة إلى رومولوس يشرح له فيها حال المزارعين وعبر عن استنكاره الشديد لمثل هذه التصرفات اللاإنسانية، إذ يقول: "أنا أعتقد أنه من السيئ جعل الدفع مرتين من هؤلاء التعساء لا يمكنهم الدفع لمرة واحدة، افعل ما يحلو لك. إذا، على العكس من ذلك، أنت تدرك أنه ظلم، قم بما هو حق، افعل الشيء الصحيح، قم بما أمرك به الله، وما أطلب منكم."³

¹ - كلود لوبلي، الكفاح من اجل الفقراء، المرجع السابق، ص 119

² المرجع نفسه، ص 120 .

³ -Augustin(st), Lettre CCXLVII

ثم يقول: " إن الإثم الذي تمارسه على التعساء والفقراء ضار لك كما هو ضار لهم لأنهم يعانون لوقت، لكن أنظر لنفسك ما هو الكنز الذي حضرته ليوم الغضب، يوم الحكم العادل لله، أين سيجازي الله كلا حسب عمله."¹

في موضع آخر يعبر أغسطين في رسالته رقم 251م عن قلقه الشديد على مجموعة من المزارعين الذين يعملون في ضيعة كانت محل نزاع بين طرفين، وخشى أن يؤثر هذا النزاع على المزارعيين وضعيتهم.

لطالما اعتبر أغسطين نفسه مسؤول بصورة خاصة أمام الفقراء من بين رعيته ففي رسالة بعث بها إلى شخص يدعى فيليكس يؤكد على أن دور الكنيسة والأساقفة إنما هو الدفاع عن الجميع وبخاصة عن اليتامى إذ يقول: "دينك يعرف تماما أن الكنيسة والأساقفة، ملزمون ومكرسون للدفاع عن الجميع، وخاصة في الدفاع عن الأيتام...."²

الترحم أغسطين بتقديم المعونة والصدقات مستخدما عائدات الكنيسة فقد خصص أغسطين لهذه العملية قائمة بأسماء الفقراء الذين تتكفل الكنيسة بتوفير كل نفقات معيشتهم مثل الأرمال واليتامى و يترك لكنيسة هيبون إلا قدر قليل يكفل لها احتياجاتها اليومية³ فيقول: " لا يسمح لنا بأن يكون لنا ا يشئ في الصندوق ، انه لا يحق لأسقف أن يكنز ذهباً ويبعد يد المتسول عنه، كل يوم يأتينا عدد من المعوزين نحزن أيما حزن عندما نجد انفسنا عاجزين عن العطاء لجميع من قصدنا ليس لدينا ، اذا أي احتياط في الصندوق."⁴

إن منصب اغسطين كأسقف سمح له بإقامة علاقات مع كبار الموظفين والأثرياء وكبار الملاك، فلم يفوت فرصة استغلال هذه العلاقة لحثهم على رعاية اتباعهم من عبيد ومعتقين فلاحين ومكترين وغيرهم، أن يكونوا أسخياء معهم، وقد مثل اغسطين هؤلاء الأثرياء بالأشجار الكبيرة مثل أشجار الأرز في لبنان التي تأوي العصافير الكثيرة والمقصود هنا

¹– Augustin(st), Lettre CCXLVII

²- Augustin(st), Lettre CCLII

³– كلود لوبلي، الكفاح من اجل الفقراء ، ص 124

⁴– اندري مندوز ، سلف عبقرى للجزائر اوغسطين هيبون، تر: محمد هناد، ج2، أعمال الملتقى الدولي الأول الفيلسوف

الجزائري القديس اغسطين إفريقيته وعالميته، منشورات م.إ.أ، الجزائر، 2003، ص 275

بالعصافير المساكين والفقراء الذين يأوون إلى الأشجار ليقتاتوا منها كما يقتات الفقراء من الأغنياء.

من جهة أخرى عارض أغسطين تنامي ممتلكات الكنيسة لأن هذا الثراء يجعلها في معاداة مع الفقراء الذين قد يعتبرونها كأبي مالك آخر، كما قد تكون مصدر إغراء لرجال الكنيسة وتجعلهم يستغلونها لصالحهم كما تجعلهم ينصرفون عن عملهم الكهنوتي كما هو حال انتونيوس¹ بفوصال²

إن معرفة اغسطين بإفريقيا لم يتحقق إلا بعد عودته إلى إفريقيا والبداية كانت عن طريق هيبون وضواحيها، غير أن هدف هذه الزيارات لم يكن استكشاف هذه المناطق بل زيارة الكنائس المحلية من اجل الوقوف على حقيقة الأوضاع الدينية والمحلية و لم يغفل لحظة عن الوقوف على حال سكان المناطق التابعة لمقاطعته³ حيث كان يدعو اتباعه إلى مزيد من الكرم اتجاه أسقفهم وتقديم العون المالي له في بناء كنائس يرون تشييدها بأعينهم إذ يقول :

" قد يكون بصدد تشييد كنيسة أو إجراء أشغال نافعة ببيت الله انه ينتظر منكم أن تولوا اهتماما لما قد يكون في حاجة إليه، كما ينتظر منكم أن تدركوا واجباتكم اتجاه الفقراء والمعوزين، ألا ترون قسكم من غير مال؟ لكنكم من الأكيد ترون بيوت الله تشيد لتؤموها للصلاة أليس ذلك باديا للاعيان ."⁴

¹ - المرجع نفسه ، ص 124

² - فوصال: تقع على بعد 50 كلم جنوبي مدينة هيبورجوس والتي عين على رأس كنيستها الأسقف انتونيوس وذلك بمساعدة اغسطين الذي رأى فيه قدرا من الذكاء والتقوى فضلا عن اتقانه اللغة البونية التي تعتبر أداة مهمة في التعامل مع الرعية التي كانت تتكلم تلك اللغة، لكن هذا الأسقف لم يكن في مستوى الثقة التي منحت له، فتعاطى عددا من أفعال الابتزاز والاحتيال والتعسف، ليتم خلعها في سنة 422-423م بحكم صادر عن المحكمة الأسقفية وقد كان لهذه الفضيحة اثر كبير على نفسية اغسطين الذي اعتبر نفسه مسؤولا عنها باعتبار انها لطخت سمعة الكنيسة انظر : المرجع نفسه، ص 123، 124، كذلك شال مونيي، المرجع السابق، ص 144-145

³ - منير بوشناق، ص 168 .

⁴ - نقلا عن نفسه ، ص 169 .

2-محاربة الربا:

كانت ظاهرة الربا منتشرة بكثرة في القرن الرابع للميلاد، وقد عمل الهيكل الكنسي على محاربة هذه الظاهرة حتى أننا نجد القديس امبرواز قد ألف كتابا حول هذه المسألة جمع فيه كلّ مواظمه ضد الربا¹ وهذا يدل على استفحال هذه الظاهرة وانتشارها الواسع

في البداية لابدّ من تحديد مفهوم الربا لدى القديس اغسطين والذي عرفه في عدة مناسبات إذ يقول: " لكن هل تعرف ما الربا؟ تمد مبلغا أقل من الذي تحصل عليه"²

كما يوضحه اكثر في مقام آخر فيقول: "اذا أقرضت رجلا بالربا، أي أعطيته مالك قرضا وبنية أن يردّ لك أكثر مما اخذ منك، وإذا طلبت منه، ليس فقط أن يردّ إليك ملك وإنما أن يرده إليك بزيادة سواء كانت هذه الزيادة قمحا أو خمرا، أو شيء آخر أي باختصار، إذ كانت لك نية في الحصول على اكثر مما أقرضت فإنك مراب Fnerator ، تستحق التنديد عوض الإشادة."³

من خلال هذه التعارف يتضح لنا أن اغسطين قد حارب الربا بكل أشكاله سواء كان عينا أو نقدا، أي أن كل شخص له نية الحصول على اكثر مما قدم فهو يعتبر مراب ولا بدّ من محاربتة لأن هذا الفعل مناف للأخلاق وللإنسانية باعتباره شكل من أشكال استغلال الأثرياء للفقراء وذلك بتقديم القليل مقابل حصولهم على الكثير .

كانت محاربة اغسطين لربا منذ أن وطئت أقدامه كنيسة هيبورجوس، فخلال تعيينه كقسّ للكنيسة تمّ عقد مجمع بتاريخ 08 أكتوبر 393م برئاسة اوريلیوس قرطاجة اسقف إفريقيا الرومانية يتناول موضوع الربا، فلم يفوت اغسطين فرصة إلقاء خطبة حول الموضوع⁴، و كان قرار هذا المجمع أن حرّم على كل الهيكل الكنسي أن يتعاطى الربا مهما

¹-انجيلودي بيرار دينو ، الكفاح من أجل الفقراء : القديس اغسطين و الربا ، تر: محمد هناد ، ج2 ، اعمال الملتقى الأول الفيلسوف القديس اغسطين إفريقيا و عالميته ، منشورات م.إ.أ، الجزائر ، 2003 ، ص 58 .

²- انجيلودي بيرار دينو، المرجع السابق ، ص 58 .

³- تقلا عن انجيلودي بيرار دينو ، ص 58 .

⁴- المرجع نفسه، ص 60.

كان شكله عينا أو نقدا، وقد تمّ تأكيد هذا الحظر في مجامع لاحقة مثل مجمع قرطاج في سنتي 345م و348م، وكذا مجمع سنة 397م وسنة 419م¹.

كانت خطب اغسطين تحرم الربا عامة، فهو يشدّ على تحريمه على رجال الكنيسة خاصة باعتبارهم قدوة المجتمع، واعتبره من أكبر الخطايا المرتكبة أمام الله، مستندا في خطبه على التوراة و الإنجيل اللذان يحرمان هذه الممارسة فيقول في هذا المقام: "لا تمارسوا الإقراض بالربا ولا تقرضوا المال بالفائدة، ليس هناك أي شيء يجمعكم بالمرابين دعوهم ينصرفون عنكم وسوف يأتي وقت يقال لهم فيه: " فلينته مالكم بالإفلاس سوف يأتي يوم حساب حيث سيصلون نارا خالدة بسبب هذا المال ...مال المرابين سيكون حينئذ حجة ضدهم يجب عليكم ألا تعطوا المال وتتلقوه بهذه الكيفية حتى لا يسألون يوم الحساب"²

نلاحظ من خلال هذا القول أن اغسطين كان يستعمل أسلوب التهديد وذلك ببث الخوف في نفوس ممارسي هذه الظاهرة بحساب عسير يوم القيامة، كما كان يصف هذه الظاهرة بالقبيحة والمكروهة عند الله والمجتمع، ولا عذر لأي شخص قبل التعامل بالربا ، فيقول: " ليس لديكم اي عذر عندما يلقي عليكم كلام الله"³

ساوى اغسطين بين ظاهرة السرقة بالقوة والسرقة عن طريق الربا، ولا فرق بينهما إذ أن النتيجة واحدة وهي سلب مال الغير بغير وجه حق.

الربا في نظر اغسطين ليس خطيئة وذنوب ديني فقط، بل هو جريمة منافية للأخلاق، فان كانت المجامع الكنسية السابقة المنعقدة بقرطاج قد قدمت وجهة نظرها بصورة عامة عن الربا، وخصت تحريمه على رجال الكنيسة، نجد أن رأي أغسطين كان منافيا تماما فهو حرّم الربا على المؤمنين المسيحيين كافة ودون استثناء ولا يمكن لأي شخص أن يملك عذرا يسمح له بممارسة الربا ذلك أن قول الله واضح في تحريمه.

¹ - المرجع نفسه، ص 60.

² -انجيلودي بيرارينو، المرجع السابق، ص 61 .

³ - المرجع نفسه، ص 63.

انتقد اغسطين القوانين الرومانية التي ترخص الربا وعبر عن استنكاره الشديد اتجاه القضاة اللذين كانوا يبرأون الأغنياء ضد الفقراء ويرى اغسطين أن الناس عامةً والقضاة والمسؤولين السامين لا يحتاجون إلى قانون يحرم أو يبيح ظاهرة الربا، وإنما هو قانون إلهي واضح يجب أن يطبق على مدينة الأرض ولن يتم هذا التطبيق إلا بالإيمان المسيحي الحق والضمير الديني الأخلاقي للفرد نفسه.¹

3- نظرتة إلى العبيد:

شكلت ظاهرة بيع الأطفال كذلك مصدر لا يستهان به في توفير العبيد إذ لجأت الكثير من العائلات إلى بيع أطفالها وذلك هروبا من عبئ الضرائب التي كانت تدفع على أطفالهم (ضريبة الرأس) إن بقوا بحوزتهم وقد عمل قسطنطين على الحد من هذه الظاهرة وذلك بإصدار قانون سنة 329م الذي يمنع بيع أطفال حديثي الولادة كعبيد إلا في الحالات القصوى من الفقر لكن هذه الظاهرة بقيت مستمرة إلى فترات لاحقة وهذه ما نستشفه من الرسالة العاشرة التي بعث بها اغسطين إلى صديقه البيوس، أين استنكر مثل هذه الجرائم التي تمارس في حق الأطفال والذي كان عدد كبير منهم يباع حسب اغسطين وراء البحار، لكن الظاهر أن هذه الممارسات كانت في فترات سابقة لـ 423 وذلك يظهر من خلال قانون هونوريوس ، الذي يعاقب كل متواطئ في مثل هذه الجرائم.

شغلت ظاهرة الاسترقاق تفكير أغسطين، إذ كان يعايش يوميا الكثير من القضايا الاجتماعية التي تفتقد الى العدالة وكان المتسبب فيها الأسياد اتجاه عبيدهم كنتيجة حتمية لغموض القوانين فيما يخص شروط البيع وفترة خدمة العبيد.

وقد حاول أغسطين الحد من معاناة العبيد عن طريق تحريرهم أو على الأقل تحسين أوضاعهم بطريقة شرعية وقانونية، وقد أعطى الأطفال أولوية خاصة نظرا لما كان يمارس ضدهم من ظلم واستعباد يفتقد إلى أدنى معايير الرحمة الانسانية والتي كانت تؤدي بحياة الكثير منهم الامر الذي جعل أغسطين يتدخل لدى السلطة من أجل تحسين أوضاع العبيد

¹ - انجيلودي بيرار دينو، المرجع السابق، ص 63.

فقام بارسال صديقه أليبيوس الذي كان قد تلقى تكوينا قانونيا إلى رافان يطلب من الامبرطور هونوريوس اصدار مرسوم من شأنه أن يعزز سلطة الأساقفة الافارقة في المحاكم وتكون لهم قرارات فعالة أكثر اتجاه الأسياد وتجار الرقيق عديمي الضمير.

نجح أغسطين في الحصول على شكل قانوني يسمح له بمساعدة الرقيق وذلك تحت مرسوم عرف بـ "العق في الكنيسة" والذي يسمح للأساقفة أن يكونوا شهودا رسميين على البيان الذي يوقعه الأسياد في حالة عتقهم للعبيد، علما ان مثل هذه القرارات والمراسيم الامبراطورية ليست جديدة بل يرجع تاريخها إلى الامبراطور قسطنطين سنة 321/316/313م غير انها لم تعرف تطبقا في افريقيا إلا لاحقا وأول اشارة لها كان من خلا مجمع قرطاج في 16 جوان 410م الذي جمع مندوبين من الاساقفة ليتأكدوا من سريان مثل هذه القوانين في روما ليرسلوا في 13 سبتمبر في نفس السنة مندوبين إلى المحكمة الإمبراطورية لمنح الإذن للإمبراطور هونوريوس لتبني هذه الممارسة في كنائسهم¹

كان اغسطين دائم القلق على مصير الكثير من العبيد المعنقين بعد عتقهم فكان يحث الأغنياء على التفكير في مستقبلهم قبل عتقهم كي لا يعيشوا حياة البؤس، وقد لام القديسة ميلاني الفتاة التي كانت تملك مزارع شاسعة المساحة في إفريقيا والتي دفعها حماسها الديني إلى التبرع بكل أملاكها لصالح الكنيسة من بينها مزرعة كانت بناحية تاغست، الأمر الذي لم يفرح كثيرا اغسطين بل على العكس تماما كان يتساءل عن مصير الفلاحين والعبيد التابعين لهذه المزرعة²

4- دفاعه عن المسجونين و المضطهدين:

" صحيح، انتم تروننا نتحدث إليكم من مكان عال، لكن الخوف يبقينا تحت اقدامكم لأننا نعلم فضاة الحساب الذي يجب أن نحصل عليه من هذا المقعد المرتفع الذي نحتله"³

¹ - Alland Fitzgerald, op cit p 516.517

² - كلود لوبلي ، من اجل الفقراء ، ص 125.

³ -Augustin(st), Sermon CXLVI

بهذه الكلمات أراد اغسطين أن يضع تعريفا لكلمة اسقف والتي حصرها في مهمة الاعتناء برعيته والسهر على راحتهم بالوقوف على كل مشاكلهم ومن هنا حاول اغسطين أن يطبق ما جاء في هذا المفهوم لكلمة اسقف، فلم يقتصر بذلك نشاطه على ممارسة كل ما يتعلق بالعمل الكهنوتي الكنسي، أي تقدم الخطب والمواعظ ومناولة القربان المقدس، والأعمال الخيرية، بل كان على اطلاع تام بمشاكل رعيته ومن ثمة التدخل في شؤونهم ومحاولة مساعدتهم وتجاوز صعوباتهم اليومية الأسرية منها والاجتماعية وحتى الاقتصادية.

لقد نصب اغسطين نفسه محام أو قاض للمساكين سعيا منه أن لا يكون السجن مصدر تعسف وظلم و سوء معاملة اتجاه المساكين، فرغم العلاقة الأحادية التي ربطت بين الكنيسة والسلطة في تلك الفترة، إلا أن اغسطين حرص كل الحرص على التفريق بين أن يكون أداة مساعدة للدولة من اجل تحقيق مجتمع سوي ومستقر و أن يكون أداة في يد السلطة أو مجرد موظف لها تحقق عن طريق مآربها فقد سعى بكل جهد ان يظفي الطابع الإنساني على جهاز العدالة¹

لقد انتقد اغسطين وبشدة القضاة الذين يحكمون على أشخاص متهمين ويمكن أن يكونوا أبرياء، فقد تساءل كيف يمكن لهم الحكم عليهم دون التأكد من حقيقة جرمهم أو برأتهم، كما انتقد أسلوب التعذيب الذي انتهجه القضاة من اجل الوصول إلى الحقيقة والذي يطال الكثير من الأبرياء عن قضايا ليس لهم صلة بها، إذ يمكن أن يؤدي هذا التعذيب في كثير من الأحيان بالمتهمين إلى الاعتراف بذنب لم يقترفوه ، طلبا للموت أو السجن بدلا من تحمل ذلك التعذيب .

يذكر اغسطين العذاب النفسي الذي يتعرض له هؤلاء المظلومين قبل التعذيب الجسد فهو يعاني عذاب واضطهاد ظالم بسبب جرم غير مؤكد دون ذنب سوى أن القضاة لم

¹ - اندري مندوز ، سلف عبكري للجزائر ، ج2، المرجع السابق،ص 274.

يستطيعوا أن يصلوا إلى الحقيقة ، فالقضاة على العموم يلجأون إلى مثل هذه الأحكام ليس لانهم اكتشفوا صاحب الجرم، لكن لانهم يجهلون الفاعل¹.

يصل حدّ الخطورة حسب اغسطين إلى إمكانية تطبيق حكم الإعدام الذي حاول اغسطين أن يفرق بين تطبيقه من الناحية النظرية و تنفيذه عمليا².

من جهة أخرى حاول اغسطين أن يقترح حولا من اجل فض النزاعات بين الكنيسة والأفراد فيما يخص التركات وكذا ملاحظة بعض المتابعات القضائية اتجاه المدانين بسبب دين، فقد استطاع في كثير من الأحيان الحصول لهم على تأجيل موعد التسديد بضمان من الكنيسة³.

تحفظ لنا رسائل اغسطين تدخله في الكثير من النزاعات القضائية وذلك حسب ما يخوله له القانون* فحسب رسالة ديفاك رقم 24 تدخل اغسطين لصالح ثلة من العبيد القرويين الذين طلب أن يتم تحويلهم إلى عبيد باعتبار أن والدهم كان قيما لدى كبار الملاك و كانت هذه القضية قد رفعت إلى المحكمة ، بيد رجل شهير ينتمي فئة الشيوخ يدعى اوستوكيوس حيث طلب من القاض انه يرفض مثل هذه الإجراءات التي وصفها بغير الإنسانية مهما كان نوع المعلومات المقدمة له فهذا يحدّ من حريتهم إلى درجة تحويلهم إلى عبيد طالبا منه إيجاد كل الحجج القانونية التي تردع هذا الجشع وتسقط قضيته⁴

لقد كان اغسطين الحامي بأتم معنى الكلمة للضعفاء والفقراء وإن لم يستطع في بعض الأحيان مساعدتهم وهذا في خطبته رقم 302 والتي تتحدث عن احد الموظفين أو العسكريين الذين تعودوا على ممارسة الابتزاز الذي أدى بالكثير من ضحاياه إلى حياة البؤس والشقاء والإفلاس مما أدى بأحد ضحاياه إلى اغتياله فكان رأي اغسطين عدم حق

¹- اغسطين، مدينة الله، المصدر السابق، ص 122،123،124.

²- اعمال الملتقى، ج2، المرجع السابق، ص 131 .

³- المرجع نفسه، ص 131 .

* منح قسطنطين الكنيسة حق النظر في الأمور القضائية

⁴- .كلود لوبلي، المرجع السابق، ص 121

الاقتصاص لهذا الشخص¹ ووجب النظر في هذه القضية من طرف المحاكم الرسمية وليس للأشخاص، وعليه كان مصير هؤلاء القتلة أن اعتبروا من اكبر المجرمين ولم تصل أصوات اغسطين إلى مسامح الحاكم الذي كان وثنيا من اجل طلب العفو لهم.

يرجع اغسطين سبب الأحكام التي يصدرها القضاة سواء عن قصد أو غير قصد ليس لعمل شرير بل لجهل مطبق أولا ثم ضرورة أمره من طرف مجتمع بشري كان هو السبب في رفعه إلى مصافي القضاة².

لم ينحصر عمل اغسطين الخيري هذا في مقاطعته بيهبون بل تجاوزه إلى كل المناطق التي استطاع الوصول إليها، محاولا التدخل في كل النزاعات، وقد استطاع أن يحقق الكثير فقد ابرز مارتروي في سلسلة من المقالات صدرت له فيما بين 1908-1919 الدور الذي لعبه في التأثير على تشريع عصره من خلال القضايا التي كان يهتم لها، فقد استطاع أن يفرض حق اللجوء السياسي وحق المشتبه فيهم خلال الحبس الاحتياطي، وأن هذا المشتبه يعد بريء حتى تثبت إدانته³

رغم كل الجهود التي كان اغسطين يقوم بها كان منتقدا من طرف رعيته إزاء أحكامه على القضايا التي كان يتدخل فيها إذ قول: " ينبغي علي أن احكم لطرف على طرف والحكم لا رجعة فيه، فان كان الغني هو المستفيد يقول الفقير لا بدّ و أن يكون الأسقف قد حصل على هدية منه، وإذا كان الفقير هو المستفيد يقول البعض إنما فعل لأسقف ذلك حتى لا يتهمه الناس بمعاداة الفقراء."⁴

ثالثا: الفكر السياسي لأغسطين

لم يكن أغسطين مفكرا سياسيا، كما لم يأخذ منهجه أي منحى سياسي، لكن هذا لم يمنعه من الإفصاح عن آرائه في هذا المجال، الذي ظهر بوضوح في مؤلفه الشهير "مدينة

¹ - المرجع نفسه، ص 122 .

² - اغسطينوس، مدينة الله، ج2، ص 123، 124 .

³ - أعمال الملتقى ج2، ص 276-277.

⁴ نقلا عن اعمال الملتقى، ج2، ص 131 .

الله، فأغسطين لا طالما اعتبر أن الإمبراطور داخل الكنيسة وليس فوقها لكن هذه القاعدة لم تجعل أسقف هيبون يرفض الدولة بل اعتبرها مؤسسة جدّ هامة لأنها أداة التي يمكن من خلالها تنظيم المجتمعات من الفوضى كتسلط القوى على الضعيف والغني على الفقير، وحتى تتجح الدولة في تحقيق مساعيها لابد أن تتقيد بتعاليم المسيحية هذا من جهة، من جهة أخرى أثبتت السلطة بعد التحالف الذي عقده مع المسيحية جعلها الدين الرسمي لها أنها الذرع الواقى لها ضد كل الهرطقات والبدع التي يمكن أن تعرقل مسيرتها أو تعكر صفاءها.

1- بداية التزاوج بين الكنيسة والسلطة:

إن فكرة السلطة لم تجد مكانا لها في المسيحية، لأن هذه الأخيرة وفي قرونها الأولى ركزت اهتمامها على الجانب الروحي والديني وكان همّها الأول والأخير هو نشر المسيحية في كل أرجاء العالم والعمل بتعاليمها، عازفة عن شؤون الدنيا طارحة جانبا كل ما يتعلق بالحكم والسلطة¹، خاصة وان العلاقة بينهما في البداية اتسمت بالتنافر والرفض وهذا الرفض في حقيقة الأمر ترجم في الاضطهاد الذي يمكن ان نطلق عليه اضطهاد سياسي بالدرجة الأولى، كون ان الفكر السياسي الروماني رفض التخلي عن القاعدة الرئيسية التي تأله الإمبراطور وتعطيه طابع القدسية وهذا ما كان مرفوض تماما في الاعتقاد الكنسي كون حب الله وطاعته فوق كل اعتبار، ومن ثم حاولت الكنيسة ان تحافظ على المكاسب التي حققتها في مراحلها الاولى²؛ كما ان المفهوم الذي تداول فيما بعد والمتمثل في الفصل بين الدولة المسؤولة عادة على كل الامور الدنيوية (سياسيا، اقتصاديا، اجتماعيا) والكنيسة (الجانب الروحي) كان مرفوضا تماما، بل ولم يكن معقول في العالم القديم اين كانت الديانة والحياة السياسية والحياة الاجتماعية تتشابك تشابكا وثيقا، كون عدم الفصل بين هذه الأمور من شأنه الحفاظ على قدسية الإمبراطورية³.

¹ ابراهيم الدسوقي و عبد العزيز الغنام ، المرجع السابق ، ص 103-104 .

²

³ كلود لوبليه ، اهتداء قسطنطين ، المرجع السابق ، ص 153 .

تغيرت الأمور جذريا بعتلاء قسطنطين العرش وإعلانه عن مرسوم ميلانو في 313م ، الذي عزز الوجود المسيحي وجعله رسمي، بل جعل المسيحيين من أقلية تعيش تحت خوف واضطهاد إلى أغلبية تنعم بالحرية في ممارسة شعائرها الدينية وغدت الكنيسة من أقوى المؤسسات من حيث الأموال والعقارات وذلك بفضل جملة التدابير التي اتخذها قسطنطين اتجاه المسيحية واتباعها كجعله يوم الأحد يوم عطلة، وكذا إعفاء رجال الدين من الخدمات الإدارية وإعفاء مؤسسات الكنيسة من الضرائب، كما عمل على تشييد الكنائس .

ان مثل كل هذه التدابير التي أخذها قسطنطين تسير في فلك سياسة واضحة وهي إضفاء صفة الشرعية والرسمية على المؤسسة الكنسية وجعلها جنبا إلى جنب مع الدولة الأمر الذي يزيد من قوة الدولة¹ وأساس هذه القوة نابع من قوة رجال الدين وما يملكونه من تأثير على الجماعة المسيحية، ومن هنا أسس قسطنطين إلى تحالف بين السلطة الروحية والسلطة الزمنية .

يمكن هنا ان نستنتج ان الدافع الحقيقي وراء تبني قسطنطين للمسيحية كدين رسمي للإمبراطورية و هو خلق ركيزة جديدة تدعم الإمبراطورية و تحقق وحدتها و دليل ذلك هو :

أولا وضع قسطنطين نفوذه فوق الكنيسة و ليس تحتها فقد أعطى لنفسه حق عقد المجامع الكنسية وتدخل في حل الكثير من المشاكل الدينية، أولها مجمع آرل في سنة 314م للفصل في القضية الدوناتية ومجمع 325م لمعاجة القضية الأريوسية، كما كان يختار الأساقفة الذين يشتركون في المجمع، ويكون دائما أول مفتحي الجلسة، بل ويأمر الأساقفة بما يجب عمله وما يجب تركه، فقد اعتبر نفسه كبير الأساقفة² كما عمل قسطنطين على استغلال القوة العامة من اجل تحقيق وحدة الإيمان والنظام .

ثانيا طلب من رجال الدين ان يصدروا منشور يشجع الافراد على الدخول الى سلك الجيش والدفاع عن الامبراطورية بعد ان كان بالامس محضورا فقد تعالت اصوات الكثير من المسيحيين لرفضهم الانضمام الى الجيش والقتال باعتباره محرما في الدين المسيحي

¹ تشارلز وارث و جانين اوبواتيه ، ج 2 ، المرجع السابق ، ص 565.

² حسين المنصوري ، مجمع نيقية المجمع المسكوني الأول ، ط 1 ، اصدارات انصار الإمام المهدي ، 2011، دم ،

ثالثا هو محافظة قسطنطين على حمل اسم الحبر الاعظم والذي يعبر عن الوثنية ، هل كان هذا الاحتفاظ كوسيلة لمراقبة الوثنية عن كثب او امسك العصى من الوسط وهو الانتماء الى المسيحية وعدم التكر للوثنية بشكل كلى، اذا اول من تكرر واستغنى عن حمل الحبر الاعظم عند اعتلائه العرش هو ثيودوسوس¹ وعزز انتمائه للمسيحية بقرارات وقوانين تحرم الوثنية بشكل نهائي وكان اخرها واكثرها صرامة هو قانون سنة 392م و الذي فرض غرامات مالية على كل ممارسة تمت بصله الى الوثنية سواء في العلن او حتى على مستوى الاملاك الخاصة والمنازل وبهذا قضى على الوثنية التي مازلت سارية الى غاية القرن الخامس²

ان الازدهار الكبير الذي عرفته الكنيسة في ظل السلطة المسيحية جعل من الكنيسة تتوجس خيفة من سلطان الامبراطور وراحت تحاول منعه من الخروج الى السلطة الزمنية الى السلطة الروحية وعلى الاقل احدث نوع من التوازن بين السلطتين الامر الذي افرز تيارين: الأول يدعم السلطة ويقبل ان يتنازل عن جزء من حرية الكنيسة لصالحها، نظرا لما مرت به المسيحية من مشاكل واضطرابات فيما مضى .

اما التيار الثاني يرفض تدخل السلطة في شؤون الكنيسة واصرّ على الفصل بين السلطتين وان تكون الكنيسة مؤسسة داعمة للسلطة من اجل تحقيق اهدافها والمتمثلة في انشاء المدينة العالمية اي مدينة الله على الارض وعلى رأسها الكنيسة³

ان الكنيسة لا ترفض في مبدئها السلطة بل تقبل وجودها اذا ما احترمت حدود سلطتها اتجاه الكنيسة واذا ما كان الامبراطور يعمل في انسجام مع ارادة الله وهذا ما دعى به الرسول بولس الى اهل روما حيث دعاهم الى احترام السلطة السياسية بما جاء فيها اذ يقول:

"لتخضع كل نفس للسلطين الفائقة لانه ليس سلطان الا من الله....حتى ان من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله.¹

¹ تشارلز وارث و جانين اوبواتيه ، ج2 ، المرجع السابق ، ص 565 .

² المرجع نفسه ، ص 566 .

³ ابراهيم دسوقي و عبد العزيز غنام ، المرجع السابق ، ص 104،105 .

كذلك نجد اب الكنيسة الافريقية ترتيليانوس يقول في هذا الشأن: " نحن دوما للباطرة نشفع و من اجلهم نصلي ، سائلين الرب عمرا مديدا و حكما آمنا سديدا و عيشا هنيئا و جيشا قويا و مجلس سناتو مخلصا و شعبا وفيا و عالما مستقراو نحن حين نصلي من اجل يقاء الامبراطورية الرومانية نؤكد كذلك استمرار روماو انه ليحق لي القول ان القيصر لنا اكثر مما هو لكم اختير في مكانه بارادة الله ."²

من خلال هذا القول يتبين لنا ان المسيحية و اتباعها لا يرفضون الدولة و السلطة كطرف يقوم على سير و تنظيم المجتمع و ان الكنيسة مستعدة الى السير الى جانبها في هذا المسعى وفقا لما جاء امر به الله و المسيح .

ان سيطرة السلطة الزمنية على الروحية كان مرفوضا منذ البداية فهناك عدة صحاحات وجهت الى الاباطرة ترفض تدخلهم في شؤون الكنيسة او جعل نفسه في مرتبة اعلى منها ، و ذلك حال هوسبيوس * الذي كتب رسالة الى الامبراطور قسطنطينوس يقول فيها : " تذكر انك رجل فان ، خف يوم الدينونة لا تقحم نفسك في المسائل الكنسية ، لا تصدر اليانا اوامر هي من صميم شؤوننااله وضع في يدك هذه المملكة و اليانا سلم امور الكنيسة و كما ان الذي يسلبك هذه الامبراطورية يصنع الشر في عين الرب فلتخش انت ايضا التدخل في شؤون الكنيسة ."³

وفي القرن الرابع للميلاد كان لامبرواز اسقف ميلانو كلمة في هذا الشأن ترجمت في موقفه فالنتيان الثاني بقوله: " الجزية لقيصر، ذلك شئ لا ننكره يصر، هو الكنيسة لله، و من ثمة فلا خضع لقيصر الامبراطور داخل الكنيسة وليس فوقها "

¹ رأفت عبد الحميد ، بيزنطة بين الفكر و السياسة ، المرجع السابق ، ص 34 .

² نقلا عن رأفت عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص 34 .

* مستشار قسطنطين ثم ابنه من بعده قسطنطينوس و الذي كان رافضا سياسة هذا الاخير اتجاه المسيحية التي اتسمت بالتدخل في كل شؤونها و التي اختلفت عن سياسة سابقه التي كانت سياسة وسطية مما جعله يكتب اليه رسالة شديدة

اللهجة انظر عبد الحميد رأفت ، المرجع السابق ، ص 41 .

³ المرجع نفسه ، ص 41 .

كما كان لامبروازيوس موقفا صارما اتجاه ثيودوسوس بسبب مجزرة تسالونيكي في سنة 390م، و ذلك بعد ان قام عامة الشعب بقتل احد اهم ضباط الإمبراطور ثيودوسوس ، و بعد وصول الخبر الى مسامع الإمبراطور في ميلانو، اصدر امر ان يعاقب كافة شعب تسالونيكي، وتم هذا الإنتقام بطريقة شنيعة، اذ تم دعوة الشعب الى ملعب من اجل مشاهدة المباريات واذ بالمذبحة الكبيرة تبدأ لتقضي على آلاف المواطنين¹، وصل عددهم الى 7000 شخص².

كان موقف امبروازيوس من هذه الحادثة جد صارم اذ اعلن مقاطعته للقصر الإمبراطوري³ كما منع الامبراطور من حضور احتفال القديس* او حتى الدخول الى الكنيسة إن لم يعترف بخطئه علنا ، و ذلك عن طريق رسالة وجهها له⁴ (نص أ) ، و قد تردد الإمبراطورة طيلة ستة اشهر لكنه في الاخير اعترف بذنبه علنا⁵ ، و تم السماح له بحضور الاحتفال القديسي⁶ و كان الخطاب الذي وجهه له كمايلي : " ايها الامبراطور... عليك ان تصغي اليّ في قصرك طائعا ،حتى لا تسمع لقولي في الكنيسة كارها....لست الا بشرا عليك الضلالة فامحها فالخطيئة لاتمحوها الا الدموع و التوبة"⁷

ان ما تقدم من امثلة دليل على ان بعض رجالات الكنيسة ارادوا ان يضعوا حدا لتدخلات الاباطرة في الكنيسة ا وان يعبروا ان انتقاداتهم اتجاه بعض التصرفات ؛ غير

¹ القديس امبروسيوس ، الأسرار مع سيرة حياته ، تر: بيت التكريس لخدمة الكرازة ، ط2 ، مؤسسة القديس انطونيوس ، 1996 ، ص 49 .

² روبرت كيل تسلر ، الروح القدس في محكمة التاريخ (المجامع المسكونية الخمسة الاولى) تر: علاء ابو بكر ، ط2 ، مكتبة وهبة ، مصر ، 2006 ، ص 37 .

³ القديس امبروسيوس ، الأسرار ، المصدر السابق ، ص 49.

* القديس : و يطلق عليه ايضا العشاء الرباني و هو رمز للعشاء الاخير للمسيح مع تلاميذه حيث تقاسم معهم الخبز و النبيذ حيث يرمز الخمر او الى دم المسيح في حين يرمز الخبز إلى عظامه انظر : احمد شليبي ، مقارنة الأديان ، ط10 ، مكتبة النهضة المصرية ، 1998 ، مصر ، ص 103 و 174.

⁴ - Ambroise de Milan, Lettre LI à l'empereur Théodose, ch 10.14, Trad :Pierre de Labriolle, Paris, Bloud, 1908

⁵ اندريه ايمار و جانين ابوايه ، المرجع السابق ، ص 526 .

⁶ عبد الحميد رأفت ، المرجع السابق ، ص 42.

⁷ المرجع نفسه ، ص 43 .

العصور اللاحقة اثبتت تفوق السلطة على الكنيسة هذه الاخيرة التي اصبحت في كثير من الاحيان اداة للدولة تحقق بها مآربها السياسية (انظر الملحق رقم...)

2- اغسطين بين الكنيسة والسلطة :

عاش اغسطين في نهاية القرن 04م والقرن 05م وقد تميزت هذه المرحلة بكثرة الاضطرابات التي اندرت بالانتقال من عصر إلى آخر أما الأول فهو العصر القديم الذي ميزته الحضارة اليونانية و الرومانية ، أما العصر الثاني فتمثل في العصر الوسيط الذي تلخصت حضارته في الديانة المسيحية و في خضم هذه التغيرات كان اغسطين على ادراك تام لهذه التحولات السياسية التي توجب إعادة النظر ، اتجاه العديد من القضايا¹ لاسيما قضية العلاقة بين السلطة الروحية (الكنيسة) و السلطة الزمنية (السلطة) .

دافع اغسطينوس عن فكرة ان كل من السلطة و الكنيسة يمكن ان يستفيد من الخير الموجود في الطرف الآخر ، و أن الأمر الوحيد الذي لا يمكن ان تقبله الكنيسة من السلطة هو ديانتها القديمة ، و لم يتوقع ان يكون هناك صراع بين السلطة و الكنيسة ، بل على العكس من ذلك كان لابد من ان تعمل الكنيسة بجانبها الروحي جنباً الى جنب مع السلطة الزمنية بجانبها المادي ، فالسلطة لابد أن تستفيد من نور المسيحية باقتباس تعاليمها و العمل بما جاء في الكتاب المقدس ، كما أن الكنيسة وجب منها ان تستفيد من خيارات هذه الامبراطورية العظيمة التي عمّرت حوالي الف سنة فإن كان على الكنيسة ان تستفيد من اكتشافات العالم و البشر و نقصد هنا ما توصل اليه الإنسان في العلوم كالفلسفة ، الهندسة ، التاريخ و الفلك و أن تخضع الى أوامر الامبراطور الى اقصى الحدود و ذلك لضمان الانضباط و التنظيم بين الرعية ، فإنه بنفس الوقت وجب على السلطة و الامبراطور ان يستغل تعاليم المسيح و اسرار الكنيسة المقدسة و إحترام اخلاقياتها ، و بالتالي يجب ان يكون الامبراطور دائماً مسيحياً تقياً ، و وفقاً لهذا المنظور يكون الطرفان شريكان في نضال عالمي جديد .

¹ زينب الخضري ، المرجع السابق ، ص 43

يرى اغسطين ان دور الامبراطور خاصة و القائمين على تسيير شؤون الامبراطورية عامة لابد ان ينطلقوا في اداء مهامهم من حب الفضيلة كغاية في حد ذاتها ، و لا يجب ابدا ان تكون مقرونة باي اهداف دنيوية لأن هذا المجد الدنيوي مآله الزوال و الفناء¹ ، على عكس الفضيلة التي من اتبعها سيضمن السعادة في المدينتين الأرضية و الالهية ، و بذلك يكون على رجل الدولة الذي تم اختياره من اجل اقامة نظام حكم عادل مبني على الفضيلة ان يظهر نفسه و ان يتحلى بالايمان و الحب و التواضع ، فبهذه الفضائل فقط يمكن ان تتحقق العدالة الاجتماعية التي يسعى اليها .

اتخذ اغسطين المسيحية قاعدة مرجعية في حل قضايا عصره ، و فقد عمل بقول المسيح في قضية طاعة السلطة و عدم مقاومتها او تجاهلها فحجة اغسطين في الدعوة الى الاعتراف بالسلطة الزمنية بل وطاعتها فيما تدعو اليه ، هو موقف المسيح من بيلاط و امره لبطرس و سائر الحواريين بعدم مقاومة جنوده الذين جاءوا للقبض عليه ،من جهة اخرى فصل اغسطين في قضية الضرائب متخذاً من قول المسيح دليل "اعط لقيصر ما لقيصر و اعط لله ما لله"² و اصبح هذا القول مقنناً للعلاقة بين السلطة السياسية و المسيحية.

جاء رأي اغسطين حول العلاقة بين السلطتين الزمنية و الروحية واضحاً ، في كتابه مدينة الله ، الذي وضعه كرد على تراشق التهم بين الوثنيين و المسيحيين بسبب سقوط روما و ذلك بعد اجتياحها من طرف الارك في 410م ، حيث حذر المسيحيين و هاجم الوثنيين اين رمز للكنيسة بالمدينة الالهية و السلطة بالمدينة الأرضية³ و فرق بين التفكير المسيحي الذي يقوم على إقامة مدينة الله على الأرض و التي تسودها الأخلاق و القيم الحميدة فالفرد على مدينة الله يتميز بحب الله الذي يصل إلى احتقار الذات و بالتالي طرح الحياة الدنياوية جانبا لأنها حياة فانية زائلة أما مدينة الأرض التي تتميز بحب الذات إلى درجت احتقار الله و التي تظهر في حب السلطة و التملك و الطغيان و ظلم الفرد لأخيه .و بالتالي هذه العلاقة لها وجهان سلبي و آخر إيجابي فالجانب السلبي يظهر عندما

¹ روبرار دودارو ، اوغسطين الهيبوني ، بين المدينة الدنيوية ومدينة الله ، في أعمال الملتقى الدولي الفيلسوف الجزائري

القديس اغسطين ، تر : محمد هناد ، ج2 ، منشورات م.إ.أ ، الجزائر ، 2003 ، ص 89 .

² متى الاصحاح الثاني و العشرين الاية 21 نقلا عن زينب الخضري ص 182

³ ابراهيم الدسوقي و عبد العزيز غنام ، المرجع السابق ، ص 116 .

تغير فكر المسيحيين الأتقياء من الزهد و العمل من اجل خدمة الله و الكنيسة إلى التطلع إلى المال و الجاه و تقلد المناصب العليا في كنف السلطة التي أصبحت تدين بالمسيحية ، هذه الأخيرة التي أرهقت كاهل الأسقف التقي و الملتزم بجملة من المهام ، فالأسقف يدير أملاك الكنيسة ، يعظ ، يرشد ، يفصل في القضايا التي رفعت له ، الإجابة عن الأسئلة و الاستشارات ، مقابلة المستفسرين ، محاربة أهل البدع ، تفقد اليتامى و الفقراء¹ و هي مهام قام به اسقف هيبيون .

أما الجانب الإيجابي فيمكن ترجمته فيما يعرف بالعلاقة برغماتية اذ ان وجود السلطة امر ضروري للحفاظ على امن و استقرار المجتمعات فهي تنظم العلاقة بين الأفراد حتى لا تسوده الفوضى و طغيان الضعيف على القوي ؛ أما الكنيسة فهي مسؤولة عن الوعظ و الإرشاد و زرع الأخلاق الحميدة في المجتمع بمعنى ان تكون الأداة المساعدة في يد الدولة لإحلال الأمن و الاستقرار ، يجب على الطرفين السير على خطى تهدف إلى مساعدة الآخر في مهامه لا السيطرة عليه لتكون علاقة تكاملية .

يتميز اغسطين بين نوعين من الصلاح ، المطلق و النسبي ، اما الأول فيكون عن طريق الاتصال الدائم بالله و العمل بما امرنا به ، فهو الذي يحتوينا بنعمته و يجعلنا بمعزل عن الخطيئة و الفحشاء ، اما النوع الثاني من الصلاحى فهو صلاح ناقص ، يتكيف مع طبيعة البشر الميالة الى الشرّ عن طريق حب الذات و حب التملك و غيرها من السلوكات الأنانية ، و هذا الصلاح النسبي ينطبق على الدولة كمؤسسة سياسية و الحكومة كنظام اجتماعي و الملكية كنظام تقليدي آدمي وعلى الرق كنظام إقتصادي لا يمكن الاستغناء عنه و بذلك فالدولة تمثل سيطرة الحاكم على المحكوم و الملكية تمثل سيطرة الغني على الفقير و الرّق تمثل سيطرة السيد على العبيد ، و المبرر الوحيد للقبول مثل هذه الانظمة الناقصة هو النظام² ، اي انها تنظم المجتمع من حيث الوظائف و المهام مما يضمن استمرارية هذا المجتمع ؛ فالنظام حسب اغسطين وسط الفوضى امر جيد ، و يجب ان يمتدح ، لكن هذه

¹ علي زيغور ، المرجع السابق ، ص 112 .

² اسحاق عبيد ، المرجع السابق ، ص 147 .

النظم ان طبقت بسوء فستكون مدينة الأرض الظالمة ، و إن طبقت بعدل فستحقق المدينة الإلهية .

جعل اغسطين الدولة في مرتبة أعلى من المدينة الأرضية ، و جعلها مسؤولة عن احلال العدل و السلام في المجتمع و ذلك مكفول بطرق تطبيق القوانين و احترام طبقات المجتمع و ان تفاوتت في الغناء او في اداء الوظائف ، فالدولة ان تقف حسب اغسطين بين المدينتين الأرضية و الإلهية .¹

ان منظور اغسطين للعلاقة بين السلطتين الزمنية و الروحية لا يمكن ان يكون بمعزل احدهما عن الآخر ، و فاغسطين في بداية حياته اللاهوتية فضل الاعتزال و التأمل مع ثلة من أصدقائه في نواحي مسقط رأسه بتاغست ، من اجل التفرغ للعبادة و تفسير الكتاب المقدس ، لكن فور مزاولته للنشاط الكهنوتي بهيبون وجد نفسه مضطر للتعامل مع السلطة السياسية على جميع المستويات ، سعيا إلى تحسين الظروف العامة لرعيته ، نظرا لما كانت تمر به الإمبراطورية من فترات صعبة انعكست سلبا على الأفراد لاسيما في ائقال كاهلهم بالضرائب² .

ان تدخلات القديس اغسطين اللامحدودة لدى المسؤولين الرومانيين على المستوى المحلي او المقاطعة او الإمبراطورية ، إنما يدل على مدى اطلاع اغسطين على قوانين عصره ، الموسوم بالبراعة في التفاوض من اجل الفصل في اكثر الأمور تعقيدا في مجالات مختلفة سياسية ، قانونية و إدارية³

3- الثورة ضد السلطة في نظر اغسطين:

ان الكنيسة في خدمة السلطة و تكون عكس ذلك إلا اذ طلب حكامها ما يخالف تعاليم و مبادئ المسيحية على ان العصيان في نظر اغسطين لا يصل إلى حدّ العنف و الثورة ضد السلطة الذي من شأنه يعيق استقرار المجتمع و سلامته بل يبقى عصيان سلبي و يتلخص في عدم مجارة السلطة فيما دعت اليه .

¹ المرجع نفسه ، ص 147 .

² روبرار دودارو ، المرجع السابق ، ص 86 .

³ المرجع نفسه ، ج2 ، ص 87 .

يستشهد اغسطين في هذا الموضوع بالإمبراطور جوليان المرتد الذي تميز بوثنيته لكن رغم ذلك حظى بطاعة جنوده له في كل الأمور الا اذا تعلق الأمر بما يتعارض مع تعاليم المسيحية فانهم يفضلون الله على طاعته¹

إن الحماسة التي حملها اغسطينوس اتجاه التحالف بين السلطة الزمنية و السلطة الروحية ما لبثت أن عرفت تراجع في آخر أيام حياته ، و يبدو أن الإمبراطورية الرومانية قد خيبت آماله ، فالمؤسسة العالمية العظيمة لم تعد في المستوى الذي يجب ان تكون عليه ، فقد باتت تسيّر من طرف الأباطرة ضعفاء تميزوا بالفاحشة و الرذيلة ، فالسلطة و على رأسها الإمبراطور الذي لم يكن بوسعهما اصدرا مجموعة من القوانين المسيحية ، لكنها لم تستطع ان تساهم في صنع أفراد مسيحيين لأنها لم تكن تتحلى بالإيمان و الأخلاق الفاضلة التي تجعلها قدوة للرعية .

فالإمبراطور حسب اغسطينوس يجب ان يكون داخل الكنيسة قالبا و روحا فقد أراد اغسطينوس ان تكون السلطة هي خير مثال يقتدى به في تجسيد تعاليم المسيحية لأن الامم ، تعيش على خطى ولاّتها؛ أراد اغسطينوس أن يطبق الأباطرة ما جاء في الكتاب المقدس : " لا تحبوا العالم و الأشياء التي في العالم لأن كل ما في العالم شهوة الجسد و هوة العيون ، و تعظيم المعيشة ليس من الرب بل من العالم ، و العالم يمضي و شهوته أما الذي يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد."

إن الإمبراطورية الرومانية - حسب اغسطينوس - رغم ذبول العبادة الوثنية بأرجائها ، إلا أن البقايا الفاسدة من تعاليمها و أخلاقها بقيت عالقة في أذهان المجتمع و أبت أن تتلاشى ، و هذا ما رفضه اغسطينوس ، فالإمبراطورية الرومانية لا يمكن أن تعتبر الكنيسة كيسا من الدقيق تأخذ منه ما هو جيد و يتلاءم مع مصالحها ، و تترك ما هو رديئا يتنافى مع مصالحها ؛ فالجنود حسب اغسطين كانوا يفرقون بين سيدهم الزماني و سيدهم الأبدي .

إذن القديس اغسطينوس كان كما في كلّ المواقف ناقدا للسلطة ، و إن دعمها و كان إلى جانبها كسند روحي و جب أن يكون لإحلال الانضباط و النظام بين الرعية لكنه

¹ زينب الخضري ، المرجع السابق ، ص 190 .

لم يقبل كل تصرفاتها التي تتنافى مع الكنيسة و مع تعاليم المسيح ، فالسلطة و الكنيسة على حدّ السواء عبارة عن مؤسسة وضعتها الله على الأرض كي تقوم الاعوجاج و تصلح أحوال الناس ، لا أن تظلمهم و تحاسبهم لأن الله وحده الذي يحاسبنا يوم الفصل .

فهل على الكنيسة أن تعلم كل من يسندها محاولة بذلك ان تظلمهم تدريجيا عن ارتكاب الأخطاء و الزلات ؟ او هل يجب اعتبار الكنيسة أخوية جامعة من المؤمنين الصادقين الذين دعوا أو انعزلوا عن العالم كي يعيشوا كعبيد أمناء لله ، رافضين ان يهادنوا الفجار ؟

هذه المسألة اذن قديمة ، و لكن الدرجة العالية من الزخم التي رافقت عملية معالجتها ، بالإضافة الى قوى التفسخ و الانحلال التي كانت قد تمكنت من الإمبراطورية في هذه المرحلة بالذات ، و هذا يعني أن المسألة ستنتهي بمأساة

على الرغم من الاختلاف الموجود بين المدينين فلا بد ان يكون هناك تعايش بينهما في انتظار يوم الدينونة يوم يحاسب الله كل فرد على أفعاله ،

وحتى بعد دخول روما في المسيحية فان اوغسطين كان يتبع أمبرواز في الفصل بين الدولة والكنيسة (للدولة المصالح المادية ، والحياة الخارجية ، والجزاء الجسدية (السيف) . وللكنيسة المصالح الروحية.والحياة الداخلية ، والجزاء الروحية البحتة "والكل يترافق ، دائما ، بالمحبة". الا أن هذا لا يمنع من أن الكنيسة تضع نفسها في مستوى أعلى . فقضاؤها يمتد على الكون بدل أن يكون محدودا بشعب معين في حين أن الدولة ليست الا حقيقة متغيرة ومؤقتة ، ومهيأة للاختفاء عندما ستأتي مملكة الله ، فان الكنيسة تجد الأبدية أمامها ، وذلك بمقدار ما تجسد مقدما المدينة السماوية دون أن تندمج فيها¹

4- مصدر السلطة السياسية عند اغسطين:

انطلق اغسطين في تفكيره السياسي من منظور ديني، فقد جعل من تعاليم المسيح قاعدة في تنظيم شؤون الحياة الاجتماعية والسياسية، واذا اردنا ان نكشف أسرار فكره

¹عمر عبد زيد ،التأويل اللاهوتي لتاريخ عند اغسطين، مقتبس من الموقع الالكتروني الحوار المتمدن على الرابط <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=295007>

السياسي فإننا نجد انفسنا لا محالة أمام كتابه الضخم مدينة الله ، هذا المؤلف الذي عكس فكر اغسطين الذي ألف بين حضارة العصر القديم والحضارة المسيحية كأها جسر بين حضارتين ومن خلال هذا الكتاب عالج عدّة قضايا وأطروحات ومفاهيم قانونية واجتماعية مثل القانون الطبيعي وشرعية السلطة والحرية الطبيعية للإنسان ومصدر السلطة.¹

وبالحديث عن مصدر السلطة السياسية يرى اغسطين أن تنظيم واستقرار الإمبراطورية مقرون بالله وما مدى تطبيق تعاليمه المسيحية التي تكون مصدر القوانين التي من شأنها أن تحقق العدالة، وعلى هذا الأساس فإن الإمبراطور خاصة وكل الموظفين والمسؤولين عامة يجب أن يعتبروا انفسهم مفوضي الله على الأرض وأن الله اختارهم ليطبّقوا مشيئته، ومن ثمة وجب عليهم التحلّي بالخصال الحميدة كالعدالة وعدم التكبر والتواضع وحسن استغلال مناصبهم بالابتعاد عن الظلم فالمرشح من واجبه سن القوانين العادلة التي تضمن حقوق كل فرد وغير ذلك يعتبر تحدياً لعدالة الله ومشيئته.²

إن شكل الدولة لدى أغسطين ليس تفاضلي، فلا يهتم أن تكون الدولة ملكية أو أرسنقراطية أو جمهورية، لكن المهم طبيعة القوانين المطبقة فيها³ والتي قسمها إلى نوعين:

القانون الطبيعي الذي يكون أساسه يستند إلى أخلاق الفرد، وما يتحلّى به من فضائل على أن القاعدة الأساسية هو معاملة الفرد بما يجب أن يعامله به غيره، والعكس كذلك؛ بالتالي تنظيم الدولة يبدأ من الفرد نفسه لينتهي في آخر المطاف بمجتمع متكامل ومتماسك لا ظلم فيه تسوده العدالة والمحبة، غير أن الواقع الإنساني يفرض عكس ذلك فالعالم مليء بأفراد أشرار يتميزون بحب الذات وحب التملك والطغيان وبالتالي ظلم الفرد لأخيه أين تسود فكرة غلبة القوي على الضعيف، ومن هنا وجب وضع نوع ثاني من القوانين وهو القانون الزمني الذي وضع من اجل حماية العالم من الفاسدين والأشرار الذين يزرعون الفوضى بعدم انتظامهم .

¹ - علي زيعور، المرجع السابق، ص 224.

² - المرجع نفسه، ص 242.

³ -- المرجع نفسه، ص 242.

من هذا المنطلق يستلزم هذا النوع من القوانين وجود السلاح والجندي والسيدّ... الخ لاستتباب الأمن والاستقرار في أرجاء الإمبراطورية وهذا ما يفسر موقف أغسطين من الدواوين حيث اعتبر أعمالهم التمردية خطرا على النظام العام للإمبراطورية وتهديدا لها فكان داعما للإجراءات القمعية الردعية التي كانت تتخذ ضدهم، مثلما حدث في عهد هنوريوس عند إصداره قوانين سنة 405 و406م والتي جعلت اغسطين يقول: "...إن هذه العقوبات خفيفة جدا بل تكاد لا تعتبر اذا ما قابلناها بأعمال ذويكم الجنونية، إنكم تحملوننا حتى مسؤولية الإجراءات التي تتخذها السلطة الزمنية تحت الاضطراب ورغمما عنها لكي تقي نفسها من اعتداءات ذويكم".¹

نستنتج مما سبق ان اغسطين أباح استخدام العنف والسلطة القانونية الردعية ضد المتمردين أو ضد كل ما يهدد أمن واستقرار الإمبراطورية، فمثل هذه الإجراءات تجعل الإمبراطور ومساعديه يتحكمون في زمام الأمور، ومن ثمة يقضون على الفوضى التي تحقق الاستقرار والأمن.²

رابعا: دور القديس اغسطين الديني

بعد ان تخطت المسيحية صراعاتها مع الوثنية ثم السلطة الرومانية لم تتعم بالسلام الدائم ، فقد تحول الصراع من صراع خارجي الى صراع داخلي بين جدران الكنيسة حول مسائل عقائدية لاهوتية ، و يعتبر اغسطين من اهم اباء الكنيسة بل صنف من اهم علماء اللاهوت و اعظمهم ، فقد استطاع التصدي إلى ثلاث اخطر بدع أرهقت و زعزعت استقرار الكنسي في القرن الرابع وأن يدافع عن نقاوة العقيدة المسيحية القويمة³ نقصد هنا كل من البدعة المانوية والبيلاجية وكذا الاربوسية.

1- كتاباته ضد الهرطقات

تميزت شخصية أغسطين بالحماس الجامع في الدفاع عن كل ما يمكنه أن يمسّ أو يعكر صفاء ونقاء الديانة المسيحية، وذلك عن طريق المجادلات الكلامية والمناظرات العلنية

¹ محمد المبكر ، المرجع السابق ، ص 243 .

² ص 232 .

³ جاريث ب. ماثيور ، المرجع السابق ، ص 20 .

ضد دعاة الانشقاق واتباع البدع والهطقات كالمناويين والاريوسيين وكذا البيلاجيين لكن السؤال الذي يمكن أن يُطرح، إلى أي مدى نجح أغسطين في الحدّ أو القضاء على البدع والهطقات التي عرفت في عصره؟

أ-المانوية:

قوبلت الديانة المانوية بالرفض الشديد من طرف السلطة الرومانية ، واعتبرتها مصدر ازعاج لها و فوضى و ذلك لما كانت تحمله من تعاليم صارمة يمكن ان تؤدي بالمواطن الروماني للاعتزال الكلّي عن الحياة الاجتماعية ، فصدر ديقليديانوس سنة 298م مرسوم وجهه الى نائب القنصل الإفريقي و مما جاء فيه مايلي :

"ان الإمبراطور اصبح مدركا ان المانويين قد اقتحموا في الآونة الأخيرة الأراضي الرومانية كاوباء الشديد المفاجئ.....مما استدعى الى اتخاذ اجراءات من اشد الأنواع صارمة :وجوب احراق الرسائل مع مؤلفيها و زعماء الفتنة ."¹

لتخذت الكنيسة المسيحية نفس الموقف من المانوية حيث كانت تمثل المنافس لها واعتبرتها اعادة لأمجاد الغنوصية ² .

مثل اغسطين التيار المسيحي في جداله ضد المانوية حيث كان عنيف في توجيه الإنتقادات لمعاصريه من اتباع المانوية امثال فيليكس و فورتوس ³ ؛ فاغسطين بعد ان كان بالأمس من معتقي المانوية أصبح اليوم من أشد أعدائها ، بعد اكتشافه زيف ادعاءاتهم حول تفسير الكون بكامله و كشف الغموض عن مايكتنفه من اسرار ، فقد بدت هذه العقيدة لاغسطين انها تجمع بين الدين و العلم و هذا كان كافي لشدّ انتباهه و جره الى الإيمان بتعاليمها ⁴

¹ -بقية المرسوم انظر :جيو وايد نغرين ، ماني و المانوية دراسة لديانة الزندقة و مؤسسها ، تر: سهيل دكار ، ط1 ، دار حسان ، دم ، 1975 ، ص 152 .

² -شارل جنبير ، المسيحية نشأتها و تطورها ، تر: عبد الحليم محمود ، د.ط،المكتبة العصرية ،لبنان ، د.ت ، ص 201 .

³ -جيو وايد نغرين ، المرجع السابق ، ص 158 .

⁴ -المرجع نفسه ، ص

أصيب الحماس الكبير الذي كان يحمله اغسطين اتجاه المانوية بالشلل وذلك بعد التقائه بأشهر لتباعها في قرطاج ، وهو فوستوس، الذي تميز بفصاحة منقطعة النظير غير ان اطلاع اغسطين على العدد الكبير من الكتب الفلسفية وحفظه لمبادئها مكّنه بالتميز بين افكار المانوية وما كانت تقدمه من خرافات ، كما اتضح له ان ما كان يتمتع به المانويين هو القدرة على التنبأ بالأشياء، الذي ما كان سوى نعمة من نعم الله التي امنى بها على عباده ، وجعلهم يكتشفون أسرار العالم عن طريق العلم كالنتبأ بالكسوف والخسوف ، ومثل هذه الأكتشافات العلمية كانت من دعائم المانوية لجعل الناس في حيرة واستغراب خاصة بعد تحقق تنبائتهم التي كانوا يعتبرونها من ضروب المعجزات يكسبون ثقة الناس ، ويجعلونهم يعتقون عقيدتهم¹.

بعد اعتناق اغسطين للمسيحية ودرج على التعمق في فهم تعاليمها، اصبح من اليسير عليه الدفاع عنها امام المانوية او هرطقات اخرى ، لأنه استطاع ان يثبت مصدرها الإلهي و ذلك عن طريق المعجزات و التنبؤات وهي الأمور التي كانت المانوية تفتقدها بل لا تعيرها أهمية ، اذ ركزوا إلا على الجانب التفسيري² لظواهر العالم الطبيعية او في ما يخص الجانب النفسي للانسان .

فاغسطين كان دائم التساؤل عن الأدلة التي كان يمكن لماني ان يقدمها كدليل على صحة عقيدته³ وقد وضع اغسطين ثلاثة وثلاثين كتابا كرد على الكتاب الذي ألفه فوستوس ضد الإيمان المسيحي.

ان نجاح اغسطين في توجيه انتقادات لاذعة و عنيفة الى المانويين لا يرجع فقط لكونه كان من اتباع هذه العقيدة الامر الذي سهل عليه كشف اصرارها و ضرب نقاط ضعفها، بل يعود كذلك الى الفترة التي هاجم فيها اغسطين المانوية كانت المسيحية تعيش ازهى عصورها بفضل الرعاية التي حضيت بها من طرف السلطة الرومانية ، اذ وصلت العلاقة بينهما إلى درجة التحالف ، واصبحت تدافع كل منهما على الأخرى ويرى الطرفان أن

¹ اغسطين ، اعترافات ، ص 79-82 .

² جيو وايد نغرين ، المرجع السابق ، ص 159 .

³ المرجع نفسه ، ص 161 .

استمراره مقرونة ببقاء الطرف الآخر؛ و لما كانت المانوية العدو المشترك بينهما كان لازما استئصالها والتخلص منها، وقد ارتكز أغسطين في هجومه ضد المانوية على القوانين التي صدرت ضدها فقد هاجم فيلكس الذي تحدى شرعية مصادرة المسؤولين في هيبون لخمسة مخطوطات مانوية، وذلك عن طريق مناظرة علنية أوضح فيها أن فيلكس يعارض المراسيم والقوانين الامبراطورية بانتمائه لنحلة خارجة عن القانون، و النصوص الرسمية تبين استخدام أغسطين للتقنيات المستمدة من القوانين الإجرائية الرومانية لمحاولة تعزيز الدستور الإمبراطوري و التي تهدف إلى معاقبة أعضاء الطوائف الهرطقية.¹

دون ان ننسى الدور الفعال الذي لعبته الثقافة العالية والاطلاع الواسع لاغسطين على علوم عصره الشئ الذي مكنه من التفوق على المانوية ، و نجاحه في كشف عجزها امام حل الكثير من القضايا² .

ب - البلاجية:

تنسب البلاجية الى بيلاج، أو و هو راهب انجليزي ولد حوالي 370م ، اشتهر بالزهد و التقشف³ استقر بروما اين اعلن تعاليمه⁴ في بداية القرن الخامس للميلاد و ذلك بعد تأثره بالتفسخ و الانحلال الذي اصاب المجتمع الروماني⁵ ، جذبت محاضرات بيلاج مستمعيه حول دور الإرادة في خلاص الإنسان⁶ جازما بعدم وجود عوائق تتدخل في حرية الاختيار لدى الانسان و بالتالي اي فرد يملك ارادة قوية يمكن ان يصل الى درجة الكمال الاخلاقي ، مؤكدا ان هذه الإرادة لها القدرة على بلوغ الفضيلة و العفة المثالية ، ارتبط اسم بيلاج باسمان هما : سستيلون البريطاني-نسبت كذلك البلاجية لسستيلون وأطلق على اتباعه السستيليون⁷ - و جوليان من اكلانوم¹ و قد جاب بيلاج في حوالي سنة 400م

¹ -Augustin(ST), Oeuv. C. St Augu, Conférences Entre st Augu et le manichéen Félix , trad: M. Raulx, Bar-Le-Duc, L. Guérin & Cie, éditeurs, 1869.

² - جيو وايد نغرين ، المرجع السابق ، ص 162 .

³ -اسحاق عبيد ، المرجع السابق ، ص 101 .

⁴ -صلاح قنصوة ، المرجع السابق ، ص 164 .

⁵ -روبين دانيال ، المرجع السابق ، ص 316 .

⁶ -رأفت عبد الحميد ، بيزنطة بين الفكر و السياية و الكنيسة ، المرجع السابق ، ص 69 .

⁷ - Augustin(st), Oeuv.C.StAugu.: Des Hérésies, LXXXVIII, op cit.

مع تلميذه سيلستيون افرىيا الشماليّة ، ربما رغبة في مقابلة اغسطين الذي لم يتمكن من مقابلته و استطاع كسب العديد من الأنصار ، محاولا مع اتباعه إحلال المثالية في المجتمع ، فقد كان هدفهم بلوغ الكمال الأخلاقي و هو ما قاد الكثيرين إلى حياة الرهبنة²

اهتمّ بيلاج بطبيعة الانسان و الله على حدّ السواء ، اذ لم يقبل الا ان يظهر الله في صورة العادل³، اذ يقول جوليان ديكلان : " إذ كان الأشخاص قد ولدوا من الله، فلا يمكن أن يولدوا بالخطيئة.....وإذا كان الله عادل لا يمكنه أن يدين الأطفال بأخطاء آبائهم..... إذا كانت الطبيعة البشرية قادرة على تحقيق العدالة الكاملة، فإنها لا يمكن أن تجلب معها الرذائل الطبيعيّة"⁴

أن هذا القول يبين أن بيلاج وأتباعه رفضوا أن يخلق الله العادل أشخاص ساقطين، خطّائين بالفطرة ، أيّ أنّه وارثوا للخطيئة الأصليّة*، وبالتالي لا يولد الإنسان شريرا مستحقاً للإدانة بل يولد برئ شبيه بطبيعة آدم النقية وقت الخلق أي قبل الخطيئة وبالتالي الإنسان لم يرث عن آدم وزر الإثم الأول ، فالإنسان حرّ⁵ ولا يحتاج إلّا للتشجيع و ذلك بقدرته الفطرية على فعل الخير⁶.

رفض بيلاج فكرة توارث الخطيئة الأصليّة في ذرية آدم ، و خطيئته لم تؤثر إلّا فيه شخصيا و ان الأثر الوحيد الذي خلفه في ذريته كونه صار مثلا سيئا أمامهم و بالتالي عارض بيلاج الفكر الكاثوليكي القائل بأن الخطيئة الأولى قد سقطت و توارثت على بني البشر.

¹ -اسحاق عبيد، المرجع السابق ، ص 101 .

² - روبين دانيال، المرجع السابق ،ص 317

³ - المرجع نفسه، ص 3017 .

⁴ - Augustin(st), **Oeuv.C.ST Augu : Contre Julien Défenseur du Pélagianisme**, livre deuxiém, , trad: M. Raulx, Bar-Le-Duc, L. Guérin & Cie, éditeurs, 1869.

الخطيئة الأصليّة والأزليّة : و هي نظرية مفادها ان الإنسان منذ ولادته ابن الشيطان و ان كل انسان شرير و فاسد بطبعه كما ترفض هذه النظرية تعاليم التعميد و الإقرار بالذنب التي توجب الغفران و القول ان الكنيسة فقط التي تعطي

*المباركة .انظر : روبرت كيلر تسلر ، المرجع السابق ، ص 23.24 .

⁵ - اسحاق عبيد ، المرجع السابق ، ص 101 .

⁶ - روبرت كلير تسلر ، المرجع السابق ، ص 316 .

لم يتفق بيلاج وأغسطين حول فكرة ان الاطفال يولدون و قد ورثوا الخطيئة الأصلية وأن خلاصهم مقرون بالتعميد ، فقد اعتبر اغسطين الاطفال يولدون أنقياء تماما من أي خطيئة ولا يوجد فيهم ما هم مذنب ولا يحتاجون لولادة ثانية وانمار يتم تعميدهم لقبولهم في مملكة السماء والوصول بهم من حالة جيدة إلى حالة احسن منها¹.

فالطفل غير المعمد يمضي الى الجحيم² والمعمودية تبطل خطيئة آدم ، و لكن لا تقضي عليها تماما بل تبقي على نشاطها وهو ما يفسر بقاء الشهوة التي هي اساس الأذية في الإنسان ، فامعمودية تبطل و تغفر الذنوب لا اكثر اما الخلاص الكامل والحقيقي للإنسان يكون نابع من نفسه واساسه تغيير اخلاق الفرد ، و رغم ذلك يرى ان الأطفال حتى و ان كانوا لا يفهمون معنى الحق والإيمان المسيحي الا ان معمديتهم واجبة³ في حين يرى بيلاج ان ليس هناك مبرر للتعميد و ان طقوسه الإ طقوس ظاهرية لا تمس في الأصل روح الإنسان و لا تؤثر عليها و يمكن الإستغناء عنها تماما لأ نفس الانسان من صنع الله الخير ، و تفاوت الارادة عند الأفراد هي التي تجعل من الفرد خير او شرير⁴.

من هذا المنطلق راي بيلاج ان الانسان يمكن ان يعيش عن طريق ارادته حياة العفة و الفضيلة⁵ فهو المسؤول الوحيد عن افعاله اذ كانت خيرة او شريرة باعتبار امتلاكه قدرة التحكم فيها و هو لا يحتاج الى وساطة الكنيسة و الاكليروس و لا النعمة الالهية، وأن وجدت هذه النعمة فهي خارج ارادة الانسان و عديمة التأثير عليه و بالتالي الله لا يقرر مصير كل انسان و انما الله فقط يعلم المستقبل ، و بهذا عارض تفسير اغسطين للشرّ و انكر بوجود خطيئة اصلية و اعتبر الأفكاره مانوية⁶

¹- Augustin(st), Oev.C.st: Des Hérésies, LXXXVIII, op cit.

² رويين دانيال ، المرجع السابق ، ص 312

متى المسكين ، المعمودية الاصول الأولى للمسيحية ، ط2 ، دار دار الكتب المصرية ، 2001 ، مصر ، ص 184.185.186³ .

⁴- اسحاق عبيد، المرجع السابق، ص 101 .

⁵- ويلتج، المرجع السابق، ص 99. 101 .

⁶ إيتين هنري جلسون، المرجع السابق، ص 158 .

بات مشكل الحرّية وعلاقتها بالنعمة من ابرز نقاط الصراع الاغسطيني البيلاجي ، اذ اعتبر اغسطين افكار بيلاج التي تخير الانسان بين قبول مشيئة الله او رفضها هرطقة خطيرة ، لأن سيادة الله مطلقة و امر بديهي¹. مستندا في ذلك لقول يوحنا: " لا أحد يستطيع أن يأتي لي ما لم يعطه له أبي"² وفي قول آخر: " لا يمكنك أن تفعل أي شيء من دون لي"³

فالنعمه حسب أغسطين تعطى دون سبب لا لمن يستحقها بفضائله وخصاله الحميدة بل يهبها الله لمن يشاء⁴ ؛ فالنعمة بذلك لا تقف امام الحرّية بل الإنسان حرّ في اختياراته اذ يمكن للانسان ما ان تتاح له النعمة لكن يرفضها و بالتالي يمكن ان يختار الشرّ بدلا من الخير بارادته⁵

بيدوا ان اغسطين في تفسيره للنعمة و علاقتها بالحرّية انطلق من تجربته الشخصية ، فاغسطين شخص وقع في الخطيئة و عاش حياة العبث و اللهو و رغم ذلك اتاحت له فرصة النعمة من عند الله التي سمحت له في الأخير من الاهتداء إلى المسيحية .

شملت مجادلات اغسطين لبيلاج رفضه فكرة الكمال و المثالية ، و رأى انها سراب لا يمكن للانسان ان يبلغه لأن طبعه ساقط و خاطئ و متمرد و ان خطيئة آدم هي اساس تغير العلاقة بين الله و الانسان⁶

وصل بيلاج و رفيقه ستيلوس الى افريقيا سنو 410م فرارا من هجمان ألارك على روما ، قصد سيلستيون كنيسة قرطاج طمعا في ان تتم سيامته كقس لكن اسقفها قابله بالرفض بل و اتهمه بالهرطقة و اصدر ضده قرار حرمان ، فاتجه سليستيون الى افيسوس و نجح في

¹ ص 317 .

² – **Jean, VI, 66** d'après Augustin, o.c.st.: Des Hérésies, LXXXVIII , op cit.

³ –Ibid.

⁴ كتاب اغسطينوس ، ص 204 .

⁵

⁶ ريبين دانيال ، المرجع السابق ، ص 317

الحصول على منصب كنسي بها في حين اتجه بيلاج الى ارشليم اين تصدى لم القديس
جبروم¹

استطاع اغسطين التصدي لبيلاج و كانت مجادلته ضده من اكثر المجادلات التي اعطت نتيجة ، و لتعذر سفر اغسطين الى القدس ارسل تلميذه اوروزيوس الى القدس من اجل حضور مجمع دحض آراء بيلاج الذي عقد سنة 410 برئاسة اسقف القدس يوحنا (388-416م) ، حيث احاط اوروزيوس المجتمعين بالاجراءات التي اتخذت في حق كايستوس تلميذ بيلاج في قرطاجة ، كما تلى عليهم رسالة استاذ اغسطين في الرد على دور الارادة الانسانية و علاقتها بالحرية كسبيل للخلاص كما يراه بيلاج² .

لم يخلص مجمع القدس بحكم نهائي على بيلاج وذلك بسبب اختلاف اللغة اذ كان الاسقف يوحنا يتكلم اللغة اليونانية في حين بيلاج اللغة اللاتينية ، فتم الاتفاق على ان الفصل في قضية بيلاج يكون من طرف اساقفة الكنيسة اللاتينية³ .

في صيف سنة 416م هب كل من اغسطين و و اوريليو الى العمل من اجل انهاء هذه القضية ، فعقدوا مجمعين في كل من قرطاج و ميلاف ، أين قدم اغسطين توقيع تسعة وخمسين أسقف موجهة إلى البابا انوسنت من أجل التدخل لانهاء قضية بيلاج⁴ وقد انتهى كلا المجمعين الى اصدار الحرم ضد بيلاج و اتباعه واعتبرا ملعونين لأنهما انكرا نعمة الله⁵ الله⁵ .

كان اغسطين على ادراك تام ان القرارات الإفريقية لن تكن كافية حتى تعمم في الجهة الشرقية من الإمبراطورية ، لذا وجب البحث عن سند قوي يدعم هذه القرارات ، و لم يكن هناك افضل من كنيسة روما⁶ ، لأمر الذي دفع اغسطين في سنة 416م بارسال رسالة مطولة الى البابا انوسنت الأول يشرح فيها بشكل وافي و مفصل طبيعة الفكر

¹ اسحاق عبيد ، المرجع السابق ، ص 102 .

² رأفت عبد الحميد ، بيزنطة بين الفكر و السياسة و الكنيسة ، المرجع السابق ، ص 70 .

³ المرجع نفسه ، ص 71 .

⁴ - Alland Fitzgerald, op cit p 305.

⁵ آلان فيتزجيرالد ، المرجع السابق ، ص 133 .

⁶ المرجع نفسه، ص 133 .

البيلاجي مبينا اهمية رايهم في القضية معتبرا ان كنيسة افريقيا ما هي إلا جدولا ينبع من نهر روما الغزير ، و أملا في تأكيد اسقفا قراراتهم ¹.

جاء رد الباب انوسنت في سنة 417م حيث اكد قرارات الحرمان ضد بيلاج واتباعه²، من خلال المجمع المنعقد في 417م³ وفي نفس سنة 417م من شهر سبتمبر ارسل خلف انوسنت البابا **زوزيموس** قراره المعروف بـ **"تراكتوريا"** الى شمال افريقيا يدين فيها بيلاج واتباعه واعتبرهم هراطقة⁴ ، الأمر الذي شجع أغسطين في المضي قدما في شأن هذا هذا الموضوع ومحاولة الحصول على ادانة من طرف الامبراطور نفسه وقد تمكن من ذلك إذ أصدر الامبراطور الحرم ضد بيلاج واتباعه واعتبرهم هراطقة في سنة 418م.⁵

في سنة 418م تم عقد المجمع السادس عشر لقرطاج⁶ و الذي أكد ادانة الافكار البيلاجية و اعتبرها بدعة و هرطقة⁷ ، لكن بعد وفان انوسنت خلفه الاسقف زوسيموس ، و هو قس يوناني الأصل ، تميز بعدم اضطلاعه في الأمور اللاهوتية و كذا ضعفه في العلاقات الدبلوماسية مع مختلف الكنائس ؛ وبعده انخداع هذا الأسقف بتملق بيلاج و اتباعه استطاعوا ان يحصلوا على موافقته في الرجوع الى كنف الشراكة المقدسة وكذا المراسيم الإمبراطورية ، بل فقد طال كنيسة افريقيا التوبيخ و العتاب بسبب معاملتهم اتجاه البيلاجية و اتباعها .

كان ردّ اغسطين عنيفا ، اذ تجاهل هذه المرة كنيسة روما ، ولتجأ مباشرة بالإمبراطور هونوريوس ، و نظرا للإشفاق الكنسي الذي تعاني منه إفريقيا ، و ما تسبب من اضطرابات و عدم استقرار لم يكن بوسعه فتح جبهة اخرى من الخلاف و النزاع فاصدر في 30 افريل 417م مرسوما يقضي بنفي بيلاج و اتباعه ، و في 01 ماي من نفس السنة عقد اوريليوس

¹ المرجع نفسه ، ص 133 .

² اسحاق عبيد ، المرجع السابق ، ص 102 .

³ ويلتج ، المرجع السابق ، ص 99 .

⁴ اسحاق عبيد ، المرجع السابق ، ص 102 .

⁵ - Alland Fitzgerald, op cit, p 305.

⁶ المرجع نفسه ، ص 102 .

⁷ صلاح قنصوة ، المرجع السابق ، ص 164 .

و اغسطين مجمعا جديدا يؤكد حرمان بيلاج و اتباعه¹ و كذا اقضاء الكثير من النظار من كنائسهم بسبب تأييدها لافكار بيلاج² و كان القرار موقعا من طرف اكثر 200 اسقف ، و اكد المجمع في نهاية قراره لزوسيموس انهم يتمسكون في هذه القضية بقرارات سلفه و ليس بقراراته³ ؛ و بهذا كان الفضل الأول و الأخير لاغسطين في القضاء على البيلاجية و اتباعها رسميا .

ج- الآريوسية:

تنسب الآريوسية لآريوس و هو قس عاش في الاسكندرية⁴ ، حيث بدأ هذا الأخير الأخير بمعارضة عظات الكسندروس⁵ اسقف الإسكندرية فيما بين 315-318م التي كانت تعتبر ان الابن (المسيح) غير مولود في و ازلي⁶ حين كانت افكار آريوس تقوم على النقيض من ذلك ، و اعتبرت الأب متفرد في لاهوته و ان طبيعة لاهوت الابن انما مستمدة من الأب .

يرى آريوس ان الابن مخلوق كجميع البشر لكنه يختلف عنهم في طريقة خلقه ، و خلقه دليل على عدم ازليته لأن له بداية⁷ و منه فالأب هو الله الحقيقي الأزلي ، اما الابن فقط وجد على الأرض من اجل البشر فقط⁸ فهو مجرد معلم يوحى له⁹ و بالتالي فهو انسان عادي يفتقد الى الأزلية و لا يملك جميع صفات الألوهية ، فقد

¹ آلأ فيتزجيرالد ، المرجع السابق ، ص 134.135 .

² روبين دانيال ، المرجع السابق ، ص 317 .

³ آلأن فيتزجيرالد ، المرجع السابق ، ص 134.135 .

⁴ - احمد شلبي ، ص 158 .

⁵ -البكسندروس : اسقف الاسكندرية تميز بضعفه العلمي ، كان يقوده شماسه اثناسيوس ، الذي كان يهيء له القرارات و كما يساهم في نصها و كما كان يصحح له اخطاءه ، و يرجع الفضل لاثناسيوس في انتصار الكسندروس على خصمه آريوس في مجمع نيقية ، انظر ، حسين المنصوري ، المرجع السابق ، ص 21 .

⁶ - لاكثر من التفصيل انظر : اثناسيوس ، الشهادة لالوهية المسيح ،

⁷ - محمد محمد مرسي الشيخ ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، د.ط ، دار المعرفة الجامعية ، 1994 ، مصر ، ص 21

21

8

⁹ - نهاد خياط ، الفرق و المذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الاسلام ، ط1 ، دار الأوتل ، سوريا ، 2002 ،

ص 81 .

رفض آريوس ان تكون للمسيح طبيعتين الأولى بشرية (الناسوت) و الثانية ربانية (اللاهوت)¹

قام آريوس بنشر افكاره بكل قناعة و قوّة و قد وجدت هذه الأفكار قبولاً كبيراً لاسيما في الكنيسة الشرقية ، و مثلت أفكاره كنيسة القسطنطينية² و لكن في نفس الوقت وجدت معارضة شديدة أدت الى ظهور ردود افعال فورية ، كان أولها من طرف الأسقف الكسندروس الذي عقد مجمع محلي³ يضم ثلثة من رجال الدين الذين يؤيدون فكره و وجهة نظره ، و انتهى المجمع بقرار الحرمان في حق آريوس **ويوسابيوس** اسقف نيقوميديا الذي يدين لفكر آريوس .

حالما علم الإمبراطور بالخلاف الذي نشب في كنيسة مصر بين الأسقف الكسندروس و القس آريوس اراد ان يخدم الخلاف في المهد ، فارسل هوسيوس اسقف قرطبة لما يمتاز به رزانة و وقار و اخلاص في الإيمان و ذلك من اجل التوسط بين الطرفين امتنازين و احلال السلام في كنيسة مصر ؛ تمّ ذلك من خلال رسالة بعث بها الإمبراطور (نص أ) يحث فيها الطرفين على التحلي بالحكمة في تفسير الامور و تفادي الانشقاق الذي يمكن ان يهدم السلام الكنسية⁴ ، فقد حرس قسطنطين كل الحرس من اجل وحدة الكنيسة لأنه ادرك ان انشقاق الكنيسة لا يفيد الدولة ان لم يضر بها⁵

باءت محاولة الإمبراطور قسطنطين بالفشل من اجل لم الصدع الي مسّ كنيسة الإسكندرية ، و سرعان ما انتقل هذا الشرخ الى كل الكنائس و ذلك عن طريق

¹ -أحمد غانم حافظ ، المرجع السابق ، ص 122 .

² -المرجع نفسه ، ص 123 .

³ تنقسم المجمع في المسيحية في القديم الى نوعين مجامع مسكونية أي عالمية و سميت بالمسكونية نسبة للأرض المسكونة ، و مجامع محلية او مكانية ، و قد عقدت مجامع مسكونية كثيرة في القرون الأولى حضرها العديد من الاساقفة من كل صوب ، و كان السبب الأول من عقدها هو العديد من القضايا الدينية في ظل ظهور العديد من المذاهب الدينية التي وصفت بالهرطقة و كان أول مجمع مسكوني مجمع نيقية سنة 325م الذي فصل في آراء اريوس القائلة بعدم الهية المسيح انظر: الدكتور أحمد شلبي ، مقارنة الأديان ، المرجع السابق ، ص 200.

⁴ يوسابيوس القيصري ، المصدر السابق ، ص 74.73 .

⁵ محمد محمد مرسي الشيخ ، المرجع السابق ، ص 19 .

اتباع كل طرف في مختلف المناطق ، عندئذ بادر الإمبراطور في عام 325م الى اقامة أول مجمع مسكوني** في مدينة نيقية للفصل قضية أقنوم* الاب و الابن و المساواة بينهما .

عقد مجمع نيقية تحت رآسة الامبراطور قسطنطين¹ ، من اجل الفصل في تعاليم اريوس القائلة بان الأب اقل من الإبن في الجوهر و وضعه في درجة سائر البشر ؛ حضر المجمع حوالي² 300 إلى 318 من رجال الدين في الشرق و الغرب³ تمت ادانة آريوس في مجمع نيقية** و اعتبر هو و اتباعه هرطقة⁴ .

صدر امر يقضي بحرق كل كتبه⁵ ومن ثمة تدعمت فكرة تأليه المسيح و وضعه في مرتبة مساوية للأب ، و اعتبر الأب و الإبن من نفس الجوهر Homoousios و يرجع الفضل في ترجيح كفة الكسندروس على خصمه آريوس الى القس اثناسيوس⁶ ، الذي كان مجرد قس يرافق اسقفه¹ ، الذي ابهر الحاضرين

****التحدث عن المجمع التي عقدت بعد مجمع نيقيا و التي وضع القوانين و تعاليم الكيسة على مر الزمان .**

* الاقانيم الثلاثة و هي الاب و الابن و الروح القدس و التي تعرف بالتالوث ، حيث ان الثاني أي الابن ينبثق من الأول اما الاقنوم الثالث فينبث من الاقنوم الأول و الثاني و الثلاثة متساوين و غير منقسمين في طبيعتهم الواحدة رغم اختلافهم في الاعمال اذ ان القدرة تنتسب للأب في حين تنتسب المعرفة للأبن اما اعمال الحب تنتسب للروح القدس .انظر : ويلتجز ، الهرطقة في المسيحية (تاريخ البدع الدينية المسيحية) ، تر: جمال سالم ، ط2 ، دار التنوير ، لبنان ، 2010 ، ص 100.99 .

1

كلود لوبليه ، اهتداء قسطنطين ، المرجع السابق ، ص 151 .

² أحمد غانم حافظ ، المرجع السابق ، ص 124 .

³ رمضان ام هاني ، الامبراطورية و المسيحية ، مجلة المغرب العربي ، ع:07، ص09

** اسس مجمع نيقية الى الانقسام الكنسي الى قسمين ، قسم شرقي مثلته الكنيسة الشرقية برئاسة البطريق و التي اصبحت فيما بعد الى كنيسة ارثوذكسية و قسم غربي مثلته كنيسة روما و الي اصبحت فيما بعد كنيسة كاثوليكية ، في الوقت الذي انحازت فيه الكنيسة المصرية الى نوع من الاستقلالية و اصبحت فيما بعد كنيسة قبطية ، انظر المرجع نفسه ، ص 124 .

⁴ يوسابيوس القيصري ، المصدر السابق ، ص 266 .

⁵ جاريث ب.ماثيور المرجع السابق ، ص 08 .

⁶ اثناسيوس :ولد حوالي 293مو و توفي في 02 ماي 373م قدمته امه في سن صغيرة الى البابا الكسندروس ، و هم تحت رعايته تتلمذ على يد معلمي الاسكندرية العظام مثل كليمنس و اريجانس ، قضى ثلاث سنوات بصحبة الراهب

ببلاغته و قوة حججه التي ما فتئت ان اقنعت الجميع و جعلتهم ينكرون افكار آريوس و يعتبرونها كفر² .

الظاهر ان الأباطرة كانوا مستعدين للتضحية بمبادئهم او ميولاتهم المذهبية خدمة لمصالحهم السياسية ، و دليل ذلك هو تغيير قسطنطين رأيه اتجاه آريوس ، الذي أرجعه من المنفى سنة 327م ، و ذلك تمهيدا من قسطنطين لنقل عاصمته الجديدة الى القسطنطينية و لتحقيق هذا الأمر كان لا بد من ارضاء أهل الشرق و تلى هذا القرار مجمع صور المنعقد في 334م ، الذي الغى فيه قسطنطين كل قرارات نيقية و تم العفو عن آريوس و اتباعه ، بل تم نفي اثناسيوس الى تريف في غاليا و لم يطلق سراحه إلا في عهد جوليانوس المرتد³ .

بعد وفاة قسطنطين الثاني⁴ ، اصبحت مهمة الدفاع عن العقيدة الأثناسيوسية من مهام رجال الدين في الغرب و على رأسهم اغسطين .

كان اغسطين من انصار التثليث⁵ و قد تصدى تصدى لهذا لمذهب آريوس بكل شراسة و هو ما دفعه إلى تأليف كتابه عن الثالوث ، رافضا أن يكون كل من الأبن والروح القدس

انطونيوس ، حيث سمحت له هذه الإقامة بكتاب سيرة حياة هذا الأخير ، ثم عند عودته الى الاسكندرية رسمه الكسندروس شماسا سنة 319م ، و كان مرافقا له في مجمع نيقية 325م ، اين كان له الفضل في ترجيح الكفة الى صالح الكسندروس و ذلك بفضل ما يتمتع به من فصاحة و بلاغة و قدرة على الاقتناع ،تم نفيه من طلرف الإمبراطور قسطنطين الى تريف (و هي مدينة على الحدود الفرنسية البلجيكية) دام منفاه عامين من 336-338م بعد وفاة الكسندروس، عين مكانه في سنة 368م ، كان اغسطين من المتأثرين بفكره ، للمزيد انظر : اثناسيوس الرسولي ، سيرة حياة القدّيس انطونيوس اب الرهبان ، المصدر السابق .

¹ -حسين المنصوري ، المرجع السابق ، ص 11 .

² - اسحاق عبيد ، المرجع السابق ، ص 83 .

³ - المرجع نفسه ، ص 125 .

⁴ - قسم قسطنطين قبل وفاته الأمبراطورية الى ثلاثة بين أبنائه كتالي : قسطنطين الثاني تولى الحكم في الغرب و كان على المذهب الأثناسيوسي ، قسطنطيوس تولى الحكم في الشرق اما قسطنز ، تولى الحكم على اقليم اليريا و الجزء الأوسط منشمال افريقيا ، و كان هذين الأخيرين على خلاف أخيهما يتبعون المذهب الآريوسي و بعد وفاة كل من قسطنطين الثاني و مقتل قسطنز توحدت الإمبراطورية تحت حكم قسطنطيوس انظر ، المرجع نفسه ، ص 126.125 .

⁵ - لم ترد كلمة التثليث في الكتاب المقدس اذ لم تذكر في الأنجيل الأربعة والظاهر ان أول من استخدمت هذه الكلمة هو القدّيس ترتليانوس في القرن الثاني للميلاد انظر : يوسف كرم ، تاريخ و عقائد الكتاب المقدس بين اشكالية التقنين و

في مرتبة أقل من الأب ، إذ يقول : " لننتبه من أولئك الذين يقولون أن الأب وحده الموجود و أن ليس له ابن ، و أن الروح القدس ليس معه ، فالآب يسمى أحيانا الابن، وأحيانا الروح القدس. انهم لا يعرفون المبدأ الذي خلق منه كل شيء ، والصورة التي تشكل عليها كل شيء، والقداسة التي تأمر كل شيء".¹

بل تبلور الفكر الأثناسيوسي في عهده و اصبح قانون الكنيسة من ذلك التاريخ الى يومنا هذا² باعطائه تفسيران عن ان الثالث لا يعني ثلاثة آلهة بل اله واحد مجتوع و موحد مع الابن و الروح القدس (توسيع الفكرة).

تدعت أراء اغسطين مع اصدار الإمبراطور ثيودوسوس بعد عقد مجمع القسطنطينية في 381م عدم شرعية المذهب الآريوسي ، كما فرض عقوبات على ك من يتبع هذا المذهب في جميع انحاء الأمبراطورية³

و قد حاول أغسطين أن ينبه كل رجال الدين و رعيته على حد السواء من خطورة المذهب الآريوسي ، رغم أن المذهب لم يعرف انتشارا في إفريقيا ، حيث كتب خطاب يشرح فيه فكره عن الثالث محذرا من الأخطار المستقبلية للمذهب الآريوسي و فكرة العلاقة بين الأب و الابن و الروح القدس و كأن أغسطين كان له حدس بأن مذهب أريوس سيغزو إفريقيا و ينتشر على نطاق واسع ،

وبالفعل بدأ التغلغل الآريوسي إلى إفريقيا سنة 428م، عند وصول أسقفها مكسيموس إلى هيبون ، أين قامت بينه وبين الطرف الكاثوليكي مناظرة بدأها ماركيليوس*

التقديس دراسة في التاريخ النقدي للكتاب المقدس في الغرب المسيحي ، ط1 ، دار صفحات للدراسات و النشر ، 2009 ، سوريا ، ص 288 .

¹-Saint-Augustin , Œuv.C. ST : Du combat chretien , chXIV , Trad : Thenard , op cit

² -يوسف كرم ، تاريخ و عقائد الكتاب المقدس ، المرجع السابق ، ص 288 .

³ - المرجع نفسه ، ص 129 .

* ماركيليوس هو الأسقف الذي اختاره أغسطين كخلف له بعد موته ، و قد اعلن عن هذه الرغبة أمام جمهور رجال الدين و كذا رعيته بهيبون و ذلك خوفا من أن تحدث فتن أو خلافات بعد موته ، مبينا أن سبب اختياره إنما ما التمس فيه من رزانة و غيره على الإيمان انظر : Augustin (st) , histoire de st Augustin , ch 48^{ème},op cit

وأكملها اغسطين، حيث طلب مكسيمينوس ان تكون المناظر مستندة في حججها على الكتاب المقدس .

بدأت المناظرة مناقشاتها حول فكرة الأب الذي اعبره ماكسيمينوس واحد لم يتلقى الحياة من أي شخص ، و الابن واحد تلقى من الأب وجوده و طبيعته و حياته ، كما لا يوجد إلا الروح القدس الذي يضيئ و يقدر نفوسنا معتمدا على جملة من الشواهد مقتبسة من الكتاب المقدس "مذهبي ليس لي، بل من أبي الذي أرسلني" كذلك أقول ما رأيت وسمعت في أبي" كذلك "الرب هو نوري و خلاصي. الذي يمكن أن أخشاه"

كان رد أغسطين من الكتاب المقدس ما يلي : "أبي وأنا واحد" غير أن مكسيمينوس إتهم أغسطين بعدم فهمه للمقولة التي تظهر أن الأب والابن واحد من خلال مطابقة أفكارهم ومشاعرهم¹ كما ظهر لمكسيمينوس في نهاية المناظرة أن أغسطين لم يستطع أن يثبت العلاقة الغامضة بين الأب و الابن و الروح القدس ، و في اسرار مكسيمينوس على العودة إلى قرطاج انتهت المناظرة على لتفاهل الطرفين إكمال المناقشة بينهما عن طريق المراسلة ، و قد وفى أغسطين بوعده حيث كتب كتابان أرسلهما إلى مكسيميانوس ، حاول من خلالهما دحض فكرة بفكرة معتمدا على ما دار بينهما في المناظرة² ، غير أن كسيمينوس لم يرد عليهما مما جعله يظهر مذب أمام الشعب الإفريقي ، و بين أن الطرف المنتصر هو اغسطين³

Augustin(st) , Oeuv.C.ST contre les iriens, Conférence De saint Augustin avec Maximin, évêque Ariën, Augustin trad : M. Raulx, Bar-Le-Duc, L. Guérin & Cie, éditeurs, 1869

1

Augustin(st) ,contre la doctrine des iriens tra : M. l'abbé Bardot, Bibliothèque Abbaye Saint , Benoît de Port-Valais.

2

Augustin(st) , Oeuvres complètes de Saint Augustin,ch52^{ème}

3

خاتمة:

استطاع اغسطين بدون منازع ان يكون المفكر الديني الذي استطاع ان يدرك جيدا كل التحولات الحاصلة في عصره ، محاولا التغيير في صيرورتها

الخاتمة

الخاتمة:

في ختام هذه الدراسة التي جاءت موسومة بـ"القديس أغسطين بين السلطة الرومانية والمجتمع المحلي" وبعد محاولة الإحاطة بكل الجوانب التي تخدم موضوع الأطروحة بالاعتماد على جملة من المصادر والمراجع استطعنا في البداية إعطاء لمحة عامة عن الحياة في عهد القديس أغسطين والتي لمسنا منها أن المجتمع في تلك الفترة كان مجتمعا طبقيًا يسيطر عليه العنصر الروماني الذي كان يستحوذ على أجود وأشجع المساحات الزراعية، في حين كان العنصر المحلي يمثل اليد العاملة التي تعول عليها السلطات الرومانية في تسيير عجلة اقتصادها لاسيما في المجال الزراعي.

والاستغلال المتواصل لهذه الطبقة أدى مع الوقت إلى ظهور مزارعين بالحصة، لتزيد وضعيتهم سوءا في القرن الرابع ويصبح البعض منهم أقنان مرتبطين بالأرض والبعض الآخر عمال موسميين ينتقلون من مكان إلى آخر من أجل العمل. وكان هذا الظلم هو العامل الأساسي لظهور طبقة من الفلاحين الثائرين ضد السلطة عرفت بالدوارين والتي كانت ناقمة على السلطة، مما دفعها للقيام بكل أعمال الشغب والفوضى. لكن وجود الطبقتين السابقتين لا يعنى عدم وجود طبقة متوسطة استطاعت بشق الأنفس أن توفر لنفسها حياة كريمة، وإلى هذه الطبقة تنتمي عائلة أسقف هيبون.

من الناحية الفكرية الثقافية فقد حاول الرومان نشر لغتهم اللاتينية بين شعوب إفريقيا، وذلك بجعلها اللغة الرسمية في المدارس وفي كل المعاملات الإدارية، لكن هذا لم يمنع من بقاء اللغة البونية منتشرة على نطاق واسع، كما أنها استطاعت في نفس الوقت أن تجذب العديد من الأفراد الذين تشبعوا بالثقافة اللاتينية، ليكونوا من الشخصيات البارزة في تاريخ إفريقيا على غرار أبولي وكبريانوس وكذا أغسطين.

أما من الناحية الدينية فقد عرف القرن الرابع والخامس للميلاد انتشار واسع للمسيحية، التي سطع نجمها بعد الرعاية التي حظيت بها من طرف السلطة الرومانية، لكن هذا لا ينفى بقاء بعض برائن الوثنية عالقة في بعض الأفراد.

أما بالنسبة للشخصية المحورية للدراسة والمتمثلة في القديس أغسطين وبعد الاطلاع على كل تفاصيلها استنتجنا أن شخصيته كانت مبنية على التناقضات انطلاقا من محيطه العائلي الذي كان يتميز بالازدواجية في الدين والتوجهات الفكرية، فأمه كانت مسيحية لا يهتمها شيء سوى أن يكون ولدها مشبع بالأخلاق وتعاليم المسحية، أما والده فكان كلّ اهتمامه منصب في الحرس الشديد على أن يتلقى ولده تكوينا علميا راقيا يسمح له بتبوأ مكانة مرموقة في المجتمع، ضاربا الأخلاق عرض الحائط مما ولدى لدى أغسطين صراع داخلي دون أن يدري، فقد كان من جهة يبحث عن ما يقنعه بالمسيحية التي رضعها في لبن امه، ومن جهة أخرى كان كما يقرّ في اعترافاته يبحث عن المجد والرفعة والشهرة كأن يصبح محام أو أستاذ بلاغة.

كما كان تأثير كل تيار أو مذهب فكري مرّ به أغسطين واضحا، فقراءته لكتاب شيشرون ولدت عنده روح الشغف بالفلسفة، وأثار قلقه حول مصير الإنسان محاولا إيجاد الطريقة المثلى لعيش حياة ملئها السعادة، دون أن ننسى أثار الأفكار المانوية التي بقيت حاضرة وجلية في مؤلفاته غير أن وضوحها يتجلى أكثر في كتابه "مدينة الله" والقائمة على أساس مدينتين متناقضتين الأولى مدينة الله والثانية مدينة الأرض على أن الصراع بينهما سيظل قائم إلى يوم القيامة، وهي نفس الفكرة لدى المانويين والمتجسدة في عالم الظلام والنور، عالم الخير والشرّ.

وقد اثبت اعتناق أغسطين للمسيحية أن سبب تأخر إيمانه بالمسيح واعتناقه للمسيحية هو جهله للغة الإغريقية وهي اللغة الأم للكتاب المقدس، فالترجمات الركيكة جعلته لا يعيرها اهتماما، لكن هذا العائق تخطاه مع القديس امبرواز الذي كان خطيبا متمرسا

باللغتين الإغريقية واللاتينية، الأمر الذي مكّنه من تقديم وإجابات عن جملة من التساؤلات التي كانت تشغله وكذا شروحات وافية ومقنعة لأغسطين التي انتهت بتفجير الطاقة المسيحية الكامنة بداخله منذ نعومة أظافره ليتحول إلى أحد أعظم رجال الكنيسة الكاثوليكية. بعد تعيين أغسطين اسقفا لهيبون كان الانشقاق الكنسي أول الأمور التي شغلت تفكيره، فكرس كل جهده للمّ شمل الكنيستين، إذ لم يتقبل أغسطين فكرة الانشقاق، ودليل ذلك انه ظل قرابة تسعة وعشرون سنة يناضل من اجل لم شملها، عن طريق المجادلات الكلامية التي ميزت العلاقة بين أغسطين و بين خصومه الدوناتيين و الظاهر أن الصراع القائم بين الطرفين لم يكن أساسه عرقي، فاغسطين لم ينظر يوما إلى رجال الكنيسة الدوناتية انهم أفرقة، وهو عكس ما تصوره الكثيرين، لكن أساس الصراع بين الكنيستين هو أساس عقائدي محض، يتمحور أساسا حول فكرتين، أو بمعنى آخر حول طبيعة الكنيسة من حيث الكتلة والقدسية، أما النقطة الأولى كون أن الكنيسة كاثوليكية، هو ما اتفق عليه الطرفين غير أن فكرة قدسيتها كان محل خلاف، فالدوناتيون اعتبروا الكنيسة ورجالها مقدسون لا يحق لهم أن يرتكبوا الخطايا، وأن مرتكبيها يستحقون عقاب استئصالهم، وقد ظلت هذه الفكرة مسيطرة على الكنيسة الدوناتية قرابة قرن من الزمن حتى بعد موت من نعتوهم بالخونة.

في حين رأي أغسطين عكس ذلك فكل إنسان خطأ بطبعه، وهنا يجب أن تلعب الكنيسة دورها وذلك بالنصح والإرشاد بغية تقويم الاعوجاج، مؤكدا انه لا يوجد على وجه الأرض من يخول له حق معاقبة أخيه إلا الله يوم الدينونة.

رفض أغسطين طيلة الفترة السابقة -تسعة وعشرون سنة- استعمال العنف ضد خصومه المنشقين ولم يغير فكرته هذه إلا بعد أن تأكد من عدم جدوى المناوشات الكلامية وادرك انه لا بد من سلطة ردية تجبرهم على الرجوع إلى كنف الكنيسة، وقد جسد أغسطين هذه الفكرة في أسلوب جد رائع وهو جعل الطرفين يتقابلا في مناظرة التي تجسدت في مناظرة قرطاج أين استطاع أغسطين أن تكون له كلمة الفصل التي رجعت كفة الكنيسة

الكاثوليكية بطريقة أغلقت أمام الدوناتيين فرصة اللجوء إلى السلطة-كما اعتادت- لنصرتها أو العفو عنها.

الملاحظ إن سبب محافظة الدوناتية على حيويتها كان عدم اتخاذ السلطة قرارات حاسمة ضدها وإن وجدت هذه القرارات فتطبيقها ظل بتحفظ وذلك يرجع إلى أن منفذوه وثنيين يكتون العداء للمسيحية ويحلو لهم أن يروا مثل هذه الخلافات والانشقاقات بالإضافة إلى الجوّ الذي طبعت به إفريقيا، والمتمثل في سخط الأهالي عليها مما أتاح أمام الكنيسة الدوناتية فرصة عقد عدة تحالفات وعلى رأسها التحالف مع حركة الدوارين، على أن هذا التحالف أفرزه الاحتكاك الدائم بين الدوارين و رجال الدين الدوناتيين الذين كان أغليبتهم من أصول محلية، وبالتالي كانت تتعاطف مع المظلومين من الافارقة الذين سلبت أراضيهم وأموالهم، كما أن تعاون الدوارين مع الدوناتية كونهم رأوا في السلطة العدو المشترك، غير أن هذا التعاون الدواري الدوناتى لا يمكن تعميمه في كل الأماكن إذ كان بارزا في المناطق الريفية خاصة نوميديا وهي معقل الانشقاق الدوناتى وكذا مهد حركة الدوارين.

لم ينحصر اهتمام أغسطين بالخلافات الداخلية للكنيسة وذلك بالتصدى للكنيسة المنشقة، بل تميز بالروح الدفاعية وحب الخوض في كل المسائل اللاهوتية، فراح يدافع عن المسيحية ضد كل الهرطقات فحارب المانوية، البيلاجية والأريوسية ..الخ.

والظاهر أن أغسطين كان شديد الاعتزاز بانتمائه الإفريقي وهذا ما لمسناه في رده اللاذع على رسالة جوليان ديكلان التي تهكم فيها على الأفارقة وستهزأ بلهجتهم، وإن دل هذا على شيء فإنه يدل على عدم خجله من أصوله الإفريقية ولا والتنكر لأبنا وطنه الذين لم تشغله مهامه الكنسية كالوعظ، النصح والإرشاد عنهم، لكنه دائما لاهتمام بكافة شؤون رعيته من كراعية اليتيم ومساعدة الفقير وإيواء اللاجئين والدفاع عن المظلومين والمسجونين.

في الختام يمكن القول أن أغسطين لاتيني الثقافة، لكنه إفريقي على لأقل بالمنشأ فان

لم يختر مكان ولادته بإفريقيا، فقد اختار العودة إليها، تاركا وراءه كل الزخم والاهتمام الذي

تلقاه من أعظم أباء الكنيسة في ميلانو ونقصد هنا القديس امبروازيوس الذي كان يمكن أن

يحقق لأغسطين الشهرة والمكانة مرموقة التي كافح من أجل الوصول إليها طول حياته، فلماذا أطلعنا أغسطين على كل تفاصيل حياته، لكنه لم يفصح البتة عن سر اختياره العودة إلى إفريقيا؟

فهرس الملاحق

الملحق رقم (01):¹

قانون هونوريوس الصادر في 412م عقب مناظرة رطاج والهادف إلى استئصال الدوناتية من جذورها ولذلك جاء هذا القانون بعقوبات تمسّ كل طبقات المجتمع

"اعتبارا من تاريخ صدور هذا القانون، إذ لم يلتحق الدوناتيين -سواء منهم الأساقفة أو القساوسة أو العامة، بالكنيسة الكاثوليكية التي انشقوا عنها منتهكين الحرمات، فليرغموا على اداء غرامة فردية الى خزينتنا و ذلك حسب ما يأتي : المشاهير: (Inlustres):50 رطلا من الذهب، الاشراف (Spectabiles):40 رطلا من الذهب، السناتريون (Senatores):50 رطلا من الذهب ، اللامعون (Clarissimi): 20 رطلا من الذهب ، اعيان الاقليم (Sacerdotales):30 رطلا من الذهب ، اعيان المدن (Principales) : 20رطلا من الذهب ،اعيان المجالس البلدية (Decurione) : 5 ارطال من الذهب، التجار(Negotiatore):5 ارطال من الذهب عامة المدن (Plebis):10 ارطل من الذهب، الدوارون (Circumcillones): 10 ارطال من الفضة ؛ وفي حالة ما اذا لم يقدم الاركارون (Conductors) الدوارين الموجودون تحت مسؤوليتهم، أو لم يقدم وكلاء الإمبراطور (Procurators) إلى الملف بتنفيذ القانون (Excutor) كي يؤدوا الغرامة فإنهم مطالبون شخصيا بأدائها بحيث لا يعفى منها أهل بيتا، وليخضع نسائهم للغرامة الزوجية على انفراد. وهكذا سوف يتعرض كل من اصّر (على البقاء في الدوناتية) رغم الأحكام الصادرة عليه للمصادرة كل ممتلكاته ، ة ليبعد الرقيق (Servi) من هذه الديانة المحضورة بإبداعهم سجن أسيادهم، والمزارعون (Coloni) بالعدد الكافي من الجلادات وإلا فليسد أسيادهم (Domini) الغرامات المذكورة، حتى ولو كانوا كاثوليكين."

¹- نقلا عن محمد المبكر، ص

الملحق رقم (02):

مقتطف من كتاب اعترافات لأغسطين يروي فيه حادثة حديقة ميلانو ولحظة تحوله إلى الايمان المسيحي.

"إلى جانب بيتنا بستان صغير نتصرف به كبيتنا؛ لأن صاحب البيت لم يكن فيه؛ فرحت إلى ذلك البستان تحت تأثير العاصفة التي عصفت بقلبي دون ان يقوى أحد على تهدأتها؛ وحدك، يا رب؛ تعرف حدا لذاك الاضطراب. أما أنا فقد كنت أجهله بيد أني كنت أسير نحوى الشفاء وأموت عن الحياة، مدركا ما كنت عليه من إثم جاهلا ما سأصير إليه من صلاح قريب .

أنفردت في الحديقة فلحق بي ألببوس، خطوة خطوة، ومع أنه كان بجانبى بقيت أشعر بوحشة....وكيف له أن يتركنى وشأنى فريسة لضحك مرير؟

وجلست في مكان بعيد، لا أقصى منه عن البيت، ارتجف بشدة، غضبا،....وإذ كنت بكليتي غائضا في بحر من التفكير و التأمل، تجلت أمام ناظري قلبي مصائبى بلاياي بأسرها، محملة عاصفة مثقلة بدموع عيني. ولكي اترك مجالا للعاصفة لتفجير ميازيبها انفردت عن ألببوس، والبكاء يستلزم خلوة، ورحت بعيدا عنه كي لا يضايقني حضوره.

علم بحالي بعد ان سمعني ابكي بكاء اجشّ فقامت، وظلّ في حيرته وانذهاله، حيث اجتمعنا سابقا وستلقيت تحت شجرة تين، تاركا لدموعي العنان ففاضت غزيرة من عيني وقدمتها لك ذبيحة مقبولة يا رب ! وقلت لك ما معناه: حتى م يا رب حتى م تظل غاضبا؟ لا تذكر آثامنا السالفة قلت هذا لأن آثامي مازلت تقيدني، واجهشت بالبكاء وصرخت: حتى م يا رب؟ اغذا ام بعد غد؟ ولماذا، لا يكون في الحال؟ ولماذا لا أضع الآن حدا؟

نطقت بهذا الكلام وبكيت بكاء مرا، بقلب منسحق، فطرق اذني بغتة صوت خاج من بيت جراني خيل إلي انه صوت صبي أو صبية يغني مرددا: " خذ واقرأ ! فامتقع لوني واصغيت بكليتي علني اتبين من خلاله لازمة لأنشودة صبيانية معروفة فلم اذكر شيئا ومن ثم حبست دموعي ونهضت لأنني رأيت في ذلك الصوت تداء سماويا يدعوني إلى أن أفتح كتاب الرسول وأقلاً أول نص يقع عليه نظري عفواوعدت مسرعا إلى أليبيوس، حيث تركت كتاب الرسول فاخذته وفتحته وقرأت سرا في أول فصل منه وقع نظري عليه:" لا تعيشوا بالفصوق والسكر والمضاجع التي يستحي منها والعهر ولا بالخصام والحسد بل البسوا الرب يسوع المسيح ولا تهتموا بأجسادكم لقضاء شهواتها.(رومية 13:13) اكنفت بهذا المقدار لأنه لم يعد لي حاجة إلى المزيد منه، وما أن انتهيت من قراءة هذه الأسطر حتى اشرق في قلبي شعاع طمأنينة بدد ما كان مستوليا عليّ من دياجير الأوهام.....و في الحال جئنا الى أمي واخبرناها بما جرى فاغتببت كثيرا وراحت تبارك يا من تقدر ان تصع اكثر مما نطلب ونتصور"

الملحق رقم 103¹

الخطاب الذي القاه كسندريوس في المجمع الذي عقده بمعية 70 أسقف قصد ادانة
كيكيليانوس، مقتبس من رسالة أغسطين رقم 43 التي كتبها في سنة 397م أو بداية سنة
398م

LETTRE XLIII. (Année 397 ou commencement de l'année 398.)

Vous voyez, mes frères, la paix que les princes du siècle nous accordent par la miséricorde de Dieu, après les longues horreurs de la persécution; nous ne devons pas, nous, chrétiens et évêques, rompre cette unité chrétienne que le païen lui-même n'attaque plus. Ainsi donc, ou remettons à a la justice de Dieu toutes ces causes qui ont affligé l'Eglise en des temps de malheur; ou bien, s'il en est quelques-uns parmi vous qui connaissent d'une manière certaine qu'ils sont coupables, s'ils peuvent prouver facilement leur crime et les convaincre malgré leurs dénégations, et s'ils craignent de communiquer avec eux, qu'ils aillent vers nos frères et nos collègues les évêques des Eglises d'outre-mer pour se plaindre de leurs actes, de leur contumace, et de ce que, la conscience chargée, ils refusent de se soumettre au jugement de leurs collègues d'Afrique : de là on les obligera à se présenter, et ils auront à répondre aux questions qui leur seront faites. En cas de refus de leur part, leur iniquité sera révélée par les Eglises d'outre-mer; et pour que l'erreur ne puisse s'asseoir sur le siège de l'Eglise de Carthage, des lettres synodiques, dénonçant nominativement les coupables à toute la terre, partout où l'Eglise du Christ est répandue, les sépareront de la communion de toutes les Eglises. Ceux-ci une fois exclus de toute l'Eglise, nous ordonnerons en sûreté un autre évêque pour le peuple de Carthage : si nous agissions autrement, il serait à craindre que l'Eglise d'outre-mer ne se mît pas en communion avec le nouvel évêque ordonné, parce qu'on ne regarderait pas comme déposé celui dont là renommée a annoncé l'ordination, et qui a reçu des lettres de communion. Evitons de hâter notre sentence, de peur que le scandale d'un grand schisme. n'éclate dans l'unité du Christ au milieu des temps meilleurs qui commencent pour l'Eglise, de peur que nous n'élevions un nouvel autel, non

¹ - Augustin(st), LETTRE XLIII

pas contre Cécilien, mais contre toute la terre qui, dans son ignorance, reste en communion avec lui.

ترجمة النص إلى العربية¹:

الرسالة الثالثة والاربعون. (ابتداء من سنة 397 الى بداية سنة 398)

أترون، أترون يا إخوتي ...

أترون السلام الذي حل علينا من أمراء عصرنا برحمة من الله بعد زمن طويل من
عناء الاضطهاد. يجب علينا نحن معشر المسيحيين والأساقفة ان لا ندمر هذه الوحدة
المسيحية التي لم تعد الوثنية تحاربها او تهاجمها.

دعونا نرضى بما أصابنا من محن وأوقات عسيرة ابتلت بها الكنيسة ولنرجعها إلى
العدالة الإلاهية، إلا إذا كان منكم من هم على علم ويقين انهم مذنبون، او كان باستطاعتهم
وبسهولة إثبات جريمتهم وما اقترفوه وان هم أنكروا ما نسب إليهم .

فان هم توجهوا خيفة من محادثتهم فليذهبوا إلى إخواننا و زملائنا في الخارج من
أساقفة الكنيسة وليقدموا شكواهم ضد ما اقترفوه من جرم و لينالوا نصيبهم لتتصلهم من
المسؤولية ،فان هم وبضمير مسؤول رفضوا الامتثال إلى حكم زملائنا في الكنيسة الإفريقية،
فنحن نلزمهم بالمثل أمانا و سيتعين عليهم الإجابة ما سي طرح عليهم من أسئلة.

ففي حالة انهم رفضوا هذا القرار فانه سيتم التشهير بإثمهم هذا عبر الكنائس
المنتشرة في الخارج. وحتى لا تقع المسؤولية على عاتق كنيسة قرطاج وخطابات المجمع
الكنسي ستتم إدانة الجناة كل باسمه عبر كل ارض تمتد عليها كنيسة المسيح كما سيتم

¹ - ترجمة عفاف سدراتي

فصلهم عن الشراكة مع اية كنيسة. و بعد فصل هؤلاء واستبعادهم عن الكنيسة سنأمر بتعيين أسقف آخر نؤمّنه على شعب قرطاج لأننا لو سلطنا نهجا آخر وقمنا باي تصرف سيكون علينا ان نخاف من ردة فعل الكنيسة في الخارج في ان لا تتعاون مع الاسقف الجديد الذي تم تعيينه لأننا لن نبذو كمن اودع هذا الاسقف الذي أعلنته الشهرة وسمحت بترسيمه وتلقى بذلك خطابات مشاركة. وحرصا منا وتحريزا لاي تسرع في اصدار حكما خوفا من اندلاع نيران فضيحة انشقاق عظيم قد يهدد ويضرب وحدة المسيح ويمسّ الكنيسة في احدى احسن الفترات التي مرت عليها، ومخافة ان نعارض مذبحا مذهبنا جديدا ليس ضد سيسيبيان وجهله وضلاله و انما ضد كل من يشاركه ضلاله.

الملحق رقم 04¹:

رسالة اغسطين التي توضح حيثيات مناظرة قرطاج وتبطل المزاعم القائلة بانهم خرجوا منتصرين في مناظرة قرطاج انما بفضل الاموال التي قدموها الى مارسيليانوس رئيس الجلسة

LETTRE CXLI. (14 juin de l'année 412)

SILVAIN L'ANCIEN, VALENTIN, AURÉLE, INNOCENT, MAXIME,
OPTAT, AUGUSTIN, DONAT ET LES AUTRES ÉVÊQUES DU CONCILE
DE ZERTA AUX DONATISTES.

.1D'après ce que nous entendons dire de toutes parts, vos évêques prétendent que le juge a été gagné à prix d'argent pour porter la sentence contre eux, et vous le croyez sans peine ; à cause de cela beaucoup d'entre vous n'ont pas voulu encore acquiescer à la vérité; pressés par la charité du Seigneur, et réunis en concile, il nous a paru bon de vous adresser cette lettre afin de vous prévenir que ces pasteurs vaincus et convaincus vous débitent des mensonges. Dans l'écrit même qu'ils avaient préparé pour cette conférence et qu'ils avaient signé de leurs noms, ils nous appelaient des traditeurs et leurs persécuteurs: mais ils ont été dévoilés et convaincus dans leur fausseté et leur insigne mensonge ; en effet, voulant faire parade de leur grand nombre, ils avaient inscrit, comme étant

¹ – Augustin(st), Lettre CXLI

présents, les noms de quelques évêques absents, et bien plus, le nom même d'un mort; on leur demanda où était cet évêque, et, aveuglés par un trouble soudain, ils avouèrent eux-mêmes qu'il était mort en route. Interrogés sur la question de savoir comment il avait pu signer à Carthage puisqu'il était mort en chemin, leur trouble ne fit qu'augmenter, et, ne reculant pas devant un nouveau mensonge, ils répondirent que l'évêque était mort en revenant de Carthage mais ils ne purent jamais se tirer de ce mensonge-là. Voilà ceux que vous croyez, soit qu'il s'agisse des anciens traditeurs, soit qu'il s'agisse de la corruption du juge: ils n'ont pu, sans commettre un crime de faux, écrire cette pièce où ils nous reprochent le crime d'avoir livré les saintes Ecritures. C'est pourquoi nous

avons jugé à propos de vous donner ici un résumé de ce qu'il importe le plus que vous sachiez, de peur que vous ne puissiez atteindre au volumineux récit de tout ce qui s'est passé ou que la lecture ne vous en paraisse trop fatigante.

.2Nous arrivâmes à Carthage, nous et vos évêques, et, ce qu'auparavant ils ne voulaient pas en le déclarant indigne d'eux, nous nous réunîmes. Sept évêques de notre côté et autant du leur furent choisis pour parler au nom de tous. On en désigna sept autres des deux côtés avec lesquels les évêques choisis pourraient se concerter en cas de besoin, et encore quatre de part et d'autre pour surveiller les comptes rendus, de peur qu'on ne fît dire à quelqu'un ce qu'il n'aurait pas dit. Il y eut aussi des deux côtés quatre scribes dont deux devaient alterner, pour tout recueillir avec les secrétaires du juge, afin d'empêcher que personne d'entre nous ne prétendît avoir dit ce qui n'aurait pas été consigné. Comme complément de toutes ces précautions, il fut convenu que nous et les évêques donatistes, et le juge lui-même, nous signerions ce que nous aurions dit, pour éviter que nul ne se plaignît plus tard que ses paroles eussent été falsifiées. La publicité de ces actes partout où il le faudra, devant avoir lieu du vivant de ceux qui les ont signés, leur vérité demeurera inattaquable pour la postérité. Ne soyez donc pas ingrats envers une si grande miséricorde de Dieu qui s'est révélée à votre profit par tant de soins prévoyants. Désormais il n'y a plus d'excuse ; ce serait trop de dureté de coeur et une opiniâtreté trop diabolique que de résister à une aussi évidente manifestation de la vérité.

.3Les évêques de votre parti, choisis pour parler au nom de tous, s'efforcèrent, autant qu'ils le purent, d'empêcher qu'on ne s'occupât de l'affaire pour laquelle un si grand nombre d'évêques catholiques et donatistes s'étaient rendus à Carthage de tous les points de l'Afrique et de lieux si éloignés. Tandis que toute âme était en suspens dans l'attente de ce qui allait se faire dans cette grande

assemblée, vos évêques insistaient violemment pour que rien ne se fît. Pourquoi cela, sinon parce qu'ils savaient leur cause mauvaise et qu'ils ne mettaient pas en doute leur facile défaite dans le cas où la question se traiterait? La peur qu'ils avaient de la discussion laissait déjà voir en eux des vaincus. S'ils avaient obtenu ce qu'ils voulaient, si la conférence n'avait pas eu lieu et que la vérité n'eût point apparu par nos débats, que vous auraient-ils répondu à leur retour de Carthage, que vous auraient-ils montré ? Je crois que, les actes en main, ils vous auraient dit : Nous insistions pour que la question ne fût pas traitée, eux insistaient pour qu'elle le fût. Vous voulez voir ce que nous avons fait; tenez, lisez comme nous les avons vaincus en obtenant de ne rien faire. — Peut-être, avec du bon sens, vous leur auriez répondu : Etiez-vous donc allés pour ne rien faire? ou plutôt, puisque vous n'avez rien fait, pourquoi êtes-vous revenus?

.4Enfile, après d'inutiles efforts pour empêcher qu'on n'en vînt à la cause, le débat, où ils furent vaincus en toute chose, fît bien voir pourquoi ils avaient peur. Car ils confessèrent qu'ils n'avaient rien à dire contre l'Eglise catholique , répandue par toute la terre ; ils furent accablés des divins témoignages des saintes Ecritures qui nous montrent l'Eglise commençant à Jérusalem, s'étendant aux lieux où ont prêché les apôtres et dont ils ont écrit les noms dans leurs épîtres et leurs actes, et se répandant ensuite à travers les autres nations. Ils ont déclaré à haute voix qu'ils n'avaient rien à dire contre cette Eglise , et c'est là qu'éclate notre victoire au nom de Dieu. En rendant hommage à l'Eglise avec laquelle il est manifeste que nous sommes en communion et dont ils sont eux-mêmes ouvertement séparés, ils attestent leur ancienne défaite ; ils vous montrent, si vous savez le comprendre, quelle voie vous devez quitter, quelle voie vous devez suivre, et vous le montrent non pas avec cette fausseté qui les a portés à vous mentir jusqu'à ce jour, mais avec cette vérité qu'ils ont été contraints de reconnaître.

.5Ainsi quiconque est séparé de cette Eglise catholique, quelque louable qu'il pense être dans sa conduite, par ce seul crime d'être séparé de l'unité du Christ, n'aura pas la vie, mais la colère de Dieu demeure sur lui (1). Mais quiconque a bien vécu dans cette Eglise ne sera pas responsable des péchés d'autrui, parce que « chacun y portera son propre fardeau (2), » selon les paroles de l'Apôtre; et « quiconque

.1Il ne faudrait pas donner à cette pensée de saint Augustin un sens trop absolu. Il s'adresse ici à des schismatiques dont on ne peut plus dire qu'ils sont dans l'ignorance, mais qui peuvent apprécier la vérité sous la forme de faits évidents

et palpables. L'Eglise ne condamne pas la bonne foi entière dans l'erreur et l'ignorance invincible.

328

y mange indignement le corps du Christ, mange et boit son jugement (1); » l'Apôtre lui-même a aussi écrit cela. Ces mots : « Il mange son jugement, » montrent assez qu'il ne mange pas le jugement d'un autre, mais le sien propre. Voilà ce que nous avons fait, ce que nous avons montré, ce que nous avons fait avouer, parce qu'on n'est pas souillé par les méchants en participant aux mêmes sacrements qu'eux, mais en consentant à leurs oeuvres. Si on ne donne aucun consentement à ce qui est mal, le méchant est seul à porter le poids de ses oeuvres, et ne fait aucun tort à celui qu'il n'a pas eu pour compagnon de son crime.

.6C'est ce que vos évêques ont été aussi forcés de reconnaître à haute voix, non pas au moment où nous disions ces choses, mais après, dans une autre affaire, l'affaire de Cécilien. Nous la distinguons de la cause de l'Église; si par hasard il était trouvé coupable, nous l'anathématiserions sans abandonner pour cela l'Église du Christ, contre laquelle ses torts ne pouvaient rien préjuger; on lut donc, lorsqu'on fut arrivé à cette affaire, les actes du concile de Carthage, où soixante-dix évêques donatistes condamnèrent Cécilien absent; et, nous répondîmes que ce concile ne pouvait pas plus nuire à Cécilien absent, que ne nuisit à Primien absent le concile donatiste, où cent évêques le condamnèrent dans l'affaire de Maximien. Ce nom seul rappela à vos évêques ceux qu'ils avaient reçus dans l'intégrité de leurs honneurs après les, avoir condamnés, et leur approbation du baptême conféré dans le schisme sacrilège de Maximien, et la sentence du concile de Bagaie, par laquelle, en condamnant les hommes de ce parti ils avaient accordé un délai à quelques-uns de ceux-ci, par la raison que les « rejets sacrilèges de Maximien ne les avaient pas souillés. » Le souvenir de cette affaire les jeta donc dans l'épouvante et le trouble, et, oubliant ce qu'ils nous contestaient peu de moments auparavant, ils s'écrièrent: « Une cause ne fait rien à une autre cause, ni une personne à une autre personne. » Ils confirmèrent ainsi, par leurs paroles, ce que nous disions de l'Église, savoir, que la cause et la personne de Cécilien, quelles qu'elles pussent être, ne pouvaient préjudicier, ni à l'Église catholique d'outre-mer, contre laquelle vos évêques avaient déclaré

n'avoir rien à dire, ni à l'Église catholique d'Afrique, demeurée en communion avec elle. Ils confirmèrent cette doctrine, puisque le parti de Donat ne reçut

aucun dommage de Maximien qui, avec ses autres fauteurs, a condamné Primien ; aucun dommage de Félicien qui a condamné Primien, et a été pour cela condamné par le parti de Donat, où il est admis avec sa dignité épiscopale, comme auparavant; enfin notre sentiment triomphe, si Maximien n'a pas préjudicié à ses adhérents auxquels ces évêques accordèrent un délai par la raison que la communion avec Maximien n'avait pas pu être pour eux une souillure, car « une cause ne fait rien à une autre cause, ni une personne à une autre personne» .

.7Que cherchez-vous donc de plus? Vos évêques ont chargé les actes de beaucoup de discours inutiles; n'ayant pu parvenir à empêcher l'examen de l'affaire, ils ont parlé tant qu'ils ont pu pour qu'il devînt au moins difficile de lire ce qui s'est passé. Mais ce peu de mots de leur part doivent vous suffire, et vous empêcher de haïr l'unité de l'Église catholique à cause de je ne sais quels crimes, de je ne sais quels criminels; car, comme vos évêques l'ont dit, l'ont relu et l'ont signé, « une cause ne fait rien à une autre, ni une personne à une autre personne. » Nous avons toutefois défendu Cécilien, quoique sa cause ne soit pas celle de l'Église; nous l'avons défendu pour mettre en lumière, même ici, les calomnies de vos évêques; ils ont, été bien ouvertement vaincus et n'ont pu rien prouver de ce qu'ils reprochaient à Cécilien. De plus, appuyés sur les actes épiscopaux (1), nous fîmes voir que quelques-uns de ceux qui condamnèrent Cécilien absent étaient manifestement eux-mêmes des traditeurs. Vos évêques, ne sachant quoi répondre, dirent que ces actes étaient faux, mais ne purent jamais le prouver.

.8En outre, ils ont avoué, ou plutôt ils ont mis un grand honneur à déclarer que leurs prédécesseurs avaient accusé Cécilien devant l'empereur Constantin; ils ont ajouté un mensonge, la prétendue condamnation de Cécilien par l'empereur. Ici encore ils ont été vaincus car, pour épaissir le nuage de vos erreurs et pour exciter contre nous la haine de votre parti, ils ne manquent pas de répéter que nous

.1Le concile de Cirte, aujourd'hui Constantine, tenu en 305. Il en est question dans le chap. XXVII du IIIe livre contre Cresconius. Cet ouvrage de saint Augustin est de l'année 406, et se compose de quatre livres.

329

portons devant les empereurs la cause de l'Eglise. Voilà donc que ces ancêtres dont ils prononcent les noms avec orgueil ont soumis la cause de l'Eglise au jugement des empereurs; ils ont poursuivi Cécilien devant le tribunal impérial, et

se sont vantés de l'avoir fait condamner. Qu'ils cessent de vous tromper par des discours vains et menteurs; rentrez en vous-mêmes, craignez le Seigneur, pensez à la vérité, laissez ce qui est faux. Ce que les lois vous ont fait souffrir, vous l'avez souffert, non point pour la justice, mais pour l'iniquité; et vous n'avez pas le droit de dire que nous sommes injustes, parce qu'il a fallu l'emploi de l'autorité impériale pour vous tirer de l'erreur; car vos évêques avouent que leurs devanciers ont agi avec Cécilien comme vous ne voulez pas qu'on agisse avec vous. Leurs aveux et leurs vanteries prouvent suffisamment qu'ils ont accusé Cécilien devant l'empereur; mais il n'est pas du tout prouvé que Cécilien ait été condamné ; au contraire, il est constant qu'il fut deux fois (1) déclaré innocent par des évêques, qu'il le fut ensuite par l'empereur lui-même. Vos évêques l'ont eux-mêmes établi en produisant des actes comme pour leur cause, mais qui leur étaient bien plus contraires, et qui ont tourné à l'avantage de Cécilien. Ils n'ont donc jamais rien pu prouver contre ceux qu'ils ont accusés, et tout ce que nous avons dit pour la cause de l'Eglise et pour la cause de Cécilien, ils l'ont prouvé eux-mêmes par leurs paroles et par tout ce qu'ils ont lu.

.9C'est ainsi qu'ils produisirent d'abord un livre d'Optat, en preuve de la condamnation de Cécilien par l'empereur; ce livre témoignait contre eux, il ne faisait que montrer de plus en plus la justification de Cécilien, et tout le monde se mit à rire. Mais parce que le rire même n'a pas pu s'écrire, vos évêques ont attesté dans les actes qu'on avait ri en ce moment de leurs paroles. Ils lurent ensuite un écrit où leurs devanciers se sont plaints auprès de l'empereur Constantin de ce qu'il les persécutait; ainsi, dans ce même écrit, ils firent voir que Cécilien les avait vaincus devant l'empereur et qu'ils avaient dit faux en soutenant que Cécilien avait été condamné. Ils produisirent en troisième lieu des lettres du même Constantin au lieutenant Vérinus, où l'empereur déteste fortement les donatistes, et dit qu'il faut les rappeler de l'exil pour les livrer

à leur propre fureur, parce que la main de Dieu commençait déjà à les frapper; ces mêmes lettres de l'empereur établissaient donc encore que vos évêques avaient dit faux en parlant de la condamnation de Cécilien; Constantin montre plutôt que Cécilien les a vaincus devant lui lorsqu'il les exècre violemment et ordonne que la peine de l'exil fasse place à un châtement divin déjà commencé.

.10Puis ce fut le tour de Félix d'Aptonge, qui ordonna Cécilien; aux yeux de vos évêques, Félix n'était lui-même qu'un traître; alors ils produisirent contre eux-mêmes une lettre de Constantin, où il demande au proconsul de lui envoyer Ingentius. Or, cet Ingentius avait avoué dans une enquête en présence du

proconsul 1Elien qu'il avait fait un faux contre Félix, ordonnateur de Cécilien. Vos évêques disaient que si l'empereur avait ordonné qu'on lui envoyât Ingentius, c'est que l'affaire de Cécilien était encore pendante; se laissant aller aux plus vaines conjectures, ils imaginaient que peut-être, après le voyage d'Ingentius, l'empereur avait jugé de nouveau Cécilien et cassé sa première sentence qui l'avait absous. Mais on leur demandait de lire des faits au lieu de conjecturer, et ils ne répondaient absolument rien. Or, cette lettre de l'empereur par laquelle il manda Ingentius auprès de lui et que vos évêques lurent contre eux-mêmes pour Cécilien, portait que le proconsul 1Elien avait jugé de sa compétence la cause de Félix et constaté son innocence, et que Constantin ne fit venir Ingentius à sa cour que pour répondre aux sollicitations continuelles de ceux qui étaient là: il voulait leur faire comprendre que c'était en vain qu'ils travaillaient à rendre Cécilien odieux et se tournaient violemment contre lui.

.11 Qui croirait que vos évêques aient lu toutes ces choses contre eux et pour nous, si, par la volonté du Dieu tout-puissant, il n'était pas arrivé que leurs paroles fussent consignées dans les Actes et que leurs signatures fussent en bas? Car si quelqu'un veut faire attention à l'ordre des années et des jours, tel qu'il est marqué dans les mêmes Actes, il trouvera d'abord que Cécilien fut absous par un jugement épiscopal. Ensuite, quelque temps après, la cause de Félix d'Aptonge fut portée devant le proconsul Alien qui proclama son innocence : ce fut au moment de cette affaire qu'Ingentius reçut l'ordre de se rendre auprès (330) de l'empereur. Longtemps après, l'empereur lui-même, après avoir entendu les deux parties, prononça son jugement dans l'affaire de Cécilien ; il le déclara innocent et déclara calomniateurs ceux qui l'avaient accusé. D'après les dates, il est suffisamment attesté que c'est une fausseté et une calomnie de prétendre que l'empereur, après avoir mandé à la cour Ingentius, changea sa sentence et condamna Cécilien précédemment absous. Non-seulement vos évêques n'ont rien pu lire à l'appui de pareilles assertions, eux qui ont tant lu contre eux-mêmes, mais on leur montre avec la dernière évidence, par les dates, que le jugement de l'empereur en faveur de Cécilien, après avoir entendu les parties, fut prononcé longtemps après le jugement de l'affaire de Félix devant le proconsul, et longtemps après qu'un ordre impérial eût appelé Ingentius à la cour.

.12 Que vos évêques ne disent donc plus que nous avons gagné le juge à prix d'argent. N'est-ce point la ressource ordinaire des vaincus? Si nous avons donné quelque chose au juge pour qu'il se prononçât contre eux et à notre profit, que leur avons-nous donné à eux-mêmes pour dire et produire tant de choses contre

eux et à notre avantage? Peut-être veulent-ils que nous leur rendions grâces auprès de vous, car pendant qu'ils s'en vont répétant que notre or a corrompu le juge, c'est gratuitement qu'ils ont tant dit et tant lu contre eux et pour nous? S'ils prétendent qu'ils nous ont vaincus parce qu'ils ont mieux servi que nous la cause de Cécilien, ils ont raison, croyez-les. Deux pièces en faveur de Cécilien nous avaient paru suffisantes, eux en ont produit quatre.

.13 Mais pourquoi charger de plus de détails et de faits cette lettre? Si vous voulez nous croire, croyez-nous, et attachons-nous ensemble à l'unité que Dieu prescrit et qu'il aime. Si vous ne voulez pas nous croire, lisez ou faites-vous lire les Actes mêmes, et assurez-vous de la vérité de ce que nous vous écrivons. Si vous ne faites rien faire de tout ceci et que vous suiviez encore le parti de Donat malgré ses faussetés démontrées avec tant d'évidence, nous n'aurons pas à nous reprocher votre punition, lorsque, trop tard, vous vous repentirez. Mais si vous ne méprisez pas les grâces que Dieu vous fait, si, après que la cause a été examinée et mise en lumière avec tant de soin, vous renoncez à vos erreurs pour embrasser la paix et l'unité du Christ, nous nous réjouissons de votre retour; les sacrements du Christ que vous. gardez pour votre condamnation dans le sacrilège du schisme deviendront pour vous profitables et salutaires lorsque vous aurez le Christ pour chef dans la paix catholique, « on la charité couvre la multitude des péchés (1).» Nous vous avons écrit ceci le 18 des calendes de juillet, sous le neuvième consulat du très-pieux Honorius Auguste, afin que cette lettre parvienne, quand elle le pourra, à chacun de vous.

ترجمة الرسالة إلى العربية¹

رسالة اغسطين التي توضح حيثيات مناظرة قرطاج وتبطل المزاعم القائلة بأنهم خرجوا منتصرين في مناظرة قرطاج انما بفضل الاموال التي قدموها الى مارسيليانوس رئيس الجلسة.

الرسالة مئة وواحد و ستون (CXXI). 14 جوان من سنة 412

¹ - ترجمة عفاف سدراتي

اجتماع سيلفين القديم وفالينتين واوريليوس واينوسو ومكسيم واطاتوس واغسطين ودوناتوس
والأساقفة الاخرون لمجلس زيرطا إلى الدوناتين.

1. بلغ مسامعنا من كل حذب و صوب ادعاء أساقفة كنيستكم بان القاضي قد حظي بملغ
من المال لقاء الحكم ضدهم وانتم طبعاً صدقتموه بكل بساطة، حتى ان هذا جعل كثيرين
منكم يرضخون للحقيقة، متلهفين للإحلال رحمة الله. وها نحن قد اجتمعنا في هذا المجلس،
فانه بدى لنا خيرا ان نراسلكم لنحذركم . ونحن على اقتناع تام بهذا. من خداع ومكر
الاباطرة المهزومين على امرهم. فلقد جاء على لسانهم في نص الرسالة نفسه الذي وقعوه
بأسماءهم تحضيرا لهذا المجلس انهم يلقبوننا بالخونة ويتهموننا باضطهادهم غير ان هذا
كشفهم على حقيقتهم واقتنع الجميع بخطئهم وكذبهم الزائف .بل انهم تبادوا إلى اكثر من
ذلك، حيث قاموا بتسجيل أسماء بعض القساوسة الغائبين على انهم حاضرون بل والى درجة
تسجيل أسماء اشخاص موتى في محاولة منهم للتباهي بعددهم. وعكر عليهم القلق من
سؤالنا عن القساوسة الغائبين اجالتهم فبرروا انهم قضوا نحبهم في طريقهم الى هنا ،وعند
محاصرتهم بسؤالنا عن كيفية تمكنهم من تسجيل حضورهم بالإمضاء في قرطاج رغم
وفاتهم،لم يتوانوا في الكذب مرة أخرى معللين بان الاسقف مات عند عودته من قرطاج والا
فلم يجدوا تعليلا غيره. 327

هذه هي الحقيقة فمن كنتم تظنون انهم مجردالخونة القدمات أو ان الأمر متعلق
بفساد القاضي، بل انه تعدى ذلك فهم لم يتمكنوا من كتابة هذه الرسالة دون ان يرتكبوا جرم
التزوير او ان يتهمونا بتسليم المخطوطات المقدسة. و لهذا ارتأينا ان نسلمكم ملخصا يضم
اهم ما عليكم معرفته خوفا من نطيل عليك في سرد الاحداث فلا تتمكنوا من فهمها او
يصيبكم التعب.

2. وصلنا الى قرطاج نحن وأساقفة كنيستكم واجتمنا ولم تكن لهم نية اعلان هذا باعتباره
يمسّ سمعتهم، فضم الاجتماع سبعة أساقفة من جهتنا و سبعة من جهتهم تم اختيارهم

لتمثيلنا. وبعدها تم تعيين سبعة آخرين عن الجهتين يلجأ اليهم الأساقفة عند الحاجة، وأربعة آخرين عن الجهتين من اجل مراقبة التقارير والاحتراز من تزوير اقاويل احدهم فنقوله ما لم يقل. كان هنالك كذلك عن كل جهة اربع كتاب، حيث كان على اثنين منهما التناوب من اجل جمع كل الاقوال بالموازاة مع أمناء القاضي منعا لادعاء احدهم بانه قال امرا لم يتم تسجيله.

وحرصا على اتخاذ جميع الاحتياطات تم الاتفاق بيننا نحن الأساقفة الدوناتيين والقاضي بنفسه ان نمضي على ما صرحنا به خلال الجلسة تقاديا لاي تذمر او شكوى منهم لاحقا بانه تم تزير أقواله. ان الاشهار بجميع هاته الاعمال عبر كل الجهات والاعلام بها خلال الفترة التي تم التوقيع فيها وبحضورهم الفعلي حتى تبقى حقيقة ما قالوه غير قابلة للدحض بالنسبة للأجيال القادمة. فلا تكونوا جاحدين للنعمة ناكرين لصنيع الرحمان الذي كشف لفائدتكم هذا القدر من الرعاية والعناية المتبصرة. ليس هنالك عذر بعد اليوم، لانه سكون من الصعب بما كان بل وسيتطلب الامر دهاءا شيطانيا لمعارضة العرض الجلي الذي يمثل الحقيقة والشفافية.

3. واصل أساقفة حزبكم الذين تم اختيارهم باجماع الجميع سعيهم بكل عزم لمنعنا من التكفل بهذه القضية التي سافر من اجلها العديد من الأساقفة الكاثوليكين والدوناتيين الى قرطاج قادمين من جميع انحاء افريقيا واقاصي البلاد. وفي حين كانت ارواحهم معلقة في انتظار مصيرهم وما سيحل بهم في هذا التجمع الضخم، اصر أساقفة كنيستكم بكل عنف وقسوة على عدم اتخاذ أي اجراء.

قد يتساءل احدهم: لما هذا التصرف؟ و التعليل المنطقي إجابة على هذا السؤال هو انهم كانوا على علم بخطاهم ولما يريدوا ان يضعوا انفسهم محل الشك فهم بذلك كمن يقبل هزيمته في حالة ما تمت معالجة القضية. فمجرد التفكير في مناقشة القضية يتيح الفرصة لفرز واكتشاف المنهزمين من بينهم. فلو تحصلوا على ما أرادوا ولو ان المؤتمر لم ينعقد ولم تظهر الحقيقة عبر هاته النقاشات، ما كان ردكم عند عودتكم لقرطاج؟ ما الذي كنتم

ستوضحونه؟ أظن انه وبهذه التصرفات الماثلة امامنا والحاضرة بين أيدينا كانوا حتما سيجيبونكم بانهم يصرون على ان لا يتم معالجة القضية في حين انهم يريدون عكس ذلك تماما.

تودون معرفة ما فعلناه بهم ؟ تفضلوا فلتقرأوا كيف اقنعناهم دون ان نفعل شيئا فريما و باتباع منطق سليم كنتم ستجيبونهم بسؤالكم: هل ذهبتم الى قرطاج حتى لا تفعلوا شيئا ؟ او لريما ستسألونهم : لماذا عدتم ان كنتم لم تفعلوا شيئا هناك؟

4. وفي الأخير وبعد محاولات واهية لمنعنا من الذهاب لحضور جلسة القضية او لنقل المناظرة، اين تمت هزيمتهم والتفوق عليهم بكل شيء حيث كانت لهم فرصة الوقوف على سبب خوفهم والسبب انهم اعترفوا بانه لم يكن لديهم ما يقولونه ضد الكنيسة الكاثوليكية الممتدة عبرة جميع بقاع الأرض. لقد كانوا مثقلين بعبء الشهادات الالهية والكتابات المقدسة التي تبين لنا تربع الكنيسة وامتدادها بدءا من القدس وذهابا الى الاماكن التي وعظ فيها الحواريون اين كتبوا أسماءهم على رسالاتهم وافعالهم وتواصل الكنيسة امتدادها نحو دول أخرى.

لقد اعلنوا جهرا انه ليس لديهم شيء يقولونه ضد هذه الكنيسة وهنا تحقق نصرنا باسم الرب، والفضل في ذلك يعود للكنيسة التي نحن على شراكة معها، التي انفصلوا هم عنها وانشقوا بكل انفتاح وشهدوا بذلك على انهزامهم الماضي. انهم يبينون لكم ان تمكنتم من فهمهم طريق الحق لاتباعه وطريق الباطل للحياذ عنه، ولا يدلونكم عليه عبرا ارتكابهم جرما جعلهم يكذبون عليكم زورا الى يومنا هذا ، وانما بإظهارهم الحقيقة التي كانوا مكرهين على الاعتراف بها.

5. وعليه، فان كل من يفصل عن هذه الكنيسة الكاثوليكية معتقدا انه جدير بالثناء لاقتراف مثل هذا السلوك فانه بهذا الجرم الذي جعله ينقسم عن وحدة المسيح لن يكون له حياة و

سيحل عليه غضب وسخط الرب. ولكن لن يكون كل من عاش تحت سقف هذه الكنيسة مسؤولاً عن خطايا الأخرى لانه وحسب ما جاء به الرسول ابوتر في كلامه: {سيتحمل كل واحد عبءه.}

يجب ان لا نعطي لفكرة القديس اغسطين هذه معنى مطلقاً، فهو يوجه كلامه هنا للمنشقين اللذين ليس بإمكاننا ابدا القول انهم في جهل او على ضلاله ولكن بإمكانهم تقدير الحقيقة في شكل وقائع ظاهرة وجلية. فالكنيسة لا تدين كل ذي ايمان صادق و كامل ان هو اخطأ ووقع في جهل لا يقهر. وجاء حسب ما كتبه الرسول نفسه: {هنا، كل دون كرامة . دون ان تسأل وتحاسب . جسد المسيح، كل واشرب حكمه} حسب كلماته جاء أيضاً: {ياكل حكمه} ما يظهر جلياً انه لا ياكل حكم الآخرين ولكن حكمه هو أي الخاص به.

كان هذا ما قمنا به وما اظهرناه واعترفنا به لأن الأشرار لم يدنسونا باقحامنا معهم في نفس أعمالهم وطقوسهم الدينية وانما دنسونا بجعلنا نقبلها. فان لم نوافق على كل ما هو سيء، سيتحمل الشرير لوحده عبء ما جنته يداه و اعماله ولا ضرر يلحق ذلك الذي لم لديه شريك في الجريمة.

هذا ما اضطر أساقفة كنيستكم الى الاعتراف به جهراً مجبرين فلا يتعلق الامر بتلك الفترة التي كنا نتحدث فيها عن هذه الأمور، وانما عن الفترة التي تلتها وبالضبط في قضية أخرى قضية سيسيليان، اذ نميزها عن سابقتها بانه لو افترضنا اننا اثبتنا جرمهم صدفة فاننا كنا حتماً سندينهم علناً دون ان نتخلى على كنيسة المسيح من اجل هذا والا فانه لا يمكننا الحكم مسبقاً على هاته الأخطاء.

وعند وصولنا لهذه القضية قرأنا أفعال مجلس قرطاج اين جاء انه صدر في حق سيسيليان الحكم بالغياب وادانه سبعون اسقف دوناتيا، فكان جوابنا انه لا يحق للمجلس الحاق الضرر بسيسيليان الغائب كما لا يحق له الحاق الضرر — الغائب عن المجلس

الدوناتى اين ادانه مئه اسقف فى قضية ماكسيميان. فذكر هذا الاسم وحده كفيل بتذكير أساقفة كنيستكم بما تلقوه على شرفهم بعد ان ادانوهم و صدر إقرار تعميدهم عند النقسام المنتهك للحرمت لماكسيميان و حكم مجلس باغاي الذي ادان الرجال فى هذا الحزب و منحوهم مهلة بسبب ان الراضين لانتهاك الحرمة ماكسيميان لم يشوهوا سمعتهم.

بثت ذكرى هذه القضية فى انفسهم حالة من الرعب وجعلتهم فى اضطراب وبغض النظر عن كونهم عارضونا من قبل منددين بعبارات: { لا فائدة لقضية برفع قضية أخرى ولا فائدة لشخص يرجوها من آخر}. فهم يؤكدون بذلك وعلى لسانهم ماقلناه عن الكنيسة ونحن نعلم ان القضية و شخص سيسيليان وقدرها لا يمكنه الحاق الضرر بالكنيسة الكاثوليكية ما وراء البحار وهو الامر الذي اعلن اساقفتكم ضده عدم التدخل مطلقا ولا الكنيسة الكاثوليكية فى افريقيا بقيت على شراكة معها. انهم يؤكدون تبنيهم لهذه العقيدة لان حزب الدونات لن يطاله أي ضرر من ماكسيميان ومن معه من مثيري الفتن الذي ادان بريميانوس، كما لم يلحق أي ضرر من فيليسيان الذي ادان بريميانوس من ثم ادين من قبل حزب الدونات اين اعترف بكرامته الأسقفية كما فى السابق . وأخيرا جاء نصرنا الساحق فلو ان ماكسيميان لم يلحق الضرر باتباعه الذين منحهم الأساقفة مهلة من اجل ان الشراكة مع ماكسيميان لم تكن لتلحق بهم العار لان : { لا فائدة لقضية برفع قضية أخرى ولا فائدة لشخص يرجوها من آخر }

ما الذي تبحت عنه اكثر من هذا؟ لقد حمل أساقفة كنيستكم خطابات أوراق المؤتمرات بالعديد من العبارات الغير ضرورية، و رغم ذلك لم يستطيعوا ان يحولوا دون دراسة حيثيات القضية، كما انهم عمدوا الى الاسترسال فى الحديث فى حيلة لجعل قراءة نص القضية تبدو اصعب للفهم والاستيعاب. غير ان بضع كلمات منهم كانت كافية بالنسبة لكم وهي كفيلة بمنع كرهكم للوحدة الكنسية الكاثوليكية بسبب جرم اجهله، اقترفه مجرم لا

اعرفه لانه وكما قال اساقفتكم: { لا فائدة لقضية برفع قضية أخرى ولا فائدة لشخص يجرؤها من آخر. }

و رغم ذلك دافعنا عن سيسيليان مع ان قضيته ليست قضية الكنيسة، دافعنا عنه حتى نضع القضية تحت الأضواء وحتى هنا لحقتكم افتراءات اساقفتكم ، لقد تعرضوا للهزيمة الشنعاء بكل وضوح ولم يتمكنوا من اثبات شيء يعيب سيليسيان.

إضافة الى ذلك، وبدعم من الاعمال الأسقفية تمكنا من رؤية عدد قليل ممن ادانوا سيسيليان و اتهمه بالغياب كانوا هم انفسهم TRADITEURS خونة. ان اساقفتكم لم يعرفوا كيف يجيبوا وان يصرحوا بان هاته الاعمال كانت خاطئة ولكنهم لم يتمكنوا ابدا من اثباتها. كما انهم اعترفوا او بالحرى شرفونا بإعلان ان خلفاءهم قد اتهموا سيسيليان امام الامبراطور القسطنطيني ولفقوا الأكاذيب بإدانة سيسيليان المزعومة من قبل الامبراطور. وهنا أيضا هزموا لانهم اثقلوا كاهلهم بالاطعاء ومن اجل شحن الكره ضدهم في صفوف حزبكم فهم لم يتوقفوا عن قول اننا.....

فلا ينقصنا الا ان تقولوا ان مجلس سيرتا اليوم بقسنطينة المقام في 305.تمت مناقشته في الفصل السابع والعشرين من الكتاب الثالث ضد كريسكونيوس وهو مؤلف للقديس اوغسطين لعام 406 يتكون من أربعة كتب.

ولنناقش امام الاباطرة قضية الكنيسة: فالاسلاف هنا وبامكانهم اعلان أسماءهم بفخر وخضوع قضية الكنيسة لحكم الاباطرة، فلقد تابعوا سيسيليان أمام البلاط الإمبراطوري، وتفاخروا تباهاوا بالحكم عليه .

فليتوقفوا عن خداعكم بعبارات باطلة كاذبة وليعودوا إلى أنفسهم وليخشوا ربهم وليمعنوا التفكير في الحقيقة وترك ما هو كاذب.

ما عانيتموه من ظلم القوانين قد عانيتموه ليس من أجل العدالة، بل ظلما وزورا، وليس لكم الحق في القول بأننا غير عادلين، لأنه كان من الاجدر استخدام السلطة الإمبراطورية لمنعكم من الخطأ. ذلك أن الأساقفة قد اعترفوا بأن أسلافهم تصرفوا مع سيسيليان كما لم ترغبوا في أن يتصرف معكم. فكانت اعترافاتهم وثناءهم المبتذل تثبت بما فيه الكفاية أنهم اتهموا سيسيليان أمام الإمبراطور ولكن لم يثبت على الإطلاق أن سيسيليان تمت أدانته. بل على العكس من ذلك، فلقد تم الاعلان عن براءته مرتين الأبرياء من قبل الأساقفة وهي حقيقة ثابتة ، ثم من قبل الامبراطور نفسه. رسخ أساقفة كنيستكم بأنفسهم لهذا من خلال الاتيان بنفس الاعمال لقضيتهم، ولكنها لم تكني صالحهم وانعكس الامر عليهم وكان ذلك لصالح سيسيليان. ما لم ييكنهم أبدا من إثبات أي شيء ضد أولئك الذين اتهموا، وكل ما قلناه من أجل قضية الكنيسة وقضية سيسيليان، أثبتوه بأنفسهم وبكلماتهم و من خلال كل ما قرعوه.

9. وهكذا أنتجوا كتاب أوبتاتوس لأول مرة كدليل على إدانة الإمبراطور لسيسيليان، وكان هذا الكتاب شهادة ضدهم: فكل ما أظهر في كل مرة كان تبريرات لصالح سيسيليان ما جعل الجميع يضحكون. ولأنه لا يمكن كتابة الضحك، شهد أساقفة كنيستكم في اوراق المؤتمرات انهم ضحكوا حينها بكلماتهم. ثم قرأوا رسالة يشكوا فيها أسلافهم اضطهادهم إلى الإمبراطور قسطنطين. وهكذا، في نفس الرسالة ظهر أن سيسيليان قد هزمهم امام الإمبراطور وأن ما قالوه مجرد كذب مؤكدين حقيقة ان سيسيليان قد تمت أدانته.

وفي خطوة اخرى خطوا رسائل من قسطنطين نفسه إلى الملازم فيرينوس، حيث ندد الإمبراطور بقوة على الدوناتية، فاخبرهم بضرورة تذكيرهم في المنفى لتسليمهم الى موطنهم الاصلي بحجة ان يد الله تبطش بهم.

هذه الرسائل نفسها التي كتبها الإمبراطور فماذا تبقى لأساقفتكم قوله بعد هذا من كذب و حديث باطل عن إدانة سيسيليان. اذ ان قسطنطين يظهر بدلا من ذلك أن سيسيليان

هزمهم أمامه عندما احتقرهم بشدة وأمر بأن عقوبة المنفى تفسح المجال لعقوبة إلهية قد بدأت بالفعل.

10. و جاء دور فيليكس أبتونج، الذي امره سيسيليان الذي كان في نظر أساقفتكم من المرتدين ، وما كان من فيليكس الا ان يكتب ضدهم رسالة يبعث بها الى قسطنطين، حيث طلب فيها من القنصل الروماني أن يرسل له Ingentius إنجنتيوس. ولكن إنجنتيوس قد اعترف في تحقيق حضره القنصل الروماني ايليان 1 (Elien) بأنه أدلى ببيان كاذب ضد فيليكس بامر وحكم من سيسيليان. وقال أساقفتكم إنه إذا أمر الإمبراطور بأن يرسل إليه إنجنتيوس فان ذلك يعني ان قضية سيسيليان لا تزال معلقة. وسمحوا لأنفسهم بأن يذهبوا إلى أكثر التخمينات عبثا فتصوروا أنه ربما بعد رحلة إنجنتيوس، سيحاكم الإمبراطور سيسيليان مرة أخرى وسيكسر بذلك حكمه الاول الذي كان قد أعفاه منه وبرأه. ولكنه بطلبه منهم قراءة الحقائق بدلا من التخمين لم يترك لهم أي سبيل للأجابة لاشيء على الاطلاق. او أن هذه الرسالة من الامبراطور التي استدعى بها Ingentius بعث له من اجل المثل امامه و التي قراها الأساقفة بأنفسهم من اجل سيسيليان ما جعل القنصل الروماني ايليان 1 (Elien) يحكم حسب خبرته في قضية فيليكس و يعلن براءته، مضطرا قسطنطين الى استدعاء إنجنتيوس Ingentius لمحاكمته وللدرد على الاستجداءات المستمرة من أولئك الذين حضروا الجلسة وهو بهذا اراد ان يفهمهم انهم عملوا هباء من اجل تشويه صورة سيسيليان وخيانتة.

11. من كان يظن ان اساقفتكم كانوا سيقرعون كل هاته الاشياء ضدهم وعلى مسامعنا لولا ان قدرة الله شاءت ذلك، فهل جاء ببالهم ان كلماتهم ستكون الشاهد عليهم في اوراق المؤتمرات وان امضاءهم سيكون شاهدا اسفلها؟ لأنه إذا كان أي شخص يرغب في الاهتمام بترتيب السنوات والأيام، كما هو ملحوظ في اوراق المؤتمرات، سيجد أولا أن سيسيليان قد تمت تبراته ونال الغفران بحكم الأسقفية وبعدها بزمان وجيز، قضية دور فيليكس أبتونج

Félix d'Aptonge حيث تم أحضاره امام القنصل الروماني ايليان 1 (Elien) الذي أعلن براءته و زامن هذه الفترة قضية إنجنتيوس Ingentius الذي تلقى امرا بتسليم نفسه للإمبراطور (330).

وبعد فترة طويلة، أصدر الإمبراطور نفسه، بعد سماعه للطرفين، حكمه في قضية سيسيليان كما أعلن عن المفترين الذين اتهموه زورا. وحسب التواريخ فإن الشهادات باتت كفاية لتبيان أن هذا كذب وافتراء، اذ مباشرة بعد أن استدعي إنجنتيوس Ingentius إلى المحكمة و مثوله امام الإمبراطور تغير الحكم الصادر بحقه وأمر ببراءة سيسيليان. لم يكن الأساقفة وحدهم من لم يستطيعوا قراءة أي شيء لدعم هذه التأكيدات فلقد كانوا بأنفسهم يقرعون ما يدينهم ولكننا الزمانهم الحجة بالتواريخ التي صدرت في حكم الإمبراطور صالح سيسيليان بعد الاستماع إلى الأطراف وتم اصدار الحكم في قضية فيليكس امام القنصل الروماني وبعدها بزمن طويل و بأمر من الإمبريالية تم استدعاء إنجنتيوس إلى المحكمة.

12. لن يعيد الأساقفة على مسامعكم فكرة انهم فازوا و ربحوا القاضي في صفهم لقاء مبلغ من المال. أليس هو المورد العادي لكل الانهزامات؟ فإذا أعطينا شيئا للقاضي لينطق بحكم ضدهم ومن أجل مصلحتنا، فما الذي أعطيناهم لقول وإنتاج الكثير ضدهم ولصالحنا؟ ولعلمهم يريدون منا أن نقدم الشكر لهم، لأنه في حين يذهبون بعيدا وهم يكررون على مسامعنا أن الذهب لدينا قد أفسد القاضي

فكم مرة قد قالوا وقرعوا الكثير مجانا ضدهم و لصالحنا؟ فان ادعوا أنهم هزمونا لأنهم خدموا قضية سيسيليان أفضل منا فهم على حق، ثقوا من هذا. بدا لنا في قضية سيسيليان وثيقتان تخدمانها كفاية لكن الاساقفة ادعوا اربعة.

13. ولكن لماذا نحمل هذه الرسالة المزيد من التفاصيل والحقائق؟ فإذا كنتم تريدون تصديقنا فافعلوا ذلك ودعونا ننضم معا في الوحدة التي يصفها الله و يحبها. و إذا كنتم لا تريدون

تصدقنا ، فلتقروا اوراق المؤتمرات حتى تتأكدوا من حقيقة ما نكتب لكم. فان كنت لا تفعل أي شيء من هذا، ولا تزالون تتبعون حزب دونات على الرغم من ان الباطل واضح للعيان فلن نضطر لالقاء اللوم على عقوبتك، لانكم ستدركون التوبة في وقت متأخر جدا. ولكن إذا كنتم لا تحتفرون نعم الله التي اعطاكم، إذا، و لو انكم بعد أن تم النظر في القضية وتسليط الضوء عليها بعناية سيكون بإمكانكم التخلي و التراجع عن أخطائكم و احتضان السلام و وحدة المسيح. سنفرح لعودتكم فسر المسيح المقدس الذي تحافظ عليه من اجل اذانتك بجرم تدنيس المقدسات من اجل الانقسام سيصبح امرا مريحا ومفيدا عندما يكون المسيح زعيما للسلام الكاثوليكي، ف"الاحسان الواحد يحمل في طياته الكثير الخطايا"

وعليه، فلقد كتبنا لكم هذا في الثامن عشر 18 من يوليو، تحت امرة القنصلية التاسعة للتقي هونوريوس أوغسطس، حتى تصل هذه الرسالة إلى كل واحد منكم.

الملحق رقم 105:

اناشيد دينية (مزمور) نظمها القدّيس أغسطين ضد الدوناتيين بأسلوب شعبي بسيط حتى يسهل على الرعية فهمه وترتيله، وقد رجع في هذه الأناشيد إلى جذور الانشقاق محاولا الردّ على كل الاتهامات التي وجهت للكنيسة الكاثوليكية من طرف خصومها الدوناتية داعيا إلى الوحدة الكاثوليكية وفي ما يلي نص المزمور باللغة الأجنبية وترجمتها باللغة العربية:

Vous tous qui goûtez les douceurs de la paix, ouvrez enfin les yeux à la lumière de la vérité !

D'ordinaire la multitude des péchés jette le trouble dans le coeur de nos frères.

C'est pour nous rassurer contre ce scandale que le Seigneur a prononcé cette belle parabole,

Dans laquelle il compare le royaume des cieus à un filet lancé dans les eaux de la mer.

Il enveloppe dans ses plis une multitude de poissons de tout genre et de toute grandeur. Les pêcheurs le traînent sur le rivage, et séparent les poissons.

Les bons sont placés dans des vases, les mauvais, rejetés à la mer.

¹ – Augustin(st), Chant Populaire Contre la secte des Donatistes, trad : M. Raulx, Bar-Le-Duc, L. Guérin & Cie, éditeurs, 1869.

Tout homme qui comprend cette parabole, en est saisi de crainte.

Le filet est pour lui la figure de l'Église, et la mer, celle du monde que nous habitons.

Les poissons se présentent d'abord mêlés et confondus, comme ici-bas les justes sont confondus avec les pécheurs.

Vienne le rivage, c'est-à-dire la fin du monde, c'est l'heure solennelle de la séparation.

Les filets se rompent, parce que la mer a pour les poissons des attraits trop puissants.

Les vases figurent les trônes où siègent les saints, sur lesquels les méchants ne pourront jamais s'asseoir (1).

Vous tous qui goûtez les douceurs de la paix, ouvrez enfin les yeux à la lumière de la vérité !

L'auditeur pieux me demande peut-être par qui le filet a été rompu?

Par ces hommes gonflés d'orgueil qui se décernent à eux-mêmes le titre de justes. Voilà pourquoi ils ont fait schisme et dressé autel contre autel.

En faisant de la tradition des manuscrits leur cri de guerre, ils se sont livrés au démon.

Et ils veulent faire retomber sur d'autres le crime qu'ils ont eux-mêmes commis.

ترجمة النص¹:

أنتم من تذوقتم حلاوة السلام، افتحوا أعينكم أخيرا على ضوء الحقيقة!
عادة تعدد الخطايا يلقي المتاعب في قلوب إخواننا.
هي طمأنة لنا ضد هذه الفضيحة من الرب الذي أعلن هذا المثال الجميل
التي من خلالها تقارن مملكة السماوات التي ترمي شبكة في مياه البحر
برالتي تضم بين طياتها الكثير من الأسماك بكل الأنواع و الأحجام ليفرزها الصيادون
على الشاطئ
توضع الجيدة منها في المزهريات و تعاد السيئة مرة أخرى في البحر
الرجل الذي فهم هذا المثال فقد سيطر على خوفه
الشباك بالنسبة له وجه الكنيسة، والبحر العالم الذي نسكنه.
الأسماك تظهر في الأول مختلطة وممتزجة، كما هنا في الأسفل يمتزج الصالحين مع
الخطاة.
يأتي الشاطئ الذي يعني نهاية العالم و ساعة الانفصال الرسمية.

¹ - ترجمة الباحثة

الشباك تكسر، لأن البحر لديه مناطق جذب لسماك قوية جدا
المزهريات هي العروش التي يجلس عليها القديسين، الذين لا يستطيع الأشرار أبدا أن
يجلسوا عليها

انتم الذين تذوقتم حلاوة السلام، افتحوا أعينكم أخيرا في ضوء الحقيقة!
قد يسألني المستمع النقي نت الذي كسر الشبكة
من قبل هؤلاء الرجال المنتفخة بالفخر الذي منحوا لأنفسهم اسم الصالحين، هذا هو السبب
هم جعلوا الانشقاق و المذب ضد المذب
من خلال جعل تقليد المخطوطات صرخة الحرب، واستسلموا للشيطان.
ويريدون إلقاء اللوم على الآخرين حول الجريمة التي ارتكبوها

الملحق رقم 106¹ :

رسالة امبروسيوس الى الإمبراطور ثيودوسوس بعد المجازر التي قام بها في نيسالونيكيا
سنة...

أيها الإمبراطور العظيم : "انني لا انكر ان عندك غيرة ، و مخافة الله ، و لكن عندك حدّة
في الطبع إذا اثرت فليس لها من حدود ساتركك الى نفسك فلتعد الى حقيقتك و لتنتصر قوة
التقوى التي فيك على عنف طبيعتك يمكنك محو هذا العار بتذليل نفسك امام الله ، انك رجل
، و بصفتك هذه ، أنتك التجربة ، فاخرج منها منتصرا ، انه يمكننا الخروج من الخطيئة في
طريق مبلل بالدموع . فلا يستطيع اي رئيس او ملاك ان يمحي هذا الذنب . انه الرب فقط
الذي يقول : " انا معك " هو يمنحك الغفران بواسطة التوبة لو كان عندي بعد نظر اكثر من
هذا فرما كنت قد منعتك عنك ، هذا السقوط ، و ياليتني أطعت إلهام قلبي بدلا من الثقة في
رحمتك المعتادة "

¹ - القديس امبروسيوس ، الأسرار ، المصدر السابق ص 53.51

أيها الإمبراطور يبدو انك لم تشعر بعد بفضاعة جريمة القتل التي ارتكبتها هل تريد ان تتجاهل انك جبلت من تراب مثل باقي الناس؟ ان السلطة المطلقة ربما تعميك ، احترس لئلا يمنعك ثوبك. ان اولئك الطين تحكمهم بشر مثلك ، بل هم اخوتك قبل ان يكونوا خدامك التابعين لك. فانه لا يوجد امبراطور واحد، ألا و هو خالق الكل ، كيف تستطيع التقدم الى جسد يسوع المسيح و يدك ملطخة بدماء القتلى الذين أرقت دماءهم ظلما؟ الأحرى بك ان تخاف و تمتنع من ان تضيف الى جرائمك التجديف .

اجاب الامبراطور قائلاً : " و لكن داود أخطأ و الله سامحه" .

فقال امبروسيوس : " إذا فتقبل النير الذي سيضعه الله على عنك . لقد شابتهت داود في خطيئته فتمثل به في توبتك

فهرس المصادر والمراجع والدوريات

بيبايوغرافيا البحث

أولا المصادر

1- المصادر باللغة العربية :

1. انجيل لوقا: الاصحاح 25:18 نقلا عن سهيل بشروئي ، المرجع السابق ، ص 457.
2. اثناسيوس، سيرة حياة القديس انطونيوس اب الرهبان
3. اثناسيوس، الشهادة لالوهية المسيح
4. اغسطينوس، مدينة الله، ج3، كتاب 22.18، تر: يوحنا الحلو، ط2، دار المشرق، لبنان، 2007 .
5. القديس اغسطين، اعترافات، تر: الخوري يوحنا الحلو، ط5، دار دمشق، لبنان، 1996 .
6. القديس اغسطين، تعليم المبتدئين اصول الدين المسيحي في الحياة السعيدة . في الكذب ، تر: يوحنا الحلو ، ط1 ، دار دمشق ، لبنان
7. القديس اغسطين، المسيح مجد الشهداء، تر: ريمون يوسف، د.ط، المركز الثقافي القبطي الأرثوذكسي، مصر ، 2012.
8. القديس امبروسيوس ، سرّ تجسد الربّ، تر: ريمون يوسف ، ط1 ، مطبعة الدلتا ، مصر ، 2011 .
9. يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة النصرانية ، تر : القمص مرقس داود ، د.ط ، مكتبة المحبة ، مصر ، د.ت.
10. يوسابيوس القيصري، حياة قسطنطين العظيم ، تع : مرقس داود ، د.ط ، مكتبة المحبة ، د.ت ، مصر.

2- المصادر باللغة الأجنبية

1. Actes de la conférence de Carthage en 411, trd : Serge Lancel dans les « Sources Chrétiennes », édition du Cerf, 1972:

tome I : Introduction générale, source chrétiennes n° 194, 1975.

tome II : Texte et traduction de la capitulation générale et des actes de la première séance, Source chrétiennes n° 195, 1972.

tome III : texte et traduction des actes de la deuxième et de la troisième séance n° 224, 1975.

Tome IV : Notices sur les sièges et les toponymes notes complémentaires et index, n° 373.

2. Ambroise de Milan, Lettre LI à l'empereur Théodose, ch 10.14, Trad : Pierre de Labriolle, Paris, Bloud, 1908

3. Apulée, Apologie-Florides, les belles lettres, Paris, 1971.

4. Augustin (S.T)

A. Les Lettres:

Œuvres complètes : Les lettres de Saint Augustin ; trd : M. Pujoula et M. l'abbé Raulx.

* Première Série écrite par Saint Augustin avant sa promotion à l'épiscopat (I-XXX) lettres utilisées.....)

* Deuxième Série écrite par Saint Augustin depuis sa promotion à l'épiscopat en 396, jusqu'à la Conférence de Carthage ; en 410 (XXXI-CXXIII) lettres utilisées.....)

* Troisième Série écrite par Saint Augustin depuis l'après la Conférence de Carthage en 411, jusqu'à sa mort en 430 (CXXIV-CCXXXI) lettres utilisées

* Quatrième Série Lettres Sans Date (CCXXXI-CCLXX) lettres utilisées

B. Les Œuvres polymiques

Œuvres complètes de saint Augustin, trad : M. Raulx, Bar-Le-Duc, L. Guérin & Cie, éditeurs, 1869:

* Des actes du procès de Pélagie.

- *Avertissement aux Donatistes après la Conférence.
- * Du baptême contre les Donatistes.
- *Chant Populaire contre la Secte des Donatistes.
- *Du combat chrétien.
- *Conférence De saint Augustin avec Maximin, évêque Arien.
- *Conférences Entre st Augu et le manichéen Félix.
- *Contre Cresconius : - livre premier.
livre deuxième.
livre troisième.
livre quatrième.
- *Contre la doctrine des iriens.
- * Contre Julien Défenseur du Pélagianisme, livre deuxiém.
- * Contre les lettres de Pétilien.
- * Des Hérésies.
- * Histoires de Saint- Augustin, comenté par : Louis Guérin ,
- * Lettre aux catholiques contre donatistes.
- * Lettres de Secundinus à Augustin.
- * Œuvres complètes,trad : L'abbé Burlerau.
- *Réfutation d'un écrit de Parmenién.
- *Résumé d'une Conférence avec les Donatistes.
- *Les Sermons, XVIII.
- *De l'unité du baptême réfutation des erreurs de Pétilianus,livre 1

5.Code Théodsien Livre XVI, v I, tra :Jean Rojeé, « Sources Chrétiennes »,
edition du Cerf, 2005:

*sirmondiane, Sourse chrétiennes n°531.

6 .Le code theodosien , The theodosian code and novels and the sirmandianis
constitutio by clyde pharr in collabortion with sherrer Davidson and M.Brawn
pinceton university press , 1952 XII

7. Marius Victorinus, Traités Théologiques Sur La Trinité, TI, trad :Pierre Hadot, éd Le Serf, Paris, 1960.
8. Lactance, L'ouvrage Du Dieu Créateur, T I, Trad Michel Perrin, éd le Cerf, 1974, Paris
9. Julien L'empereur , Œuvre compléte , t1 , 2eme parti , lettres et fragments trad : M J . Bidez ,2eme ed les belles lettre , paris 1960.
10. Juvenal, trad: pierre de labriolle et francois villeneu, les belles lettres, paris, 1921.
11. Optat De Milève, Traité Contre Les Donatistes, t1, Edition de Cerf, paris
12. Pontius, Paulin, Posidius, trois vie Cyprien Ambroise. Augustin, trad: Nadine plazaner-siarri et jean-pierr Mazières, MIGNE, France.
13. Possidius , Life Of Saint Augustine, Trans : by Herbert Theberath Weiskotten.
14. Quintilien , Institution , t1 chapitre1 , les belles lettres , paris , 1971.

ثانيا : المراجع

1- المراجع باللغة العربية :

أ – الكتب باللغة العربية

1. ابراهيم دسوقي و عبد العزيز الغنام، تاريخ الفكر السياسي ، دار النجاح ، لبنان ، 1973.
2. احمد شلبي، مقارنة الأديان ، ط10 ، مكتبة النهضة المصرية ، 1998 ، مصر.
3. أحمد غانم حافظ، الإمبراطورية الرومانية من النشأة الى الإنهيار، د.ط ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 2007 .
4. الأنبا متاؤس ، نسكيات الأنبا انطونيوس (حياته ، رسائله ، تعاليمه) ، ط1، دار الكرمة للطباعة ، 2009، مصر.
5. الباز العريني ، الدولة البيزنطية 323م-1081هـ ، د.ت ، دار النهضة العربية ، لبنان ، 1986 .
6. حارش (محمد الهادي) ، التاريخ المغربي القديم ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، 1995

7. حسن حنفي حسنين ، نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط (اغسطين ، انسلیم ، توما الأكويني) ، ط2 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1998 ، مصر .
8. حسنين محمد ربيع ، تاريخ الدولة البيزنطية ، د.ط ، دار النهضة العربية ، مصر ، 1983 .
9. حسين المنصوري ، مجمع نيقية المجمع المسكوني الأول ، ط1 ، اصدرارات انصار الإمام المهدي ، 2011، دم.
10. دباغ (تقي) ، الفكر الديني القديم ، ط1 ، دار الشؤون الثقافية العامة ، العراق .
11. رأفت عبد الحميد ، بيزنطة بين الفكر و الدين و السياسة ، ط1 ، عين للدراسات و البحوث الانسانية و الاجتماعية ، مصر ، 1997 .
12. زينب محمد الخضيرى ، لاهوت التاريخ عند القديس اغسطين ، ط1 ، دار الثقافة للنش و التوزيع ، مصر 1992 .
13. سعيد عبد الفتاح عاشور ، تاريخ اوروبا في العصور الوسطى ، د.ط ، دار النهضة العربية ، 1976 ، لبنان .
14. سيد أحمد علي الناصري ، تاريخ الامبراطورية الرومانية السياسي و الحضاري ، ط2 ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، مصر ، 1991 .
15. السيد محمد غانم ، الزردانثية(تاريخا و عقيدة و شريعة دراسة مقارنة) ، ط1 ، خطوات للنشر و التوزيع ، سوريا ، 2006 .
16. الشاذلي بوروينة و محمد الطاهر ، قرطاج البونية ، تاريخ حضارة ، مركز النشر الجامعي ، تونس .
17. عبد الله العروي ، مجمل تاريخ المغرب ، ط5 ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، 1996 .
18. عبد الرحمان بدوي ، فلسفة العصور الوسطى ، ط3 ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، 1979 .
19. علي زيعور ، اغسطينيوس (مع مقدمات في العقيدة المسيحية و الفلسفة الوسطية) ط1 ، دار اقرأ ، لبنان ، 1983 .

20. عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، دا المعرفة الجامعية ، د.ط ، مصر ، 1999.
21. الكعك (عثمان) ، موجز التاريخ العام للجزائر (من العصر الحجري الى الاحتلال الفرنسي) ، ط1 ، دار الغرب الاسلامي ، لبنان ، 2003 .
22. لعقون (محمد العربي) ،الاقتصاد و المجتمع في الشمال الإفريقي القديم ، ديوان الطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2008.
23. متى المسكين ، المعمودية الأصول الأولى للمسيحية ، ط2 ، دار دار الكتب المصرية ، 2001 ، مصر
24. المحجوبي عمار، ابوليوس ، ط 1 ، بيت الحكمة ، تونس ، 1998
25. محمد البشير شنيطي ،التغيرات الاقتصادية و الاجتماعية اثناء الاحتلال الروماني ودورها في احداث القرن 04م ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 .
26. محمد البشير شنيطي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني (بحث في منظومة التحكم العسكري لليمس الموريطاني ومقاومة المور ، ج2، د.ط ، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ت، الجزائر.
27. محمد بن إبراهيم جندلي، عنابة في سياق التاريخ و عمق الجغرافيا، ك1، ط1، مطبعة المعارف، الجزائر، 2007.
28. محمد بيومي مهران ،المغرب القديم مصر و الشرق الادنى القديم، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 1990.
29. محمد الصغير غانم، مقالات وآراء في تاريخ الجزائر القديم، ج2، دار الهدى، الجزائر، 2010، ص 236.
30. محمد الصغير غانم ،الملاحم الباكرا للفكر الديني الوثني في شمال افريقيا ، دار الهدى ، الجزائر ، 2005 .
31. محمد المبكر ، شمال افريقيا القديم (حركة الدوارين و علاقتها بالدوناتية 305م-429م) ط1 ، منشورات كلية الآداب ، الرباط ، المغرب ، 2001.

32. محمد محمد مرسي الشيخ ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، د.ط ، دار المعرفة الجامعية ، 1994 ، مصر.
33. محمود ابراهيم السعدني ، حضارة الرومان (منذ النشأة و حتى نهاية القرن الاول للميلادي) ، ط1 ، عين للدراسات و البحوث الانسانية و الاجتماعية ، 1998 ، مصر.
34. محمود سعيد عمران ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية (مدخل الى التاريخ السياسي و الحربي) ، د.ط ، دار المعرفة الجامعية ، 2000، مصر.
35. محمود محمد الحويري ، رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية ، ط3 ، دار المعارف ، 1995 ، مصر.
36. مصطفى العبادي، الامبراطورية الرومانية النظام الامبراطوري و مصر الرومانية، دار المعرفة الجامعية ، 1999.
37. المنصوري (محمد الطاهر)، الحياة الدينية في بيزنطة من الانبعاث الى القطيعة مع روما ، ط1 ، دار امل للنشر و التوزيع ، دم، 2003.
38. نهاد خياط ، الفرق و المذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الاسلام ، ط1 ، دار الأوائل ، سوريا ، 2002.
39. يوسف كرم ، تاريخ و عقائد الكتاب المقدس بين اشكالية التقنين و التقديس دراسة في التاريخ النقدي للكتاب المقدس في الغرب المسيحي ، ط1 ، دار صفحات للدراسات و النشر ، 2009 ، سوري.
40. يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط ، د.ط ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، 2013.
41. يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، د.ط ، دار المعارف ، 1970.

ب – الكتب المترجمة

1. إيتين هنري جلسون، روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط : تر : إمام عبد الفتاح إمام ، ط3 ، مكتبة دوبيلي ، 1996 ، الكويت.
2. اندريه ايمار و جانين اوبوايه ، تاريخ الحضارات العام الشرق و اليونان القديمة ، تر: فريد و. داغر و فؤاد ج . ابوريحان ، ج2 ، منشورات عويدات ، بيروت . لبنان.

3. تشارلز وارث، الامبراطورية الرومانية، تر: رمزي عبد جرجس، مر: محمد صقر خفاجة ، د.ط ، مكتبة الأسرة ، مصر ، 2003
4. جاريت ب.ماثيور، اغسطين، تر: ايمن فؤاد زهري ، ط1، أفاق للنشر والتوزيع مصر ، 2013.
5. جون آليف ، الأفارقة تاريخ قارة ، تر: امل ابو موسى ، ط1 ، دار الجماهيرية ، ليبيا ، 2001 ،
6. جيو وايد نغرين، ماني و المانوية دراسة لديانة الزندقة و مؤسسها، تر: سهيل دكار ، ط1، دار حسان، دم ، 1975.
7. رسترفنزف (م) ، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي و الاقتصادي (المتن) ، د.ط ، ج1 ، تر و مر : زكي علي و محمد سليم ، مكتبة النهضة المصرية ، مصر ، د.ت.
8. روبرت كيل تسلر، الروح القدس في محكمة التاريخ (المجامع المسكونية الخمسة الاولى) تر: علاء ابو بكر ، ط2 ، مكتبة وهبة ، مصر ، 2006 .
9. روبين دانيال، التراث المسيحي في شمال افريقيا دراسة تاريخية من القرن الأول الى القرون الوسطى، تر : سمير مالك ، د.ط ، دار منهل الحياة ، لبنان ، 1999.
10. رومنتنقن (ب.هـ) ، تاريخ ولايات شمال افريقيا الرومانية (من ديقليديانوس الى الاحتلال الوندالي) ، تر: عبد الحفيظ فضيل الميار ، ط1 ، 1994.
11. شارل (اندري جوليان) ، تاريخ شمال افريقيا ، ج1، تر : محمد المزالي ، ط3 ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1978.
12. شارل جنبير، المسيحية نشأتها و تطورها ، تر: عبد الحليم محمود ، د.ط ، المكتبة العصرية ، لبنان ، د.
13. سفينسيسكايا .إ.س ، المسيحيون الأوائل و الإمبراطورية الرومانية خفايا القرون ، تر : حسن مخائل اسحق ، ط2 ، دار علاء الدين ، 2007 .
14. سهيل بشروئي و مراد مسعودي ، تراثنا الروحي (من بدايات التاريخ الى الاديان المعاصرة) ، تر: محمد غنيم ، ط1 ، دار الساقى ، لبنان

15. غوتيه(اميل فيليكس)، ماضي شمال افريقيا ، تر : هاشم الحسيني ، ط 1 ،
الفرجاني للنشر ، ليبيا ، 1970.
16. فرنسوا دوكره، قرطاج الحضارة و التاريخ ، تر: يوسف شلب الشام ، ط 1 ،
دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر ، مصر ، 1994.
17. مدلين (هورس ميدان) ، تاريخ قرطاج ، تر: ابراهيم بالس ، ط 1 ، منشورات
عويدات ، لبنان ، 1981
18. ميرسيل إلياد ،تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية ،تر: عبد الهادي عباس ، ج 2
، ط 1 ،دار سوريا ،1986،
19. ميغوليفسكي (أ.س) ، اسرار الآلهة و الديانات ، تر: حسان ميخائل اسحق ،
ط 1 ، دار علاء الدين للنشر ، دمشق ، سوريا ، 2005.

2- المراجع باللغة الأجنبية

1. Amand Biechy, Saint- Augustin de L'Afrique au Ve Siècle,
1er edition ,Barbou fereres impremeur , libraire , 1867
2. Bernadette (Cabouret), l'Afrique romaine de 69-439(source
litteraires de l'hestoirede l'afriqueromaine
3. Bertrand (De Margerie), Introduction a l'histoire de l'exgèse III
Saint-Augustin, edition CERF, Paris.
4. Bidez (J), la vie de l'empereur julien, les belles lettres, paris, 1965
5. Brisson J.P, Autonomisme et christianisme dans l'afrique romaine de
septime a l'invasion vandale, E de boccard , paris , 19587
6. Boissier(M.G) , La fin du paganisme , t1 , 5éme ed , paris , 1907
7. Brown (Peter), La vie de Saint-Augustin , Trad : Jeanne marou ,
edition du suele , France , 2001
8. CHastagnol (A), les fastes de la prefectur de rome au bas-empire
nouvelles edition, paris , paris , 1962.
9. Chrustophe Hugoniot ,rome en Afrique (de la chute de carthage au
debuts de la conquete arabe , flammariion,France,2000
- 10.Colven Madek et Francois Dlbeau, Saint-Augustin le pasteur des
deux rives , edition d'orbestier , France.
- 11.Cristiana Songno, Q.Aurelius Symmachus: A political biography ,
University of Mighigan press, 2006.
- 12.Decourcel (Dominique), Augustin le génie de l'Europe (354-430),
edition Janlate , France,1995.
- 13.-19Denis (Bost), Saint-Augustin et la vie monastique , edition
publisud , Paris , 2000

14. Denys Gorce, vie de sainte Mélanie, ed le CERF, France, 1962
15. Djedaite. (Mahmoud), Saint-Augustin fils de thaguest et numidie, edition apic, Algerie, 2009
16. Dom Henre Leclercq, L'Afrique chretienne, t1, librairie victor lecoffre, paris, 1904.
17. Ferrah (Abdlaziz), Moi Saint-Augustin auegh fies de thageste, edition apic, Algerie, 2009.
18. Francois. Decret et M.H. Fantar, L'Afrique du nord dans L'Antiquité, Ed payot, Paris, 1998.
19. Francois Prévot et Jean-louis Voisin et autres, L'Afrique romaine 69-439, éd: Philip Lemarchand et Mechél Mirroir, Atland, 2006.
20. Gage. (J), Les Classes sociale dans l'empire romaine, 2^{ème} ed, payot, paris, 1971.
21. George (casali), dictionnaire de la théologie chrétienne, encyclopedia universalis et albin michel, paris, 1998.
22. Hammane (A.G), La vie quotidienne en Afrique au temp de Saint-Augustin, Hachette, Paris, 1979.
23. Jaidi (Houcine), l'Afrique et le blé de Rome aux IVeme et Veme siècle, publication de la faculté des sciences humaine et sociales, Tunis, 1990.
24. Jean (Claud Fredauille), de la civilisation romaine, 1ère ed, Larousse, 1999, France.
25. Louis Bertrand, Saint Augustin, Arthème fayard et cie, France, 1913
26. Maria (Bats) et Autre, L'empire Romaine au IIIe siècle (de la mort de commode au concile de nicée ed philipe lemarchand et anne samaine, bilgique, 1997.
27. Marie –Pierre, Arnaud-lindet, romanisation et chrestianisation, ed: temp, France, 2005
28. Marrou (H.I) Histoire de l'education dans l'antiquité, ed suel, paris, 1978.
29. Mechel Caplan, l'Afrique romaine de l'atlantique à tripolitaine (69-439 ap J.C) Bréal, 2006, France.
30. Mesnage (P.J), L'Afrique critienne ruine et eveches, Paris, éd : Leroux, 1912.
31. Mesnage (p.j), Le christianisme en Afrique (origines, développements, extension), franciscus faberi, Italie, 1914.
32. Michel (Rouche), Les origine du christianisme 30- 451, Hachette livre, France, 2007.
33. Monceaux (p), Etude sur la litterature latine d'Afrique : les paines, Lecene, paris, 1894.
34. Louis Guérin, Histoires de Saint- Augustin, Abbaye Saint Benoît de Port-Valais,

35. Paul Corbier et Marc Griesheimer ,l'afrique romaine 146 av.j-c 439ap.jc, edM ellipes, France , 2005.
36. Piganiol (A), L'empire chretienne (325-395), 2^{ème} ed, mise a jour par CHastagnol, PUF , paris, 1962.
37. Semon(M), La civilisation de l'antiquité et de le chrétianisme ,Artnard , Paris , 1972.
38. Stéphane Ratti ,Le Premier Saint Augustin , les belle lettre , paris , 2016.
39. Yann Le Bohec, Histoire de L'Afrique Romaine 146 av.j.c-439 a.ap.j.c, 2eme éd, Picart, 2013, France, p204.
40. Zeiller .(J), Les Hesis en Afrique entre la paix constantinienne et L'invasion Vandale, Melange fr. Martroye, 1940.

ثالثا المجالات و الدوريات:

1 – المجالات و الدوريات باللغة العربية

1. إيلان غوندينه ، قبريانوس بابا افريقيا ، تاريخ الكنيسة المفصل ، تر : أنطوان الغزال و صبحي حمودي اليسوعي ، ط1 ، دار دمشق ، 2002 ، لبنان.
2. اندري مندوز ، القديس اغسطين ، تر : أنطوان الغزال و صبحي حمودي اليسوعي ، تاريخ الكنيسة المفصل ، مج 1 ، ط1 ، دار المشرق ، لبنان ، 2002.
3. جان يويو، اوريجانيس باحث مولع بالحقيقة ، تاريخ الكنيسة المفصل ، مج1، تر: أنطوان الغزال و صبحي حمودي اليسوعي ، دار المشرق ، ط1 ، 2002 ، لبنان.
4. حفناوي بعلي ، التعليم في نوميديا و منطقة قالمة في العصر الروماني خصوصياته ، رجالاته ، آثاره ، مجلة المعالم ، العدد 09 ، الجزائر ، 2008.
5. السعدني ، نيرون و اليهود ، مجلة البحوث التاريخية و الاثرية ، العدد 02 ، 1995.
6. الشيخ ابو عمران ، اغسطين العنابي و مقاومة الحركة الدوناتية ، مجلة الاصاله ، العدد 34 ، الجزائر ، 1976.
7. عبد اللطيف مرابط، أفريقيا في العهد المسيحي، في تونس عبر التاريخ العصور القديمة، ج1، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2007.

8. غانم (محمد الصغير) ، علاقة نوميديا بالرومان ، مجلة التراث ، ع3 ، مطبعة الشهاب ، الجزائر ، 1988.
9. فوكة محمد ، مناطق سهل الشلف في ظل الاحتلال الروماني ، في الفترة الممتدة من ق 1 ق.م إلى ق 3 م ، مجلة عصور الجديدة ، ع12/11 ، 2013/2014.
10. فرنسوا هايم، المسيحيون يلقون الى الأسود ، تاريخ الكنيسة المفصل ، مج1 ، تر : أنطوان الغزال و صبحي حمودي اليسوعي ، ط1 ، دار دمشق، لبنان، 2002.
11. كلود لوبليه ، إهداء قسطنطين ، تر : أنطوان الغزال و صبحي حمودي اليسوعي ، تاريخ الكنيسة المفصل ، ط1 ، دار دمشق، 2002.
12. محمد الحبيب بشاري ، التوسعات الرومانية و انعكاساتها على الزراعة المغاربية ، مجلة الدراسات التاريخية ، ع 14 ، جامعة الجزائر 2 ، 2012 .
13. الهادي سليم، الحضارة الإفريقية الرومانية تألق الأدب وتعايش الديانات في تونس عبر التاريخ العصور القديمة، ج1، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية و الاجتماعية، تونس، 2007.

.1

2- المجالات والدوريات باللغة الأجنبية

1. Alaville Séverien. La connaissance du grec chez saint Augustin, Échos d'Orient, tome 21, n°127-128, 1922.
2. Albertini Eugène. Un témoignage épigraphique sur l'évêque donatiste Optat de Thamugadi, Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 83^e année, N. 1, 1939.
3. Bels Jacques. La mort volontaire dans l'oeuvre de saint Augustin, Revue de l'histoire des religions, tome 187, n°2, 1975
4. Beschaouch Azedine, Sur la localisation d'Abitina, la cité des célèbres martyrs africains, Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 120^e année, N. 2, 1976.
5. Cayrel Pierre, Une basilique donatiste de Numidie, Mélanges d'archéologie et d'histoire, tome 51, 1934.
6. Duchesne Louis. Le dossier du donatisme, Mélanges d'archéologie et d'histoire, tome 10, 1890.
7. Lepelley Claude. Iuvenes et circoncellions : les derniers sacrifices humains de l'Afrique antique, Antiquités africaines, 15, 1980.
8. Lepelley Claude, Les sénateurs donatistes, Bulletin de la Société Nationale des Antiquaires de France, 1990, 1992.

9. Mandouze André. Monique à Cassiciacum ,résumé, Bulletin de la Société Nationale des Antiquaires de France, 1970, 1972
10. Monceaux (pol), L'église Donatiste au temps de Saint-Augustin , Revue D'histoire Religieuse , LXI , 1910 , p50.
11. Monceaux Paul, Épigraphie donatiste, Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 53^e année, N. 4, 1909.
12. Monceaux Paul, La littérature donastique, les ouvrages de Petilianus, Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 50^e année, N. 4, 1906.
13. Monceaux Paul. Les ouvrages de Gaudentius, évêque donatiste de Thamugadi (Timgad) au temps d'Auguste, Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 50^e année, N. 5, 1906.
14. Monceaux (Paul), revue de l'histoire de religion , t 63 , paris , 1911 p 187 188 no 07.
15. Pottier Bruno, Les circoncellions. Un mouvement ascétique itinérant dans l'Afrique du Nord des IV^e et V^e siècles, Antiquités africaines, 44,2008.
16. Texier Charles. Mémoire sur les ports situés à l'embouchure du Tibre : le port d'Ostie, le port de Claude, le port de Trajan, Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 1^e année, 1857.

3- مقالات الكترونية

- 1- عامر عبد زيد، التأويل اللاهوتي لتاريخ عند اغسطين ، مقتبس من الموقع الالكتروني الحوار المتمدن على الرابط <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=29500> :

رابعاً القواميس والمعاجم

1 - القواميس والمعاجم باللغة العربية

1. خليل احمد خليل ، معجم المصطلحات الأسطورية ، دار الفكر اللبناني ، ط 1 ، 1996
2. صلاح قنصوة،
3. حسين على حمد، قاموس المذاهب والأديان، د.ط، دار الجيل، 1998، لبنان.

2- القواميس والمعاجم باللغة الاجنبية

1. George (casali), **dictionnaire de la théologie chrétienne, encyclopedia universalis et albin michel**, paris, 1998,

خامسا الموسوعات و الأطالس

1- الموسوعات و الاطالس باللغة العربية

1. آلان فيتزجيرالد ، موسوعة اغسطينوس عبر العصور، تز: حكيم ميخائيل و آخرون، ج1، ط1، مركز بيت الحكمة، 2010، د.م.
2. حسن نعمة، موسوعة الأديان السماوية والوضعية، ميثولوجيا واساطير الشعوب القديمة، دار الفكر اللبناني، لبنان، 1994.

2- الموسوعات و الأطالس باللغة الاجنبية

1. Alland Fitzgerald, **Encyclopédie St-augu la méditerranée et l'europe IVe siècle**, le serf, France, 2005
2. **Dictionnaire encyclopédique du christianisme ancien**, sous la direction de Angelo Di Birardino adaptation française: Francois, V I, SRF, Belgique, 1990.

سادسا المذكرات و الرسائل

1- المذكرات والرسائل باللغة العربية

1. خنيش عبد الفتاح، التوسع الزراعي في إفريقيا القديمة خلال الفترة الرومانية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة قسنطينة 2، 2013.
2. عبد الحميد عمران، الديانة المسيحية في بلاد المغرب القديم -النشأة والتطور- (180-430م)، اطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه تاريخ قديم، جامعة منتوري قسنطينة، 2010/2011.
3. العود محمد الصالح، التحولات الحضارية في شمال إفريقيا في الفترة الوندالية 429-534م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير تاريخ قديم، جامعة منتوري، قسنطينة، 20102.

4. يوسف عبيش، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية الاحتلال لبلاد المغرب أثناء الاحتلال البيزنطي، أطروحة دكتوراه دولة في تاريخ وآثار المغرب القديم، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007.

5. مصطفى محمد قنيل زايد، التعبير عن التعليم في الفن اليوناني و الروماني، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الاسكندرية، مصر، 2001.

2-المذكرات والرسائل باللغة الاجنبية

1- Chafia (Haddad) , L'enseignement dans les cités Romaine D'Afrique, mémoire pour le certificat d'aptitude à la recherche en histoire ancienne, faculté des lettre des science humaine de Tunis, 1991, tunis.

سابعا: أعمال الملتقيات:

1. اندري مندوز ، سلف عبقرى للجزائر اوغسطين هيبون ،تر: محمد هناد، ج 2 ، اعمال الملتقى الدولي الاول الفيلسوف الجزائري القديس اغسطين إفريقياته و عالميته، منشورات م.إ.أ، الجزائر ، 2003 .
2. انجيلودي بيرار دينو ، الكفاح من أجل الفقراء : القديس اغسطين و الربا ، تر: محمد هناد ، ج2 ، اعمال الملتقى الأول الفيلسوف القديس اغسطين إفريقياته و عالميته ، منشورات م.إ.أ، الجزائر ، 2003 .
3. أوتو فرميلينغيز ، قرارات مجمع إفريقيا سنة 418م المتعلقة بالغفران و الحرية ، كما جاء بها أغسطين ليقدمها لبونيفاس ، اسقف روما ، تر: محمد هناد ، ج 1 ، في أعمال الملتقى الدولي الأول الفيلسوف الجزائري القديس أغسطين إفريقياته و عالميته ، منشورات م.إ.أ ، الجزائر ، 2003 .
4. دوروثيا قيبر ، تأملات في الخلفيات الادبية و الجدل القائم حول انتقادات جوليان لوطن اغسطين ، تر: محمد هناد ، ج 1 ،اعمال الملتقى الفيلسوف الجزائري القديس اوغسطين إفريقياته و عالميته، منشورات م.إ.أ ، 2003.

- 5.5. روبر اوستين ،إفريقيا في قلب العالم ، المشكل اللاهوتي ، تر: محمد هناد ،في اغسطين إفريقيته و عالميته ،ج2 ، منشورات م.إ.أ ، الجزائر 2001.
6. روبر دودارو ، اوغسطين الهيبوني ، بين المدينة الدنيوية و مدينة الله ، في أعمال الملتقى الدولي الفيلسوف الجزائري القديس اغسطين ، تر : محمد هناد ، ج2 ، منشورات م.إ.أ ، الجزائر ، 2003 .
7. سارج لانسال ، بين الافريقية و الرومانية : اغسطين و طريقه الى العالمية ، تر: محمد هناد ، اعمال ملتقى الفيلسوف الجزائري القديس اغسطين افريقيته و عالميته ، منشورات المجلس الاسلامي الاعلى ، الجزائر ، 2003 .
8. شال مونيي ، تأثير اغسطين على تشريع الذي عاصره ، تر: محمد هناد ، ج1 ،اعمال الملتقى الدولي الأول الفيلسوف الجزائري القديس اغسطين إفريقيته و عالميته، منشورات م.إ.أ ، الجزائر ، 2003 .
9. كلود لوبلي ، الكفاح من اجل الفقراء ، ملاحظات حول العمل الاجتماعي للقديس اغسطين بمنطقة هيبون ، تر: محمد هناد ،ج1 ، اعمال الملتقى الدولي الأول الفيلسوف الجزائر القديس اغسطين إفريقيته و عالميته ، القدس اغسطين ، منشوراتم.إ.أ ، الجزائر ، 2003.
10. منير بوشناق ، اغسطين و الإفريقية انطلاقا من المؤلفات التاريخية و الدراسة حول موقع تاغست ، تر : محمد هناد ، ج1 ، في عمال الملتقى الدولي الفيلسوف الجزائري القديس اغسطين و إفريقيته و عالميته ، منشورات م.إ.أ ، الجزائر ، 2003 .
11. مورين أتيلي ، الدين الذي على اغسطين لتجاه الدوناتية ، تر: محمد هناد ، ج1 ، في ملتقى الدولي الأول " الفيلسوف الجزائري القديس اغسطين إفريقيته و عالميته ، منشورات م.إ.أ الجزائر ، 2003.

المواقع الإلكترونية

1- www.persee.fr

2- www.remacle.org

فهرس الآلهة

فهرس الآلهة

- إزيس: 45
- أمان: 44
- آمون: 42.43.44
- آمون-رع: 44.
- آمون-كبش: 44.
- أوزير: 45
- بعل: 42
- بعل حمون: 45.50
- بهيرا: 45.
- تانيت: 42.43.45
- ثنا: 45.
- جوبيتير: 45.46.
- جونون: 45.46.74.
- حورس: 45.
- رع: 44.
- زوس-آمون: 43.
- زيوس: 45.
- ساتورن: 41.42.43.45.50.
- كايلاستين: 42.45.
- مارس: 42.
- ماركور: 42
- منيرف: 45.46.
- مونا: 239.

فهرس الأعلام

فهرس الأعلام

- ابراهيم: 100.
- أبراهام: 81.
- ابرنجيوس: 207.
- أبولي: 284.240.37.35.31.30.
- ابطاتوي التيمقادي: 204.176.175.149.
- ابطاتوس الميلي: 234.203.160.153.142.
- ابيانوس: 59.
- اتيان(أسقف روما): 166.
- أثناسيوس: 279.278.
- آدم: 273.272.271.100.29.
- ادلترا: 27.
- أديودتانوس: 91.82.75.
- أديوداتوس(أسقف): 215.
- افوديوس: 204.
- أرسطو: 77.76.
- اركاديوس: 174.
- اكسيدوا: 153.
- ارنوب: 36.
- اوريليوس(أسقف قرطاج): 274.248.201.187.94.67.
- استوكيوس: 252.
- اسحاق: 166.
- اغسطين: 25 28 29 31 32 33 34 35 36 37 38 40 41.
- 42 45 53 54 63 66 68 69 70 71 73 74 75 76 77.
- 78 79 82 83 84 85 86 87 88 89 90 91 92 93 94.
- 95 97 99 100 101 103 106 107 110 135 143 144.

.168 .167 .166 .164 .160 .156 .155 .154 .152 .148 .145
.188 .187 .186 .185 .184 .183 .182 .181 .180 .179 .178
.202 .201 .200 .197 .196 .195 .194 .193 .192 .191 .189.190
.228 .226 .225 .224 .223 .222 .215 .214 .209 .208 .204
.243 .242 .241 .240 .239 .238 .236 .234 .233 .230 .229
.254 .253 .252 .251 .250 .249 .248 .247 .246 .245 .244
.269 .268 .267 .266 .265 .264 .263 .262 .261 .260 .259
.282 .281 .280 .379 .276 .275 .274 .273 .272 .271 .270
.288 .287 .286 .285 .284

- الكسندروس: 278.277.276
- آلارك: 273.261.235.206.97
- اليببوس: 250.244.243.231.215.212.202.91.90.84.72.38
- امبرواز: 288.285.265.258.247.243.91.89.88.86.45.84.70
- اميرتوس: 120.
- اميرتوس(أسقف): 215
- انوسنت الأول: 275.276.
- انطونيوس(رجل دين): 249.
- انطونيوس: 90.
- اوجين: 173
- اوروزيوس: 274.273.

ب

- بتريكوس: 74.69.68.67.54.45.
- بتليان/بيتليانوس: 215.214.191.144.
- بروبيانوس: 180. بروكليانوس: 192.190.

- بريبينوس:178.
- بريميانوس : 145.147.148.189.191.201.215.
- بريمنيان : 186.
- بوسيديوس:231.
- بطرس : 112.261.
- بلوتن : 86
- بلين الأضرغ : 52
- بوبا:231.
- بوذا : 81.
- بولس(الرسول): 89.91.92.93.112.122.257
- بولس(المبعوث الامبراطوري): 136.162.163.229.
- بونتيكيانوس : 90.
- بريسون : 154.
- بيلات : 261.
- بيلاج:270.271.272.273.274.275.
- بينيانوس : 21

ت

- تاسيس : 112تيكونيوس : 144.183.
- ترتليانوس : 30.49.98.257.
- ترجان : 113.

ث

- ثياسيوس : 204
- ثيودوز (رجل دين): 234.185.
- ثيودوز (قائد عسكري): 174.173.171.170.
- ثيودوسوس : 280.258.256.126.125.98.
- ثيودوسوس : 234.203.202.42.

ج

- جوفيان : 146.34.
- جوليان (الامبراطور):
- 279.263.235.202.146.143.142.141.140.139.279.106
- جوليان ديكلان : 287.271.270.242
- جيروم : 273
- جيلدون: 175.174.173.170.149.

خ

- خريستو : 47.

د

- داوود : 100.
- دقليديانوس : 268.164.150.120.119.118.117.116.
- دوليكنتيوس: 229.
- دوناتوس : 182 .180 .164 .137 .136 .135 .132 .130 .129 .128
- .229 .211 .185 .183
- دومتيان : 112.
- دوم هنري: 48

ر

- رستيتو: 167.
- ركاتوس: 195.
- روبا: 231.
- روبين دانيال: 49.
- رومانوس: 76.38.
- رومولوس: 245.

ز

- زراتوسترا: 81.
- زوسيموس: 276.275.

س

- سارج لانسال: 243.239.
- ساليست: 74.
- سبتيموس سيفروس: 113.
- ستيليكون: 173.
- سستيليون: 274.273.270.
- سلستيان: 28.
- سيرونوس:(قائد افريقي): 204.
- سيكنديوس: 179.178.128.
- سمبليسيانوس: 90.89.
- سيسيليان(حاكم نوميديا): 195.168.
- سيسيليانوس(اسقف قرطاج): 164 .163 .132 .130 .129 .128 .121 .128 .121 .128 .129 .130 .132 .163 .164 .179 .183 .184 .215 .216 .223 .242.88.53
- سيماخوس: 242.88.53.

ش

• شيشرون: 79.78.77.76.75.74.39.29

ط

• طورنيوس: 160.:.115.

غ

• غاليروس: 115.

• غراتيان: 202.170.98.

ف

• فاسير:

• فالنس: 58.

• فالوري: 21.

• فاليريانوس: 93.92.

• فاليريانوس: 144.118.117.115.114.

• فرجيل: 74.33.

• فرناد: 154.

• فرنسوا دكريه: 43.

• فستوس: 88.84.83.

• فستوس (أحد كبار الملاك): 233.

• فستوس (مانوي): 269.268.

• فكتوريانوس: 86.

• فلافيوس اكليمنس: 113.

• فلافين: 52.

• فلسيانوس: 186.

• فلنتيان: 258.202.171.146.

• فلنتيان الثالث: 215.:.228.

- فورتينتانوس: 191.
- فيرموس: 172.171.170.169.148.147.
- فورتيانوس: 215.
- فورتوريوس(المانوي): 268.
- فونديوس: 120.
- فيلكس(المانوي): 296.268.
- فيلكس: 223.180.133.128.

ق

- قابيل: 100.
- قسطنطين: 26 .136 .138 .162 .164.
- قسطنطين2: 279.
- قسطنطين: 52 .55 .110 .123 .124 .125 .126 .130 .131 .132.
- 133 .134 .137.140 .215 .163 .179 .180 .184 .223 .250 .255.
- 256 .258 .277 .278 .279.

ك

- كالديرون: 154.
- كاودتيوس: 192.
- كبريانوس: 98 .114 .180 .183 .185 .217 .284.
- كراتوس: 136 .138.
- كريسيبينوس: 29 .193 .204 .232.
- كسيرولوس: 202.
- كلاروس: 167.
- كلاوديانوس: 148.
- كنتيليان: 37 .39.
- كودونتوس: 229.
- كودونتوس(التمقادي): 231.

• كوفمان: 194.

ل

• لاكتس: 59.

• ليسنتوس: 38.

• لوسيلا: 128.

م

• ماجورينوس: 129 .132 .179 .184.

• مارتوي: 253.

• مارسيليانوس: 99 .207 .208 .209 .211 .212 .213 .214 .215 .224.

• ماركلوس: 166.

• ماركوبيوس: 229.

• ماركوس: 162.

• ماركيلوس(خلف أغسطين): 280.

• ماركيوس: 136 .137 .162 .163 .229.

• ماسكزال: 174 .175.

• مارو: 33 .35 .42.

• ماريوس فيكتورينوس: 89 .90.

• ماكسيموس: 41 .173.

• مانكيانا: 57 .58.

• ماني: 79 .81 .83 .84 .269.

• محمد العربي العقون: 43 .60.

• محمد المبكر: 52 .57 .163.

• المسيح: 87 .89 .265 .276.

• مكروب: 29 .228.

• مكسيموس(اريوسي): 280 .281.

• مكسيموس(المادوري): 241 .242.

- مكسيميانوس : 116.
- مكسيميانوس : 148 . 175 . 185 . 189.
- مكسيميانوس (شهيد دوناتي) : 166.
- مكسيمينس : 114.
- ملتياد : 132.
- منصور يوس : 121 . 128.
- مونيك : 25 . 45 . 67 . 70 . 71 . 82 . 87 . 239.
- ميغاليوس : 93.
- ميلاني : 21 . 250.
- ميلاني الصغرى : 26 . 55.

ن

- نبريديوس : 72.
- نوح : 100.
- نوفاتيانوس : 185.
- نيرون : 11 . 52 . 112 . 113.

هـ

- هابيل : 29 . 100.
- هابيليون : 29.
- هادريانوس / هادريان : 58 . 113.
- هنري باص : 44.
- هوسيسوس : 258 . 277.
- هوقليانوس : 235 .
- هوميروس : 33 . 74.
- هونوراتوس : 231.

- هونوريوس: 19. 42. 52. 57. 60. 130. 149. 155. 159. 174. 196.
- 205. 206. 207. 209. 225. 226. 227. 228. 232. 236. 250. 251.
- 266. 275.

ي

- يوبا: 44.
- يوحنا: 89. 272. 274.
- يوسابيوس القيصري: 113. 277.
- يوليوس قيصر: 21.

فهرس الأماكن و البلدان

فهرس الأماكن و البلدان

أ

- أبثينا: 223.180.133.129.122.120.
- أثينا: 38.
- أرشليم: 273.49.
- آرل: 184.134.
- اسبانيا: 174.81.21.
- اسكندرية: 277.276.49.
- اوستي: 71.09.
- أسيا الصغرى: 81.
- افريقيا:
- 284.281.280.275.274.273.270.250.247.243.241.239.236.23
- 5.234.226.223.21.206.204.200.196.189.187.183.182.181.17
- 5.173.171.170.169.168.166.165.163.162.159.152.149.143.1
- 42.138.136.135.134.133.131.130.122.99.97.94.63.62.56.53
- ..52.51.48.44.42.41.40.38.37.35.34.30.28
- أفسوس: 273.
- اكتافيا: 162.160.
- أكلانوم: 270.
- الأماريا: 231.
- اوروبا: 56
- ايطاليا: 241.174.132.41.21.

ب

- بابل: 79.
- البابور: 169.

- باغاي: 136 .137 .138 .159 .163 .164 .165
- بروقنصلية: 31.45.50.52.149.212.213.23.30.
- بلاد البرير: 49.
- بلاد الغال/غاليا/غوليا: 21.81.174.
- بلاد فارس 81.
- بلاد المغرب: 40 .41 .59 .81.
- البليدة: 170 .يوي ابطالي: 242.
- بيلا-رجيا(حمام دراجي): 25 .27.

ت

- تازوت(لمباز): 45.
- تاغست: 31 .35 .54 .67 .68 .69 .72 .74 .76 .92 .201 .215 .239.
- 241 .243 .250 .262.
- تسالونيكي: 258.
- تيبازة: 44.
- تيجيزي: 178 .179.
- تيفست: 119.
- تونس: 27.
- تيمقاد: 20 .45 .229.

ج

- الجزائر: 27 .67.

د

- دلس: 44.

• دمشق: 49.

• دوقة: 45.

ر

• رافانا/رافان: 250.

• روسبيكاري: 170.

• روما: 30 .53 .59 .76 .81 .84 .85 .87 .97 .99 .103 .106 .113.

.126 .132 .133 .134 .148 .173 .174 .179 .184 .206 .223.

.235 .243 .250 .257 .261 .270 .273 .274 .275.

ز

• زكار: 170.

س

• سبيطة: 45.

• سيكا: 36.

• سطايفية: 213.

• سوق اهراس: 67.

• سوق الخميس: 57.

ش

• شرشال: 44.81.

• شمال افريقيا: 27 .28 .44 .49 .50 .81 .110 .119 .124 .126 .127.

208

• الظهرة: 169.

• عنابة: 67.

فا

• فلسطين: 81.

• فوسلا: 28 .246 .

قا

- قبرص: 49.
- القدس: 273 .274.
- قرطا/ كيرتا: 31 .45 .67 .106 .118 .122 .135 .135 .208 .215 .223
- قرطاج: 21 .27 .29 .30 .31 .37 .38 .40 .42 .43 .48 .5 .59 .68 .74 .75 .76 .77 .81 .83 .84 .94 .106 .120 .121 .126 .128 .230 .231 .232 .133 .136 .138 .148 .149 .155 .159 .163 .164 .167 .176 .178 .181 .184 .187 .200 .201 .202 .204 .206 .208 .211 .212 .213 .225 .226 .228 .229 .231 .236 .240 .248 .249 .250 .273 .274 .275 .281 .286
- قرطبة: 277.
- قسنطينية: 52 .98 .126 .144 .175 .277 .279 .280
- قسنطينة: 44.
- قصر الكلب(خنشلة): 229.
- القيصرية: 213.

ك

- كالما: 29 .93 .204.232
- كرتن(تنس): 195.

ل

- ليما: 178.
- ليوتين: 187.

م

- مابالي: 232.
- مادور: 31 .41 .73 .74.
- محلة سوبولوس: 167.

- المزاق / بيزنكا / بيزاسان: 52 .148 .149 .212
- مصر: 53 .81 .169 .206 .235 .277
- موريطانيا القيصرية: 21 .135 .147 .148 .155 .213 .229
- ميلاف: 274
- ميلانو: 40 .47 .53 .55 .70 .85 .88 .90 .91 .123 .125 .240
- 241 .242 .255 .258

ن

- نوميديا: 21 .30 .44 .45 .50 .53 .93 .128 .129 .135 .143 .148
- 149 .153 .155 .160 .164 .165 .168 .178 .204 .212 .213
- 229 .239 .287
- نيقيا / نيقوميديا: 277 .278 .279

و

- الونشريس: 169 .170
- هنشير مطيش: 57

هـ

- الهند: 81
- هييون / هيبورجوس: 28 .29 .34 .41 .42 .44 .67 .81 .92 .93 .94
- 106 .107 .143 .152 .167 .187 .190 .192 .193 .195 .201
- 202 .208 .214 .224 .229 .230 .233 .238 .243 .245 .246
- 247 .248 .253 .254 .261 .262 .269 .280 .284 .286

ي

- اليونان: 30 .47 .81

فهرس القبائل

فهرس القبائل

أ •

- الإغريق:75.45.
- الأفارقة:34. 35. 38. 40. 41. 42. 44. 45. 90. 138. 145. 211.
- 233. 239. 240. 241. 250. 287.
- البوذية: 80.
- تينيسون: 43
- الجرمان:97.
- الحواريين:49.
- الرومان: 27.33.44.45.47.59.60.98.150.173.284.
- الزرداتشية:80.
- الفينيقيون: 28.41.43.
- القوط:97.
- اللاتين: 75
- ليو فينيقيين:41.
- المبالين:29
- المسيحية:80
- المصريون:45.
- المغاربة:47
- الموريين: 19
- النوميديين:19
- الوندال:95.97.106
- اليهود:48

فهرس الخرأئط و الاشكال

فهرس الخرائط

- الشكل (01) فسيفساء السيد يوليوس قيصر ص 21
- الشكل (02) حلي يجسد الآلهة البربرية..... ص 43
- الشكل (03) يرمز للآلهة تانيت في النصب النخصصة لها..... ص 43
- الشكل (04) آثار كنيسة القديس أغسطين ص 95
- الشكل (05) مخلفات كنيسة هيورجيوس..... ص 95
- الشكل (06) الطريق الرابط بين هييون والبرقنصلية..... ص 95
- الشكل (07) الجزء الخلفي لكنيسة هييون التي وضعها فاريلْيوس تحت تصرف اغسطين للعيش فيها مع اخوانه..... ص 95
- الشكل (08) مقتطف من كتاب مدينة الله لأغسطين..... ص 101
- خريطة (09) مجال حركة الدوارين في القرن 04 و 05م ص 153
- خريطة (10) المجال الجغرافي لثورة فيرموس وحملة ثيودوز..... ص 167
- خريطة (11) المعركة الفاصلة بين قوات جيلدون ومكزِيل..... ص 172
- خريطة (12) الأبرشيات الدوناتية والكاثوليكية في نوميديا وموريطانيا..... ص 214
- خريطة (13) الابرسيات الدوناتية في مناظرة قرطاج 411م ص 215

فهرس الجداول

فهرس الجداول

- جدول (01) الأعمال الدفاعية لأغسطين.....ص103
- جدول (02) الأعمال العقائدية.....ص 103
- جدول (03) أعمال ضد المانوية والدوناتية و البيلاجية.....ص 103
- جدول (04) أعمال أغسطين التفسيرية.....ص 104
- جدول (05) أعمال اللاهوتية والأخلاقية والرعية.....ص 104
- جدول (06) قائمة رسائل أغسطين.....ص 104
- جدول (07) أعمال أغسطين الشعرية.....ص105
- جدول (08) مجمل المجامع المنعقدة من طرف الكنيسة الكاثوليكية.....ص183
- جدول (09) القوانين والمراسيم الصادرة ضد الدوناتين(316-350م).....ص189
- جدول (10) القوانين والمراسيم الصادرة ضد الدوناتية (381-390م).....ص 205
- جدول (11) القوانين والمراسيم الصادرة ضد الدوناتية (391-400م).....ص205
- جدول (12) التوزيع الإقليمي للأسقفيات الممثلة في مناظرة قرطاجص 212
- جدول (13) قائمة أساقفة الطرف الكاثوليكي في مناظرة قرطاج.....ص 212
- جدول (14) قائمة أساقفة الطرف الدوناتى في مناظرة قرطاج.....ص213
- جدول (15) العقوبات المسلطة على الدوناتيون بعد مناظرة قرطاج.....ص 220

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

| الموضوع | رقم الصفحة |
|---|------------|
| مقدمة..... | 01..... |
| الباب الأول: الأوضاع العامة في عهد القديس أغسطين..... | 14..... |
| الفصل الأول: الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية..... | 16..... |
| تمهيد..... | 17..... |
| أولاً: الأوضاع الاجتماعية..... | 17..... |
| 1- طبقات المجتمع..... | 17..... |
| أ- الطبقة الارستقراطية..... | 18..... |
| ب- الطبقي الوسطى..... | 22..... |
| ج- الطبقة العامة..... | 22..... |
| *الطبقة البرجوازية المتوسطة..... | 22..... |
| *طبقة الفقراء..... | 23..... |
| *طبقة العبيد..... | 23..... |
| 2- الحياة الفكرية..... | 26..... |
| أ- اللغة..... | 26..... |
| ب- التعليم..... | 29..... |

- 30.....*المرحلة الأولى
- 34.....*المرحلة الثانية
- 36.....*المرحلة الثالثة
- 39..... 3- الديانة
- 40..... أ- الوثنية
- 42.....*تانيت
- 44.....*آمون
- 46.....*آلهة جوبيتير
- 46.....*آلهة منيرفا
- 47.....*الإله جونون
- 47..... ب-المسيحية
- 51..... ثانيا: الحياة الاقتصادية
- 52..... 1-أنواع الملكيات
- 52..... أ-أراضي الإمبراطور
- 53..... ب-أراضي كبار الملاك
- 54..... ج-الملكيات الصغيرة
- 54..... د-ملكيات الأهالي

- 55.....و-ملكيات الكنيسة.
- 56.....2- طرق الاستغلال.
- 59.....3- النظام الضرائبي.
- 64.....خاتمة.
- 65.....الفصل الثاني : مولد ونشأة القديس أغسطين.
- 66.....تمهيد.
- 66.....أولاً: المولد والمحيط العائلي.
- 72.....ثانياً: مساره التعليمي.
- 76.....ثالثاً: رحلة بحث عن الحقيقة.
- 76.....1-أغسطينيوس بعد هورتونيوس.
- 78.....2- المانوية.
- 84.....3- الأفلاطونية الحديثة.
- 87.....4- المسيحية.
- 91.....رابعاً: أغسطين في هيبورجيوس.
- 96.....خامساً: مؤلفاته.
- 96.....1- مدينة الله.
- 102.....2- اعترافات.

| | |
|----------|---|
| 103..... | 3- أعمال أخرى |
| 104..... | سادسا: حصار هيبون و وفاة أغسطين |
| 106..... | خاتمة |
| 107..... | الباب الثاني: الصراع المسيحي المسيحي وانعكاساته |
| 108..... | الفصل الأول: الانشقاق الكنسي |
| 109..... | تمهيد |
| 109..... | أولا: جذور الانشقاق الكنسي |
| 109..... | 1- الاضطهاد المسيحي |
| 120..... | 2- مرسوم ميلانو |
| 124..... | 3- الانشقاق الحقيقي |
| 127..... | ثانيا: موقف السلطة من الصراع |
| 132..... | 1- قسطنطين |
| 135..... | 2- جوليانوس (361-363م) |
| 139..... | ثالثا: ازدهار الدوناتية |
| 142..... | رابعا: الانشقاق الدوناتى |
| 146..... | خاتمة |
| 147..... | الفصل الثاني: موقف أغسطين من الدوناتية و الفوضى المحلية |

| | |
|----------|---|
| 148..... | تمهيد |
| 148..... | أولاً: الدوناتية و الفوضى المحلية |
| 148..... | 1- الدوارين |
| 148..... | أ- التعريف بالدوارين |
| 154..... | ب- التحالف الدوناتى الدوارى |
| 155..... | * الارهاصات الأولى للتحالف بين الدوناتية و الدوارين |
| 157..... | * البعة الامبراطورية وانعكاساتها على الصراع الدوناتى الكاثوليكي |
| 161..... | ج- انعكاسات التحالف الدوناتى الدوارى |
| 164..... | 2- تحالف الدوناتية مع ثورة فيرموس |
| 168..... | 3- تحالف الدوناتية مع ثورة جيلدون |
| 173..... | ثانياً: موقف أغسطين من الانشقاق الدوناتى |
| 176..... | ثالثاً: مآخذ أغسطين ضد الدوناتية |
| 176..... | 1- الكنيسة الدوناتية هي الكنيسة الحقّة |
| 179..... | 2- اعادة التعميد |
| 182..... | رابعاً: استراتيجية أغسطين في مواجهة الدوناتى |
| 182..... | 1- استراتيجية المجامع الكنسية |
| 184..... | 2- استراتيجية المجادلات الكلامية |
| 190..... | 3- الاستعانة بالسلطة الزمنية |
| 192..... | خاتمة |
| 193..... | الباب الثالث: |
| 194..... | الفصل الأول: السلطة تقمع الدوناتية |

| | |
|----------|---|
| 195..... | تمهيد |
| 195..... | أولا: أفول الدوناتية وانتعاش الكاثوليكية (390-411م) |
| 196..... | ثانيا: دعم الكنيسة الكاثوليكية ضد الدوناتية |
| 201..... | ثالثا: مناظرة قرطاج |
| 201..... | 1- ظروف اجراء مناظرة قرطاج |
| 205..... | 2- سير المناظرة |
| 206..... | أ- الدورة الأولى |
| 209..... | ب- الدورة الثانية |
| 210..... | ج- الدورة الثالثة |
| 216..... | د- أغسطين يقضي على الدوناتية |
| 219..... | رابعا: اجراءات السلطة بعد مناظرة قرطاج |
| 222..... | خامسا: رد فعل الدوناتية من حكم مناظرة قرطاج |
| 224..... | سادسا: جهود أغسطين المتواصلة بعد مناظرة قرطاج |
| 226..... | سابعا: أسباب تأخر سقوط الدوناتية |
| 230..... | خاتمة |
| 231..... | الفصل الثاني: القديس أغسطين الأصالة الافريقية و الثقافة الرومانية |
| 232..... | تمهيد |
| 232..... | أولا: افريقية القديس أغسطين |
| 237..... | ثانيا: الدور الاجتماعي للقديس أغسطين |
| 237..... | 1- دفاعه عن الفقراء |
| 241..... | 2- محارة الريا |
| 243..... | 3- نظرتة للعبيد |
| 245..... | 4- دفاعه عن المسجونين والمضطهدين |

| | |
|----------|--|
| 248..... | ثالثا: الفكر السياسي لأغسطين |
| 248..... | 1- بداية التزاوج بين الكنيسة والسلطة..... |
| 253..... | 2- أغسطين بين الكنيسة والسلطة..... |
| 257..... | 3- الثورة ضد السلطة في نظر أغسطين |
| 259..... | 4- مصدر السلطة السياسية عند أغسطين |
| 261..... | رابعا: دور القديس أغسطين الديني..... |
| 261..... | 1- كتاباته ضد الهرطقات..... |
| 262..... | أ- المانوية..... |
| 264..... | ب- البيلاجية..... |
| 270..... | ج- الاربوسية..... |
| 276..... | خاتمة..... |
| 278..... | الخاتمة..... |
| 282..... | الملاحق..... |
| 282..... | الملحق 01 نص قانون هونوريوس الصادر في 412م..... |
| 282..... | الملحق 02 مقتطف من اعترافات اغسطين تروي اهتدائه..... |
| 285..... | الملحق 03 الخطاب الذي ألقاه سيكنديوس |
| 287..... | الملحق 04 رسالة أغسطين تلخص مناظرة قرطاج..... |
| 306..... | الملحق 05 مقتطف من أناشيد أغسطين الدينية ضد الدوناتية..... |
| 308..... | الملحق 06 رسالة أمبروازيوس إلى الامبراطور ثيودوسوس |
| 309..... | فهرس المصادر والمراجع و الدوريات..... |
| 310..... | فهرس المصادر..... |
| 313..... | فهرس المراجع..... |
| 320..... | فهرس المجلات و الدوريات..... |

- 322.....فهرس المقالات الالآرونفة
- 323.....فهرس القوامفس والمعآم
- 323.....فهرس المذكرات و الرسائل العلمفة
- 324.....فهرس اعمال الملتقفاآ
- 326.....فهرس المواقع الالآرونفة
- 328.....فهرس الآهه
- 330.....فهرس الأعلام
- 341.....فهرس الأماكن والبلمان
- 347.....فهرس القبائل
- 349.....فهرس الخرائط والأشكال
- 351.....فهرس الجداول
- 353.....فهرس الموضوعات

